المصادر الأندلسية ، ٢١

أحمد بن قاسم الحجري
(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب
ناصر الدين على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

شورد فان كوننكزفلد   قاسم السامرائي
خيرارد فيخرز

CSIC

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي

COOPERACIÓN ESPAÑOLA

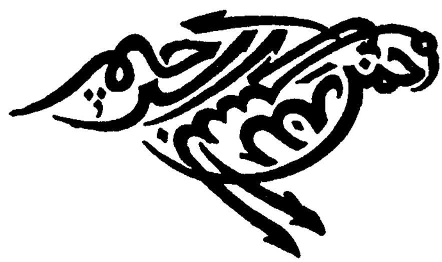
كتاب
ناصر الدين
على القوم الكافرين

المصادر الأندلسية ، ٢١

أحمد بن قاسم الحجري

(ت. بعد ١٦٤٠ م)

كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين



تحقيق وتقديم وترجمة

شورد فان كوننكزفلد   قاسم السامرائي
خيرارد فيخرز

المجلس الأعلى للأبحاث العلمية
الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي

محتوى الكتاب

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

وبـه نستعيـــن

صلّى اللّه على سيِّدِنا وَمَولانا مُحَمّد وآله وصحبهِ وسلَّم تسليمـــاً
الحَمْدُ للـهِ وَحْدَه وَصَلّـى اللّـهُ عَلَـى سَيِّدنا محمـد عبـده ورســوله
ورضي الله تعالى عن آلــه واصحابـه وعـن التـابعين لَـهُ فـي دينــه
وبعـــــــــد:

فيَقُولُ العبْدُ الفقيرُ اِلَى اَللّـه تعــالى؛ الرّاجـي عفـوهِ وغفرانِـــه ورحْمَتِـه بشفاعـةِ نَبِيِّـهِ المَذْكُور في كُتُبِـه وأَفْضَلها كَلاَمَـــه العزيـزُ في قُرْءَانِـه؛ أحْمَد بـن قَاسِم بـن أحْمَـد ابـن الْفَقِيـه قَاسِم بـن الشِّيْخ الحَجَرِي الانْدَلُسي:

مِن نِعَمِ اللّه تَعَالى عَلَـيَّ أنْ جَعَلَنـي مُسْلماً فـي بِـلاَدِ الكُفّــار مُنْذُ اَعْرِفُ نَفْسِي بِبَرَكَةِ الوالِدَيْن ـ رَحِمَهُمَا اللّهُ تعالى ـ [و][1]إرْشادِهِمــا وَقَدْ جَعَلَ اللّهُ في قَلْبِي مَحَبَّةً لِلخُروجِ [من بلا] دِ اِلاَنْدَلسْ مُهَـاجِراً اِلى اَللّهِ تَعَالَى ورسوله وَالقُدُوم [لبـ]ـلاَدِ المُسْلِمِين. وَقَضَـى اللّـهُ تعالى الْغَرْضَ وَالمُرَاد وَبَلَغْنَا اِلَـى مَدِينَـةِ مَرّاكُشْ بـالْمَغْربِ. وَبعْدَ ذَلِكَ بِاِثْنَتي عَشْرَةَ سَنَة فَرَّج الله تعالى على الاَنْدَلُسْ الْمُسلِمِين الذين كَانُوا فيها تَحْتَ قَهْرِ النَصا[رى وظُلْمْ]هِم فَأَمَر (١٢أ) عَلَيْهِم سُلْطَانِ اَلبِلاَدِ المُسَمّى بِفِلِبِّ الثَّالِثِ مَنْ اسْمُهُ بالخُرُوج جَميعاً مِن بِلاَدِه .

وَاتّفقَ لِكَثِير مِن المُسْلِمين الاَنْدَلُـسْ عنـد خرُوجهـم أَنْ نهَبَهُـم فـي الْبَحْرِ النَصَارَىْ وَأَكْثَرَهُمْ الفَرَنج الْبَحْرِيَة الذَين اَكْتَروْهُـمْ ودفَعَوا لَهُمْ

---

[1] ما بين المعقوفتين ضائع لتمزق الورقة أو لطمس النص وقد أكملناه هنا وبعده حسب ما اقتضاه السياق اللفظي أو المعنوي.

أُجْرَتَهمْ على ان يَبلّغُوهُم في عَافِيَةٍ وأمَانٍ الى بِلادِ المسْلمين؛ وَخَانُوهم كُلّ وَاحِدٍ من الرِيَّاسِ في سَفِينَتِهِ؛ وبعْد أخذ كلّما كان لهُم اَخْرَجُوهُم في بعْض الْجُزُر من بِلاَدِ المسْلمين واربَعةٌ من تِلْكَ السفُن الْمَنْهُوبَةِ خَرَجَتْ بالمَغْرب الاقْصَى فَأَحْسَنَ الْمُسْلمُون البَرْبَرْ بالاَنْدَلُسْ وَجَاءُوا الى مَدينَة مَرّاكُشْ - وَهِيَ دَارَ سَلاَطِينْ الْمَغْرب - وَطَلَبُوا مِنْ السُّلْطَان مَوْلاَيْ زَيْدَان بن السُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحمَد ابْنُ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ مُحَمّد اَلشّيْخ اَلشّرِيف الحَسَنِي أَن يَأذَن لَهُمُ في إرْسَال بَعْضٍ من أَصْحَابِهم مَعْ رَجُلٍ [من][1] اَلاَنْدَلُسْ اَلّذِينَ كَانُوا قَبْلَهُم بِتِلْك الْمَدينَةِ وَاتَفَق نَظَرَهُم أَن نَمْشِي بأَصْحابِهِمْ؛ وأَعْطانَا السُّلْطَان كِتَابهُ وَذَهبْنا الى أَسْفِ - هي مَدينَةٌ على البَحْر المُحيْط - وَفيهَا رَكَبْنَا وَبَلَغْنَا اِلَى بِلادِ الفَرَنج، وَوَقَع لي كَلاَمٌ (٢ب) كَثِيرٌ مَعَ عُلَمَائِهِم من القَسيسِينَ وَالرُهْبَان وَالْقُضَاةِ في شَأنِ الاديَان واحتَجَتُ اقرأ الإنْجِيل الذي بِأَيْدِيهِمْ الآن وَمِنْهُ وَمِن غيْرِهِ مِن كُتبِهِم وجدْتُ ما نردّ عَلَيْهِم ونُبَطِّلُ حُجَجَهُم ونَصَرَنِي اللّه تَعَالى عَلَيْهِم مِراراً عَديدَةً.

وَذَكَرتُ بَعْدَ ذَلك حينَ وَلّيْتُ اِلَى مَرّاكُشْ شَيْئاً مَنْ الْحكَايَاتِ والمُنَاظَرَاتِ وَالاَجْوبَةِ مِنّي اليَهِمْ لِبَعْضِ الاخْوَان وَطَلَب مِنّي غَيْرُ وَاحِدٍ مِن عُلَمَاءِ المُسلِمينَ اَنْ أَعْمِل تَأليفاً بذَاك. ولَمْ يَتَفِق الْعَمَل إلَى أنْ أَمَرَنِي شَيْخُنَا وَبَرَكَتُنَا بِمِصْر المَحْرُوسَة باللّه وَهُوَ العَلاَمَةُ الشّهِيرُ عِلْمُهُ وَثَنَاؤهُ في الاَقْطَار وَالبُلْدَان: الشّيْخُ عَلِي بن مُحَمّد الْمَدْعُو زَيْن اِبْنُ الْعلاَمَة الشّيْخ عَبْد الرّحْمَن الاَجْهُورِي الْمَالِكِي

---

[1] الكلمة ساقطة بفعل تمزق الورقة.

فَاجَبْتُه بِأَكْثَر ممَّا طَلَبه، وَجَعَلْتُ التَّأليف رحلـتً سـميتها بــ: **رِحْلَت الشِّهاب الى لِقَاءِ الاَحْبَاب**،

وذكـرت [فيهـا][١] اَوَّلاً: بِـلاَدْ الاَنْدَلُـسْ فـي أيّ مَوْضِـعِ هِـيَ مِـنْ مَعْمُورِ الدُنيَا وَالاَقْطَار اَلْمُجَاوِرَةَ اليْهَا والعَرْضَ وَالطّول في صُقْعِهَا وَعُرْضَ اِرْتِفَاعِ اَلْقُطْبِ الشِمَالي عَلَيْهَا وَدَرَجِ طُولِهَا (٣أ) مِن الدُنْيَا الَّذِي هُوَ أَبْتِدَاؤُهُ من الجُزُر الخَالِدَاتِ المُسمَّات اَلآنْ بــ: قَنَارِيَـهْ؛ ثُـمٍّ ذَكَرْتُ مَنْ سَكَنَهَا مِنَ اَلاَجْنَاسِ اَلْقَدِيمَـةِ قَبْل دُخُـولِ المُسْلِمينَ اِلَيْهَـا وفي أيّ سَنَةٍ كان اِفْتِتَاحُهَا وَمَا اَتَفَـقَ فـي اَخْذِهَـا؛ ثُـمَّ ذَكَـرْتُ بعـض اَلْمُلوكِ الصَّالِحِينَ اَلْمُجَاهِدِينَ وأَيْضـاً بَعْضَ رَسَـائِل لِسَـان اِلدّيـن بـنُ اَلْخَطِيـب؛ ثـمِّ ذكـرتُ الزّمَـنْ الّـذي كـانَتْ بِـأَيدِي اَلْمُسْلِمينَ اِلَـى اَنْ احتَوَتْ النِّصارى عَلَى جَميعِها • ثُمّ ذكرتُ كَيْف كانَ حَالُ اَلْمُسْـلِمينَ بيْن اَلِّنصارى بَعْدَ أَن أَدْخَلُوهُمْ جَميعاً كُرْهَاً مِنْهُم في دِينِهـم؛ وَكَـانُوا يَعْبُدُون دِينَيْن: دِينَ النِّصـارى جهْراً وَدِيـنَ اَلْمُسْلِمينَ فـي خَفَـاءٍ مِـن اَلنَّاس؛ وَاذَا ظَهَر على اَحَدٍ شَيْءٌ مِن عَمَلِ اِلمُسْلمين يَحْكُمُـونَ فِيهـم اَلكُفَّارِ اَلحكْم اَلْقَوِيَ [و] يَحْرِقُونَ بَعْضَهُم؛ كَمَا شَـاهَدْتُ حَـالَهُمْ اَكْثَر مِن عشْرِينَ سَنَّة قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا•

وَايْضاً ذَكَرْتُ مَا اَتَّفَقَ لي بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَهْ مَعَ اَلْقَسِيسِ اَلْكَبِير فـي قِرَاءَةِ الرّق اَلْمَكْتُوب بِالْعَرَبِيَةِ وَالْعَجَمِيَة فِيما ذَكَرَ يُوحَنَّا الَّـذي كَتَّـبَ رُبْـعَ الانْجِيـل فِيمـا يَكُـونُ (٣ ب) وَيَحْـدُثُ فـي اِلدُنْيَـا اِلَـى أَنْ تُفْنَـا؛ وَايْضاً شَيْئاً مِمَا كَانَ مَكْتُوباً في اَلْكُتُـبِ الّتـي وُجِـدَتْ تحْـت الارْض في تاريخ الْفِ وَثَلاَثَ سِنِينَ مِن اِلْهِجْرَةِ او قَرِيبـاً مِنْهَـا مَكْتُوبَـةً فـي

[١] الكلمة مطموسة في التصوير.

وَرَقِ الانَك بِالْعَرَبِيَـةِ مِنْ عَهْدِ سَيِّدِنَا عِيسَـى - عَلَيْـهِ السَّلاَم - أَوْ قَرِيباً مِنْهُ؛

وَمَا اتِّفَقَ لَنَا فِي الْخُرُوجِ مِنْ بَيْنَ النِّصَارَى وَكَيْفَ لطف اللهُ بنَـا وَفَكِّنـا مِنْهمْ سالِمِين بفضله. وذَكَرْنَا ايْضَا الاَسْبَاب الَّتي قَالَ سُلْطَان النِّصَارى انِّهَا حمَلتْه عَلى إِخْـرَاجِ المُسْلمِينَ مِن بِـلاَدِهِ؛ وَايْضـاً مَـا رَأيـتُ فـي أَسْفَارِي وَرِحْلَتِـي المَشْرِقِيَّةِ وَالْمغْرِبِيَّـةِ وَالْجَوْفِيَّـةِ مِـن [...][1] ومَـا وقَـع لِـي مِـنَ الكَـلاَم والمُنَـاظَرَاتِ مـعَ النِّصَــارَى [...] وَالقَسِّيسِينَ وَالرُهْبَان وَاكَابِرهِم فِي أُمُورِ [الدين بـ] بِلاَدِهـم الفَرنجَـه وبِلاَدِ فَلَنْضِسْ؛ وَايْضَاً مَعَ الْيَهُودْ.

[وقرأ] ت[2] الرِحْلَة المَذْكُورَة على الشّيْخ الفَاضِل المَذْكُور [الـذي أمـ]رنِي بِمِصْرَ بِعَمَـلِ الْكِتَـابِ، وَلمّـا رَأَنِـي عَازِمَـاً عَلَـى الرُّجُـوع [للبلا] دِ المَغْرِبِ الَّتِي جِئنَا مِنْها لاداءِ الفَرْضِ وَزِيَارَةِ [قبر أفـ]ضَـلِ مَن ظَهَرَ عَلَى وَجْهِ الارْض والْوَقْتُ ضَايِق، [أردت] أكْتُب لَهُ مِنْهَـا نسْخَةً - كَمَا كَانَ فِي غَرَضِي - اَمَرَنِي (١٤أ) أن اخْتَصِرَ مِنْهَا نُبْذَةً لَطِيفةً وَنذْكُرُ مَا وقَعَ لِي مِن الكَلاَم فِي الدِّين معَ النِّصَارى. وَهَا أنا اشرعُ بِعَوْنِ اللّهِ اكتُب فِي هَذهِ الوَرَقَاتِ مَا وقَع لِي مِنَ الْمُنَـاظَرَاتِ، وَكُـلَ مَسْئلَةٍ اَلْهمَنـي اللّـه تعـالى بِـالْجَوَابِ عَلَيْهَـا فـي الْحِيـنِ عَلَـى اَلْبَدِيهَةِ؛ وَأَذْكُرُ نُصُوصِهَا مِن اَلْكُتُـبِ بِبُرْهَانِهَـا؛ وانْ كَـانَ لـي وَقْـتٌ قبْل الرَّحِيل مِن مِصْرَ نكْتُب مِنَ الرِّحْلَة اَيْضَاً مَا وقع لِي مَعَ عُلَمَـاءِ

---

[1] ما بين المعقوفتين من أمثال هذا الموضع لم نستطع إكماله اما لتمزق الورقة أو لطمس النص وبخاصة في الورقة الأولى والأخيرة.

[2] يظهر في الأصل: "ت اقرا" ، وشطب الحجري على "اقرا".

الْيَهُود بِالْبِلاَدِ المذْكُورة؛ وبِسببَهم قَرَأتُ التَّوْرَيةَ الِّتِي هِيَ اَرْبَعَ وَعِشْرُونَ كِتَاباً: الخَمْسَة الأوائل في أمُورِ دِينِهم وَالْبَاقِي مِن الْكُتُب فِي التَّوارِيخ؛ وَجَدْتُهَا مُتَرْجَمَةً مِن العْبرَانِي اِلَى العَجَمِي اِلَّذِي نَعْرِفُهُ، وزَادَنِي اللِّه تَعَالى يَقِيناً وَمَحبَّةً في دِين الاسْلاَمِ وَذَلِكَ مِمَّا انْعَم اللِّه تعالى به عَلَيّ. نَسْئَلَهُ سُبْحَانهُ بِجَاهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّد – صلَّى اللِّه عَلَيْهِ وَسَلِّم – اَنْ يَلْطُفَ بِي في الدَّارَيْن وَاَن يِّخْتم لي بِالْسَّعَادَةِ وَلِمَن يقْرا في هَذَا الْكِتَابِ أوْ يَسْمِعُهُ وأن يَخُصّ مِن فضلِه مَن أمَرَنِي بِكُتْبِهِ بِمَا يَشَاء مِنْ فَضلِه وخَيْرِه وَاِحْسَانِهِ وَأَن يِّنْصُرجَمْيع المسْلمينَ عَلى (٤ب) القَوْمِ الكَافِرِين.

وَقدْ سَمِّيْت الكِتَابّ بِـ: **نَاصِرِ الدِّينَ عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ** وهو: **اَلسَّيْفُ الاَشْهَرْ عَلَى كُلِّ مَن كفَرْ** وجعلْته ثلاثة عَشَر باباً:

البابُ الاوّل: في ذِكْر ما وقعَ لي بِمَدينَةِ غرْنَاطَةْ مَعَ الْقَسيس الْكَبيرِ في شَأنِ الرِّقّ الذي وُجِدَ في اِلصُومُعَة الْقَديمَةِ وَشيءٌ من الْكُتُب التِي وُجِدَتْ في خَنْدَقِ الجَنَة بِقُرْبِ مَدينَة غرْنَاطَةْ مَكْتُوبَةٌ بِالْعَرَبيَةِ فِي وَرَقٍ مِنْ رَصَاصٍ مِنْ الزَّمَنَ القريب بَعْدَ سَيِّدْنَا عيسَى – عليْهِ السَّلاَم –.

البَابُ الثَّانِي: في قُدُومِنَا الى بلاَد اَلمسْلِمين، وَمَا اتِّفَقَ لَنَا عنْد خُروجنا مِنْ بيْن اَلنِّصَارَى سَالِمين مِنْهُمْ بَعْدَ اَنْ كُنَّا في اَيْدِيهِمْ مُتَعَرِّضِينَ للْهَلاَكِ بِلُطْفٍ مِنَ اللِّه تَعَالى.

البَابُ الثَّالث: في بُلُوغِنا الى مَدِينةِ مَرَّاكُشْ، وما كَانَ السَّبَبَ اِلى اَن مَشَيْتُ اِلى بِلاَدِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ اَنْ جَلسْتُ بِبِلاَدِ المُسْلِمِينَ اِثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَة.

البَـابُ الرّابع: في رُكُوبِنَا اَلْبَحْرِ الْمُحِيطَ وبَلوغِنَا الى فرَنْجَه الـى مدينة مَرْس الْبَرْكَة؛ وتُسَمّى عِندَهُم بـ:هبْرِذغَرَسِي؛ ثُمّ الـى مَدينـة رُوْانْ ومَا اتّفَقَ لَنا فِيهَا.

البَابُ الخَامس: (٥أ) في قدُومِنَا اِلى مَدِينَـةِ بُرِيشْ؛ وَهِيَ دَارُ سَلْطَنَةِ الْفرَنْـجِ؛ وَذِكْرُ حَالهَا وَعِظَمِها وَمَا اتّفَقَ لَنَـا مـعَ بَعْـضِ النّصَارَى مِنَ الْمُنَاظَرَاتِ.

البَابُ السّادِس: في قدُومِنَا بكتُب السُّلْطان الـى قَاضِي اِلاَنْدَلُسْ وَقَاضِي الْقُضَاةِ بِمَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ، وَذِكْرُ مَا زَادَ كُلّ وَاحِدٍ من البّابَـا في دِينِ النّصَارَى؛ وذِكْر البّابّ جوَانْ اَلّذي كَانَ اِمْرَاءَةً فَفَضَحَـهُ اللّهُ بِحَضْرَةِ النّاسِ.

البَـابُ السّابِعُ: فـي رُجُوعِنَـا اِلَـى بُرِيــشْ وَمَـا اَتّفَـقَ لَنَـا مِـن المُنَاظَرَاتِ مع عُلَمَاء النّصَارَى في شَأنِ الدِّين.

البَـابُ الثّامِن: في قُدُومِنَا اِلَى أَلُونَـةَ وَمَا اَتّفَقَ لَنَا فِيهَا.

البَـابُ التّاسِع: في قُدُومِنَا اِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ وَمَا وَقَعَ لَنَا فِيهَـا مِنَ المُنَاظَرَاتِ مَعَ اَلنّصَارَى القسيسينَ والرُهْبَان وَالقُضَـاةِ وقَضَـاءِ شَيْءٍ مِنَ الْغَرَضِ الّذِي مَشَيْتُ بِسَبَبِهِ.

البَـابُ العَاشِرُ: في مُنَاظَرَاتِ الْيَهُودِ بِفرَنْجَة وفَلَنْضِسْ.

البَـابُ اَلحَادِي عَشَرْ: في ذِكْرِ قُدُومِنا الى فَلَنْضِسْ وَمَـا اَتّفَقَ لَنَـا فيهَا.

البَابُ الثّانِي عَشَرْ: فِيمَـا اَتّفَقَ لَنَا في مِصْرَ مَعَ رَاهِبٍ عَالِمٍ كَـانَ بَالِغاً (٥ ب) في فُنُون الْعِلْمِ مِن عُلُومِهِمْ.

البَابُ الثَّالِثُ عَشَرْ: في ذِكْـر مَـا أنْعَـمَ اللّـه تَعَـالَى بِـهِ عَلَـيَّ مِـنْ فَضْلِهِ في بِلاَدِ الاَنْدَلُس وَغَيْرِهَا٠

البـــــاب الأول

في ذكر ما وقع لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير في شأن قراءة الرقّ الذي وُجد في الصومعة؛ وأيضاً بعض ما صحّ عندي من الكتب المكتوبة بالعربيّة في ورق الرصاص.

وهذا الباب هو في الرحلة في الباب الثاني عشر منها

إعلَمْ – رحِمكَ اللّـهُ – انّ فـي عَـامِ سِت وتِسْعِين وتِسـعْ مائـةِ مِنْ الهِجرَة؛ ومِـنْ حِسَابْ النَصـارى عَـامِ ثمَـانٍ وثمـانِيَن وَخمْسْ مائـةٍ وألـفْ؛ أمَـر القِسّيس الكَبِير بمَدِينَـة غرنَاطَـة بهَدْم صَومعَـة قديمَـةٍ كَانَتْ فِيْ الجَامِعِ الكَبِيرِ وكَانَتْ تُسمّى مِنْ قَدِيـمْ الزمَـانْ تربّانَـهْ قبْـلَ الإسْلاَم وذَلِكَ بَعْد أنْ بَنوا صَوْمُعَة قرِيبَة مِنْها عَالِيةً جِـدّاً. ولَمّـا أنْ هَدَمُوا القَدِيمَة وجَـدوا فِـي حَيْطِهَـا صَنْدُوقـاً مِـنْ حَجَـرْ وَفِـي دَاخِلِـه صَنْدَوقاً مِنْ رَصَاص وفِيهِ وَجدُوا رقّـا كَبِيْراً مكْتُوبَـاً بالْعَرَبِيّـة (١٦أ) والعَجَمِيّة المُتَصرّفَةُ في بِلاَدِ الانْدَلُس ونِصفُ خِمَار الصّالِحَةِ مَرْيَـم – عَلَيهَا السّـلاَمُ – أُمُّ سَيِّدنَا عِيْسِـى –عَلَيْه السّـلاَم – وَعَظْمـاً مِـنْ جَسَدِ اِشْطِيَانْ الصّالِحُ – عِنْدَهُمْ –.

فَأمّا مَا كَان في الرّقّ بالاعْجَمِيَة فقُرِءَ ؛ ومَا كان بالْعَرَبِيَةِ فنَـادَوا الاكَيْحَل الانْدَلُسي– كانَ تُرجُمَانَاً بالاجَازَةِ – والشّيْخ الصّالِحُ الْجَبّسْ وَغيْرُهُمَا مِن الانْدَلُس الكِبَار السِّنّ الّذِيـنَ يَعْرِفُـونَ القِـراءَة الْعَرَبِيَـة؛ وأمَرهُمْ القِسيسُ بتَرجَمة مَا فِي الرّق من العَرَبِي: كلّ واحِـدِ وَحْـدَهُ؛ وتارةً يَجْمعُ بيْنَهم؛ ولَمْ يُحيطُوا بِفَهْمِهِ حقِيقَةً؛ والقِسـيسُ الكَبِـيرُ تَعَلّـم يقْرا بِالْعَرَبِيَةِ.

وَبَعْدَ أنْ وَجَدُوا الرّقّ بِسَبْع سِنِين جاءَ رَجلٌ مِنْ مَدينَة جَيَّان ببَعْض كُتُب بَعَثَها لَهُ بَعْض الأَسَارَى مِن بِلادِ المَغْرِبِ فِيهَا ذِكْرُ كُنُوز فِي بَعْضِ الْمَوَاضِع. فَكَانَ ذَلِكَ الرّجُل بِقُرْبِ غَرْنَاطَة عَلَى بُعْدِ مِيْل مِنْها أَوْ نَحْو ذَلِكَ؛ وكَانَ الْمَوْضِع يُسَمَّى: بِخَنْدَق الْجَنَّةِ ؛ فَحَرّكَ حَجْرًا ووَجَدَ تَحتَهُ غاراً وَفِي رُكْنِ الْغَارِ رَمَاداً وَرَصَاصَا مَكْتُوباً باللّطِينْ يَقُولُ فِيهِ: هَذَا الْمَوْضِع أُحْرِقَ فِيْهِ الْقَسِيّسُ سِسِلْيُوه. وَهَذَا (٦ب) سِسِلْيُوه كَانَ الَّذِي كَتَبَ الرّقّ: وَذلك أن النّصَارَى كَانَ عِندَهُمْ في كُتُبِهِم خَبَرٌ بِمَوْتِ سِسِلْيُوْه وَأَنَّهُ كَانَ مِن تَلمِيذ سَيّدنا عِيسَى - عَلَيهِ السّلام - وَأَنّهُ قُتِلَ عَلَى دِينِهِ وَأَنَّهُ مِنْ الشُّهَدَاءِ عِنْدَهُمْ ولا عَلِمُوا مَوْضِعَه.

وَمِن عَادَتِهِم أن كُلّ مَن يُقْتَلُ عَلَى دِينِهِ مِنْ الْقَسِيسِينَ يُثْبِتُون اَسْمُهُ مَع الصّالِحِينَ وَيَذْكُرُونَ مَوْضِعَهُ الَّذي قُتِلَ فِيهِ لتَزُورَهُ النَّاسُ. فَأَمَرَ القَسِيسُ الْكَبِيرُ بِالدُّخُولِ فِي الْغَارِ؛ وَيَنْظُرُونَ فِيهِ وَيُفَتّشُونَ لَعَلّهُمْ يَجِدُونَ كُتُبَهُ المَذْكُورَةَ فِي رُومَةِ فِي دَارِ دِينِهِمْ وَمَوْضِعُ ألبَّابٌ الَّذِي هُوَ كَبِيرُ الْقَسَّيسِينَ وَالرُّهْبَان وإِمامُ جَمِيعِهِم.

وَالْخَبَرُ فِي ذَلك أَنَّهُ عِنْدَهُمْ في كُتُبِهِمْ: أنَّ سِسِلْيُوْ القَسِيّس الكَبِيرُ: أَعْتِي مِنْ الاسَكِفَةِ - كَانَ عِنْدَهُ اَسْرَارٌ وأُمُورٌ رَبَّانِيةٌ مِن زَمَانِ سَيّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السّلام - اَوْ قَرِيبًا مِنْهُ ؛ وَأَنَّهُ أَوْدَعَهَا مَكْتُوبَةً فِي جَبَل يُسَمَّى بـ : اِبْلِطَانْ؛ وَبَحثَ وَاحِدٌ مِنَ البَّابَا عَنْ هَذا الجَبَل وَقِيلَ لَهُ أَنَّهُ بِإِطَالِيَة؛ فَأَمر اَنْ يُحفَر كُلّهُ وَيُغَرْبَل تُرابَه فِي طَلَب الْكُتُب وَلَم يَجدو شَيْئًا. وَسَمِعْتُ هَذا الكَلامَ فِي مَدِينَةِ غَرْنَاطَة مِنْ

النَّاسِ وَلاَ تَحَقَّقْتُ حَتَّى (١٧أ) سَأَلتُ عن ذلك القَسيس بَعْدَ اَنْ عَرَفْتُهُ ؛ وذَكَر لي الْحِكَايَة كَمَا سَمِعْتُها مِنْ غَيْرِهِ.

ولَمَّا فتَشَوا في الْغَارِ وَجَدوا بَعْضَ الْحِجَارِ مَعْقُودَةٍ فَكَسَرُوها وَوَجَدْوا في قَلْب كُلّ حَجَر كِتَاباً وَوَرَقَةُ رَصَاصَاً؛ وكُلّ وَرَقَةٍ قَدْر كَفّ اليَدِ اَوْ اَقَلّ قَلِيلاً؛ وَهِيَ مَكْتُوبَة بِالْعَرَبِية؛ فَأَمَرَ الْقَسِيسُ الاَنْدَلس المَذكُورين وَهُمْ الاُكَيْحَل والفَقِيه الجَبّسْ - رَحِمَهُمَا اَللَّهُ - وَغَيْرَهُمَا بتَرْجَمَةِ إلْكُتُب. فَوَجَدُوا فِي اَحَدِهَا ذِكْرُ الرّقّ الَّذِي كَانَ بِأَيدِيهم قَبْلَ ذَلِك الْعَهْد بنحْوَ السَّبعَ سِنِين؛ فأَشْتَدّ حِرصَهُم عَلَى فَهْمِ ما فِي الرّقّ؛

وَوَاحِدٌ مِنَ الْقَسِيسِين الْمُقَرِّبِينَ للْقَسِيِس الْكَبِير كَانَ يَتَعلَّم يقْرا بِالْعَرَبِيَة وَبِسَبَب ذَلِك كَانَ يُلَزِمُ الْحَكِيم مُحَمَّد اِبْنُ اَبِي الْعَاصِي - حَفِيد الشّيْخ الصَّالح الجَبّسْ الْمَذْكُور؛ أَنَّهُ كَانَ يُتَرْجِمُ الْكُتُب؛ وَمِنْ اَجْلِ جَدِّهِ كَانَ يَقْرَأُ بِحَضْرَةِ النَّصارَى بِالعَرَبِية- وَالكتَاب الذِّي كَانَ يَقْرَأُ للْقَسِيس يُسمَّى **بنُزْهَة المُشْتَاق فِي إخْتِرَاعِ الآفَاق** وَكُنْتُ اَحْضَرُ مَعَهُمَا؛ وَلَمْ نَظْهِرْ للْنِصْرَانِي أنني نَقْرأ بِالْعَرَبِيَة لِمَا كَانُوا يَحْكُمُونَ (٧ ب) فِيمَن ظَهَرَ عَلَيْه ذَلِك. وَبَيْنَمَا كَانَ يَقْرَأُ فِي الكِتَاب كَانَا يَتوقفَان في بَعْضِ الْكَلِمَاتِ وَفَهْمِ مَعْنَاهَا فَكُنْتُ اَقولُ لَهُمَا: لَعَلَّهُ كَذَا ! فَيَجِدَاهُ كَذَلك. وَنَظرَنِي اِلْقَسِيسُ وَقَال: اَنْتَ تَعْرَفُ تَقْرَأ بِالْعَرَبِيةِ فَلاَ تخَفْ لأنّ اَلْقَسِيسَ الاَعْظَم يَطْلُبُ عَلى مَنْ يَعْرِفُ شَيئاً مِنْ الْقِرَاءَة بِالْعَرَبيةِ لَعَلَّهُ يُبَيِّنُ شَيئاً مِمَّا ظَهّرَ مَكْتُوباً بِذَلك اَللّسَان.

وَحَمَلَني اِلى دَارِهِ ؛ وَكَانَ عندَه كُتُب في كُلّ فَنّ ولِسَان؛ وَأَخْرَجَ لِي كُتُباً بِالْعَرَبِيةِ؛ فَقَرَأتُ وتَرْجَمْتُ لَهُ بَعْضَ اَلْكَلِمَات اَلَّتي كَانَ يَتَوَقَفُ فِيهَا. ثُمَّ لَقَاني يَوْماً اَخر وَقَالَ لِي: اَلْقَسِيسُ الْكَبِيرُ اَمَرَ أن

تَمْشي مَعِي اِلَى حَضْرَتِهِ؛ قُلتُ فِي نَفْسِي: كَيْفَ الْخَلاص وَالنِّصَارَى تَقْتُل وَتَحْرَق كُلّ مَنْ يَجِدُون عِنْدَهُ كِتَاباً عَرَبياً اَوْ يَعْرِفُونَ اَنّه يَقْرَأ بِالْعَرَبِيةِ ؟ وَاَمَّا مَا ذَكَرْنَا مِنْ اَلْمُتَرْجِمِينَ الاَنْدَلُس فَكَانُوا شُيُوخاً وَيَسْتَعْذِرُون بِأَنّهم تَعَلَمُوا الْقِراءَةَ الْعَرَبِيـة فـي صُغْرِهِمْ بِقُرْبِ عَهْدِ اِلاسْلاَم؛ وَأَمَّا الْحَكِيمُ اَبُو الْعَاصِي كَانَ يَقَرَأ لاَجْلِ جَدِّهِ لانّـه مُتَرْجِمٌ – كَمَا قُلْنَا –؛ وَمَاذَا اَقُولُ اَنَا اِذَا سَأَلني عَن مَّن (٨أ) عَلَّمَنِي؟ وَفي اِلطَّرِيقِ كَانَ يَقُولُ لي اَلْقَسِيسُ: قُلْ لِلْسيّد الْعَظِيم اِنّ اَلْمُتَرْجِمينَ مَا عَرَفُوا شَيْئاً؛ قُلْتُ في نَفْسِي: عَكْسِ هَذا اَقُولُ؛ لأنّ اَصْحَاب اَلدّعَاوِي يَفْتَضِحُونَ.

وَلَمَّا اَنْ دَخَلْنَا اِلى حَضْرَتِهِ، فَاقْبَلَ عَلَيْنَا وَقَال لي: ذَكَر لي اَلْقَسِيسُ مَلْضُنَض انكَ تَحْسِنُ الْقِراءَةَ العَرَبِيَة ! قُلتُ: لَيْسَ اَنَا مِن اَلْبَالِغِينَ فِيهَا. قَالَ: اَيْنَ تَعَلَمْتَ؟ قُلتُ: اَعْلَمْ أَيُّهَ اَلسَيّد اِنّني اَنْدَلُسي مِن اَلحَجَر الأحْمَرْ وَكَلامُنَا فِيهِ فَهُوَ بِالْعَرَبِيَةِ؛ ثُمّ تَعَلَمْتُ نَقْرَا بِالْعَجَمِيةِ ثُمّ مَشَيْتُ اِلى مَذْرِيل – بَلَد السُلْطَان – فَوَجَدْتُ فِيهَا رَجُلاً طَبِيباً اَنْدَلُسِياً مِن بِلادِ بَلَنْسِيَهْ اَسْمُهُ فَلاَن وَعَلّمَنِي نَقْرا بِالْعَرَبِيَةِ وَجَأَنِي سَهْلاً لِكَوْنِي عَرَبياً في الاَصْل. ثُمّ قَالَ لي: وَأَيْنَ مُعَلِمُكَ اَلْطَبِيب؟ قُلتُ: مَاتَ رَحِمَهُ اللّهُ قَبْلَ هَذَا اَلْعَهْد بِنَحْوَ السَنَتَيْن اَوْ ثَلاثَة – وَكُلّمَا قُلْتُ لَهُ فِيمَا سَأَلنِي عَنِ الطَّبِيب أَنّهُ كَانَ مِنْ بِلاَدِ بَلِنْسِيَه كَذِبٌ؛ وَلَكِن كَانَتْ اَلقِراءة بِالْعَرَبِيَة لأهْل بَلِنْسِيَه مُبَاحَةٌ فِي غَيْرِ دِين اَلاسْلام وَمَمْنُوعَةٌ لِسَايِرِ أهْلِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ، وَتَسَتَرْتُ بِالْكَذِبِ مِن شَرِّهِمْ ؛ وَقَد ذَكَرَ الْغَزَالي (٨ ب) نَفَعَ اللهُ بِهِ – في كِتَابِ **الاَحْيَا**: اِنْ جَازَ عَلَيْك اِنْسَانٌ مِن اَهْلِ الْخَيْرِ ثُمّ جَاءَ في طَلَبِهِ

رَجُلٌ ظَالِمٌ سَائِلاً عَنْهُ لِيَضُرَّهُ فَقُل لَهُ: مَشَى مِن تِلْكَ النَّحْيَةِ بِعَكْسِ مِا مَشَى مِنْهَا لِيَنْجُو اَلْمَطْلُوبُ مِنْ ظُلْمِ طَالِبِه؛ وإِنَّ الْكَذِبَ فِي مِثْلِ هَذَا جائِزٌ بَلْ مَنْدُوبٌ إِلَيْهِ؛ مَعَ اَنَّ اَلإِرْشَادَ وَاجِبٌ. وَظَهَرَ لِي اِنَّ الَّذِي مِنْ عَادَتِهِ اَلصِّدْقِ فِي كَلاَمِهِ إِذَا كَذِبَ فِيمَا يَجُوزُ لَهُ اَلْكَذْبُ مُضْطَرّاً اِلَى ذَلكَ أَنَّهُ يُقْبَلُ مِنْهُ قَوْلُهُ وَيُصَدَّقُ فِيمَا يَقُولُه٠

ثُمَّ اَمَرَ اَلْقِسِيسُ بِإِحْضَرِ الرَّقِّ - وكَانَ فِي الطُّورَةِ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَة بِحُروفٍ غَيْرَ مَنْقُوطَة: يَا طَالبُ اللِّغْزْ اقْرِنْ وَاِنْ لَمْ تَقْرِنْ لَمْ تُحِطْ بِفَهْمِ الْجَفْرِ؛ فَسَأَلَني عَنِ الْمَعْنَى بِالْعَجَمِيَة فذَكَرتَهُ لَهُ قَالَ لي: اتنا غَداً، قُلْتُ: إِنْ شَاءَ اللّه٠

وَلَمَا اَنْ جِئتُ اَعْطَانِي اَلرَّقَّ وقَالَ لِقَسِيسِ عَالِمٍ شَهِيرِ مَحْمُودٌ عِنْدَهُم اَسمُهُ رَّايَهْ: اَقْعُدْ مَعَهُ وَاَكْتُبْ مَا يَقُولَهُ لَكَ. وكَان فِي اَعْلاَهُ مَكْتُوبٌ: جَفْرُ الْمُنَجِيل يُوحنًا فِي خَرَبِ الْوُجُودِ؛ ثُمَّ فِي صَدْرِ الْمكتُوبِ: بِسْمِ الذَّاتِ الْكَريمَة اِلْمُلْتَبِيبَةِ. فَاحتَجْتُ كِتَاباً (١٩أ) فِي اللُّغَةِ اِلَى فَهْمِ مَعْنَى الْمُلتَبِيبَة؛ وَاَعْطَانِي اَلْقَسِيسُ كِتَابَ اَلْجَوْهَرِي فِي سِفْرَيْن ؛ وَفَهِمتُ مِنْ اَلْمُلْتَبِيبَةِ اَنَّهُ مَأخُوذ مِن لُبِّ اَلشَّيء مَعْنَاهُ: اَلْذَّاتُ اَلسَّاذِجَةُ اَلْخَالِصَةُ؛ لاَ مُرَكَّبَة وَلاَ مَمْزُوُجَة٠

ثُمَّ ذَكَرَ سَيِدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ٠

ثُمَّ قَالَ اَلْقَسِيسُ سِسِلْيُوهْ كاتبه[١] عَنْ نَفْسِهِ اَنَّهُ مَشَى في طَلَب الْعِلْمِ اِلَى مَدِينَةِ اَطِينَاشْ بِبِلاَدِ اِلْيُونَان حَيْثُ يُقْرَا الْعِلْمُ بِكُلِّ لِسَانٍ[٢]؛ وَأَنَّ بَعْدَ زَمَنٍ مَشَى اِلَى زِيَارَةِ بَيْتَ اَلْمَقْدِسْ وَأَنَّ فِي الطَّرِيق بِفَسَاد

---

[١] استدرك الحجري هذه اللفظة في الحاشية مع الرمز: "صح".

[٢] هنا يظهر النص: "ومن جملته بالعربي" وقدشطبه الحجري .

الازْمِنَة وَالرِّياح اَصابَهُ مَا شَاءَ اللّهُ مِنْ زِيَارته بِدَاءِ مَرَضِ العَيْنَيْن حَتّى غشِيَ الْبَصَرُ بِالْبَيَاضِ، وَأَنّ الْمُوَكّل بِبَيْت الْمَقْدِس اَخْرَجَ الَيْه جَفْرَ اَلْحَوْزِي يُوحَنَّا الّذِي كَتَبَ رُبُعَ الانْجِيل، وَقَالَ لَهُ: انّ فِيهِ سرّاً عَظِيماً، وَنِصْف خِمَار الصَّالِحَةِ[1]؛ وَاسْتَشْفَى به وَأرْتَدّ عَلَيْهِ بَصَرُهُ. ثُمّ أَخَذَ مِنْهُ نُسْخَةً بِالْيُونَانِي وَتَرْجَمَهُ بِاللّسَان الْعَجَمِي[2] الْمُتَصَرّفُ بِإِشْبَّانِيَة - وَهِيَ بِلادُ الانْدَلُسْ - وَأَدْخَلَهُ فِي جَدْوَلٍ مِنْ تِسْعَ وَارْبَعين بَيْتَا وَوَضَع في كُلِ بَيْتٍ حَرْفَاً مِن الْعَجَمِي ثُمّ وَضَعَ تَحْتَ اَلْجَدْوَلِ شَرْحَاً بِالْعَرَبِيَةِ.

وَلَمّا تَرْجَمْتُ اَلْعَرَبي (٩ب) الّذِي ذَكَرانه الشّرْح؛ فَكُنتُ اَخُذُ مِن الْعَجَمِي الذّي هُوَ الْمَتْن - وَبِالْمَغْرِبِ يُسمّى بالامِ - اِلَى انْ أَجِدُ عَلاَمّةَ اَلْوَقْفِ؛ ثُمّ اخُذُ مِنَ الْعَرَبِي - وَهُوَ الشّرْح - مَا يُنَاسِبُهُ؛ فَجَاءَ اَلْكَلاَمُ مُطَابقاً وَمفهُوماً. وَهُوَ كمَا ذَكرَ فِي الطُرّة: يَا طَالبَ اَللّغزِ أَقْرِنْ؛ وَالاقْرَانُ: هُوَ لِشَيئَيْن مُتَبَاينَيْن يَجْمعُهَا.

وَأَمّا مَا تَرْجَمَ بِهِ كُلّ مَن سَبَقَنَا - وَكَانَ فيهِمْ اَعْلَمُ منّي - فَتَرْجَمَ الشّرْحَ وَحْدَهُ وَلا فُهِمَ مَعْنَاهُ. وذُكِرَ لي أَنّه كَانَ فِيهِمْ مَن قَرَأَ "اَلْمُلَتَبِيبَةَ" بِأَنْ قَالَ: بِسْمِ الذّاتِ الْكَرِيمة الْمُثَلّثَةِ؛ وذَلِك كَذِبٌ؛ لانّ حُرُوف "المُثَلّثَة" خَمْسَةٌ وَ "اَلْمُلَتَبِيبَةٌ" سَبْعَةٌ.

فَفَرِحَ الْقَسِيسُ فَرْحاً عَظِيماً بِمَا تَرْجَمْتُ، وَعلم أَنّهُ اَلْحَقُ وَاَعْطَانِي ثَلاَثَ مِائَةِ رِيَالاً وَأيْضَاً كِتَاباً بِالإذْنِ لِلتّرْجَمَةِ مِنَ الْعَرَبِي اِلَى اَلْعَجَمِي وَبِالْعَكْسِ؛ وَامْتَدّ الْخَبَرُ عِنْدَ اَلنّصَارَى حَتّى

---

[1] "ونصف خمار الصالحة" ، استدركها الحجري في الحاشية.

[2] أضاف الحجري هذه اللفظة في الحاشية بعد "باشبانية" ، وموضعها المناسب حيث وضعناها.

كَانُوا يُشِيرُونَ إِلَيَّ وَيَقُولُونَ: هَذَا هُوَالَّذِي فَهِمَ الرِّقَّ الَّذِي وُجِدَ فِي الصُّومُعَةِ. وَقَد مَضَتْ نَحْوَ الْعَشْرَ سِنِينَ بَعْدَ أَنْ وُجِدَ؛ فَأَمَرَنِي الْقَسِيسُ الْكَبِيرُ أَنْ اكْتُب نُسْخَةً مِن الرِّقِّ؛ وَبَعَثَهَا (١٠أ) لِلْبَابَا لِمَدِينَةِ رُومَةَ.

وَبَعْضُ مَا تَضَمَّنَ الْجَفْرُ؛ قَالَ فِي الْعَجَمِي الْمَكْتُوبُ فِي الرِّقِّ شَيْئاً مِمَّا يَكُونُ بَعْدَ كَمَالِ سِتَتِ قُرُون مِن مِيلَادِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلامُ – وَقَالَ فِي الشَّرْحِ الْعَرَبِي: اَلْقِرْنُ مِائَةُ سَنَةٍ:

مِنْ غَمَرَاتِ اَلشَّرْقَيْنِ أَتَى مَلِكٌ جَانِي بِالانْشِرَارْ
عَلَى اَلْوُجُودِ قَايِمٌ بِتَمَامِ اِلْقَدْرِ قَدْ انْتَصَارْ
يَا مَالِكاً دَايِماً مِنْ هَذَا الاَمْرِ ايْنَ اَلْفِرَارْ

* * *

وَمُلْكٌ يَتَحَكَّم عَلَى اَلْوُجُودْ كُلِّهْ اِلَى اَلْغُرُوبْ
وَدِينٌ يَتَقَدَّمْ عَلَى مَنْ قَدْ امْلَهُ مِنْ اَلْعُيُوبْ
وَالسِّرُّ يَتَفَهَّمُ بِمَا اَلْقَدَرْ اَعْطَهْ عَلَى اَلذُّنُوبْ

فَتَرْجَمْتُ مَعْنَى هَذِه الاَبْيَاتِ. وَالْمَفْهُومُ منهَا عِنْدَهُمْ انَّ اَلْمَلِكَ هُوَ اَلنَّبِيُ – صَلَّى اَللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم –؛ لانَّهُمْ يَقُولُونَ انَّهُ وُلِدَ لاحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسَتُ مِائَةً مِنْ مِيلاَدِ عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَم. وَعِنْدِي انَّهُ وُلِدَ قَبْلَ ذَلِكَ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الْمِائَةِ اِلْخَامِسَةِ وَاشْتَهَرَ دِينَهُ فِي اِلسَّادِسَةِ. وَقَدْ رَأَيْتُ نَصْبَةَ وِلاَدَتِهِ مُعَدَّلَةً فِي كِتَابْ عَلِي اِبْنُ اَبِي اِلرِّجَال بِتَارِيخِ وَلاَدَتِهِ مُحَقَّقَةً– صلى الله عليه وَسَلَّم، وَفِي مَعْنَى "اَلْجَانِي" وَقَعَ اَلْخِلاَفُ بَيْنَ اَلْمُتَرْجِمين؛ لاَنَّ الاسْمُ لَهُ

مَعْنَيان؛ فَأَمَّا اَلشَّيْخُ اَلصَّالِحُ اَلْجَبِّسْ وَمَا تَرْجَمْتُ انا؛ قُلْنَا: هُوَ إِسْمُ فَاعِلْ مِنْ "جَنَى"؛ وَهُوَ ظَاهِرٌ في اِلْقُرْآن الْعَزِيز؛ قَوْلُهُ تعَالَى:﴿وَجَنَى اَلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾•

وَلَمَّا تَرْجَمْتُ أَنَّ " دِينَــهُ يَتَقَدَّمُ (١٠ب) عَلَى مَنْ قد اَمْلَـهُ مِنْ اَلْعُيُوب"، فَقَالَ اَلْقَسِّيسُ: كَيْفَ هَذِهِ اَلتَرْجَمَـةُ ؟ قُلْتُ: اَنْتَ تَعْرَفُ تَقْرَا؛ وَأُتَرْجِمُ لَكَ كُلَّ كَلِمَةٍ وَحْدَهَا حَتَّى مَا اَصَابَ مَا يَقُولَـهُ؛ وَقَدْ كَرِهَ ذَلِكَ كَثِيراً؛ لانَّ اَلْكُفَّار هُمْ اَلَّذِينَ أَمْلَوهُ مِنْ اَلْعُيُوبِ وَتَقَدَّمَ دِينُ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –عَلَيْهِمْ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لآيَةٍ فِي اِلْقُرءَانِ الْعَزِيز؛ قَوْلُـهُ تَعَالَى: ﴿ أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ وَهُوَ مَعْنَى– وَاللَّه اَعْلَمُ–: اَنَّ دِينَ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّه عَلَيهِ وَسَلَّمَ – يَتَقَدَّمُ عَلَى اَلْمُشْرِكِينَ اَلَّذِينَ أَمْلَوهُ مِنْ اَلْعُيُوب•

وكَانَ في اَسْفَلِ الرِّقّ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَةِ اَوَّلُ مَا صَدَّرَ يُوحَنَّا فِي اِلانْجِيلِ – كَتَبهُ بَطْرِسِي؛ قَسِيسٌ خَدِيمُ سِسِـلْيُوهْ – وقَالَ: انَّهُ اَمَرَهُ ان يَضَعَهُ في مَوْضِعِ خَفِي حَتَّى يُرِيدُ اَللَّه اَنْ يَظْهِرَهُ؛ وَاَنَّهُ وَضَعَ اَلصُّنْدُوقَ فِي حَيْطِ اِلصَّوْمُعَةِ خَوْفاً مِنْ السلطان نَيْرُون• وَلَمَّا تَرْجَمْتُ اِبْتِدَاءَ اَلانْجِيلِ وَمَا ذَكَرَ فيما كَتَبَ؛ قَال لِي اِلْقَسِيسُ: اَنْظَرْ هَذِه اِلْكَلِمَةِ ! هَلْ لَهَا مَعْنَىً غَيْرُ هَذَا ؟ قُلْتُ: لَيْسَ لَهَا اِلاَّ هَذَا اَلْمَعْنَى؛ قَالَ: فاتْرُكْ مَوْضِعَ اَلْكَلِمَةِ اَبْيَضًا لانَّهُ مُخَالِفٌ لِلاِنْجِيلِ اَلَّذِي بِأَيْدِنَا (١١أ). قُلْتُ في نَفْسِي: هَذَا اَلَّذِي كُتِبَ فِي زَمَنِ سَيِّدنا عِيسَى أَوْ بِأَثْرِهِ فَهُوَ عِنْدي اَصَحُّ مِن اَلَّذِي عِنْدَهُمْ اَلآن•

وَأيْضاً كَانَ في الْجَفْرِ مَكْتُوبٌ؛ يَقُولُ: مِن اَقْصَى اَلْمَغْرِب عَلَى مَآءِ البَحْرِ يَأتِي سَرِيعٌ اَقْوَامٌ اِلَى بِلاَدِ اِلنِّصَارَى وَتَصِلُ الهَمْلَى اِلَى رُومَة. وَذَكَرَ مِمَّا يَنْزِلُ بِالنِّصَارَى مِن الشَّرِّ وَالْخُسْرَان شَيْئاً كَثِيراً وَقَالَ عَنْ ذَلِكَ وَعَلاَمَتِهَا - اَعْنِي: مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِن اَلْبَلا وَالْغَلْبِ - اِذَا يَاتِي اِلْوَقْتُ بِالاِنْفِصَالِ، مَدِينَةُ اَلْبَحْرِ يَمْلِكُهَا اِلشَّرْقِي بِلاَ مُحَال"؛ وَلَمْ يُشكُّ اَحَدٌ مِمَّنْ سَمِعَ ذَلكَ اِنَّ اَلشَّرْقِي هُوَ سُلْطَانَ اَلْمَشْرِق وَأَنَّهُ سُلْطَان اَلتُّرك – نَصَرَهُ اَللّهُ –.

وَقَالَ لي اَلْقَسِيسُ: اَيُ مَدِينَةٍ تُسَمَّى بِالْعَرَبِيَةِ "مَدِينَةُ اَلْبَحْرِ"؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي! وَلاَكِنْ يَظْهَر لي اَنهَا اَلْبُنْدُقِيَة لاَنَّهَا فِي اَلْبَحْرِ مُبْنِيَة. فَأعْطَانِي كِتَاب اَلْجَغْرَافِيَة بِالْعَرَبِيَة – وَهوَ مِنْ اَلْكُتُبِ التِّي تَعْمِلُ اَلنِّصَارَى بِالْقَالِب – اَلْمُسَمَّى بِـ: **نُزْهَةِ اِلْمُشْتَاقِ فِي إِخْتِراعِ الآفَاق**؛ وَقَال: اُنْظُرْ هَلْ تَجِدُ هَذَا الاسْمِ فِيهِ؟ فَقَرَأتُهُ كُلَّهُ ، فَلَم اَجِدْهُ.

وَبَينَمَا كُنْتُ اُطَالِعُ الْكِتَابَ اِذْ جَآءَ بَعْضُ اَلْمُسَافِرِينَ مِن بِلاَدِي اِلَى مَدِينَةِ غَرْنَاطَهْ وَعَلِمْتُ (١١ب) في اَيِّي مَوضَعٍ مِن اَلْفَنَادِق كَانُوا فَمَشَيْتُ اِلَيهِمْ وَالْكِتَابُ عِنْدِي. وَبَعْدَ اَلسَّلاَمِ وَالْكَلاَم فَتَحْتُ الْكِتَاب فَلَمَّا رَاَوهُ مَكْتُوباً بِالْعَرَبيَةِ دَخَلَهُم اَلْخَوْفُ اَلْعَظِيم مِنَ اَلنِّصَارَى؛ وَقُلْتُ لَهُم: لاَ تَخَافُوا لاِنّ النِّصَارَى يُكْرِمُونَنِي وَيُعَظِّمُونِي عَلَى اَلْقِرَاءةِ بِالْعَرَبِيَةِ. وَكَانَ اَهْلُ بَلَدِي جَمِيعاً يَظُنُونَ اِنَّ اَلْحَرَّاقِينَ مِنَ اَلنِّصَارَى – اَلَّذِينَ كَانُوا يَحْكُمُونَ وَيَحْرِقُونَ كُلٌّ مَن ظَهَرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِن اَلاِسْلاَمِ اَوْ يَقْرَا كُتُب اَلْمُسْلِمِين– يَحْكُمُونَ فِيّ[١]؛ وَمِنْ اَجْلِ ذَلكَ اَلْخَوْف الْعَظِيم كَانَ اَلأَنْدَلُسْ تَخَافُ بَعْضُهُمْ مِن بَعْضٍ وَلاَ

[١] "يحكمون فيه" ، استدركها الحجري في الحاشية.

يَتَكَلَّمُونَ في اُمُورِ الدِّينِ الاَّ مَعَ مَنْ كَانَ ذِمِّـةً؛ مَعْنَاهُ: ذُو اِمَنَـةٍ، وَكَثِيرٌ مِنهُم كَانُوا يَخَافُون بَعْضَهُم مِنْ بَعْضٍ؛ وَكَانَ فِيهِم مَّن يُحِبُّ يَتَعَلَّمُ شيْئاً مِن دِينِ اللّه وَلاَ يَجِدُونَ مَنْ يُعَلِّمُهُم. وَلَمَّا كُنْتُ عَازِماً عَلَى ألانتِقَالِ مِن تِلْكَ الْبِلاَدِ اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ؛ كُنْتُ أُعلِّمُ جَمِيعَ مَنْ اَرَادَ يَتَعَلَّمُ مِن الاَندلُسْ في بَلَـدِي وَغَيْرِهَا مِنَ الْبِلاَدِ اِلَّتي دَخلْتُهَا. وَلَمَّا رأَى اَلاَنْدَلُسْ الْحَالَةَ اِلَّتِي كُنتُ عَلَيْهَا كَانُوا يَقُولُون فِيمَا بَيْنَهُمْ: لاَ بُدَّ لِهَذَا مِن اَلْوقُوعِ في اَيْدِي الْحَرَّاقِينَ. وَبَلَغَ اَلْحَالُ بِي حَتَّى اذَا وَقَفْتُ (١٢أ) مَعَ جَمَاعَةٍ لِلْكَلاَمِ نَرَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَنْسَلُّ حَتَّى نَبْقَى وَحدِي مُنْفَرِداً. وَمِنْ اجْلِ ذَلِكَ قَصَدتُهُمْ وَفَتحْتُ اَلْكِتَابَ اِلَيْهِمْ لِنَرِيهِمْ مَا اَنْعَمَ اَللّه تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ اِذْ بَدَّلَ لِي الْخَوْفَ بِأَمنٍ وَالْعُقُوبَةَ وَاَلاِهانَةَ وَاَلذُّلَّ بِعِزَّةٍ وَكَرَامَةٍ:

وَمَنْ تَكُنْ بِرَسُولِ اللّه نُصرَتُـه

اِنْ تَلقاه الأُسْدُ في آجَامِهَا تَجِمِ

وَاَمَّا مَا ذَكَرَ فِي الرَّقّ: اِنَّ عَلاَمَةَ النِّحْسِ اِلذِّي يَـنزِلُ عَلَـى اَلنصَّارَى يَكُونُ اِذَا اَخذَ اَلْمَشْرِقِي مَدِينَـةَ اَلْبَحْرِ؛ فَكُنْتُ قَدْ أَظْهَرْتُ نُسْخَةً مِنَ ألرَّقِّ الْمَذْكُورِ لِمَوْلاَيْ اَحْمَد - سُلْطَان مرَّاكُش رَحِمَهُ اللّهُ - قَالَ وَاحِدٌ مِنْ قُوَّادِهِ: لَوْ كُنْتَ تَبَدِّلُ اَلْقَافَ بِفَا لِيَقُولَ: أَنَّ مَدِينَةَ اَلْبَحْرِ يَمْلِكُهَا اَلشَّرِيفْ فَيَفْرَحُ بِذَلِكَ اَلسُّلْطَان؛ قُلْتُ: لاَ أُبَدِّلُ شَيْئاً اِنْ شَاءَ اَللّه.

تَنْبِيـــــه:

هَذَا الرَّقّ اَلْقَدِيم كَانَ مِن زَمَانِ سَيِّدْنا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَم - اَوْ قَرِيباً مِنْـهُ جِداً لاِنَّ سِسِلْيُوهْ - اَلَّذِي كَتَبَـهُ وَوَضَعَه فـي الصُّومُعَـة

خَوْفاً مِن سُلْطَان نِرُونْ - كَمَا قَالَ هُوَ فِيهِ لأَنَّهُ كَانَ يَقْتُل النَّصَارَى. فَوَجَدْتُ تَارِيخَ تَوْلِيَتِهِ لِلْمُلْكِ فِي سَنَةِ عِشْرِينَ بَعْدَ سَيِّدِنَا (١٢ب) عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلَام-، وَأَيْضاً كَانَ كَاتِبَاً سِسِلْيُوهْ هُوَ وَأَخُوهُ لِلْكُتُب الَّتِي ظَهَرَتْ تَحْتَ الارْض؛ وَالْحُرُوفِ الْعَرَبِيَةُ الَّتِي كَانَت فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ حَسْبِمَا كَانَتْ فِي الرَّقِّ؛ فَحَرْفُ الْقَاف كَانَ بِنُقْطَتَيْنِ وَهَذَا بُرْهَانٌ أَنَّ الْمَشَارِقَةَ فِي ذَلِكَ هُمْ عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ بِخِلاَفِ الْمَغَارِبَة اِذ لاَ يَجْعَلُونَ لِلْقَافِ اِلاَّ نُقْطَةً وَاحِدَة،

وَمَدِينَةُ الْبَحْرِ الْمَذْكُورَة؛ رَجَوْتُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ الْبُنْدُقِيَة أَوْ مَالِطَةْ لأَنَّهَا فِي الْبَحْرِ؛ وَلَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَضَرٌ مِنْهَا. وَقَالَ لِي الْحَاج يُوسُف الْحَكِيم الانْدَلُسِي:اِنَّ نِهَايَةَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ فِيهَا أُسَارَى خَمْسَةُ آلافٍ وَخَمْسُمِائَة؛ مِنْهُمْ خَمْسُونَ أَنْدَلُسِياً وَالْبَاقِي تُرك وَأَوْلاَد عَرَب،

وَكَانَ فِي الرَّقِّ أَيْضاً يَقُولُ: مِنَ الْقِبْلَةِ يَخْرُجُ الْحَاكِم الْعَدل وَلاَ يَعُودُ انْتَهَى. اُنْظُر هَلْ يَدُلُّ عَلَى النَّبِي، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ لأَنَّهُ بَعْدَ اِفْتِتَاح مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةَ - وَهِيَ الْقِبْلَةُ -؛ فَبَعْدَ حُجَّةَ الْوِدَاعِ خَرَجَ مِنْهَا وَلاَ عَادَ اِلَيْهَا.

وَأَمَّا الْكُتُب الَّتِي وُجِدَتْ فِي الْغَارِ فِي خَنْدَقِ الْجَنَّةِ فَكَانَتْ (١٣أ) اِثْنَيْن وَعِشْرِينَ كِتَاباً؛ وَالْوَرَقْ - كَمَا قُلْنَا - مِن الاسْرب، أَعْنِي: مِن رَصَاص. وَنَادَ الْقَسِيس الْكَبِير الصُّيَّاغ وَالْمُذَوِّبِينَ لَعَلَّهُمْ يَصْنَعُونَ مِثْلَهَا فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ بِوَجْهٍ وَلاَ بِحَالٍ وَلاَ تَدْبِيرِ وَعَلِمُوا بِذَلِكَ أَنَّ الرَّصَاص مُزِجَ مَعَهُ مَعْدَنٌ أَخَرِ وَلاَ عَرَفُوه.

وَفِي وَاحِدٍ مِن الْكُتُب مِنْهَا كِتَاب اَلْحِكَم لِلصّالِحَةِ مَرْيَم ؛ كَمَا نُقِل مِن نُسْخَةِ اِلْفَقِيهِ الاُكَيْحَل ، اَلْمُتَرْجِمُ اَلاَنْدَلسي – رَحِمَهُ اللّه – وَأَيْضاً ذَكَرَ اَلْكَلاَم بِنَفْسِه قَايِدٌ بِمَدِينَةِ مِرّاكُش يُسَمَّى بِفَارِس اِبْنُ اَلْعِلْج – وَكَانَ مِن اَهْلِ اَلدِّين وكَانَ عِنْدَهُ اَلْكَلاَم مَحْفُوظاً ومَكْتُوبا – قَالَ: كُنْتُ اَسِيراً بِمَدِينَةِ غَرْنَاطَةْ وَنَادَوْنِي اِلَى حَضْرَةِ اِلْقَسِيس اَلْكَبِير وَاَعْطَوْنِي كِتَاباً فِي وَرَقْ مِن رّصَاص مِنَ اَلْكُتُبِ الّتِي وُجِدَتْ تَحْتَ اَلاَرْض وَقَرَاتَهُ. وَالّذِي قَالَ لِي كَانَ مِثْلَ مَا كَانَ مَكْتُوباً مِنْ كِتَاب اَلاُكَيْحَل . وَقِيلَ: فِي اِلْكِتَابِ مِاْئَةَ حِكْمَة وَوَاحِدَةٌ؛ وَهَذِهِ اَلثَّالِثَة مِنْهَا؛ وَهَذِهِ هِي اَلْحِكْمَةُ: يِاْتِي فِي الْوُجُود مِنْ بَعْدِ رُوحِ اللّه يَصُوغُ ، نُورٌ مِنَ اللّه اَسْمُهُ (١٣ب) الْمَاحِي اَلْمُنوِّر، وَبِالْمُعْجَم اَلْبَارَقْلَيْطُس؛ خَاتِمُ اَلْمُرْسِلِينَ تَاْيِيداً، وَخَاتِمُ اِلدِّينِ وَنُورُ الاَنْبِيَاء؛ لاَ نُورَ لَهُم دُونَهُ؛ وَلاَ للاِحَدِ مِنَ العَالَمِينَ؛ فَالّذِينَ أَمَنُوا بِهِ مِنْ بَعْدُ يُسْعَدُون حَقّ اَلسّعادَة؛ وَيَنُورُونَ حَقّ اَلتنوِيرِ بالتّنْوِير[١] الْمُبِين مِنَ اَللّهِ؛ وَمَنْ كَفَرَ بِهِ لاَ حَظَ لَهُ فِي الْجَنّةِ وَلكِن اَكْثَرَ النّاسِ كَافِرُون؛ اَنتَهَى. وَقَدْ قَالَ لِي بِتُونُسْ– حَرَسِها اَللّهُ – اَلْفَقِيرُ الاِمَامُ اَلْفَقِيهُ مُحَمّد بَنْ عَبْدُ اَلرّفِيع اِلاَنْدَلُسِي: أَنّ فِي الْحِكْمَةِ المَذْكُورَةِ سَبْعَة اَسْمَاء مِنَ اَسْمَاءِ النَبِي – صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلّم – وهِي:

١) نورٌ مِنَ اللّه
٢) اِلْمَاحِي
٣) اَلْمُنَوّر
٤) اَلْبَارَقْلِيطَاسْ

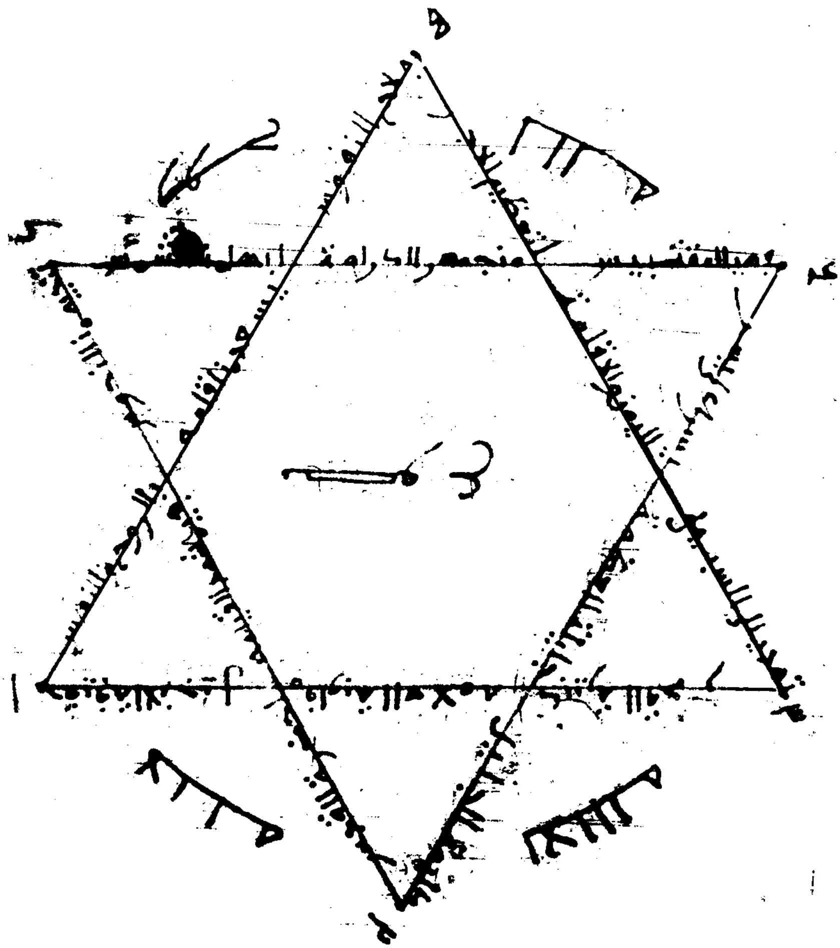
---

[١]استدرك الحجري هذه الكلمة في الحاشية مع علامة "صح" للدلالة على ان الكلمة من النص.

٥) خَاتِمُ اَلْمُرْسَلِينَ
٦) خَاتِمُ اَلدين
٧) نُورُ اَلاَنْبِيـــا

وَفي كِتَاب آخرْ حِكمَة ذَكَرَهَا لِي اَلاُكَيْحَل- رَحِمَهُ اَللّهُ تَعَـالَى - تَـدُلُّ عَلَـى يَـوْمَ اَلْقِيَامَـةِ كَأَنّـهُ بُرْهَـانٌ عَقْلِـي وَهِـيَ هَـذِهِ: اِنْ مَـاتَ اَلظّالِمُونَ مِنْ غَيْرِ حُكْمٍ وَعَاشَ اَلصّالِحُون مِنْ دُونِ أَجْرٍ فَذَلِكَ دَلِيـلٌ عَلَى يَوْمَ اَلْقِيَامَـة لانّ اللّـهَ حَـاكِمٌ عَـدل (١٤أ) وَلاَ يَظْلِمُ فـي حُكْمِـهِ اَحَداً.

وَأَمّا اَلْكِتَاب اَلّذِي يُرْجَى فِيهِ اَلْخَيْرَ حَسْبمَا قَالَ في كِتَابِ **مَوَاهِبُ الثّوَاب** لِلْصَالِحَةِ مَرْيَمْ - عَلَيْهَا السّلام - وَنَضَعَهُ في أَخِرْ كِتَابِنَا هَذَا اِنْ شَاءَ اللّهُ ؛ قَالَتْ: تَكُونُ اَلنّاسُ عَلَـى دِينٍ وَاحِدٍ؛ وَهُـوَ مَكْتُـوبٌ **كِتَابُ حَقِيقَةُ اَلاِنْجِيلْ** في سَبْعٍ وَرَق مِنْ رَصَاص بِحُرُوفٍ لَمْ تُعْـرَفُ في زَمَنِنَا؛ وَاُحْضِرَ لِلْقَسـيس جَمِيـع حُـروفُ اَلْهِجَـاء اَلّتِـي هِـيَ أَلاَنْ عِنْدَ اَلنّاسِ فِي الدُنْيَا ؛ وَتِلْكَ اَلْحُرُوف اَلّتِي في اَلْكِتَابِ مُخْتَلِفَةٍ لِجَمِيعِ اَلْحُرُوف. وَاَمّـــا اَلْمُـتَرْجِمُون سَـمُّوهُ بِـالْكِتَابِ اِلاَبْكَم لِعَـدَمِ مَعْرِفَـةِ قِرَاءتِـهِ. وكَـانَ فـي اَوّلِـهِ خَـاتِمُ سُلَيْمَان - عَلَيْــه السّـلاَم- مَكْتُوبـاً بِالْعَرَبِيَةِ وَمَا عَدَا اَلْخَاتِمِ مَكْتُوبـاً بِـالحُرُوفِ اِلّتِـي لَـمْ تُقْـرَأ اِلـى آخِـرِ اِلزّمَـن فـي جَزِيـرةِ اِلسّبْرِ فـي اَلْبَحْـرِ الصَغِــير بِمَشْــرِقِ اِلْبُنْدُقِيَــة؛ وَاَلْجَدْوَل وَضَعْتُهُ بِمُحَاوَلِهِ: (١٤ ب)



١- حقيقَةُ اَلانْجيل مقْلُوبَةُ الْعَلاَمَة كَبيرَة الْقَدْرِ
٢- كَلِيمَةُ الْجَلِيل جَلِيلَةُ اَلْعَظَامَة يُسْراً عَلَى يُسْرِ
٣- تَهْدِي اِلَى اَلسَّبِيلِ لِلْيُمْنِي وَاَلاقَامَة لِتَعْظِيم اَلاَجْرِ
٤- فَهِيَ لِلْمُقْتَبِيسِ مِنْ جُمْهُرِ اِلْكَرَامَة اَبْهَا مِنَ الشَّمْس
٥- فَلاَحٌ لِلنُفُوسِ يُسْعَدُ مَن اَقَامَه بِالرُّوحِ وَالنفْسِ
٦- تُنْجِيه مِنَ النُحُوسِ فِي مَشْهَدِ اِلْقِيَامَة لِحَضْرَةِ الْقُدْسِ

وَأَيْضَـاً يُقْـرَأ عَلَـى اَرْبَعَـةِ اَنْـوَاع مِثْـلُ انْ يَبْـدَى بِالسَّـطْرِ الاوَّل ثُـمَّ بِالخَامِس ثُمَّ بِالثَّالِث ثَمَّ بِالرَّابِع ثُمَّ بِالثَّانِي ثَمَّ بِالسَّادِسِ. وَجْهٌ آخَرُ فـي اَلْقِرَاءَةِ: يُقْرَا اَلاوَلُ ثُمَّ اَلثَّانِي مِنَ الاَسْطَارِ ثُمَّ اَلثَّالِث ثُـمَّ اَلسَّـادِس ثُـمَّ اَلْخَامِس ثُـمَّ الرَّابِـع؛ وَجْـهٌ ثَـالِثٌ: يُقْـرَا اَلسَّطْرُ الأَوَّلُ ثُـمَّ اَلثَّـالِثُ ثُـمَّ اَلخَامِسُ ثُمَّ اَلثَّانِي ثَمَّ اَلرَّابِعُ ثُمَّ اَلسَّادِسُ؛ ثُمَّ وَجْهٌ رَابِعٌ: يُقْرَا اَلأَوَّلُ ثُمَّ اَلثَّالِثُ ثُمَّ اَلْخَامِسُ ثُمَّ الثَّانِي ثَمَّ اَلرَّابِعُ ثُمَّ اَلسَّادِسُ، وَهُـوَ مِـنَ الْعَجَـبْ (١٥ ب).

وَقَدْ قُلْتُ لِلقَسِيس: نُحِبُّ نُطَالِع اَلْكِتَابَ الَّذِي لَمْ يُقْـرَ المُسَـمَّى بِـ: **حَقِيقَةِ الإنْجِيـلِ** لَعَلِّي نَسْتَخْرِجُ مِنْهُ شَـيْئاً؛ قَـالَ لـي: لَـمْ يَبْلُـغ اَلزَّمَـنُ الَّذِي يُقْرَا فِيهِ ذَلِكَ اَلْكِتَابُ؛ وَعَلِمَ ذَلِكَ مِنْ الْكِتَابِ اَلْمُسَمَّى بِـ: **كِتَـابِ مَوَاهِبِ اِلثَّوَابِ** لِلصَّالِحَةِ مَرْيَمْ؛ وَقَدْ وَجَـدْتُ فِـي تُونُـسْ ـ حَرَسَـهَا اَللَّهُ ـ نُسْخَةً مِنْهُ بِالْعَرَبِيَةِ وَأُخْرَى بالاِعْجَمِيَة ـ أَتَى بِالنُّسْـخَتَيْنِ وَاحِـدٌ مِـن اَلاَنْدَلُسْ اَلَّذِي كَـانَ يُتَرْجِمُ ـ وَوَجَـدْتُ فِـي اِلاَعْجَمِيَـةِ البَـاطِل وَالْكَذْب مَا لاَ كَانَ فِي النُسْخَةِ اِلْعَرَبِيَةِ[١].

[١] شطب الحجري على ستة عشر سطراً بعدها، فلم نستطع قراءتها.

(١٦أ) وَهَذِهِ عَقِيدةُ فِي تَوْحِدِ اللّـهِ تَعَالَى؛ مِن وَاحِدٍ مِن الكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ مِنْ كِتَابِ تَصنِفُيُونْ ابْن الْعَطّـارِ فِي الذَاتِ الْكَرِيمَةِ؛ قَـالَ :الدَّوَامُ لاَ يَزَالُ هُوَ فِي اللَّهِ؛ أوّلُ كُلّ شَيْءٍ؛ اَلّذِي لَيْسَ لِبِدَايَتِـهِ اِبْتِدَاء وَلاَ لِفَضِيلَتِهِ اِنْقِضَـاء؛ لاَ يَبْلُغُ كُنْـهُ صِفَاتِـهِ الْوَاصِفُـونَ وَلاَ يَتَفَكّرُونَ فِي مَائِيّةِ ذَاتِهِ الْمُتَفَكِرُونَ؛ لَيْسَ احَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ رَآهُ عَيْـنَ النّظَرِ؛ مُلْكُهُ لاَ يَزَالُ لأَنّهُ اِنْ زَالَ مُلْكُهُ مَا كَانَ اَللّهُ؛ وَلَـهُ صِفَـاتٌ لاَ تَتَبَدّلُ لأنّ اِنْ تَبَدّلَتْ صِفَاتُهُ مَا كَانَ اَللّهُ. لَهُ جَلاَلَةٌ لاَ تُدْرَكُ لاَنّهَا اِنْ اُدْرِكَتْ كَانَ نُقْصَاناً بِهِ؛ لَهُ عَظَمَةٌ لاَ تَنْفَـكّ لأَنّهَـا اِنْ انْفَكّتْ عَظَمَتُـهُ أَتَاهُ اَلنُقْصَانُ وَلَيْسَ ذَلِكَ وَاسِعٌ فِيهِ أَبَدًا. هُوَ ذُو عِلْمٍ دُونَ جَهْلٍ؛ عَلِـمَ كُلّ شَـيْءٍ قَبْلَ كَوْنِـهِ. وَهُـوَ ذُو قُـوّةٍ دُونَ نُقْصَـانٍ. وَهُـوَ ذُو رَحْمَـةٍ وَفَضْلٍ دُونَ اِمْتِنَانٍ. هُوَ(١٦ب) ذُو عِلْمٍ قُسْطٍ لاَ يَفْنَـا اَبَداً. لَيْسَ لَـهُ اِحْتِيَاجٍ لأَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ لِيَزْدَادَ سُلْطَانَهُ وَلَيْسَ دُونَهُمْ لَهُ نُقْصَانٌ فِي ذَاتِهِ وَلاَ فِي مُلْكِهِ. وَكُلُّ مَا خَلَقَ خَلَقَـهُ مِنْ رَحْمَتِـهِ دُونَ اِحْتِيَـاجٍ. الْمَوْجُودَاتِ كَوْنٌ وَهُوَ الْمُكَوِّنُ؛ لَوْ أَمَرَ اَلدُنْيَـا بِـالْغَرَاقِ بِمَنْ عَلَيْهَـا لَدَامَت فِي غَرقٍ مَا دَامَ مُلْكَهُ وَلاَ يَزَالَ وَلاَ تَصِيـبُ مُسْتَقَراً لَهَـا فِـي مَوْضَعٍ. هُوَ خَلَقَ كُـلّ شَـيْءٍ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ. هُـوَ مُؤَانِسٌ وَلَيْـسَ مُوَانِسَا لَهُ. هُوَ ذُو عِلْمٍ مَا دُونَ اَحْتِيَاجٍ مِن غَيْرِهِ. هُوَ ذُو رَحْمَـةٍ مَـا دُونَ نُقْصَانٍ. هُوَ اَوّلُ كُلّ شَيْءٍ : لَيْسَ قَبْلَـهُ شَـيْءٌ وَبَعْدَ كُـلّ شَـيْءٍ لَيْس بَعْدَهُ شَيْءٌ اِلَـهُ لَيْسَ شَـيْءٌ مِثْلَـهُ. لَيْسَ هُـوَ كَم وَلاَ عَـدَدٌ وَلاَ فَصْلَ وَلاَ فَوْق وَلاَ تَحْت وَلاَ وَهْمٌ وَلاَ خَيَـالٌ وَلاَ كَـلاَمٌ وَلاَ لُغَـة وَلاَ صُنْع مِثْل خَيَالِنَا.هُوَ فَوْقَ الْعُقُول لَيْسَ يوَصْف؛ لَهُ اَلْجَلاَلُ وَالْكَمَـالُ؛ وَذَلِكَ هُوَ فِـي وَحْدَانِيتِـهِ لاَ يَفْهَـم اَللّـهُ الاَ اَللّـهُ. لَـهُ اَلْعَظَمَـةُ وَالْعِبَـادَةُ

وَالْشُكر عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ وَالايمَانُ مَا دُونَ ذَلِـك (١٦ ب) خُسْرَانٌ؛ انْتَهَى.

وكَانَ فِي الْكِتَابِ هَذِهِ الْحُرُوف وَالْخَوَاتِم:

لاَ الَهَ إلاَ اَللَّهُ　　: م　: 　: ر　:　　اللــه[١]



هَذَا تَصفيُونَ ابنْ اَلعَطَار كَانَ مِن اَصْحَابِ سِسِلْيُوهْ وكَانُوا ـ كَمَا قُلْنَا ـ عَلَى اَثرْ سَيِّدِنَا عِيسَى ـ عَلَيْهِ اِلسّلاَم ـ وَيَظْهَرَ مِن كَلاَمِهِ فِيمَا تَقَـدَّمَ اَنَّهُ بَرِءٌ مِنَ الشِركِ الَّذِي تَعْتَقِدُهُ النِّصَـارى فِـي هَـذَا اَلزمَـنْ لاَنَّهُـم يُصَدِّرُونَ فِي ذِكْرِ اَلالُوهية بالتّثْلِيث؛ وَاَيْضًا سِسِلْيُوهُ مَا قَالَ فِي اَولِ كِتَابِهِ اِلاَ بِإِسْـمِ اِلـذَاتِ الْكَرِيمَـةِ اِلْمُلْتَبِيبَـةِ؛ وَالاَنْ يَقُولـونَ: بِسْـمِ اَلاَبْ وَالاِبْن وَالرُّوحِ اِلقُدُسِ اِلَهٌ وَاحِدٌ؛ تَعَالَى عَن قَوْلِهِمْ عُلُوًّا كَبِيراً.

وَلَمّا اَرَدْتُ اَلْقُدُومِ اِلَى مَدِينَـةِ اِشْبِيلِيَة لِنَمْشِ اِلَـى بِـلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ مَشَيْتُ اِلَى الْقَسِيْس وقُلْتُ لَهُ: اِنِّـي عَزَمْتُ عَلَـى الْقُدُومِ اِلَـى بَلَـدِي؛ وَاَنَّ اَبِي كَتَبَ لِي اَنْ نَمْشِي اِلَيْهِ وَاَنَّ طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ وَاجِبَةً.

---

[١] كتب الحجري بخطه في الحاشية: " الله اعلم ان الميم تدل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنقط الاربعة على حروف الاسم والراء تدل على رسول والنقط الاربعة على حروف رسول اذ هي اربعة ".

قَالَ لِي: فِي بَعْضِ اِلْمَسَائِلِ هِيَ وَاجِبَةٌ وَفِي بَعْضِهَا لاَ تَجِبُ.

قُلْتُ: لاَ بُدَ لِي مِنَ اَلْقُدُوم (١٧ب)، وَطَلَبْتُ مِنهُ اَن يَكُونَ سَنَداً لِلاَنْدَلُسْ لاَنَّهُم ذُلاَّلٌ عِنْدَ اَلنصَارَى اَلْقُدَمَاء.

قَال لِي: اِعْلَمْ اِنِّنِي مِن جَانِبِهِمْ فِي كُلِّ زَمَنٍ، وَحِينِ قَامُوا عَلَى السُّلْطَان كُنتُ اَنَا قَاضِي اِلْقُضَاة بِهَذِهِ اِلْمَدِينَةِ وَجَاءَ اِلَيْهَا اَخُو اَلسُّلْطَان وَقَبَضَ مِنَ اَعْيَنِ الاَندَلُسْ بِهَذِهِ اِلْمَدِينَةِ مِائَةِ وَاَرْبَعِينَ رَجُلاً وَقَتَلَهُم؛ كُلٌ ذَلِكَ لِيَاْخُذ اَمْوَالَهُمْ؛ وَكَانَ اَلْحَقُ اَنْ يَتْرُكَهُم لأَنِّهُم مَا كَانُوا مِنْ اَلْقُوَّام. وَاَصْحَابُ اَلْمَالِ وَالنِعْمَة لاَ يَسْعُونَ اِلاَ فِي أُمُورِ اِلْعَافِيَةِ لِيَتَنعَمُوا فِيمَا عِنْدَهُم بِخِلاَفِ غَيْرِهِم؛ وَلَكِن اَنْتُمْ الاَنْدَلُسْ فِيكُمْ عَادَةٌ غَيْرَ مَحْمُودَةٌ!

قُلْتُ: مَا هِيَ؟

قَالَ: اَنِّكُمْ لاَ تَمْشُونَ اِلاَ بَعْضَكُم مَعَ بَعْضٍ وَلاَ تُعْطُونَ بَنَاتِكُمْ لِلنَصَارَى اَلْقُدَمَا وَلاَ تَتَزَوِّجُون مَعَ اَلنِصْرَانِيَات اَلْقُدَمَا.

قُلتُ لَهُ: لِمَاذَا نَتَزَوّجُ النِصْرَانِيَات اَلْقُدَمَا؟ وَكَانَ بِمَدِينَةِ اِنْتَقِيْرَ رَجُلاً مِنْ قَرَابَتِي عَشَقَ بِنْتًا نِصْرَانِيَةً؛ فَفِي اِلْيَومِ اِلَذِي مَشَوْا فِيهِ بِالْعَرُوسَةِ اِلَى اَلْكَنِيسَةِ لِيُتِمَّ اَلنِّكَاح اَحتَاجَ يَلْبِسُ اَلْعَرُوس اَلزَّرْد اِلمُهَنَّد مِنْ تَحْتِ اِلْحَوَايِجِ وَاَخَذ عِنْدَهُ سَيْفًا لأَنَّ قَرَابَتِهَا حَلَفُوا اَنِّهُمْ يَقْتُلُونَهُ في الطَّرِيقِ؛ وَبَعْدَ اَنْ تَزَوَّجَهَا بِسِنِينَ لَمْ يَدْخُل اِلَيْهَا أَحَدٌ مِن قَرَابَتِهَا بَل يَتَمَنَوْنَ مَوْتَهُ وَمَوتَهَا؛ وَالنِكَاحُ لاَ يَكُونُ لِيَتَخِذَ بِهِ اَلاِنْسَانُ اَعْدَاءَ بَلْ اَحْبَاباً وَقَرَابَةً! (١٨أ)

قَالَ لِي: وَاللَّهِ اِنِّكَ قُلْتَ اَلْحَقَ؛

مَوتَهُ ومَوتَها؛ وَالنِكَاحُ لاَ يَكُونُ لِيَتَخِذَ بِهِ الانْسَانُ اَعْدَاءَ بَلْ اَحْبَاباً وقَرَابَةً! (١٨أ)

قَالَ لِي: وَاللّهِ اِنكَ قُلتَ الْحَقَ؛

وتَوَدَعنَا بِالْخَيْرِ وَذَهِبتُ. وَمَا ذَكَرتُ لَهُ عَنِ الاَنْدَلُسِي وَالنِصْرَانِيَة كَانَ صَحِيحاً؛ وَاَسلَمَتْ عَلَى يَدِهِ وَحُسْنِ اِسْلاَمِهَا غَايَة الْحُسْنِ وَاَسلَمَتْ عَلَى يَدَيْهَا اُمُّهَا عَجُوزَة.

اَلبَـابُ اَلثَّـانِي

فِي قُدُومِنَا اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ وَمَا اَتَفَقَ لَنَا عِنْدَ خُرُوجِنَا مِنَ اَلنَّصَارَى

اَعلَمْ – رَحِمَكَ اَللّهُ تَعَالَى – اِنّ اَلْبِلاَد اِلَتِي هِيَ عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ مِنْ بِلاَدِ اِلاَنْدَلُس وَاَيْضًا فِيمَا لَهُمْ فِي بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِين اَنّ للنّصَارَى فِيهَا مِن الْحِرْص وَالْبَحْث فِي مَنْ يَرِد عَلَيْهَا مِنَ الْغُرَبَا شَيْئاً كَثِيرًا؛ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلاً يَذْهَب اَحَدٌ اَوْ يَجُوز عَلَيْهِمْ اِلَى بلاَدِ المُسْلِمِين؛ وَهَمَّنِي اَلاَمْر كَثِيرًا فِي كَيْفِيَةِ اِلْخُرُوجِ مِنْ بِيْنِهِمْ، وَرَكِبْتُ اَلْبَحْرَ فِي بَلَدٍ يُسَمَّى بِمَرْسَى شَنْتَ مَرِيَا؛ وَكَانَ لِي صَاحِبٌ مِنْ بَلَدِي مِن اَهْلِ اِلْخَيْرِ وَاَلدِّين وَمَشَى مَعِي مُهَاجِرًا اِلَى اللّهِ وَبِلاَدْ اَلاسْلاَمِ وَسَبّل نَفْسَهُ؛ وَأَهْلُ اَلْقَارِب لاَ يَشُكُّونَ فِينَا بِانّنَا مِنهُمْ؛ فَقَطَعْنَا اَلْبَحْرَ فِي يَوْمَيْنِ وَ نَزَلْنَا فِي بَلَدٍ يُسَمَّى بِالْبُرَيْجَة – هُوَ لِلنّصَارَى – وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَدِينَةِ مَرّاكُشْ اِلاّ (١٨ب) نَحْوَ الثّلاَثَة اَيَامٍ لِلْمَاشِي اِلْمُتَوَسِط.

وَتَعَجَبْتُ مِن اَلْمَنْعِ اَلّذِي فِي بُنْيَان سُورِهَا؛ هُوَ اَسَاسَهُ عَلَى حَجَرٍ صَلْد وَسِعَتَهُ ثَلاَثَةُ عَشَرَ ذِرَاعاً؛ وَلاَ يُبَالِي بِكُور اَلْمَدَافِعِ مِن اِتْقَانِهِ وَغُلْظِهِ؛ حَتَى شَاهَدْتُ ثَلاَثَةَ مِن الْفُرْسَانِ بِخَيْلِهِمْ يَدْفَعُونَ خَيْلَهُمْ جُمْلَةً عَلَى اَلسُّور وَلاَ يَخَافُونَ الْوُقُوعِ مِنْهُ.

وَلَمّا أن دَخَلْنَا؛ سَأَلَنَا الْقَبطَان: مَا سَبَبْ قُدُومِكُمْ ؟

قُلْتُ لَهُ: وَقَعَ لَنَا شَيْءٌ مِنَ التّغْيِير مَعَ أُنَاس بِبِلاَدِ اِلأَنْدَلُسْ وَجِئنَا اِلَى حُرْمَتِكُمْ؛

قَالَ: مَرْحَبًا بِكُمْ٠

قُلْتُ: أُحِبُّ مِنْكَ اَنْ تَأذَنْ لَنَا فِي رُجُوعِنَا اِلَى بِلاَدِنَا مَهْمَا أَرَدْنَا؛

قَالَ: اَذَنْتُ لَكُمَا٠

وَنَزَلْنَا عِنْدَهُمْ وَاشْتَرَيْتُ حِصَانًا مِن اَحْسَنِ اِلْخَيْل وَصِرْتُ مِن فُرْسَانِهِمْ٠ وَكُنْت أُحِبُّ اَشْتَرِي اَخُرْ لِصَاحِبِي وَلَمْ يَتَيَسَرْ٠

وَتِلْكَ اَلْبَرَيْجَةَ فِي رُكْن مِنْ الاَرْضِ؛ وَاَلْبَحْرُ دَايِرٌ بِهَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ وَلاَ يَخْرُجُ اَحَدٌ مِنْ اَلْبَلَدِ حَتَّى تَتَقَدَّمُ الْفُرْسَان وَيَقْتَسِمُونَ وَيَحُوزُونَ مِنْ اَلْبَحْرِ اِلَى اَلْبَحْر مِن اَلْجَانِب اَلآخُر اَلْبَسَاتِين مَعَ اَلْبُرَيْجَة؛ وَلَيْس لأحَدٍ مِنْ اَلنِّصَارَى أَنْ يَجُوزُ اَلْحَدّ اَلَّذِي تَكُونُ فِيهِ الْفُرْسَان اَصْحَابُ اَلنَّوْبَةِ لِلْحِرْس؛ وَلَمَّا (١٩أ) رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْنَا: نَخْرُجُ مِنَ الْبُرَيْجَة وَنَجْلِس بَيْنَّ اَلْبَسَاتِين وَنَسْتَخْفِي فِيهِ اِلَى اَلَّيْل وَنَذْهَبُ اِلَى مَدِينَةِ اَزَمُور- هِيَ لِلْمُسْلِمِين عَلَى ثَلاَثَةِ فَرَاسِخْ مِنَ اَلْبُرَيْجَةِ - وَقُلْتُ لِصَاحِبِي: اِذَا قَدَّرَ اللَّهُ عَلَيْنَا اِنَّ النِّصَارَى يَتِّصِلُونَ بِنَا فَوَاحِدٌ مِنَّا يَسْتَعْمِلُ نَفْسَهُ أَنَّ الْجِنَّ اَصْرَعَهُ وَيَخْرِجُ مِن فَمِّهِ بِحَدِيدٍ شَيْئًا مِنَ الدَمِ لَعَلَّنَا نَنْجُو اِنْ شَاءَ اَللَّهُ بِذَلِكَ اَلْكَيْد٠

فَخَرَجْنَا اِلَى بَيْنِ اَلْبَسَاتِين وَاَخْتَفَيْنَا هُنَالِكَ؛ ثُمَّ أَنَّ صَاحِبِي مَشَى اِلَى بُسْتَانٍ قَرِيبٍ مِنَ اَلْمَوْضِعِ اِلَذِي كُنَّا فِيهِ وَبَقِيَ هُنَالِكَ اِلَى قَبْلِ غُرُوب اَلشَّمْس بِقَلِيلٍ؛ وَأَنَا فِي اَشَدِّ تَغْيِيرٍ؛ وَاَلْفُرْسَانُ تَأتِي اِلَى اَلْبَلَد؛ ثُمَّ جَاءَ صَاحِبِي قُلْتُ لَهُ مَا اَلسَّبَبُ حَتَّى قَعَدْتَ اِلَى هَذِهِ اِلسَّاعَةِ؟ قَالَ كُنْتُ اَتَكَلَّمُ مَعَ صَاحِب بُسْتَانٍ حَتَّى عَزَمَ عَلَى اَلْخُرُوجِ مِنهُ جِئتُ مِنْ عِنْدِهِ؛ فَبَيْنَمَا كُنْتُ بِالغَيْظِ أُدَبِّرُ كَيْفَ اَلْعَمَل اِذْ سَمِعْتُ اَلْبَوّاب يَزْمُورُ مِزْمَارًا لَهُ يُنَادِي اِلنَّاس قَبْل سَدّ اَلْبَابَ (١٩ب) فَاشْتَغَلْتُ اَقْرَأ سُورَةَ

يَس؛ وَالزّمْرُ فِي زِيَادَةٍ. قُلْتُ لِصَاحِبِي هَذَا الزّمْرُ هُوَ عَلَيْنَا، قَالَ لِي اَعْمَلْ حيلَةَ الاصْرَاعِ لأَنّ النّاسَ جَاءَتْ اِلَيْنَا. قُلْتُ لَهُ لاَ أَعْمِلُ ذَلِكَ؛ مِمّا كَانَ عِنْدِي مِنَ الْغَيْظِ وَالتّغْيِير عَلَيْهِ؛ قَالَ: اَنَا أَعْمَلُ؛ قُلْتُ: اَفْعَلْ؛ وَاَنَا أَتَكَلّمُ عَلَيْكَ مَعَهُمْ. فَاَخْرَجَ شَيْئًا مِنَ الدّمِ ورَمَى بِنَفْسِهِ فِي الأَرْضِ.

فَخَرَجْتُ اِلَى جِهَتِ الرِّجَالِ وَاَنَا اشِيرُ اِلَيْهِمْ أَنْ يَاتُوا اِلَيّ؛ فَلَمّا وَصَلُوا قَالُوا مَا السّبَبُ فِي جُلُوسِكِمْ اِلَى هَذِهِ السّاعَة؟ وَالْبَوّابِ يُنَادِي عَلَيْكُمْ؛ أَمّا تَخَافُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأخُذُوكُمْ أُسَارَى؟

قُلْتُ فِي نَفْسِي مَا نَفْتَشُ الاَ هُمْ. قُلْت لَهُمْ: كُنْتُ بَعَثْتُ صَاحِبِي يَشْتَرِي خيَارًا وَلَمّا تَعَطّل جِئْتُ فِي طَلَبِهِ حَتّى وجَدْتُهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مَا اَسْتَطَعْتُ حَمْلَهُ وَحْدِي لأَنّهُ يَضْطَرِبُ فِي الاَرْضِ.

فَوَصَلُوا اِلَى نَاحِيَتِه وَرَأَوْه بالدّمِ فِي وَجْهِهِ وَعُنُقِهِ وَهُوَ يَضْطَرِبُ بِيَدَيْهِ. قَالُوا: هَذَا يَمُوتُ؛ وَكَانَ وَاحِدٌ مِنَ الّذِينَ جَاءُوا (٢٠أ) صَاحِبَ الْبُسْتَان الّذِي كَانَ مَعَهُ صَاحِبِي فِي الْكَلاَمِ.

وَوَصَلَ الْخَبَرُ لِلْقَبطَانِ بِأَمْرِنَا وَظَنّوا وَقَالُوا اِننَا هَارِبُونَ اِلَى الْمُسْلِمِينَ؛ وَأَمَرَ أَنْ يَنْظُرُوا هَلْ الْحُصَانُ فِي الدّارِ؟ قَالُوا هُوَ فِيه وَحَوايِجَهُمْ أَيْضًا. قَالَ لَوْ كَانَا يَهْرُبَانِ لَمْ يَتْرُكَا الْحُصَان وَهَذَا اَمْرٌ نَزَلَ بِهِمَا.

وَالْتَمّتْ جَمِيعُ النَاسِ بِحَضْرَةِ الْقُبطَان وَالرِّجَال الّذِين كَانُوا عِنْدَنَا قَالُوا اِنّ هَذَا يَمُوتُ؛ وَاتَفَقُوا أَنْ يَمْشِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ يُنَادِيَ الْقَسِيسَ لِيُثَبّتَهُ وَيَستَقْرِرْهُ مِنَ الذّنُوب لِيَمْشِي مَغْفُورًا مِنْهُ اِلَى الْجَنّةِ؛ فَمَشَى وَاحِدٌ وَأَعْلَمَ الْقُبطَانَ بِالأَمْرِ فَجَاءَ الْقَسِيس وَهُوَ عَلَى بُعْدٍ مِنْهُ يُثَبّتُهُ؛

قُلْتُ لِلْقَسِيسِ أَظُنُّ أَنَّهُ مَصْرُوعٌ مِنَ اَلْجِنِّ؛ فَاقْرَا عَلَيْهِ اَوَّلُ مَا ذَكَرَ يُوحَنَّا فِي الأَنْجِيلِ لِيَذْهَبَ عَنْهُ اَلْجِنُّ٠

فَقَرَ عَلَيْهِ مِنَ اَلأَنْجِيلِ وَذَهَبَ اَلْجِنُّ وَالشَّيْطَان وَظَهَرَتْ لِلْقِرَاءَةِ اِلبَرَكَةَ وَالْبُرْهَان وَشَهُرَتْ هُنَالِكَ وَلاَيَةُ الْقَسِيسْ؛ وَضَحِكَ مِنْهُ الْجِنّ مَعَ اِبْلِيسْ، وبَرَا المُرِيضُ فِي اِلْحِين (٢٠ ب).

وَاَخَذَهُ اِثْنَان مِنْهُمْ - كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْ تَحْتِ أَبُطِهِ - وَصَارَ يَمْشِي مَعَهُمْ حَتَّى صَعَدَ عَلَى حَايِطٍ نَازِلٍ وَهُمَا مَعَهُ فَأَطْرَحَ نَفْسَهُ عَلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا عِنْدَ هُبُوطِهِ مِنْهُ كَادَ أَنْ يُوقِعَهُ٠

وَدَخَلْنَا اَلْبَلَد وَجَمِيعُ النَّاسِ مَعَ اَلْقَبِطَان وَحَكَوْ لَهُ كُلَّ مَا طَرَى وَأَنَّ اَلْمَرِيض بَعْدَ أَنْ كَانَ يَمُوتُ بَرَءَ بِبَرَكَةِ مَا قَرَا عَلَيْهِ اِلْقَسِيسُ؛ وَمَشَيْنَا اِلَى اَلدَّار وَجَاءَ مِنْ أَكَابِرِهِمْ يَنْصِحُونَنِي أَنْ لاَ نَتْرُكَهُ يَرْكِبُ الْحُصَان وَلاَ يَطْلَع عَلَى اَلسُور لِئَلاَ يَصْرَعُهُ اَلْجِنّ. ثُمَّ جَاءَ اَلْطَبِيبُ - وَكَانَتْ لَهُ صَنَايِع غَيْرَ اَلطِبّ كَثِيرَةٌ ؛ فَكَانَ يُصَقِلُ اَلسَّكَاكِين وَيُرَكِّبَ اَلرِّمَاح وَاَظُنُّه يَحَلِّق وَبَيْطَار الْخَيْل.

فَقَالَ اَلْحَكِيم مَا هَذَا اَلَّذِي اَصَابَهُ؟ فَحَكَيْنَا لَهُ؛ وَبَقِيَ مُتَحَيِّرًا مَاذَا يَأمِرُنَا بِهِ مِنَ اَلْعَمَل لِلْعَلِيل٠

فَقَال : اَجْعَلْ عَلَيْه حَوَايِجَ لَعَلِّهُ يَعْرَق؛

فَشَكَرْتُهُ عَلَى حِكْمَتِه وَ وَضَعْنَا اَلْحَوَايِجَ عَلَيْه٠

فَلَمَّا اَنْ ذَهَبُوا جَمِيعًا وَلَمْ يَسْمَعْ اَلمَرِيضُ اَحَدًا اَخْرَجَ رَاسَهُ مِنْ تَحْتِ اِلْحَوَايِج وَقَالَ كَيْفَ حَالُنَا يَا سَيِّدِي؟

قُلْتُ (٢١أ) لَهُ: غَطِّ رَاسِكَ مَا عِنْدَنَا إلاَ اَلْخَيْر اِنْ شَاءَ اَللَّهَ؛

وَذَهَبَ اَلنَّوْمُ عَنَّا فِي اِلَّيْلَةِ كُلِّهَا ٠

وَيَوْم آخرْ تَبَيِّنَ لنَا انّ اَللّهَ تَعَالَى لَطفَ بِنَا وَبَقِيَ اَلْمَرِيضُ سَالِمًا وَنَحْنُ نُتَدَبَّرُ كَيْفَ اَلْعَمَلُ لِنَقْضِي اَلْغَرضَ حَتَّى نَخْرُجَ مِنْ بَيْنِ اِلْكُفَّارِ • قُلْنَا لَوْ كَانَ وَاحِدٌ مِنَّا وَحْدَهُ كَانَ يُمكِنُ اَلْهُرُوب وَالْخُرُوج بِأَن يَخْتَفِي وَيَهْرُبُ وَاَلْحَالُ لِلاَثْنَيْنِ صَعْبٌ •

وكَانَتْ سَفِينَةٌ عَازِمَةٌ عَلَى اَلرُّجُوعِ اِلَى بِلاَدِ اِلأَنْدَلُسْ؛ قُلْنَا نَرْمِي الْقُرْعَةَ مِنْ يَرْجِعَ مِنَّا فِي هَذِهِ اِلسَّفِينَةِ ؟ فَرَمَيْنَاهَا وَجَأَت فِي وكَانَتْ اَلنَّاسُ تَتَكَلَّمُ بِنَا وَتَقُول اِنّي كُنَّا نُرِيدُ الهُرُوب اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ •

فَمَشَيْتُ اِلَى اَلْقَبطَان وَقُلْتُ لَهُ أُحِبُ اَرْجِعُ اِلَى بِلاَدِ اِلأَنْدَلُسْ فِي هَذِهِ اِلسَّفِينَةِ وَاِذَا اَستَغْرَضْتَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ اَلْبِلاَدِ فَأَعْطِنِي زِمَامًا بِهِ اَبْعَثُهُ اِلَيْكَ •

قَالَ وَصَاحِبُكَ يَمْشِي مَعَكَ؟

قُلْتُ لَهُ اَرَادَ اَلْقُعُودُ هُنَا وَأَنْتَ تَرُدٌ بَالَكَ عَلَيْهِ لأَنَّهُ غَرِيبٌ • .فَخَرَجْتُ عَشِيَةً وَاَوْجَدْتُ مَا يُحتَاجُ مِنَ اَلطَّعَامِ فِي السَّفَرِ فَوَجَدْتُ بِقُرْبِ بَابِ (٢١ ب) اِلْبَلَدِ قَارِبًا صَغِيرًا؛ فَقَالَ اَرْكَبْ فَاَعْطَيْتُهُ الطَّعَامَ وَالْحَوَايِجَ وَقُلْتُ لَهُ اِذَا خَرَجَ اَلتَاجِر اَلَّذِى كَانَ يَمْشِي مِنَ الْبُرَيْجَةِ؛ نَرْكَبُ اَلْقَارِبَ اَلصَّغِير لِيُبَلِغَنَا اِلَى اَلسَّفِينَةِ اَلْكَبِيرَةِ • فَجَلَسْنَا هُنَالِكَ نَدْعُوا اللّه تَعَالَى اَن يَتَعَطَّلَ اَلتَّاجِرُ حَتَّى يَنْسَدَ اَلْبَابَ •

ثُمَّ قَالُوا لِصَاحِبِي أُدْخُلْ عِنْدَ سَدِّ اِلْبَاب.

قُلْتُ لَهُمْ دَعُوهُ مَعِي حَتَّى يَخْرُجْ اَلتَاجِر.

قَالُوا نَعَمْ يَقْعُدْ.

فَـاظْلَمَ اَلِّيْـلُ اِلَـى أَنْ صَلِّيْنَـا اَلْعِشَـاء اِلاَخِـرَة ثُـمِّ دَعَوْنَـا اَللِّـهَ أَنْ يُرْشِدَنَا وَيَسْتُرْنَا مِنْ اَعْدَائِنَا • قُلْنَا هَـذَا وَقْـتُ اَلْخَـيْرِ فَنَذْهَـبُ اِنْ شَـاءَ اَللِّهُ اِلَى ازَمُور •

قُلْتُ لِصَاحِبِي مَا ظَهَرَ لَكَ اَنْ نَصْنَع فِي ذِهَابِنَا.

قَالَ: كَيْفَ مَا ظَهَرَ لَكَ •،

قُلْتُ لَهُ: يَا صَاحِبِي اِلطِّرِيقُ اَلْقَرِيبُ هُوَ مِن هُنَا اِلَى أَزَمُـورْ• قُلْـتُ: وَمِنْ اَلْمُمْكِن اِنَّا اِذَا شَرَعْنَا فِي اِلطِّرِيقِ رُبِّمَا يَخْرُجُ اَلتَّاجِرُ اِلِّذِي هُـوَ يَمْشِي فِي اِلسَّفِينَةِ وَاِذَا طَلَبُوا عَلَيْنَا لَمْ يَجِدُونَا وَيَتَّبِعُونَا كَمَا هِيَ مِـنْ عَادَتِهِمْ وَيَدْرَكُونَنَا بِالْخَيْلِ •

قَـــال: كَيْفَ اَلْعَمَلُ؟

قُلْتُ: هَذا طَـرِيق اَزَمُـورْ هُوَ هَذَا اِلشِّمَـالِي عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ؟

قَـالَ: نَعَمْ (١٢٢أ).

قُلْتُ: نَمْشُوا عَلَى حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ اِلْيُمْنَى اِلَـى غَـدَ اِنْ شَـاءَ اَللِّـهُ تَعَـالَى نَمْشُوا اِلَى اَزَمُور،

قَالَ: عَلَى بَرَكَةِ اِللّه!

فَمَشَيْنَا وَبَعْدَ سَاعَةٍ اَوْ أَقَلّ سَمِعْنَا مَكْحُلَةً لَعَلِّي نَفِيقُ مِـنَ النَّـوْمِ اِنْ كُنِّا نَائِمِينَ• فَمَشَيْنَا اَلِّيل كُلُّهُ فِي بِلاَدِ اِلاُسُدِ اِلَى اِنْشِقَاقِ اِلْفَجْرِ أَخْلَـوْا اَلْمَدْفَع اَلْكَبِير وَهِيَ عَلاَمَةٌ عِنْدَهُمْ اِذَا اَخْلَوْا ذَلِكَ أَنِّـهُ لاَ يَتَخَلِّـفَ اَحَدٌ عَنِ اِلْخُـرُوجِ مِنَ اِلْبِـلاَدِ وَعَلِمْنَـا أَنِّهُـمْ مَـا خَرَجُـوا اِلاِّ فِـي طَلَبِنَـا • فَاتِّفَقْنَا انَ نَدْخُلاَ فِي وَسَطِ شَـجَرَةٍ كَبِـيرَةٍ وَنَجْلِـسُ هُنَـالِكَ اِلَـى اَلِّيْـلِ؛ وَكُنِّا نَسْمَعُ حِسِّ اَلْبَارُودِ اِلكَثِيرِ • ثُمِّ يَئِسُوا مِنِّا وَوَلِّوْا خَائِبِينَ •

وَسَبَبُ رُجُوعِهِمْ أَنَّ قَايِدَ اَزَمُورْ لَمَّا سَمِعَ حِسَّ اَلْمَدْفَعِ اَلْكَبِير عِنْدَ اَلصُبْحِ عَلِمَ أَنَّ اَحَدًا مِنَ اَلنَّصَارَى هَرَبَ مِنْ عِنْدَهِمْ ؛ فَأَمَرَ فِي اَلْحِينِ لِلْفَكَّاكِ أَنْ يَمْشِي اِلَى اَلْبُرَيْجَةِ لِيَتَكَلَّمْ مَعَ اَلْقَبطَانِ فِي شَانِ أَسِير كَانَ عِنْدَهُ وَيَأْتِي بِالْخَبَرِ . فَلَمَّا مَشَى اَلْتَقَى بِالنَّصَارَى فِي الْفَحْصِ وَسَأَلَهُ تُرْجُمَان اَلْقَبطَانِ عَن نِصرانِيَيْنِ هَلْ رَآهُمَا؟ قَالَ لَهُ نَعَمْ هُمَا عِنْدِنَا مِن اَلصبْحِ . فَلَمَّا بَلَغَ اَلْخَبَرُ لِلْقَبطَان وَهُوَ مَع جُنْدِه فَكَانَ يَقْبِض (٢٢ب) بِيَدِهِ شَعْرَ لِحْيَتِهِ وَ يَنْتَفَهَا وَيَرْمِي فِي اِلاَرْضِ . وَالْفَكَّاكُ قَالَ لَهُمْ ذَلِكَ لِيَيْتَسِوا وَيَرْجَعُوا. فَقَنَطُوا وَوَلُّوا خَائِبِين وَنَحْنُ جَلَسْنَا بَيْنَ اَلاَشْجَارِ اِلَى اَللِّيلِ.

وكَانَ اَلْحَرُّ اَلشَّدِيدُ وَنَحْنُ بِالْعَطَشِ سَائِرِينَ فَوَجَدْنَا عَيْنًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ فَشَرَبْنَا وَبِتْنَا اِلَى اَلصبْحِ. وكنَّا سِرْنَا فِي اَلِّيلِ كَثِيرًا قَبْلَ وُجُودِ اِلْمَاءِ. وبَعْدَ ذَلِكَ بِزَمَنِ اِلْتَقَيْنَا بِمَرَاكِشْ بِرَجُلٍ مِنْ اَوْلاَدِ اِلْوَلِي سَيِّدِي عَلِي بِنْ اَبِي اِلْقَاسِمِ؛ وَسَأَلَنَا عَنْ حَالِنَا وَهُرُوبِنَا مِنَ اَلبُرَيْجة اِلَى جِهَةِ طِيطِ ؛ هُوَ بَلَدٌ خَالٍ كَانَ لِلْمُسْلِمِين؛ وَذَكَرنَا لَهُ عَيْنَ اَلْمَاءِ اَلِّذِي وَجَدْنَاهُ فِي اَلِّيلِ فَقَالَ لِلنَاسِ اَلْحَاضِرِينَ تِلْكَ اَلْبِلاَد نَعْرَفَهَا كُلِّهَا وَلَيْسَ فِيهَا مَاءٌ عَلَى وَجْهِ اِلاَرْضِ اِلاَّ فِي اَلآبَارِ اَلْغَارِقَه.

وبَعْدَ أَنْ تَنَعَمْنَا بِالْمَاءِ وَصَلِّيْنَا اَلصُبْحَ مَشَيْنَا فِي طَلَبِ أَزَمُورْ؛ وَبِسَبَبِ اَلصَّحَب لَمْ نَرَ اَلشَّمْسَ حَتَّى كَانَتْ فِي وَسَطِ اِلسَّمَاءِ ثُمَّ سِرْنَا نَطْلُبُ عَلَى اَلْمَا وَنَجِدُ آبَار غَارِقَةً يَابِسَةً ؛ ثُمّ اَستَظَلِّيْنَا بِشَجَرَةٍ كَبِيرَةٍ بَعْدَ اَلْعَصْرِ وَسَمِعْنَا حِسَّ اَلْبَحْرِ وَوَلِّيْنَا اِلَيْهِ لَعَلِّنَا (٢٣أ) نَجِدْ مَاءً فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا فِي حَاشِيَةِ اِلْبَحْرِ لِلْشُرْبِ. ثُمّ مَشَيْنَا عَلَى طَرِيق وَكُنْتُ أَظُنُ اَنّهُ مَاشِي اِلَى أَزَمُورْ ؛ فَبَعْدَ نِصْفِ اِلِّيلِ بَلَغْنَا اِلَى بَسَاتِين

الْبُرَيْجَةِ ثُمَّ جُزْنَا وَتَرَكْنَاهَا مِنْ وَرَائِنَا وَسِرْنَا عَلَى حَاشِيَةِ الْبَحْرِ اِلَى اَنْ أَصْبَحَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ فِي الامَانِ مِنْ اَلْبُرَيْجَة.

ثمَّ صَعَدْنَا عَلَى جبَلٍ وَرَأَيْنَا اَلْمُسْلِمِينَ يَحْصَدُونَ اَلزَّرْعَ؛ وَلَمَّا قَرُبْنَا مِنْهُمْ جَاءُوا اِلَيْنَا بِأَسلِحَتِهِم وَخَيْلِهِمْ؛ فَلَمَّا وَصَلُوا اِلَيْنَا قُلْنَا لَهُمْ نَحْنُ مُسْلِمُون فَامْسَكُوا عَنِ الْحَرْب وَفَرَحُوا بِنَا فَرْحًا عَظِيمًا وَاَعْطَوْنَا اَلْخُبْز وَالطَّعَامَ اَلَّذِي لَمْ نَرَهُ مِنْ يَوْمِ اَلْجُمُعَةِ قَبْلَ اَلزَّوَالِ اِلَى يَوْمِ اِلاثْنَيْنِ عِنْدَ الضُّحَى. ثُمَّ بَلَغْنَا اِلَى أَزَمُورَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا قَائِدُهَا وَبَحَثْنَا كَثِيرًا فِي أُمُورِ دِين اَلْمُسْلِمِينَ وَقَالَ لِي اَتَكْتُب بِالْعَرَبِيَةِ قُلْتَ لَهُ نَعَم قَالَ اَكْتُب فِي هَذِهِ اَلْوَرَقَةِ؛ قُلْتَ لَهُ مَاذَا أَكْتُبُ قَالَ اَلَّذِي تُحِبُّ؛ فَكَتَبْتُ مَا اَلْهَمَنِي اللّهُ تَعَالَى وَشَكَرْتَهُ عَلَى قَضَاءِ الْحَاجَةِ وَخَلَاصِنَا مِنَ اَلْكُفَّارِ وَدَعَوْتُ بِالْخَيْرِ لِلْقَائِد مُحَمَّد اِبْن اِبْرَاهِيم اَلسُّفْيَانِي عَلَى مَا اَحْسَنَ اِلَيْنَا؛ وَقَبَضَ (٢٣ب) اَلْوَرَقَةَ؛ وَاَظُنُ اَنَّهُ بَعَثَهَا لِلْسُلْطَان مَوْلاَيْ أَحْمَد رَحِمَهُ اَللَّهُ. وَكَتَبَ لَهُ وَأَمَرَهُ أَنْ يَمْشِي لِحَضْرَتِهِ فِي عِيدِ اَلاضْحَى وَاَنْ يَحْمَلْنَا مَعَهُ.

فَلَمَّا أَنْ بَلَغْنَا فِي دُكَالَةَ اِلَى سُوقٍ كَبِيرٍ أَمَرَ اَلْقَائِد لِخَدِيمِهِ أَنْ يَرْكَبَ مَعِي اِلَى اَلسُّوقِ؛ فَلَمَّا أَنْ دَخَلْنَا فِيهِ جَاءَ اَلْمُسْلِمُونَ يَسْئَلُونَ الْخَدِيم عَنِّي قَالَ لَهُمْ هُوَ مُسْلِمٌ فَجَاؤُنِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ وَهُمْ يَقُولُونَ لِي شَهِّدْ شَهِّدْ وَأَنَا سَاكِت؛ حَتَّى اَلَحُّوا عَلَيَّ وَكَثَّرُوا فِي ذَلِكَ؛ قُلْتُ اَشْهَدُ أَنْ لاَ اِلَهَ اِلاَّ اَللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ؛ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ. قَالُوا وَاللَّهِ اَنَّهُ قَالَهَا خَيْرٌ مِنَّا. ثُمَّ مَشَوْا وَأَتَوْنِي بِتَمَر وَغَيْر ذَلِكَ مِمَا كَانُوا يَبِيعُونَهُ وَفِضَّة دَرَاهِم. قُلْتُ لَهُمْ لاَ أَطْلُبُ مِنْكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ.

فَلَمَّا وَلَيْنَا عِنْدَ اَلْقَائِد قَالَ لِي مَا ظَهَرَ لَكَ قُلْتُ اَلْحَمْدُ لِلّهِ إِذْ لَمْ نَـرَ عَدُوًا فِي هَذِهِ النَّاسِ لأَنَّ فِي بِلاَدِ النَّصَارَى لَمْ نَرَ فِيهَا فِي الاَسْوَاقِ الاّ اَعْدَاءَ لَنَا يَمْنَعُونَا مِن اَلشَّهَادَتَيْنِ جَهْرًا وَالْمُسْلِمُونَ يُحَرِّضُونَنِـي عَلَيْهَا وَفَرَحُوا (٢٤أ) جَمِيعًا حِينَ سَمِعُوا مِنِّي ذَلِكَ. وَقَدْ شَـبَّهْتُ مَـا أَصَابَنَا مِنْ خَوْفِ النَّصَارَى وَمَا رَأَيْنَا مِـنَ اَلتَعَـبِ فِي الطَّرِيـقِ إِلَـى أَهْوَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوُصُولِنَا إِلَى اَلْمُسْلِمِين لِلدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ.

نَسْئَلُ اللّهَ اَلْعَظِيم أَنْ لاَ يَحْرِمَنَا مِنْهَا وَجَمِيـعِ الْمُسْلِمِينَ اجْمَعِيـن بِبَرَكَةِ سَيِّدَنا مُحَمَّد عَلَيْهِ اَفْضَلِ اَلصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيم.

اَلْبَــــابُ اَلثَّــــالِثُ

فِي بُلُوغِنَا اِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ وَمَا كَانَ اَلسَّبَبُ حَتَّى مَشَيْتُ اِلَى بِلَادِ اَلفرنج

وَلَمَّا انْ بَلَغْنَا اِلَى مَحَلَّةِ اِلسُّلْطَانِ مَوْلَانَا أَحْمَد اِبْن مَوْلَايْ مُحَمَّدْ اَلشَيْخ اَلشَّرِيف اَلْحَسَني ؛ وَكَانَ بِقُرْبِ اِلْمَدِينَةِ بِنَحْوَ اَلسِّتَت امْيَال بِسَبَبِ اِلْوَبَاء اَلْعَظِيم الَّذِي نَزَلَ بِتِلْكَ اَلْبِلَادِ ؛ وَكَانَ عِيد اَلاضْحَى فِي اِلْيَوْمِ اِلآتِي مِنْ بُلُوغِنَا ٠ وَخَرَجَ اَلسُّلْطَان فِي جُنُودٍ لَمْ نَظُنُ ذَلِكَ ؛ وَعَجَبَنِي حَالَ اَلرُّمَاة فَحِزَامَهُمْ هُوَ أَفْضَلْ وَأَحْسَنُ وَأَزْيَنُ مِنْ حِزَامِ اِلنِّصَارَى بِكَثِيرٍ ؛ وَأَمَّا اَلْعَرَب الَّذِين جَاوُا وَحَضَرُوا مَعَ قُوَّادِهِمْ فَكَانُوا تِسْعًا وَعِشْرُونَ اَلْفَ فَارِسٍ وَكَذَا مِائَةٍ مَا عَدَا السُبَيْحِيَة[١] وَفُرْسَانِ اِلْمَدِينةِ وَالْفَرَادَة (٢٤ب) وَالْجُنْدُ كَثِيرٌ٠

وَبَعْدَ ذَلِكَ دَخَلْنَا مَرَّاكُشْ هِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ وَ فَوَاكِهُهَا كَثِيرَةٌ وَعِنبُهَا لَيْس فِي اِلدُنيَا مِثْلَهُ؛ عَرْضُهَا اِحْدَى وَثَلَاثُون دَرَجَةٌ وَنِصْف وَطُولُهَا تِسْعَ دَرَاج لأَنِّهَا قَرِيبَة مِنْ اَلْجُزُرْ اَلخَالِدَات اَلْمُسَمَات الاَن بِقَنَارِيَة وَمِنْهَا اِبْتِدأ اَلطُول وَبَعْدَ أَنْ دَخَلَ السطان مِنَ اَلمُحلَةِ وكَانَ ذَلِكَ عَام سَبْعَ وَأَلْف وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَذَنَ لَنَا فِي الدُّخُول اِلَى حَضْرَتِهِ فِي يَوْمِ اِلدِّيوَان؛ وَلَمَا اَبْتَدَأْتُ بِالكَلَامِ اِلَّذِى اَخْتَرْتُهُ أَن أَقُولَهُ بِحَضْرَتِهِ اَلْعَلِيةِ بِصَوْتٍ جَهِير؛ سَكَتَ جَمِيعُ النَّاسِ اِلْحَاضِرُون كَأَنَّهَا خُطْبَةٌ؛ فَفَرِحَ اَلسُّلْطَان وَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ بِبِلَادِ اِلاَنْدَلُس مَنْ يَقُول

---

[١] يعني: السباهية، وهي كلمة تركية تعني: فرقة الفرسان الرسمية.

بِالْعَرَبِيَةِ مِثْل هَذَا الْكَلاَم لأَنَّهُ كَلاَمُ اَلْفُقَهَاءِ؛ وَفَرِحَ بِذَلِكَ كَافَّة اَلأَنْدَلُس اِلْقُدَمَاء.

وَرَأَيْنَا اَلْعَافِيَةَ وَالرَخَا فِي تِلْكَ اَلْبِلاَدِ اِلَى اَنْ مَاتَ مَوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَه اَللَّهُ فِي مَوْلد اَلنبي صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَنَةِ اِثْنَتي عَشْرَةَ وَاَلْف؛ وَقَامَتْ اَلْقُوَّامْ وَاَلْهَرَج فِي اِلْمَغْرِب كُلِّهِ، ثُمَّ ثَبَتَ فِي اَلْمَمْلَكَةِ مَوْلاَنَا زَيْدَان ابْنُ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَهُمَا اَللَّهُ تَعَالَى. وَفِي (٢٥أ) اَيَامِه اَمَرَ السُّلْطَان اَلنصْرَانِي بِبِلاَدِ اِشْبَّانيَة؛ اَعْنِي بِلاَد اِلاَنْدَلُس اَلْمُسَمَّى بِـ فلِبٌ اِلثَّالِث مِنْ اِسْمِهِ بِإِخْرَاج جَمِيعِ اِلْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلاَدِهِ. وَابْتِدَاءُ ذَلِكَ كَانَ لِسَنَةِ ثَمَان عَشْرَة وَأَلْف؛ وَآخِر مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ كَانَ عَام عِشْرِينَ وَاَلْف.

وَكَانَ اَلاَنْدَلُسْ يَقْطَعونَ اَلْبَحْرَ فِي سُفُنِ اَلنَّصَارَى بِالْكِرَاء؛ وَدَخَلَ كَثِيرٌ مِنْهُم فِي سُفُن اَلْفَرَنْج وَنَهَبُوهُمْ فِي اَلْبَحْر؛ وَجَاءَ اِلَى مَرَّاكُشْ اَنْدَلُس مَنْهُوبُونَ مِنَ اَلْفَرَنْج مِنْ اَرْبَع سُفُن وَبَعَثَ رَجُلٌ اَنْدلُسِي مِنْ بِلاَد فرَنْجَة يَطْلُبُ مِنْهُمْ وِكَالَةً لِيَطْلُب بِالشَّرْعِ عَنْهُم بِبِلاَدِ اَلْفَرَنْج؛ وَاتَّفَقَ نَظَرَهُمْ اَنهُمْ يَبْعَثُونَ خَمْسَةَ رِجَالاً مِن اَلْمَنْهُوبِينَ وَيَمْشِي بِهِمْ وَاحِدٌ مِنَ اَلأَنْدَلُس اَلَّذِينَ سَبَقُوهُم بِالْخُرُوجِ ؛ وَاتَّفَقُوا اَنَّنِي نَمْشِي بِهِمْ وَاَعْطَانِي اَلسُّلْطَان كِتَابَهُ وَ رَكِبْنَا اَلْبَحْرَ اَلْمُحِيط بِمَدِينَةِ أَسْفِي.

اَلْبَـــابُ الرَّابِـــعُ

فِي قُدُومِنَا اِلَى بِلَادِ اِلْفَرَنْجِ

وَلَمَّا اَنْ دَخَلْنَا اَلْبَحْرَ سَافَرْنَا ؛ اِلَى اَنْ تَرَكْنَا بِلَادِ اِلْمَغْرِب عَنْ يَمِينَنَا ثُمَّ عَبَرْنَا فِي اَلْبَحْرَ اِلْمُحِيط اِلَى جِهَةِ اِلْقُطْب اَلشِّمَالِي؛ وَتَرَكْنَـا اَيْضًـا بِلَاد اَلاَنْدَلُسْ عَنْ يَمِينِنَا وَبَلَغْنَا (٢٥ب) اِلَى بِلَادِ اِلْفَرَنْج اِلَـى مَرْسَـي هَبْرِذَاغرَسِي؛ وَمَعْنَى ذَلِكَ اَلاسْمِ مَرْسَى اَلْبَرَكَة؛ بَعْدَ ثَلَاثِينَ يَومًا مِنْ خُرُوجِنَا ؛ وَبِتْنَا فِي اِلسَفِينَةِ بِنِيّةِ اِلْخُـرُوجِ فِـي الْـبَرِّ فِـي غَـدٍ. وَتِلْـكَ اَللَّيْلَةُ عَلَى طُولِهَا نَرَى فِي النَّوْمِ اِنِّي كُنْـتُ نَتْلُـوا سُـورَةَ اَلاخْـلَاص؛ وَبَعْدَ أَنْ نَزَلْنَا فِي اِلْبَرِّ بَانَ لِي أَنَّ قِرَأَةَ قُلْ هُوَ اَللّهُ اَحَدٌ كَانَ لِي تَثْبِيتًا عَلَى اَلتَّوْحِيدِ وَالاَمْرُ مِن اللّهِ تَعَالَى بِهِ اِذْ كُنَّا نَازِلِينَ بِبِلَادِ اِلشِرْكِ.

ثُمَّ مَشَـيْنَا اِلَـى مَدِينَـةِ رُوَانْ وَجَـاءَ اِلَيْنَـا تَـاجِرٌ كُنْـتُ عَرَفْتُـهُ فِـي مَرَّاكُش اَسْمُهُ قَـرْطْ ؛ وَلِطُـول مُكْثِـهِ بِبِـلَادِ اِلْمُسْلِمِينَ كَـانَ يَعْـرِفُ اَلْعَرَبِيَـة غَايَـةً؛ وَبَـدَا يَتَكَلَّمُ فِـي دِيـنِ اِلْمُسْلِمِينَ وَيَشْكُرُ دِينَـهُ؛ وَقَـالَ اَلْمُسْلِمُونَ فِي دِينِهِمْ مُبَاحُ اَلزِّنَا وَالسِّرْقَة.

قُلْـتُ هَذَا بَاطِلٌ.

قَالَ بَلْ صَحِيحٌ لأَنِّي سَمِعْتُ عُلَمَاءكُمْ يَقُولُونَ اَنَّ بَعْضَـا سَـأَلَ نَبِيَّكُم قَالَ : اَلْمُومِن يَزْنِي؟ قَالَ لَه: يَزْنِي. قَـالَ: وَاَلْمُومِـنُ يَسْـرَقُ؟ قَـالَ: يَسْرَقُ. قَالَ اَيْضًا: اَلْمُومِنُ يَكْذِبُ؟ قَالَ لَهُ: اَلْمُومِنُ مَا يَكْذِب.

قُلْتُ لَهُ: اَلْمُومِنُ الَّذِي مَا يَكْذِبُ فَلاَ يَسْرِقُ وَلاَ يَزْنِي ؛ وَكَيْفَ تَقُولُ ذَلِكَ وَعِنْدَنَا اَنَّ مَنْ سَرَقَ مَا يُسَاوِي رُبْع (٢٦أ) دِينَارٍ تُقْطَعُ يَدَهُ شَرْعًا؛ وَإِذَا زَنَا اَلْمُحْصِنُ يُرْجَم اِلَى اَنْ يَمُوتَ!

ثُمَّ زَادَ فِي مِدْحِ دِينِهِ اِلَى اَنْ قَالَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَم - كَانَ اِبْنُ اَللَّهِ وَاِبْنُ اِنْسَانٍ؛ وَاَنَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ اَلذِّنْبَ اَلاَوَّلُ عَنْ سَيِّدْنَا آدَمْ - عَلَيْهِ السَّلاَم.

قُلْتُ: اَقُولُ لَكَ فِي الْجَوَابِ شِعْرًا نَسَبَهُ بَعْضٌ لِلْقَاضِي عِيَاض وَهُوَ هَذَا:

عجبًا لِلنصَارَى فِي نَبِيِّهِمُ ... وَاِلَى أَيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
أَسْلَمُوهُ اِلَى اَلْيَهُودَ وَقَالُوا ... اَنَّهُم بَعْدَ صَلْبِهِ قَتَلُوهُ
فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا ... فَاسْئَلُوهُمْ أَيْنَ كَانَ اَبُوهُ
فَإِنْ كَانَ رَاضِيًا لاذَاهُم ... فَاشْكُرُوهُمْ لأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ
وَإِنْ كَانَ سَاخِطًا لأَذَاهُمْ ... فَاعْبُدُوهُم لأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

فَبُهِتَ التَّاجِرِ وَلَمْ يَعْرِفْ مَا يَقُولَهُ!

وَكَانَ قَدْ ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ عُلَمَاءِ اِلنِّصَارَى فِي مَدِينَةِ مرَّاكُش؛ وَكَانَ رَاهِبًا ثُمَّ اَسْلَمَ وَسُمِّيَ بِرَمَضَان؛ ثُمَّ مَشَى اِلَى بِلاَد اِلسُّودَان وَمَاتَ بِهَا وَاللَّهُ اَعْلَمْ. وَقَالَ لِي إِنَّ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اَمَر بِإِحْضَارِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ بَعْدَ اَنْ عَلِمَ اَنَّهُ مِنْ عُلَمَاءِ اِلنِّصَارَى وَقَالَ لَهُ (٢٦ب): مَاذَا تَقُولُونَ فِي سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ اِلسَّلاَم؟

قَالَ اَنَّهُ اَحَدُ الثَّلاَثَة فِي اِلاُلُوهِيَةِ اَوْ كَمَا قَالَ وَاَنَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ اَلْعَالَم مِنْ الذَّنْبِ الاَوَّلِ الَّذِي عَمَلَهُ اَبُونَا آدَمُ.

قَالَ لَهُ اَلسُّلْطَانُ: اَنَا اَضْرِبُ لَكَ مَثَـلاً حَتَّـى تَـرَى اَلْغَلَـطَ اَلَّـذِي اَنْتُـمْ عَلَيْهِ فَقَدِّرْ اَنِّنِي اَمَرْتُ اَنَّ مَنْ يَدْخُـلِ فِـي هَـذَا اَلْبُسْـتَانِ اَلَّـذِي بِدَارِنَـا اَلسَّـعِيدَة نَقْتُلُـهُ؛ وَاتَّفَـقَ اَنَّ وَاحِـدًا مِمَّنْ عَلِـمَ بِـالْمَنْعِ دَخَـلَ اَلْبُسْـتَانِ وَعَصَانِي؛ فَلَمَّا صَـحَّ ذَلِـكَ عِنْـدِي اَمَـرْتُ اَلْخَـدَّام أَنْ يَـأْتُونِي بِـاَبْنِي فَلَمَّا اَحْضَرُوهُ قُلْتُ لَهُمْ اَقْتُلُوه لأَجْلِ دُخُـولِ فَـلاَنْ فِـي اَلْجِنَـان اَلَّـذِي نَهَيْتُ اَلنَّـاسَ عَـن اَلدُّخُـولِ فِيـهِ٠ قَـالَ لِـلرَّاهِبِ هَـذِهِ مَسْـئَلَتِكُمْ عَلَـى زَعْمِكُمْ اَنَّ عِيسَى هُوَ اِبْنُ اللَّـهِ وَقُتِـلَ؛ وَهَـلْ يَقُـولُ عَـاقِلٌ بِمِثْـلِ هَـذَا اَلْقَوْلِ؟ فَخَرَسَ اَلْرَّاهِب وَبُهِتَ وَلَمْ يَجِدْ مَا يُجَاوِّبُ بِهِ٠

قُلْتُ لِلرَّاهِبِ: هَذَا اَلْكَلاَمُ لَمْ يَبْقَ لَكُمْ مَا تُجَاوِبُونَ.

قَالَ لِي اَلرَّاهِبُ: بَقِيَ لِي جَوَابٌ؛

قُلْتُ لَه:ُ مَاذَا هُوَ؟

قَالَ: بَعْدَ اَن مَشَيْتُ اِلَى اَلدَّارِ اصَبْتُهُ؛ وَذَكَرَهُ لِي؛ وَكَانَ كَلاَمًـا لَيْـسَ فِيهِ مَا يُقَالُ وَلاَ مَا يُكْتَبُ (٢٧أ) فَمَا بَعْدَ اَلْحَقّ اِلاَ اَلضَّلاَلُ.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَـلاَمٌ فِـي مَدِينَـةِ رُوَان مَـعَ قَـاضِي اَلْقُضَـاة بَعْـدَ اَنْ زُرْتُهُ وَكَانَ يَعْرِفُ اَلِّلسَانُ اَلْعَجَمِي اَلاَنْدَلُسِي فَسَأَلَنِي عَن مَسْـئَلَةٍ فِـي دِينِنَـا لأَنَّــهُمْ كَـانُوا مُخْتَلِفُـون فِيهَـا؛ اَعْنِـي اَصْحَـابُ اَلبَّـابِّ؛ وَكَـانَ اَلْقَاضِي عَلَى مَذْهَبِهِ وَبَيْـنَ اَلنِّصَـارَى اَلَّذِيـنَ يَكْفُـرُونَ بِـهِ وَبِكُـلِّ مَـا يَقُولُ مَا عَدَا اَلتَّثْلِيثِ لأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِيهِ وَذَلِكَ اَنَّهُ قَـالَ لِـي: اِذَا مَـاتَ اَلْمَرْءُ هَلْ تَصِلُ اِلَيْهِ حَسَنَةٌ مِنْ عِنْدِ غَيْرِهِ؟

قُلْتُ لَه:ُ قَالَ نَبِيُنَا صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِذَا مَاتَ اَلْمَرْءُ اَنْقَطَعَ عَمَلَهُ اِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَـةٌ اَوْ عِلْـمٌ يَنْتَفِـعُ بِـهِ اِلنَّـاسُ اَوْ وَلَـدٌ صَـالِحٌ يَدْعُو لَهُ٠ فَفَرِحَ وَانْشَرَحَ لأَنَهُ مُوَافِقًـا لإِعْتِقَـادِهِمْ٠ وَالَّذِيـنَ يَكْفُـرُونَ

بالبّابٌ مِنَ اَلنِّصَارَى يقُولُون اَنّهُ لاَ يَصِلُ لِلْمَيِّت دُعَا وَلاَ صَدَقَــةٌ وَلاَ شَيْء مِنَ الدُّنْيَا بَعْدَ موتِهِ٠

ثُمّ قَالَ لِي اِلْقَاضِي: اَنْتُمْ التُرْكِيُون تَصنَعُونَ فعْلاً قَبِيحًا بِقَتْلِكُمْ جَمِيـعَ اَوْلاَدَ اَلسّلاَطِين اِلاّ وَاحِدًا اَوْ اِثْنَيْنِ.

قُلْتُ: ذَلِكَ:لِصَلاَحِ اِلْمُسلِمِين لأَنّ كُـلّ مَـنْ هُـوَ اِبْـنُ سُـلْطَان (٢٧ب) يُحِبُّ مَمْلَكَةَ اَبِيهِ؛ فَإذَا اَصَابَ اَلْهُـرُوب وَالْمَمْلَكَـةُ عَظِيمَـةٌ وَمُتَسِـعَةٌ، فَيَقُومُ مَعَهُ كَثِيرٌ وتَكُونُ بِسَبَبِ ذَلِكَ تَفْرِيقُ اَلْكَلِمَةُ وَتَكُـونُ الْفِتْنَـةُ وَقَـدْ يُشَاهِدُ فِي النِّحْلِ اَمْرٌ عَجِيبٌ وَهُـوَ اَنّهُ اِذَا اَفْرَخَ وَكَثُرَ فَتَخْرُجُ اَلنِّحَـلُ مِنَ اَلْجُبْحِ وَتَدْخُـلُ فِـي جُبْحِ آخَـرُ فَارِغًـا وَعِنْدَهُـمْ فِيمَـا بَيْـنَ اَلنِّحْـلِ سُلاَلَة سَلاَطِينِ مِنْهَا؛ وَهُمْ نَحْلٌ اَطْوَلُ جَرْمًا مِنْ سَائِرِ اِلنِّحَل وَتَـتْرُكُ اِلنِّحَلُ وَاحِدًا مِـنْ جِنْسِ اِلسّلاَطِينِ لِيَكُونَ سُلْطَانَهَا وَتَقْتُـلُ جَمِيـعَ مَـنْ هُوَ مِنْ ذَلِكَ الْجِنْسِ٠ وَهَذَا مُشَاهَدٌ يَعْلَمُ ذَلِكَ كُلٌ مَـنْ يُخَـالِطَ اَلنِّحْـل؛ وَهَذَا اِلْهَامٌ رَبّانِي٠ فَفَرِحَ اَلْقَاضِي وَأَظْهَرَ لِي صُحْبَةً وَمَوَدّةً وَنَفَعَنِــي نَفْعًا جَيِّدًا فِي الأَحْكَامِ.

اَلْبَـــابُ اَلْخَـــامِـــسُ

فِي قُدُومِنَا إِلَى بْرِيش

هِيَ دَارُ سَلْطَنَةِ اِلْفَرَنْجِ وَبَيْنَهَا وَبَيْـنَ مَدِينَـةِ رُوَانْ نَحْـوَ اَلثَّلاَثَـةِ أَيَّامٍ؛ وَطُولُهَـا خَمْسَـةُ آلاَفٍ وَخَمْسُمِائَةِ خَطْـوَةٍ؛ وَعَرْضُهَـا اَرْبَعَـتُ آلاَفٍ وَخُمْسُمِائَةِ خَطْوَةٍ؛ وَبُيُوتهَا عَالِيَةٌ اَكْثَرُهَـا مِـنَ اَرْبَـعِ طَبَقَـاتٍ وَاَكْثَرُ وَأَقَلْ (٢٨ أ) وَكُلُّهَا عَامِرَةٌ بِالنَّـاسِ؛ وَدِيـار اَلأَكَـابِرُ مبْنِيَـةٌ بِـالْحَجَرِ اِلْمَنْجُورِ اِلاَّ اَنَّهُ بِطُولِ الزَّمَنِ يَسْوَدُّ لَـوْنَ اَلْحَجَـرِ . تَقُولُ اَلنَّصَـارَى اَنَّ اَعْظَم مُدُن اَلدُّنْيَا اَلْقُسْطَنْطِينِيَة ثُمَّ هَـذِهِ مَدِينَـةُ بْرِيْـش ثُـمَّ مَدِينَـةِ اِشْبُونَةْ بِبِلاَدِ اِلأَنْدَلُس. وَكَانَ مِنْ حَقِّهِـم اَنْ يَذْكُـرُوا مِصْـرَ اِلاَّ اَنَّهُـمْ يَقُولُونَ لَهَا اَلْقَاهِرَةَ اَلْكَبِـيرَةَ؛ وَاِذَا جَمَعْنَـا مَـعَ مِصْـرَ مَصْـرْ الْعَتِيـق وَبُولاَق وَقَايِةْ بَايٍّ لَـمْ نَـدْرِ مَـن هِـيَ اَعْظَـمُ بَرِيـش اَوْ مِصْـرَ بِمَـا ذَكَرْنَا .

وَقَدْ رَفَعْنَا امْرنَا الَّذِي جِئْنَا بِسَبَبِهِ اِلَى تِلْكَ اَلْبِـلاَدِ اِلَـى اِلدِّيـوَان اَلسلْطَانِي وَأَعْطَوْا كُتُب اَلسُّلْطَان لِلْقُضَـاةِ الَّذِيـنَ ذَكَرْنَـا لَهُـمْ وَاَيْضَـا لِقَاضِي اِلاَنْدَلُس؛ وَذَلِكَ أَنَّ فِي دِيوَانِهِمْ وَجَّهُوا قَاضِيًا نَصْرَانِي مِنْهُـمْ اِلَيْهِم وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ وَيَاخُذْ خُمُس اَلْمَالُ لِلاَغْنِيَاء مِنَ الْوَارِدِيـنَ عَلَـى بِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ وَيَقِيمُ بِذَلِكَ فُقَرَاؤُهُمْ.

وَلَمَّا صَـحَّ عِنْـدَ سُلْطَانِ اِسْـطَنْبُول بِخُـرُوجِ اِلاَنْدَلُـس اِلَّذِيـنَ يُسَمُّونَهُمْ بِبِـلاَدِ اِلتُّرْكِ بِمُدَجِّلِيـنَ كَتَـبَ كِتَابَـهُ اَلسَّنِي اِلَـى سُـلْطَانِ فَرَانْجَـةَ بِالْوَصِيَـةِ عَلَيْهِـمْ وَنَفَـعَ ذَلِـكَ اَلْكِتَـابُ اَلاَنْدَلُسْ (٢٨ب) نَفْعًـا

عَظيمًا؛ تَقَبّلَ اَللّهُ مِنْهُ وَجعَلَهُ فِي اَعْلاَ عِلِّيين بِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا مُحَمّد سَيّدُ الاوّلِينَ وَاَلآخِرِينَ.

وَلَمّا اَعْطَوْنِي كُتُب اَلسّلْطَان قُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ كَانَ يَعْتَقِدُنِي مِنْهُمْ اَنْ يُتَرْجِمْ لِي اَلْكُتُب. وَبَعْدَ اَلْكَلاَم اَلّذِي مِنْ عَادَتِهِمْ يُصَدّرُونَهُ؛ قَالُوا لِلْقَضَاة نَامُرُكم اَنْ تَقِفُوا مَعَ حَامِلِ هَذَا؛ اَلّذِي يَتَكَلّمْ عَلَى اَلأَنْدَلُس لأَنّ اَلسّيّد اَلْكَبِيرُ كَتَبَ لَنَا فِي شَأْنِهِمْ. وَهَذَا اَلاسْمُ لاَ يُسَمّونَ بِهِ أَحَدًا مِنْ مُلُوكِ اَلدّنْيَا وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ اَلاسْلاَمِ؛ اِذْ هُوَ اَعْظَمُ سَلاَطِينِهَا.

وَاَلْتَقَيْتُ فِي تِلْكَ اَلْمَدِينَةِ بِرَجُلٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَانَ يَقْرأُ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَبعْضَ اَلنّصَارَى يَقْرَءُونَ عَلَيْهِ. وَكَانَ يُسَمّى بِأُبِرْتْ. وَقَالَ لِي اَنَا اَخْدِمُكَ فِيمَا تَحْتَاجنِي لأُكَلّمُ لَكَ مِنْ كُبَرَاءِ اَلنّاسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ؛ وَمَا نُحِبُّ مِنْكَ اِلاّ نَقْرَا عَلَيْكَ فِي اَلْكُتُبِ اَلّتِي عِنْدِي بِالْعَرَبِيَة وَتُبَيّنْ لِي فِيهَا شَيْئًا مِمّا فِيهَا. قُلْتُ لَهُ آتِنِي بِهَا؛ وَمِن جُمْلَةِ اَلْكُتُبِ جَاءَ بِالْكِتَابِ اَلْعَزِيز.

فَسَأَلْتَه: اَيْنَ اِتَصَلْتَ بِهَذَا اَلْقُرْءَان؟

قَالَ: كُنْتُ بِمَدِينَةِ مَرّاكُشْ وَهُنَالِكَ تَعَلّمْتُ نَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ وَكَانَ جُلُوسِي هُنَالِكَ عَلَى اَمْرِ سُلْطَانِ (٢٩أ) فَرَنْجَةْ لِنُعَلّمَهُ بِحُرُوفِ اَلرّمْزِ كُلّمَا نَعْلِمُ اَنّهُ يَقَعُ لِسُلْطَانِ مُرّاكُشْ فِي دِيوَانِهِ وَحَرَكَاتِهِ.

فَتَغيّرْتُ حِينَ رَأَيْتُ كِتَابَ اَللّهِ تَعَالَى بِيَدِ كَافِرٍ نَجِسٍ؛ ثُمّ سَاقَ قَانُون اِبْنُ سِينَا فِي الطّبِ وَكِتَاب اَقْلِيدِسْ فِي اَلْهَنْدَسَةِ وَكُتُبًا فِي النّحْوِ مِثْلُ الأَجْرُومِيَة وَاَلْكَافِيَةِ وَكِتَاب بِالْعَرَبِيَةِ فِيهِ مُنَاظَرَات بَيْنَ

مُسلِمٍ ونَصرَانِي فِي الاَدْيَانِ وَغيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْكُتُبِ ٠ وكُنَّا نَبتَدِيء بِالْكَلاَمِ فِي اِلْعِلْمِ ثُمَّ تَقَعُ اَلْمُنَازَعَة بَيْنَنَا عَلَى الاَدْيَان٠

وَقَرأتُ يَوْمًا فِي الْقُرءَانِ اَلَّذِي كَانَ لَهُ وَوَجَدتُ بِالْفَرَنْج مَكْتُوبًا بِطُرَّةِ اِلْكِتَابِ مِنْ هُنَا اَخذَ اَلْمُسْلِمُونَ اِبَاحَةَ اَللِّوَاط!

قُلْتُ لَه: مَنْ قَالَ لَكَ أَنَّهُ مُبَاحٌ عِنْدَنَا؟

قَالَ: ظَاهِرٌ مِنْ هَذِهِ اِلآيَةِ ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا أَنَّ اللِّوَاطَ اَشَدُّ ذَنْبًا مِنَ اَلزِّنَا لأَنَّهُ اِذَا زَنَا مُحْصِنٌ يُرْجَمُ اِلَى اَنْ يَمُوتَ وَاِذَا كَانَ غَيْر مُحْصِنٍ يُجْلَدُ مَائَة جَلْدَةٍ وَيُغَرَّبُ عَنْ بَلَدِهِ وَيُسْجَنُ فِيهِ عَامًا؛ وَاذَا فَعَلَ فِعْلَ قَوْمِ لُوطٍ كَانَ مُحْصِنًا اَوْ غَيْرَ مُحْصِنٍ (٢٩ب) يَمُوتُ مَرْجُومًا شَرْعًا٠ وكَيْفَ تُفَسِّرُ أَنْتَ فِي الْقُرآنِ وَالْمُفَسِّرُونَ لَهُ يَحْتَاجُونَ عُلُومًا شَتَّى وَاَنْتَ لاَ تَعْلَمُ لُغَتَ اَلْعَرَبِيَة وَلاَ اَلنَّحْوَ فَضْلاً عَنْ غَيْرَ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: اَمْحِ اِلَّذِي كَتَبْتَ! وَاَبَى أَنْ يَمْحُو مَا فِي الطُرَّةِ.

وكَانَ هُوَ ذَكَرَ لِي اَنَّ فِي كَنِيسَةٍ كَذَا فِيهَا كُتُب بِالْعَرَبِيَةِ؛ قُلْتُ لَهُ اُحِبُ أُطَالِعُهَا؛ وَمَشَيْنَا فَوَجَدْنَا قُبَّةً كَبِيرَةً وَالْكُتُب صُفُوفًا عَلَى اَلْوَاحٍ وكَرَاسِي؛ وَكُلِّ كِتَاب فِي اَسْفَلِهِ حَلَقَتَيْن حَدِيدٍ وَسِلْسِلَةٍ حَدِيدٍ تَجُوزُ عَلَى جَمِيعِ اِلْكُتُبِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِئَلاَ تَذْهَب وَتَسْرَق؛ وَكَانَتْ فِي كُلِّ لُغَةٍ. فَفَتَشْنَا حَتَّى وَجَدْنَا كِتَابًا عَرَبِيًا وَفَتَحْنَاهُ لِنَقْرَا فِيهِ وَالْمَوْضِعُ اَلَّذِي وَجَدْتُ كَانَ تَفْسِيرُ اَلآيَةِ اَلِّتِي ذَكَرْتُ اَنهُ كَتَبَ فِي اِلطُرَّةِ عَلَيْهَا وَهِيَ نِسَاؤكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ وَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مِنِّي لِلآيَةِ اِلاَّ هِدَايَة مِن اَللّهِ سُبْحَانَه وَبُرْهَانٌ لِمَا قُلْتُ لِلنصْرَانِي٠ وَمِنْ جُمْلَتِ مَا ذَكَرَ فِي تَفْسِيرِ اِلآيَةِ أَبْيَاتِ شِعْرٍ؛ فَاخَذْتُ اَلْقَلَمَ وكَتَبْتَهَا وَالنَّصْرَانِي حَاضِرٌ؛ وَهَذَا

اَلَّذِي كَتَبْتُ مِنَ اَلْكِتَابِ (٣٠أ) وَنَظَرْت أَوَّلَهُ لِنَذْكُر مُؤَلِّفَهُ وَخَصَّتْ وَرَقٌ فِي أَوَّلِهِ؛ وَهَذَا هُوَ اَلشِّعْرُ وَلاَكِنْ اَصْلاَحَ فِيهِ اَلشَّيْخُ اَلْعَلاَمَةُ اَلاَجْهُورِي عِنْدَ قِرَاءَتِي الْكِتَابِ عَلَيْهِ:

حَبَّذَا مَن وُهِبَ اَلنِّسَاء اَلصَّالِحَاتْ
هُنَّ لِلْنَسْلِ وَهُنَّ لِلْدِينِ ثَبَاتْ
يَهَبُ اَللَّهُ لِمَن يَّشَاءُ النِّسَا اَلخَيِّرَاتْ
اِنَّمَا اَلاَرْحَامُ لَنَا مُحْتَرَثَاتْ
فَعَلَيْنَا بِالزَّرْعِ فِيهَا وَعَلَى اللَّهِ اِلنَبَاتْ

وَلَمْ يَسَعْنِي اِلْحَالُ اَن نُتِمَّ اَلْقِرَاءَ عَلَى مَعْنَى مَا بَقِيَ؛ وَقَالَ: اَلَّنِصْرَانِي مَا هَذَا اَلَّذِي كَتَبْتَ؟

قُلْتُ: شَيْءٌ مِن تَفْسِيرِ اِلآيَةِ اِلَّتِي كَتَبْتَ اَنْتَ عَلَيْهَا فِي الطُرَّةِ بِإِبَاحَةِ اَلنِّكَاحِ فِي الدُبُرِ؛ وَقُلْتُ لَهُ مَعْنَى اَلشِعْرِ بِالاعْجَمِيَةِ۰

قُلْتُ لَه:' قَوْلُ اَللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: مَعْنَى اَلشِّعْرِ اِنَّ اَلاَرْحَامَ مَوْضِعِ اَلْحَرْثِ وَعَلَى اَللَّهِ اِلنِّبَات۰

قُلْتُ لَه:' هَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ أَنَّ اَحَدًا يَحْرَثُ فِي حَجَرٍ؟

قَال:َ لاَ!

قُلْتُ: لَمْ يَحْرَثْ اَحَدٌ اِلاَّ فِي مَوْضِعِ اِلنِّبَاتِ اَوِ اِلزَّرْعِ وَالنِسَاء هُنَّ حَرْثٌ اَلْرِجَالِ (٣٠ب) فِي مَحَلِّ اِلنِّبَاتِ كَانَتْ بِوَجْهِهَا اِلَيْهِ اَوْ بِظَهْرِهَا وَحِينَئِذٍ اَخَذَ اَلْقَلَمْ وَمَحَا مَا كَانَ كَتَبَهُ فِي مَعْنَى اَلآيَةِ۰

وَقَالَ اَلشَّيْخُ اَلاَجْهُورِي عَنْ سَيِّدِنَا مَالِك اَنَّ بَعْضًا نَسَبَ اِلَيْـهِ اَنَّـهُ قَالَ بِجَوَازِ اَلنِّكَاحِ فِي اِلدُبُر فَقَالَ لَهُمْ أَمَ اَنتُـمْ قَـوْمٌ عُـرُبٌ هَـلْ يَكُـونُ اَلْحَرْثُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ اِلزَّرْعِ٠

وَأَمَّـا هَـذَا اَلْفِعْـلُ اَلْقَبِيـحُ فَقَدْ اشْـتَهَرَ عِنـدَ اَلْمُسْلِمِينَ حَتَّـى تَوهَّـمَ اَلنَّصْرَانِي اَنَّ ذَلِكَ مُبَاحٌ فِي دِينِنَا وَذَلِكَ لِشُهْرَتِهِ وَلِعَدَمِ اِلْعُقُوبَةِ عَلَيْـهِ حَتَّى اَنَّهُ ذُكِرَ اَنَّ بَعْضًا يَكُونُ عِنْدَهُ اَوْلاَدٌ مَحْجُبُـونَ لِلْفِعْـلِ بِهِـمْ وَلَـمْ يَتَذَكَّرُوا اَنَّهُ مَمْنُوعٌ فِي دِينِ اِلاَسْلاَمِ؛ وَاَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا عَلَى ذَلِكَ اَلْفِعْل حَتَّى خَسَفَ بِأَرْبَعَـةِ بُلْدَان بِجَمِيـعِ مَـنْ كَانَ فِيهَا٠ وَهَذَا اِلَّذِي يَتْرُكُ مَا اَحَلَّ اللَّهُ لَهُ مِنَ اَلنِسَاء وَفِي جِمَاعِهِنَّ تَفْرِيحٌ لَهُنَّ اَلَّذِي يَحْصَلُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ اَجْرٌ وَحَسَنَةٌ٠

وَيَظْهَرُ أَنَّ مَن يُجَامِعِ اَلذُكْرَانَ يَحْصَلَ لَهُ ذَنْبٌ مِنَ اَرْبَعَـةِ وُجُـوه اَلاَوَّل تَضْيِيعُ حَقِّ النِّسَا اللاَتِي تَحْتَ حُكْمِـهُ؛ وَمَعْصِيَـةِ اِللَّـهِ اِلَّذِي حَرَّمَ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَاِفْسَادِ (١٣١) اَلْذَكَر اَلَّذِي فَعَل؛ لأَنَهُ يَتْرُكَهُ نَاقِصـاً عَنْ دَرَجَةِ اِلذُّكُورِ لِلْشَـجَاعَةِ وَغَـيْرُ ذَلِـكَ مِـنْ قُـوَّةِ الرِّجَـالِ؛ وَأَيْضـاً وَضْعُ مِنِيّه فِي مَحَـلِ لاَ يُرْجَى مِنْـهُ نَسْـلِ؛ وَمَـنْ يَرْضَـى لِنَفْسِـهِ مِنَ اَلْمَفْعُولِينَ بِذَلِكَ؛ لَمْ يَتَوَقَّفْ عَنْ ذَنْبِ مِنْ أَنْوَاعِ اِلذِنُوبِ؛ وَلِلنَـاكِحِ فِي اَلْحَلاَل حَسَنَةٌ عَلَـى اَلْفِعْـلِ وَحَسَـنَةٌ عَلَـى تَفْرِيـحِ مَـنْ هِـيَ تَحْـتَ حُكْمِهِ مُنْتَظِرَةٌ مَنِيَّـهِ، وَحَسَنَةٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قَصْدِهِ: أَنْ يَرْزُقَهُ اَللَّهُ مَنْ يَذْكُرُهُ وَيَعْبُدُهُ٠

وَالَّذِي رَأَيْتُهُ فِي مُنَاظَرَةِ النَّصَارَى اَنِّي اذَا قَوِّيْتُ نَفْسِي فِي الـرَّدِ عَلَيْهِمْ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ اِجْلاَلٌ وَتَعْظِيمٌ وَنَعْظُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ بِذِكْرِ تَوْحِيدِ اِللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِ فَضْلِ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ –

وَبُطْلاَنِ تَثْلِيثِهِمْ. وَقَدْ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة﴾. وَمَهْمى قَصَّرْتُ مِنْ اَلْخَوْفِ اَوالْجَزَعِ فكَانَ يَنزِلُ عَلَيّ اَلذُلّ عِنْدَهُمْ ؛ وَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ وَتَحَقَقْتُ وَفَهِمتُ اِنَّ اَللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ مِنّي أَن نُجَاهِد مَعَهُمْ بِقُوّةٍ. فَكُنْتُ أَقُولُ لَهُمْ مَا لاَ سَمِعُوهُ مِنْ مُسْلِمٍ قَطّ؛ وَيَنْصُرَنِي اَللَّه عَلَيْهِمْ وَيَقُولُونَ لِي: اِنْ اَحتَجْتَ مِنَّا شَيْئاً نَقْضِيهِ لَكَ؛ حَتَّى اَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ لِي عِنْدَ مِدْحِ رَسُولِ اَللَّه - صَلَّى اَللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّم -: وَهَذَاكْ اَلْسَيِّد مُحَمَّد نَبِيكُمْ عَمِلَ كَذَا اَوْ قَالَ كَذَا وَأُجَاوِبَهُمْ (٣١ب) بِمَا يُلْهِمَنِي اَللَّهُ الْمُعِين الْعَلِيم الْحَكِيم.

وَقَدْ ذَكَرْتُ يَوْمَاً لأُبرْت اَلَّذِي كَانَ يَقْرَأُ بِالْعَرَبِيَةِ أَنْ يَرِيَنِي اَلْمَوْضِع الَّذِي فِيهِ الْحِيَالُ حَيْثُ يَجْذَبُونَ بِهِ اَلْمَاءْ مِنْ تَحْتِ الاَرْضِ المُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِيُنْبَهْ؛ قَالَ: هُوَ فِي دَارِ المُتَرَهِبِينَ .

وَمَشَيْنَا وَبَلَغْنَا اِلَى اَلْبَابِ؛ وَكَانَ مَغْلُوقَاً؛ وَيَدُ مِنْ عُودٍ مُعَلَّقْ مِنْ حَبْلٍ؛ فَجَذَبَهُ وَحَرَّكَ الْحَبَلُ دَاخِلاً نَاقُوصاً صَغِيراً فَسَمِعَ ضَرْبَهُ اَلْمُوكَلُ بِالْبَابِ؛ وَجَاءَ رَاهِبٌ اِلَى اَلْبَابِ وَتَكَلَّمَ مِنْ طَاقَةٍ صَغِيرَةٍ فِي دُفَّةِ الْبَابِ بَعْدَ أَنْ أَزَاحَ مِنْهَا لُوحاً صَغِيراً؛ وَطَلَبَ مِنْهُ أُبِرْتُ اَلدُخُول. وَلَمَّا دَخَلْنَا رَأَيْنَا اَلْحِيَالَ وَالْمُتَرَهِبِين يَجْذَبُونَ اَلْمَاء بِهِ.

وَرَأَيْتُ اَلرُهْبَانِ بِاللِّحَا غَيْرَ مَقْصُوصَةٍ مَا لَيْسَ مِنْ عَادَةِ اَلْمُتَرَهِبِينَ. قُلْتُ لأُبِرْتَ: هَذَا اَلرُهْبَان عِنْدَهُمْ أَوْلاَدُ؟

قَالَ - وَهُوَ مُتَعَجِّب - : كَيْفَ تَسْئَلْ عَنْ أَوْلاَدِهِم؟ أَمَّا عَلِمْتَ أَنَّ الرُهْبَان لاَ يَتَزَوَّجُونَ!

قُلْتُ: رَأَيْتُهُمْ بِلِحَا طُوَال فَاستَدَلَّيْتُ أَنَّهُ يَكُونُ لَهُمْ أَوْلاَدٌ؛ وَأَنَا عَارِفٌ بِأَمْرِهِمْ.

قَالَ لِي: الْدَرَاوِش عَلَى أَنْوَاعٍ.
وَسَأَلَهُ اَلْرّاهِبُ عَنِّي؛ قَالَ لَهُ: مُسْلِمٌ مَنْ مَرّاكُشْ؛
فَتَعَجَب وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ أَخِي فَلاَنَاً شَقِيقِي كَانَ بِإِصْطَنْبُول وَدَخَلَ فِي دِينِ (٣٢أ) اَلتُرْكِيِينَ، وَنَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنْ أَمْشِي اِلَى تِلْكَ اَلْبِلاَدِ نَلْتَقِي بِأَخِي.
قَالَ لَهُ ابِرْتُ: مَاذَا تُرِيدُ بِبِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ؟
قُلْتُ لِلرّاهِب: هَلْ هُوَ أَفْضَلُ عِنْدَ اَللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَكُمْ تَرْكُ اَلزّوَاجِ؟
قَالَ اَلرّاهِبُ: كَثِيرٌ يَتَزَوّجُونَ!
قُلْتُ لَهُ: قَدِّرْ اِنّ اَلسُلْطَان نَادَى رَجُلَيْنِ وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمَا فَالْوَاحِدُ قَبَلَ نِعْمَتَ اَلسُلْطَان وَشَكَرَهُ عَلَيْهَا شُكْرَاً دَايِماً وَالثّانِي لَمْ يَقْبلَهَا وَذَلِكَ اِنّ اَللّه عَزّ وَجَلّ زَيّنَ هَذَا اَلْعَالَم مِنْ أَجْلِ بَنِي آدَم فَالّذِي يَعْمِلَ قَدْرَ جُهْدِهِ لِيَكُونَ لَهُ أَوْلاَدٌ لِيَشْكُرُوا اَللّه تَعَالَى بَعْدَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فَهُوَ شَاكِرٌ وَالّذِي لَمْ يَقْصُدهُمْ وَلاَ يُرِيدُهُمْ فَلَيْسَ بِشَاكِرٍ.
قَالَ: كَثِيرٌ مَنْ يَتَزَوّجُ!
قُلْتُ: اَلزّوَاجُ سَبَبٌ فِي اَلأَوْلاَدِ لِعِمَارَةِ اِلْعَالَم وَعِبَادَةِ اِللّه وَالشُكْرُ عَلَيْهَا لأَنّ اَلانْسَانَ فَانٍ. ثُمّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ فِي دِينِكُمْ أَنّ يَوْمَ اَلْحِسَابُ اِذَا سُئِلَ اِنْسَانٌ عَنْ عَمَلٍ صَالِحٍ تَرَكَهُ وَلاَ عَمَلَهُ هَلْ يَنْجُوا بِقَولِهِ: أَنَا مَا عَمِلْتُهُ وَلاَكِن عَمَلَهُ غَيرِي؟
فَتَوَقَفَ اَلرّاهِبُ عَنِ اِلْجَوَاب؛ وَقَالَ لَنَا: اَدْخُلُوا مَعِي فَدَخَلْنَا بُسْتَانَاً.
وَبَيْنَمَا كُنّا سَائِرِينَ فِي الطّرِيقِ بَيْنَ الاَشْجَارِ رَأَيْتُ شَجَرَةً لَمْ تَثْمَر؛
قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا غَرَسْتُمْ (٣٢ ب) هَذِهِ اِلشّجَرَةَ ؟

قَالَ: لِتثْمر وتَعْمَلْ فَاكِهَةً.

قُلْتُ: وَإِذَا لَمْ تَعْمَلْ فَاكِهَةً مَا يُصْنَعُ بِهَا؟ فَتَبَسَّم وَعَلِمَ أَنَّ الْمِثَالَ كَانَ عَلَيْهِ.

ثُمَّ جُزْنَا إِلَى قُدَّام إِلَى بَيْنَ أَشْجَار غِلاَظٍ وَطِوَالٍ جِدا وَظَهَرَ لِي أَنَّ مِنْ مِثْلِهَا يَعْمَلُونَ صَوَارِي السُّفُنِ؛ وَلَمَّا كُنَّا فِي الْمَوْضِعِ بَيْنَ الأَشْجَارِ الْكِبَار وَلَمْ يَظْهَرْ أَحَدٌ قَالاَ لِي: تَعَجبْنَا مِنْكَ! تَحْفَظُ الأَلْسُنْ وَتَقْرَا الْكُتُب وَسِرْتَ فِي الْمُدُن وَأَقْطَارِ الدُّنْيَا وَمَعَ هَذَا تَكُونُ مُسْلِماً!

قُلْتُ لَهُمْ: الْعَجَبُ هُوَ مِنْكُمْ: تَقْرَءُونَ الْكُتُب وَالْعُلُومْ وَأَنتُمْ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْكُبْرَى وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ وَاحِدٌ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَبَعْدَهُ أَنَّهُ ثَالِثُ ثَلاَثْ؛ مَا لاَ يَقْبَل الْعَقْلُ أَبَداً؛ وَذَلِكَ نُقْصَانٌ فِي حَقِهِ تَعَالَى.

قَالَ أبرتُ: هَذَا التَّثْلِيثُ فِي الإِلَهِ لاَ يَعْرِفُهُ وَلاَ يَفْهَمُهُ إِلاَّ مَنْ قَرَا عِلْمَ الْمَنْطِقْ!

قُلْتُ: وَأَنْتَ قَرَأْتَهُ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ لَهُ: بَيِّنْ لِي كَيْفَ هُمْ ثَلاَثَةٌ وَوَاحِدٌ؟ لأَنَّ أَهْل دِينِنَا لاَ يَقْبَلُونَ إِلاَّ وَاحِداً وَلاَ عَبَدُوا إِلاَّ إِلَهاً وَاحِداً؛ وَفِي الْحِسَاب أَمَّا وَاحِدٌ أَوْ ثَلاَثَةٌ وَأَمَّا ثَلاَثَةٌ وَهُمْ وَاحِدٌ فَضِدَّانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ.

قَالَ الرَّاهِبُ: جَاءَنِي الْيَوْمُ الآخَرُ الْهَامّ وَبَيَانٌ مَقْبُولٌ وَبُرْهَانٌ رَبَّانِي (٣٣أ) يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - كَانَ اِبْنَ اللَّه حَقِيقَة وَكَانَ هُوَ أَيْضاً إِلاَهاً؛ وَكَتَبْتُهُ أتحِبُّ أَنْ آتِيَك بِهِ تَسْمِعهُ ؟

قَالَ لَهُ ابرْتُ: اِيْتِنِي بِهِ! فَمَشَى سَرِيعاً لِبَيْتِهِ وَأَتَى بِـهِ وقَرَاهُ بِـالْفَرَنْجِ وَعَجَبَهُمَا وقَالاَ: هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ!

قُلْتُ لَهُ: مَاذَا قَالَ فِي ورَقَتَهُ؟

قَالَ اَلرّاهِب: اَللّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى حِين خَلَقَ اَلدُّنْيَا أَمَرَ كُـلَّ شَـيْءٍ مِـنَ اَلْمَخْلُوقَاتِ فِي الدُّنْيَا اَنْ يَخْرج وَيُنْبتَ وَيَلِدَ عَلَى طَبْعِهِ ونَوْعِهِ وَمِثْلِـهِ ورَأَ اَللّه تَعَالَى أَنَّ ذَلِكَ صَـلاَحٌ. فَعَرَفْتُ أَنَّ هَذَا اَلْقَـوْلُ اَخَـذَهُ مِـنْ اَلْبَاب الاوَلِ مِنَ اَلتوْرَيةِ.

قَالَ لِي: مَاذَا تَقُولُ؟ أفَعَلْ ذَلِكَ صَلاَحٌ؟

قُلْتُ: نَعَمْ كُلَّمَا أَمَرَ اَللّهُ تَعَالَى بِهِ فَهُوَ صَلاَحٌ.

قَالَ: حِينَ رَأَ اَللّهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى اَنهُ صَلاَحٌ اِنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَخْرِجُ ويَلِدُ عَلَى طَبْعِهِ وَمِثْلِهِ؛ أَرادَ هُوَ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ مِثْلُهُ. قَالَ: مَاذَا تَقُولُ؟

قُلْتُ لَهُ: عَلَى هَذَا اَلْقِيَاس كَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى يَحتَاجُ اَنْ يَكُوْنَ لَـهُ وَلَـدٌ مِثْلُهُ وَاِبْنُهُ يَكُونَ لَهُ اِبنٌ آخَرُ فَتَكْثُرَ الاَلْـهَـات اِلَـى مَـا لاَ نِهَايَـةَ لَهَـا.

قُلْتُ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ ؟

فَبَهِتَ وبَقِيَ بِورَقَتِـهِ مُبَطَّلَـةً غَيْرَ مَقْبولَـةٌ وَكَذْبُـهُ ظَـاهِرٌ. قَـالَ اَللّـهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٣٣ ب) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، وَذَهَبْنَا عَنْ اَلْرَاهِبِ.

الباب السادس

في قدومنا إلى قاضي الأندلس بفرنجة بكتاب السلطان

وَلَمّا خرَجْنَا مِنْ بُرِيشْ إلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ إلَى قَاضِي الأَنْدَلُسْ قَالُوا لَنَا: هُوَ فِي اَلْبَلَدِ الَّذِي تَخْرُجُ إلَيْهِ الأَنْدَلُسْ - وَهُوَ الْبَلَدُ اَلأَوَّلْ مِنْ بِلاَدِ فَرَنْجَهْ اَلْقَرِيبِ لِلْحُدُودِ بَيْنَ فَرَنْجَهْ وَبِلاَدِ اَلأَنْدَلُسْ؛ وَيُسَمَّى بِشَانْ جِوَانْ دُلُزْ- فَمَشَيْنَا إلَيْهِ وَذَلِكَ عَامْ عِشْرِينَ وَأَلِف؛ وَكَانُوا فِيهِ آخِرُ مَنْ خَرَجَ مِنَ اَلأَنْدَلُسْ.

وَذَكَرَ لِي مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ رَجُلٌ أَنْدَلُسِي مِنْ بِلاَدِ الثَّغَر اَسْمُهُ قَلِشْ بِأَنّ كُتَّابَ اَلْدِيْوَان اَلسُّلْطَانِي بِمَذْرِيلْ قَالُوا: بَلَغَ نِهَايَةُ جَمِيعِ الاَنْدَلُسْ بِصِغَارِهِمْ لِثَمَان مِائَة اَلْفِ مَخْلُوقٍ وَأَكْثَرُهُمْ خَرَجُوا بِتُونُس. وَكَانَ عُثْمَان دَاي أَمِيراً فِيهَا؛ وَتَكَفَّلَ أُمُورَهُمْ بِالْسُكْنَى فِي اَلْمَدِينَةِ وَغَيْرِهَا فِي اَلْقُرَى وَأَحْسَنَ إلَيْهِمْ غَايَة الاحْسَان؛ أَحْسَنَ اَللّهُ إلَيْهِ؛ وَمَاتَ - رَحِمَهُ اَللّهُ - عَامْ تِسْعَةَ عَشَر وَاَلْف؛ وَكَذَلِكَ اَلْوَلِي الشَّهِير سَيِّدِي اَبُو الْغَيْث اَلْقَشَّاشْ كَانَ (٣٤أ) يُعْطِيهِمْ فِي كُلِّ يَوْم نَحْوَ أَلْف وَخَمْسُمِائَةِ قُرْصَةْ مِنْ الْخُبْزِ صَدَقَةً - جَزَاهُمَا اَللّهُ خَيْراً كَثِيراً.

وَلَمّا اَلْتَقَيْتُ بِالْقَاضِي؛ كَانَ يَشْكُرْ لِي دِينَهُ حَتَّى قَالَ لِي مِرَاراً: يَا فُلاَنْ رَأَيْتُ أَنَّهُ يَلِيقُ بِكَ أَنْ تَرْجعَ نَصْرَانِيّاً!

قُلْتُ لَهُ: عَلَى أَيّ مَذْهَبٍ مِنْ مَذَاهِبِ النَّصَارَى؟

قَالَ: لَيْسَ لَنَا إلاّ مَذْهَباً وَاحِداً.

قُلْتُ لَهُ: لَوْ كَانَ اَللَّهُ تَعَالَى يَحْيِي نَصْرَانِياً مِنْ زَمَن سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – ثُمَّ يَحْيِي نَصْرَانِيّاً مِنْ كُلِّ قِرْنٍ مِنْ اِلْقُرُون اَلْمَاضِيَةِ؛ وَجَمِيعَهَا سَتَةَ عَشَرَ قِرْنَاً؛ فَكُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَقُولُ لِغَيْرِهِ: أَنَّهُمْ كُفَّارٌ لِمَا يَرَى مِنْ اَلزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَان عِنْدَ غَيْرِهِ فِي الدِّينِ. وَالْعَقْلُ اَلسَالِمُ يَحْكُمُ بِحُكْمٍ قَطْعِي أَنَّ دِينَ اَللَّهِ تَعَالَى لاَ فِيهِ زِيَادَة وَلاَ نُقْصَان كَمَا هُوَ دِينَنَا.

قَالَ اَلْقَاضِي: دِينَنَا كَذَلِكَ!

قُلْتُ: دِينُكُم مَفْتُوحٌ لِلْزِيَادَة وَالنُّقْصَان لأَنَّ كُلَّ بَابٌ لَهُ أَمْرٌ عِنْدَكُمْ لِيَزِيدَ وَيَنْقُصُ مَا يَظْهَرَ لَهُ فِي الدِّينِ.

قَالَ: هَذَا سَيِّدِنَا عِيسَى – أَوْ كَمَا قَالَ – ذَكَرَهُ اَلأَوائِل مِنَ اَلأَنْبِيَاء حَتَّى قَالُوا: اَنَّهُ لاَ يَكُونُ قَبْرَ أَحَدٍ مِنَ اَلأَنْبِيَاء مَعْرُوفاً حَقِيقَةً إِلاًّ قَبْره.

قُلْتُ لَهُ: ذَلِكَ قَبْرُ نَبِيْنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لَيْسَ هُوَ كَمَا تَقُولُ اَلنَّصارَى اَنَّهُ فِي (٣٤ب) حَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ فِي اِلْهَوَى فِي وَسَطِ قُبَّةٍ مُبْنِيَةٍ بِحَجَر اِلْمُغْنَاطِيس اَلَّذِي مِنْ خَاصِيَتِهِ يَجْذِبُ اَلْحَدِيد اِلَيْهِ؛ لأَنَّه مَدْفُونٌ فِي الأَرْضِ فِي مَدِينَتِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم – بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ عَشْرَةَ أَيَامٍ.

قَالَ لِي: اَنْظُرْ هَذِهِ اِلْعَافِيَةِ اَلتِّي عِنْدَنَا فِي بِلاَدِنَا بِخِلاَفِ بِلاَدِكُمْ لأَنَّ اَلاَحْكَام تَدُلُ عَلَى صِحَةِ دِينَنَا.

قُلْتُ: لَيْسَ أَحْكَامِكُمْ وَشَرِيعَةِ دِينِكُمْ مَأخُوذَةٌ مِنَ الانْجِيلِ؛ اِنَّمَا شَرْعِكُمْ عَلَى مَذْهَبِ المَجُوس الَّذِينَ كَانُوا بِرُومَة؛ وَكُتُبُ شَرِيعَتِكُمْ مُتَرْجَمَةٌ مِن كُتُبِهِمْ مِثْلُ اَلْكِتَاب اَلْكَبِير اِلْمُسَمّى بِبَلْضِ وَغَيْرِه.

قَالَ: صَدَقْتَ!

وَجَلَسْنَا هُنَالِكَ زمَناً طَوِيلاً وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالأَنْدَلُسْ؛ وَأَحتَجْتُ اَلرُّجُوع اِلَى بَرِيش.

وَأَمَا مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي أَنّ فِي دِينِ اِلنّصَارَى اَلزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَان فِي كُلّ زَمَان؛ فَهَذَا بُرْهَانُ ذَلِكَ - كَمَا اشْتَرَطْتُ فِي أَوّل اِلْكِتَابِ -: اِلْبُرْهَان وَالنّصُوص مِمّا نَذْكُرُهُ؛ فَامّا مَا يَكُونُ مِنْ كُتُبِهِم فَمِن اَلْمَكْتُوبِينَ بِالْقَالِب؛ وَلاَ يُمْكن لأحَدٍ مِنَ اَلْمُعَلِّمِينَ أَصْحَابُ اَلْقَالَبِ أَنْ يَطْبعَ كِتَاباً اِلاّ بِالأَمْرِ مِنْ أَصْحَابِ اِلدِيوَانِ بَالاجَازَةِ (٣٥أ) اِلَى صَاحِبِ اِلتّالِيفِ.

قَال كُرتِشْ اَلْمُنَجِّم فِي كِتَابِهِ وَأَيضاً سَمُرَانُ اَلاشْبِيلِي- وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي مَدِينَةِ اِشْبِيلِيَهْ اِسْمَاً وَعَيْناً - وَأَيضاً جُبْشْ؛ ذَكَرَ كُلُّ وَاحِدٍ فِي كِتَابِهِ مَا زَادَهُ وَمَا نَقَصَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ البَابّسْ.

فَأَمّا البّابّ لِيُونْ : أَمَرَ بانّ اَلنِسَا يَدْخُلْنَ مُغَطِيَاتِ اَلرُءُوسِ فِي كنَايِسِهِم.

البّابّ اَلبِرْتُ أُنَانِي: أَمَرَ اَنّ كُلّ نِكَاحٍ يَكُونُ بِحَضْرَةِ قَسِيس وَاِنْ لَمْ يَكُنْ بِحَضْرَتِهِ فَهُوَ زِناً مَا لاَ كَانَ قَبْلُ.

اَلْبَابّ اِسكَنْدَر: أَمَرَ أَنّ اَلْقَسِيس لاَ يُصَلِّي اِلاّ صَلاَةً وَاحِدَةً فِي اِلْيوْم وَزَادَ فِي فَرَايِضِ اِلصّلاَةِ؛ وَأَمَرَ أَنّ اَلْخَمْرَ اَلّذِي يَشْرُبُ

اَلْقَسِيسُ فِي اِثْنَاءِ اِلصَّلَوة أَنْ يَزِيدَهُ لَهُ مَـاءً وَاَنْ يَجْعَلُوا مَـاءً مُبَارَكـاً عَلَى اَبْوَابِ اِلْكَنَائِسِ؛ اَنْتَهى كَلاَمَهُ.

وَأَقُولُ أَنَّ مِنْ فَرَائِضِ اِلصَّلاَةِ؛ اِلْقَسِيس اِلَّذِي يَؤُمُ اَلنِّصَارَى أَنَّـهُ يُوَحِّدُ رَغِيفاً رَقِيقـاً قَدْر كَـفِّ اَلانْسَـانِ فِـي اِلانْشِـرَاحِ مُسْتَدِرَةٌ فِيهَـا صُوْرَةُ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّـلاَم – وَاِذَا كَـانَ فِـي حَـالِ اِلصَّـلاَةِ اِلَّتِي هِي فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ مَرَّةً فِي كُلِّ يَوْم اَلاحَدِ وَبَعْضِ أَيَـامِ اِلْمَوَاسِمْ؛ وَبَعْدَ أَنْ يَقْرَا اَلانْجِيلَ مَا يِنَاسِبُ لِذَلِكَ اَلْيَـوم؛ لأَنَّ كُـلَّ يَـوْمِ لَهُ جُزْءٌ مَعْـرُوفٌ مِـنَ الانْجِيلِ لانَّهُـمْ (٣٥ب) قَسَمُوا الانْجِيـل كُلِّـهُ ثَلاَثْمِائَةْ وَخَمْسَ وَسِتِين جُزْءاً لِكُلِّ يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ جُزْءٌ وَبَعْدَ اَنْ يَقْرَا اَلاِمَامُ اَلْجُزْءَ لِذَلِكَ اَلْيَوْم – وَعِنْـدَ قِرَاعَتِـهِ مِـنَ اَلْكِتَّـابِ تَكُـونُ جَمِيـعُ اَلنَّـاسِ قَـاعِيمِينَ عَرْيَـانِين اَلـرُّعُوسِ – ثُـمَّ يَـاخَذُ اَلْقَسِـيسُ اَلْقُرْصَـةَ وَيِرْفَعهَا فَوْقَ رَاسِهِ لِيَرَاهَا اَلْمَامُومُونَ وَيَقُولُ كَلاَمَاً مَعْنَـاهُ: هَـذَا هُـوَ جَسَـدِي – وَهِـي كَلِمَـةٌ مَـأخُوذَةٌ مِــنَ اَلانْجِيـلِ؛ لأَنَّ فِيـهِ أَنَّ سَـيِّدُنَا عِيسَى– عَلَيهِ اِلسَّلاَمُ – قَالَ لِلْحَوَارِيينَ؛ وَهُوَ بِخُبْزٍ فِي يَدِهِ: هَذَا هُـوَ جَسَدِي. وَقَالَ لَهُمْ عَلَى اَلْخَمْرِ: هَذَا هُوَ دَمِي. وَاِذَا رَفَعَ اَلْخَمْـرَ فِـي كَأْسٍ فَوْقَ رَاسِهِ فَيَقُولُ: هَذَا هُوَ دَمِي؛ وَيَجْعَـل اَلْقُرْصَـةَ فِـي اِلْخَمْـرِ لِتَرْطُب قَلِيلاً ثُمَّ يَأكُلَهَا ثُمَّ يَشْرُبُ اِلْخَمْرَ كُلَّـهُ ثُـمَّ يَرْجِـعُ بِوَجْهِـهِ اِلَـى اَلنَّاسِ وَيَقُولُ لَهُمْ: اَنْصَرِفُوا فَقَد اُتِمَّت اِلصَّلاَةُ؛ وَلاَ يَتَوَّضَـا اَحَـدٌ وَلاَ يَغْتَسِـلُ اَبداً؛ بَـلْ هُـمْ مُتَنَجِسُون ظَـاهِراً وَبَاطِنـاً. اَمَّـا فِـي اِلْبَـاطِنِ فَبِاعْتِقَادِهِمْ اَلشِّرْك وَاَلْبَاطِل فِي اَلْجَانِبِ اَلاَعْلَـى وَفِـي اَجْسَـادِهِمْ وَمَـا يَلْبِسُونَهُ كَذَلِكَ. وَاِذَا كَـانَ لِلْمُصَلِّي كَلْبٌ اَوْ كِلاَبٌ فَيَسْـبِقُونَهُ لِلْكَنِيسَـةِ (٣٦أ) وَلاَ يَرُدُّهَا اَحَدٌ.

وَفِيهَا اَصنَامٌ مَصنُوعَةٌ مِنَ اَلْخَشَب وَالْحِيطَان بِالصُّوَر؛ وَلاَ يَدْفَنُونَ اَلْمَوتَى اِلاَّ فِي اِلْكَنَايِسْ. وَاِذَا كَانَ اَلامَامُ فِي اِثْنَاءِ اِلصَّلاَةِ فَيَضْرِبُونَ اَلاَت اَلزَّمْرِ المُسَمَّى بِأرْغنُس؛ يَشْتَمِلُ عَلَى خَمْسَ وَعِشْرِينَ زُمْرَة مِن نَحَاس اَوْ مَعْدَنْ غَيْرهُ؛ وَبَعْضاً مِنْهَا قَدْرَ اَلْخَشَب وَمُعَلِّمٌ يَضْرِبُهَا وَلَهَا حِسٌّ قَوِي وَلَذِيذٌ لِلسَّمْعِ؛ وَوَاحِدٌ يَصُوط كِيراً لِكِثْرَةِ رِيحِ لِلْمَزَامِر.

وَقَبْلَ أَن يُتِمَّ اَلصَّلاَة يَنْزِلُ اَلامَام مِنَ الْمِحْرَاب لأَنَّهُ مُرْتَفِعٌ بِدُرُوجٍ وَبِيَدِهِ طَرْف حَرِيرعَلَى طُولِ ذِرَاعٍ وَيَمْشِي بَيْنَ اَلرِّجَالِ وَيَمُدُّ لَهُمْ اَلشُّقَةَ يُقَبِّلُونَهَا وَصَبِيٌّ وَرَاءَهُ بِكَاسٍ يَقْبِضُ اَلدَّرَاهِمَ اَلَّتِي يَعْطُونَهُ؛ وَاِذَا فَرَغَ مِنَ الرِّجَالِ يَدْخُلُ بَيْنَ النِسَاء وَهُنَّ فِي غَايَةِ اِلزِينَةِ وَكُلْ وَاحِدَةٍ تَاخُذُ اَلشُّقَةَ مِنْ يَدِهِ وَتُقَبِّلُهَا، وَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ اَلامَامَ أَعْطَاهُمْ بِذَلِكَ اَلْعَافِيَةَ، ثُمَّ يَعُودُ اِلَى مِحْرَابِهِ وَيُتِمُّ اَلصَّلَوة كَمَا تَقَدَمَ.

وَأَمَّا اَلانْجِيل فَقَدَّرْتُ فِيهِ سِتَتٌ وَثَلاَثِينَ حِزْبَاً مِن أَحْزَابِ اِلقُرْءَانِ؛ وَقَدْ ذَكَرْتُ هَذَا كُلَّهُ كَمَا شَاهَدتُّهُ وَلِتَعلَمُوا مَا بَيْنَ هَذِهِ عِبَادَةِ اِلْكَافِرِينَ (٣٦ ب) وَعِبَادَةَ اَلْمُسلِمِينَ وَلِنَشْكُرُ اَللّه عَلَى مَا اَنْعَم بِهِ عَلَيْنَا بِاعْتِقَادِ اِلْحَقِّ وَطَهَارَةِ اِلْجَسَدِ وَالْمَلْبَس وَالْجَامِع اَلطَّاهِرِ اَلنَقِّي مِنَ اِلاَوثَانِ وَالاَدْرَان لأَنَّهَا مِن اَعْظَمِ اِلنِّعَم.

وَظَهَرَ لِي اِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اَلْجَنَّةَ وَمِنْ كَمَالِهَا خَلَقَ جَهَنَّم - نَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْهَا -؛ قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[1] وَذَلِكَ كَمُلُ لِقِيمَةِ اِلْجَنَّة عِنْدَ اَلْمُومِن لأَنَّ بِرُؤْيَةِ جَهَنَّمَ يَرَا مَا مَنَحَهُ اَللَّهُ وَمَا اَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ مِن نَعَايِمِ اِلْجَنَّة وَمِمَّا نَجَّاهُ وَيَزِيدُ فِي

---

[1] سورة مريم ٧١.

اِلشُّكْرِ عَلَيْهَا؛ وكَذَلِكَ عَلَى مَا نَجَّاهُ مِنَ اَلنَّارِ؛ وكَذَلِكَ مَنْ يَرَى اَلْكُفْرِ فَيَشْكُرَ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّاهُ مِنْهُ وَعَلَى هِدَايَتِهِ لِلاِيمَانِ وَعَلَى تَوْحِيدِهِ.

وَأَمَّا أَلبَّابُ اَلرُّومِي شِشْطُ: زَادَ فِي صَلاَتِهِمْ كَلِمَةً وَاحِدَةً تُقَالُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ.

اَلبَّابُ طَلَّشْ أُونَانِي: اَفْتَرَضَ اَلصِّيَّام مَا لاَ كَانَ قَبْل زَمَانِهِ؛ وَأَنَّ اَلْقَسِيسَ يُصَلِّي ثَلاَثَ صَلَوَاتٍ يَوْمَ مِيلاَدِ عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -؛ وَزَادَ مَا يُغَنَّا بِهِ فِيْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ.

وَبَّابًا أُخُر: أَمَرَ أَنَّ مَنْ كَانَ قَسِيسًا اَوْ رَاهِبًا يِقُصُّ لِحْيَتَهُ.

بَّابٌ اخُر: سَنَّ صِيَامًا غَيْرَ اَلْفَرْضِ.

وبَّابٌ آخُر امَرَ اَنَّ (٣٧أ) اَلْكَأسَ اَلَّذِي يَعْمِلُونَ فِيهِ اَلْخَمْرَ عِنْدَ الصَّلاَةِ لاَ يَكُونُ مِنْ زُجَاج كَمَا كَانَ قَبْل اِلاَ مِن فِضَةٍ.

وبَّابٌ آخَرُ: امَرَ أَنَّ اِذَا دُعِيْ عَلَى نَصْرَانِي فِي اِلاَحْكَامِ اِذَا كَانَ اَلدَّاعِي عَلَى غَيْرِ مِلَّةِ اِلنِّصَارَى اَنْ لاَ تُقْبَلُ دَعْوَتَهُ.

وبَّابٌ اخَرْ: اَمَرَ أَنْ لاَ يَصُومُ أحَدٌ فَرْضاً وَلاَ سُنَّةً يَوْمَ اَلاَحَدِ وَلاَ يَوْمَ اَلْخَمِيسِ ثُمَّ فُسِخَ الأَمْرُ.

وبَّابٌ أَخَرُ: أَمَرَ أَنَّ بَعْدَ قِرَاءةِ اِلاَنْجِيلِ فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ تُقْرَا عَقِيدَةُ اَلشِّرْكِ اِلَّتِي هِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ حِفْظُهَا. قَالَ سَمُرَانُ وَغَيْرُهُ مِنَ اَلْمُؤَلِّفِينَ: اِنَّ اَلذِي عَمِلَ اَلْعَقِيدَةَ كَانَ اَلطَّنَاشِي اَسْمُهُ؛ رَجُلٌ قَسِيسٌ بَعْدَ سَيِّدِنَا عِيسَى بِسِنِينَ كَثِيرَةً.

اَلبَّابُ مَرْكُ اَلرُّومِي: أَمَرَ لِلْقُضَاة فِي اِلاَحْكَامِ اَنَّ لاَ يَقْضُوا عَلَى قَسِيسٍ؛ اِنَمَا يَكُونَ لِلْقَسِيسِينَ قَاضِيًا مِنْهُمْ.

وبَّابٌ أخرُ: زَادَ فَي اِلصَّلاَةِ شَيْئَيْنِ ٠

وبَّابٌ آخرُ: امَرَ اِنَّ اَلْقَسيسَ اَلامَامَ يَعْطِى اَلصُّلْحَ بَيْنَ اَلنَّاسِ – وتَقدَّمَ ذِكْرُ اَلْفِعْلِ كَيْفَ كَانَ ٠

وَالْبَّابُ بِجلْيِّ اَلُّرومِي: امَرَ انْ تُسمَّى اَلصَّالِحَةُ مَرْيَمَ بِأُمِّ كَذَا وَالاَ تُسَمَّى اِلاَّ بِذَلِكَ اَلاِسْمِ؛ فَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ اِلَى الاَنَ عِنْدَ اَلنصَارَى وَالتَّابِعينَ لَهُ؛ لَعَنَهُم اللَّهُ (٣٧ب) وَخذَلَهُمْ؛ تَعَالَى اَللّه عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُواً كَبِيراً ٠ وكَانَ ذَلِكَ بِقُربِ نِصْفِ اِلْمِائَةِ اِلْخَامِسَةِ مِنْ مِيلاَدِ سَيِّدْنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمِ – وَلَمَّا اَشْتَهَرَ هَذَا الاَمْرُ اَلشَّنيع بِهَذَا اَلاسْمِ اِلَّذي لَمْ يَكُن قَبْل وَعُمِلَ بِهِ عِنْدَ اَلْقَوْمِ اِلْكَافِرِينَ؛ بَعَثَ اَللَّهُ تَعَالَى سَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِالْقُرءَانِ اَلْعَظِيمِ وَدِينَ اَلصِّرَاط اِلْمُسْتَقِيمِ وَكَذَّبَهُمْ فِيمَا قَالُوا وَافْتَرَوْ[ا][1] وَنَزَّلَ فِي قُلُوبِهِمْ اَلرُّعْب وَالْخَوف مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ – نَصرَهُمْ اَللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ – فَكَم بَلَدٍ اَخَذُوا مِنْ بِلاَدِهِمْ، وَهَذَا اَلْفُ سَنَةٍ بَعْدَ اَلنبي – صَلَّىَ اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلِّمَ – وَاَكْثَرَ مَعْمُور اَلدُّنْيَا لِلْمُسْلِمِينَ. نَسْئَلُ اَللَّهَ اَلْعَظِيم اَن يُقَوِّي اَلاِسْلاَم عَلَيْهِمْ حَتَّى يَاخُذُوا مَا بَقِيَ لَهُمْ وَاَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِيمَا هُوَ قَرِيبٌ بِفَضْلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ اِلشَّفِيعِ اِلْحَبِيبِ اِلَّذِي زُوِيَتْ لَهُ اَلْدُنْيَا وَرَأَى اَلْبَعِيدَ وَالْقَرِيْب اَنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ٠

وتَقَدَّمَ لَنَا اِنَّ وِلاَدَةَ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – كَانَتْ لاِحْدَى وَعِشْرِينَ سَنَةً وَسَتُّ مِائَةِ عَلَى حِسَابِ سَمُرانِ. وَنَظَرْتُ اَلْحِسَابَ اَلَّذِي اَمْكَنَنِي وَوَجَدْتُ وِلاَدَةَ (٣٨أ) اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي نَحْوَ اَلْخَمْسُ مِائَةِ وَثَمَانِينَ بِتَقْرِيب أَوْ اَقَلَّ وَذَلِكَ فِي اِلْقَرْنِ اِلَّذِي

---

[1] نسيَ الحجري إثباتَ ألف الجمع، وهي لازمة.

اَشْهَر بِرَجْلِيٌ اَللِّعِينُ وَسَمّى اَلصَّالِحَةَ مَرْيَم بِأُمٍّ كَذَا[١] وَلَيْسَ بَيْنَ مَا اَمَرَ بِهِ وَوِلاَدَةِ اِلنَّبِي- صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اِلاَّ نَحْوَ اَلاَرْبَعِينَ سَنَةً بِتَقْرِيبٍ.

وَاَعْلَمْ اَنّ تَسْمِيَةَ[٢] سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَم - بِاِبْنِ اِللَّه؛ لاَ يُفْهَمُ مِنْهُ فِي اِلاَنْجِيلِ اَنّهُ اِبْنُ اللَّهِ حَقِيقَةً؛ اِنَّمَا يُفْهَمُ اَنَّهُ نَبِيٌ مَقْبُولٌ عِنْدَ اَللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَرَأْتُ فِي اِلاَنْجِيل اَنّ وَاحِداً مِنَ اِلْحَوَارِيِينَ قَالَ لِسَيِّدَنَا عِيسَى: أَنْتَ اِبْنُ اللَّه حَقِيقَةً؟ قَالَ لَهُ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَنْتَ قُلْتَ؛ وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ[٣]. وَامَّا اِلاَنْجِيل اَلذِّي كَتَبْتُ مِنْهُ هَذِهِ اِلنُصُوص فَحَذَفُوا مِنْهُ ذَلِكَ.

وَتَقَدَّمَ أَنّ شَيْئاً مِنَ اِلاَنجِيلِ تَرْجَمْتُ مِن الرّقّ؛ وَقَالَ لِي اَلْقَسِيسُ: هَذِهِ اِلْكَلِمَةُ مُخْتَلِفَةٌ لِمَا عِنْدَنَا اَلْيَوم؛ وَهَذَا دَلِيلٌ اَنَّهُم يَزِيدُونَ وَيَنْقُصُونَ فِي اِنْجِيلِهِمْ وَكُتُبِ دِينِهِمْ. وَبُرْهَانَ مَا قُلْنَا أَنّ سَيِّدَنَا عِيسَى كَانَ اِبْنُ اَللَّهِ كَعِبَادِ اِللَّهِ الصَّالِحِينَ.

قَالَ فِي اِلْبَابِ الثَّامِنِ مِنَ اِلاَنْجِيلِ لِمَتِّى: قَالَ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمْ - لِلْحَوَارِيِينَ: " فَلْيَضِيءُ نُورَكُمْ قُدَّام اَلنَّاسِ (٣٨ب) لِيَرَوْا اَعْمَالَكُمْ اَلصَّالِحَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمْ اَلَّذِي فِي اِلسَّمَوَاتِ".

وَقَالَ فِي اِلْفَصْلِ اِلتَّاسِع: "أَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أَبْغَضَكُم وَصِلُوا مَن يَطْرُدُكُمْ وَيَغْتَصِبُكُمْ لِكَيْمَا تَكُونُوا اَبْنَاءِ أَبِيكُمْ اَلَّذِي فِي اِلسَّمَوَات".

---

[١] وضع الحجري خطاً فوق كلمة «كذا» وكتب في الحاشية: «ا لله» وجعل فوقها خطاً.

[٢] أضاف الحجري في الطرة: قال في الطوررية وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمّى ابن ا لله.

[٣] كتب الحجري في الحاشية: «ظ قال في التورية وايضا في الانجيل ان كل من كان صالحا يسمّى ابن ا لله تعالى».

وقَالَ أيْضاً: "كُونوا أنْتمْ مِثْلَ أبيكمْ السّمَاءِي فهُوَ كَامِلٌ".

وقَالَ فِي دُعَاء عِنْدَهُمْ ؛ كَالْفَاتِحَتِ عِنْدَنَا؛ وَهُوَ فِي الإنْجيلِ أنْ يَقُولُوا: "أبُونَا الّذِي فِي السّمَاء"، فهَذَا ظَاهِرٌ أنّهُ سَمّى الصّلحَاء بَلْ جَمِيع النّاس أبْنَاء اللّهِ تعَالَى؛ الّذينَ يَدْعُونَ بالدُّعَاء الّذِي قَالَ لَهُمْ أنْ يَدْعُوا بهِ وَهُوَ: أبُونَا الّذِي فِي السّمَاء؛ وَبَانَ مِنْ هَذَا أنّ سَيِّدَنَا عيسَى – عَلَيْهِ السّلاَمِ – كَانَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ يَعْتَقِدُونَ أنّهُ مَخْلُوقٌ نَبِيٌّ وَهُوَ بنفْسِهِ يَعْتَقِدُ أنّ مَنْ كَانَ صَالِحاً كَانَ ابْنُ اللّهِ.

وَهَذَا البّابُ المَلْعُون الّذِي أمَرَ أنّ الصّالِحَةَ مَرْيَم لاَ يَكُونُ اِسْمُهَا عِنْدَ النّصَارى إلاّ أمُ كذَا فهُوَ بخِلاَفِ مَا فِي الإنْجيل، وَلَمْ يَتَجَاسّرَ أحَدٌ قَبْلَهُ أنْ يَقُولُ مِثْلُ مَا قَالَ هُوَ.

وَبِهَذَا يَثْبُتُ مَا قُلْتُهُ لِلْقَاضِي عَلَى الزِيَادَةِ وَالنّقْصَان الّذِي فِي دِين (٣٩أ) النّصَارَى حِينَ دَعَانِي لَدِينِهِ مِمّا زَادَ البّابُ وَنَقَصَ؛ وَالْبَابُ مَفْتُوحٌ الآنَ لِذَلِكَ.

وقَالَ مَتّى فِي الإنْجيل: قَالَ عيسَى: أنْظُرُو الاَ يَضِلّكُمْ أحَدٌ لأنّ كَثِيرِينَ يَأتُونَ بِإسْمِي يَقُولُونَ أنَا هُوَ عيسَى وَيَضِلُّونَ وَيَخْدَعُونَ كَثْيراً. وَهَذَا القَوْلُ فِي الْفَصْلِ الرّابع وَالْعِشْرِينَ.

وَقَدْ طَالَعْتُ بِبِلاَدِ الْفَلَمِنْكُ وَفِي غَيْرِهَا كِتَاباً بِالنُصُوصِ مِنَ التّوْرَيةِ وَالْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ؛ وَدَلّتْ عَلَى أنّ البّابَا هُوَ الدّجَالُ المَذْكُورُ أنّهُ يَأتِي فِي الدّنْيَا؛ وَهَذَا لِمّا رَأوْ[ا] من قَبِيحِ فِعْلِهِ؛ وَأمّا الدّجّالُ مَا زَالَ مَا ظَهَر.

وَكُنْتُ أسْمَعُ أنّ وَاحِداً مِن البّابُ كَانَ إمَراءةً زَانِيَةً وَحَمَلَتْ وَفَضَحَهَا اللّهُ. وَلَمْ نَتَحَقّقُ ذَلِكَ إلَى أنْ طَالَعْتُ كِتَاباً قَدِيماً مَكْتُوباً

بِالْقَالِبِ وَصَحَّحَ ذَلِكَ؛ ثُمّ كِتَابَاً آخَرَ وَذَكَرَ مُؤَلِّفُهُ أَنَّهُ طَالَعَ إِثْنَا عَشَرَ كِتَاباً مِنْ كُتُبِهِم، وَذَكَرَ كُل كتاب بِإِسْمِ مُؤَلِفِهِ؛ وَالْحِكَايَةُ فِي كُلٍّ واحِدٍ وَاحِدَةٌ؛ وَتَرَكْتُ أَسْمَاء الْكُتُبِ لِلاِخْتِصَارِ • وَالَّذِي ذَكَرُوا فيمَا قَرَأْتُ:

أَنَّ بِبِلاَدِ الانْجِلِزِ كَانَتْ بِنْتٌ نَصْرَانِيَةٌ اَسْمُهَا جِلْبِرْتَ؛ وَزَنَى بِهَا رَجُلٌ مِنْ اَكَابِرِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَمَشَى بِهَا اِلَى مَدِينَةِ اَطِينَاش بِبِلاَدِ (٣٩ب) اَلْيُونَان وَاَخْفَتْ نَفْسَهَا بِلِبَاسِ الرِّجَالِ وَسُمِّيَتْ بِجِوانْ؛ وَبَلَغَتْ فِي الْعِلْمِ مَبْلَغاً عَظِيماً • وَبَعْدَ سِنِينَ جَاءَتْ اِلَى مَدِينَةِ رومَةَ؛ وَالنَّاسُ يَقْرَءُونَ الْعِلْمَ عَلَيْهَا؛ إِلَى اَنْ مَاتَ البَّابُ الْمُسَمَّى بِلِيُونْ؛ وَذَلِكَ سَنَة اِثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ وَثَمَانِ مائَةٍ مِنْ حِسَابِ سَيِّدِنَا عيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَم – فَتَوَلَّتْ هِيَ الْكُرْسِي وَصَارَتْ بَّابٌ مِن الَّذِينَ يَعْتَقِدُونَ فِيهِ أَنَّهُ اِلَهُ الأَرْضِ: يَغْفِرُ الذُّنُوبَ لِلْنَاسِ؛ هُوَ وَجَمِيعِ أَيِمَةِ دِينِهِمْ بِبَرَكَتِهِ.

وكَانَ لَهَا مَمْلُوك اَوْ خَدِيم وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَمَشَتْ يَوْماً لِزِيَارَةِ مَوْضِعٍ يُسَمَّى لِتْرا – اَعْنِي: كَنِيسَةٍ – وَمَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ؛ فَأَخَذَهَا وَجَعُ اَلنِفَاسِ وَوَقَفَتْ وَاَلنَّاسُ مَعَهَا اِلَى أَنْ وَلَدَتْ؛ وَلَمَّا سَمِعُوا عِيَاطَ الْمَوْلُود بَانَ لَهُمْ مَا كَانَ مَخْفِيّاً عَنْهُمْ؛ وَمَاتَتْ فِي الْحِينِ؛ وَنَزَلَ بِجَمِيعِ النَّصَارَى وَالْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَان حَزْنٌ وَخِزْيٌ وَذُلٌ عَظِيمٌ • وَالزَّمَنْ اَلَّذِي كَانَتْ فِي التَّوْلِيَةِ قَدْرَ سَنَتَيْنِ وَكَذَا وَثَلاَثِينَ يَوْماً •

وَأَجْتَمَعَ كُبَرَاءُهُمْ فِي الدِّيوَان وَدَبَّرُوا تَدْبِيراً جَدِيداً لِئَلاَ يَقَعُ لَهُمْ (٤٠أ) مِثْلُ ذَلِكَ؛ أَنَّهُمْ اِذَا عَيَّنُوا بَّابٌ يَاتُوا اِلَيْهِ الشُّهُودُ الْعُدُولْ وَيُقَلِّبُونَهُ يَشْهَدُونْ عَلَيْهِ أَنَّهُ ذَكَرٌ • وَأَمَّا الزَّنْقَةُ اَلَّتِي وُلِدَتْ فِيهَا فَلاَ يَجُوزُ عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ البَّابِ •

اَلْبَـــابُ اَلسَّـــابِعُ

فِي رُجُوعِنَا اِلَى مَدِينَةِ بْرِيشْ وَمَا اتَّفَقَ لَنَا فِيهَا

وَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّ بَراوَاتْ اَلسُّلْطَان مَا قَضَتْ بِهَا شَيْئاً وَأَنَّ كَثِيراً مِنَ الْحَوَايجِ مِنْ اِحْدَى سُفُنِنَا كَانَتْ مُنَزَّلَةً أَمَنَةً؛ وَلَيْنَا اِلَى بْرِيشْ نَطْلُبُ اَمْرَ اَلسُّلْطَانِ أَنْ يَدْفَعُوا لَنَا حَوَايِجَنَا؛ وَوَلَّى اَيْضاً قَاضِي اِلاَنْدَلُسْ اِلَى بْرِيشْ.

وَمَشَيْتُ يَوْماً اِلَى دَارِهِ قَبْلَ غُرُوبِ اِلشَّمْسِ نَطْلُبُ مِنْهُ بَعْضَ اَلْمَوَاجِبِ؛ قَالَ اَلْقَاضِي: أَتُحِبُّ تَتَعَشَّى عِنْدِنَا؟

قُلْتُ: لاَ يَجُوزُ لِي بَعْضَ طَعَامِكُمْ!

قَالَ: مَا نَعْطِيكَ اِلاَّ مَا يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ؛ وَعِنْدَنَا ضَيْفٌ مِنْ اَكَابِرِ اِلْمَمْلَكَةِ وَنُحِبُّ اَنْ تَكُونَ عِنْدَنَا.

وَكَانَتْ لَيْلَةُ مَوْلد اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِنْ عَام اِحْدَى وَعِشْرِينَ وَاَلْف. وَفَهِمْتُ مِنْهُ أَنَّهُ اَحَبَّ اَلْكَلاَمَ فِي اِلاَدْيَان لِيَشْرحَ اَلضَّيْفَ؛ لاَنَّ كُبَرَاءَ اِلْفرنْجِ يَفْرَحُونَ بِالْمَسَائِل اَلْغَرِيبَةِ (٤٠ ب) فَدَخَلْتُ مَعَهُ؛ وَاَعْطَوْنِي كُرْسِياً مِثْلَ كَرَاسِيهِمْ – وَالْمَايِدَةُ بَيْنَنَا – وَحَمَاتُ اَلْقَاضِي قَاعِدَةٌ؛ وَكَانَتْ مَوْلَةُ بَلَدٍ يُسَمَّى: اَلْطِرِ؛ وَاَبْنُهَا قَاضِي وَاَخُوهَا قَاضِي أَيْضاً، وَاَلرَّجُلُ اَلْكَبِيرُ اَلشَّأنِ قَاعِدٌ مَعَ اَلْجَمِيعِ.

وَقَالُوا لِلْضَيْفِ: هَذَا رَجلٌ تُرْكِيٌ – لأنَّ اِلفرنْج لاَ يَقُولُونَ لِلْمُسْلِمِ اِلاَّ تُرْكِي– وَذَكَرُوا لَهُ اَلسَّبَبَ اَلَّذِي اَلْجَانِي لِلْقُدُومِ اِلَى بِلاَدِهِمْ

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ظَهَرَ لَهُمْ؛ وَالْمَرْأَةُ تَرْقُدُ مِنَ الطَّعَامِ وَتَضَعَهُ قُدَّامِي وَأَيْضاً اخُوهَا وَابْنِهَا٠

فَالْقَاضِي ابْتَدَا بِالْكَلاَمِ - اَعْنِي قَاضِي اِلاَنْدَلُسْ - وَقَالَ لِي: هَلْ عِنْدَكُمْ صِيَامٌ فِي دِينِكُمْ فَرْضٌ؟

قُلْتُ لَهُ: عِنْدَنَا شَهْرٌ قَمَرِي فِي اِلْعَامِ.

قَالَ لِي: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ؟

قُلْتُ لَهُ: نَمْسِكُ عَنْ اِلاَكْلِ وَاَلشُّرْبِ مِنْ اِنْشِقَاقِ اَلْفَجْرِ اِلَى غُرُوبِ اِلشَّمْسِ٠

قَالَ: نَحْنُ عِنْدَنَا صِيَامٌ فَرْضٌ فِي كُلِّ سَنَةٍ أَكْثَرُ مِنْ صِيَامِكُمْ وَهُوَ تِسْعَ وَأَرْبَعُونَ يَوْماً مُتَوَالِيَةٌ٠

قُلْتُ لَهُ: كَيْفَ هُوَ صِيَامُكُمْ ؟ وأَنَا عَارِفٌ بِهِ.

قَالَ: نَأكُلُ فِي نِصْفِ النِّهَار سَاعَةً مُعْتَدِلَةً ثُمَّ نُمْسِكُ عَنْ اِلاَكْلِ اِلَى اَللَّيْلِ؛ وَفِي أَوَّلِهِ نَاَكُلُ اَقَلَّ طَعَاماً مِمَّا اَكَلْنَا (١٤١أ) فِي نِصْفِ اَلنِّهَارِ٠

قُلْتُ لَهُ: مَا اَلسِّرُّ فِي اِلصَّوْمِ وَالْمُرَادُ بِهِ؟ لأَنَّنَا فِي دِينِنَا هُوَ لِنَرُدَّ اَلنَّفْسَ عَنْ اِلشَهوَاتِ وَنَزِيلُ مِنْ قُوَّتِهَا بِالصَّوْمِ.

قَال لِي: نَحْنُ كَذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: بَلْ تَزِيدُونَ فِي قُوَّتِكُمْ بِهَذَا اَلصِّيَام٠

قَالَ لِي: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ لَهُ: قَالَ بُقْرَاطْ وَجَالِيْنُوسْ وَاِبْن سِينَا وَجَمِيعِ اِلاَطِبَا مُتَّفِقُونَ مَعَهُمْ أَنَّ لِحِفْظِ اِلصِّحَةِ يَنْبَغِي أَنْ يَأكُلَ الاِنْسَانُ فِي نِصْفِ اِلنِّهَارِ أَكْثَرَ مِمَّا يَأكُلُ فِي اِللَّيْلِ؛ وَصِيَامُكُمْ عَلَى مُقْتَضَى هَذِهِ اِلْقَاعِدَةِ؛ فَلاَ

يَزِيلُ اَلصَّايِمُ شَيْئاً مِنْ قُوَّةِ اِلْجَسَدِ بَلْ يَزِيدُ فِيهِ قُوَّةً؛ لأَنَّ مِنْ حِفْظِ اِلصِّحَةِ تَزْدَادُ اَلْقُوَّةَ. وتَكَلَّمَ اَلْقَاضِي مَعَ اَلْجَمِيعِ بِالْفَرَنْجِ لأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ - كَمَا قُلْنَا- اَللِّسَانَ اَلْعَجَمِي ِالاَنْدَلُسِي وَهُمْ يُدَبِّرُونَ بَيْنَهُمْ مَاذَا يَقُولُونَ لِي.

ثُمَّ قَالَ: اَعْلَمْ اِنَّنَا فِي أَيَّامِ اِلصِّيَامِ مَا نَاكُلُ لَحْمَاً وَفِي غَيْرِهِ نَاكُلُ لَحْمَ اَلدِّجَاجِ؛ وَلاَ يَخْفَى أَنَّ لَهَا قُوَّةً لا سِيمَا اَلْخَصِيءُ مِنْهَا لَهُ قُوَّةٌ.

قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ، لَحْمَ اَلدِّجَاجِ لَهُ قُوَّةٌ وَغِذَاءٌ نَافِعٌ وَالْقَلِيلُ مِنْهُ يَكْفِي اَلاِنْسَانَ؛ وَاِذَا لَمْ يَكُنْ اَللَّحْمُ وَوَجَدَ اَطْعِمَةً كَثِيرَةً مِثْلُ هَذَا اَلَّذِي (٤١ب) رَأَيْتَهُ بَيْنَ اَيْدِينَا هُنَا، فَيَاكُلُ اَلاِنْسَانُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ حَتَّى يَصِلَ اِلَى قُوَّةِ اَللَّحْمِ فِي اِلْغِذَا؛ وَلاَكِنْ فِي اَكْثَرَ مِقْدَارٍ مِنَ الطَّعَامِ؛ وَكَانَ ذَلِكَ فِي أَيَّامِ صِيَامِهِمْ. فَأَخَذُوا فِي اِلْكَلاَمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَجِدُونَ مَا يَقُولُونَ؛ وَمَا اَتَّفَقَ لَهِمْ شَيءٌ لِتَقْوِيَةِ حُجَّتِهِمْ.

وَاَنْتَقَلَ اِلَى مَسْئَلَةٍ أُخْرَى وَقَالَ: مَا اَلسَّبَبُ حَتَّى مَنَعَكُم نَبِيُّكُمْ اَلْخَمْرَ؟

قُلْتُ: مَنَعَهُ اَللّهُ تَعَالَى، لأَنَّ اَفْضَلَ مَا تَكَرَّمَ بِهِ عَلَى بَنِي اَدَم هُوَ اَلْعَقْلُ وَالَّذِي يَزِيلُهُ هُوَ اَلْخَمْرَ وَهُوَ اَقْبَحُ اَلْمَسَايِل كُلِّها.

قَالَ: حَتَّى عِنْدَنَا هُوَ مَمْنُوعٌ اَنْ يَشْرُبَ اَلاِنْسَانُ مِنْهُ حَتَّى يَسْكَرُ!

قُلْتُ: ظَهَرَ لِي اَنهُ مَمْنُوعٌ لَكُمْ فِي اِلاِنْجِيلِ وَلاَ اَنْتَبَهْتُمْ لَهُ!

قَالُوا: فِي اَيِّ مَوْضِعٍ؟

قُلْتُ: فِي اِلدُّعَاء اَلَّذِي اَمَرَكُمْ بِهِ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَنْ تَدْعُوا بِهِ؛ وَأَوَّلُهُ: "اَبُونَا اَلَّذِي فِي اِلسَّمَاءِ"، اِلَى اَنْ تَقُولُوا: "وَلاَ تَدعْنَا

نَقَعُ عِنْدَ فِتْنَةِ اِلنفْسِ"، وَأَخَرُونَ يُتَرجِمُونَ: " وَلاَ تَدَخَلْنَـا اَلتَّجْرِيـبِ"، وَهُمْ اَلاكْثَرُ؛ وَالاَوَّل عِنْدِي هُوَ اَلصَّحِيحُ.

قَالُوا: عِنْدَنَا هَذَا.

قُلْتُ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَاخُذَ اَلْفِتْنَـةَ بِيَدِك وتَطْلُبُ اَنْ لاَ يَدْعُـكَ تَقَـعُ عِنْدَهَا؟ (٤٢أ) لاَنَّـكَ اِذَا زِدْتَ مِنَ اَلْخَمْرِ قَلِيـلاً عَنِ الْعَـادَةِ يَذْهَـبُ بِالْعَقْلِ؛ وَاِذَا ذَهَبَ وَقَعْتَ فِي اِلفِتَنِ مَـعَ طَلَبِكَ مِنَ اَللَّـهِ أَنْ لاَ يَدَعَـكَ تَقَعُ.

قَالَ: نَحْنُ نَتَحَفَّظُ فِي شُرْبِنَا حَتَّى لاَ يَذْهَبُ اَلْعَقَلُ.

قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدِي أَنَّ مَنْ هُوَ مِثْلُكُمْ قُضَاةٌ وَعُلَمَـاء وَمِـن أَكَـابِرِ اِلنَّـاسِ اِنَّ اَلانْصَاف لِلْحَقِّ مَوْجُودٌ عِنْدَكُمْ وَالْبُعْدُ عَنِ اِلْكَذْبِ وَالْبَاطِلِ؛ وَاِلَـى هَذَا تَحْلِفُونَ بِدِينِكُمْ اَنَّكُم مَا زِدتُم قَطّ مِـنْ شُـرْبِ اِلْخَمْرِ حَتَّـى ذَهَـبَ بِالْعَقْلِ،؟

وَتَكَلَّمُوا بَيْنَهُمْ وَضَحُكوا جَمِيعَاً؛ وَبِضِحْكِهِمْ اَعتَرَفُوا بِمَـا رَأَوْ[ا] مِـنَ نُفُوسِهِمْ مِرَاراً مِنَ الْوُقُوعِ فِي اَلْفِتْنَةِ بِكِثْرَةِ اِلشُرْبِ.

وَأَخَذَتْ اَلْمَـرأَةُ كَاسَـاً وَوَضَعَـتْ فِيـهِ نَقْطَـةَ خَمْرٍ وَزَادَتْ عَلَيْـهِ مَـاءً كَثِيراً وَقَالَتْ لِصِهْرِهَا: قُلْ لَهُ أَيُّ قُوَّةٍ لِلْخَمْرِ مَعَ هَذَا اَلْمَاء؟

قُلْتُ: أَمَّا هَذَا اَلْكَاسُ ظَاهِرٌ اَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مِـنَ اَلْخَمْرِ اِلاَّ قَلِيـلاً؛ وَأَمَّـا فِي بَعْضِ الْمَرَّاتِ مَا تَجْعَلُ مَعَهُ اِلاَّ قَلِيلاً مِنَ اَلْمَاء؛ وَضَحَكَتْ كَأَنَّهـا اَعتَرَفَتْ.

قُلْتُ لَهُمْ: طَالَعْتُ كِتَاباً مِنْ كُتُبِكُمْ بِالْعَجْمِيَّةِ وَقَـالَ فِيْـهِ (٤٢ ب): اِنَّ فِي مَدِينَةٍ كَبِيرَةٍ - اَظُـنُّ أَنَّهَـا بِإِطَالِيَـةِ مِـنْ بِـلاَدِ اِلنَّصَـارَى - تُعَيِّـنُ اَلنَّـاسُ حُكَّامَـاً لِسَـنَةٍ كَامِلَـةٍ؛ وَاِذَا اَنْصَرَمَـتْ يَجْعَلُـونَ غَـيْرَهُمْ فِـي

اِلْمَنْصَبِ لِسَنَةٍ أُخْرَى؛ وَعِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ وَأَمْرٌ مَعْمُولٌ بِهِ: أَنَّ كُلَّ مَنْ يَحْكُمْ بَيْنَ اَلنَّاسِ لاَ يَشْرَبُ خَمْرًا مَا دَامَ فِي سَنَتِهِ. وَهَذَا اَمْرٌ ظَاهِرٌ وَبَايِّنٌ اَنَّهُمْ مَنَعُوهُمْ مِنْ شُرْبِهِ قَلِيلاً وَلاَ كَثِيراً اِلاَّ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ لِشَارِبِهِ وَلِلنَّاسِ اِلَّذِينَ يَحْكُمُونَ عَلَيْهِمْ.

قَالُوا: هَذَا حَقٌ وَلَكِنْ هُوَ مُبَاحٌ اِذَا لَمْ يِتَعَدَّى فِي اِلشُّرْبِ.

قَالَتْ اَلْمَرْأَةُ لِصِهْرِهَا: قُلْ لَهُ كَيْفَ اَبَاحَ لَكُم نَبِيُّكُمْ اَن تَنْكِحُوا اَرْبَعَ نِسَاءِ وَمَنَعَكُمْ اَلْخَمْرَ؟ وَالْمَفْهُومُ مِنْ كَلاَمِهَا وَاِعْتِقَادِهَا أَنَّ اَلْخَمْرَ يَزِيدُ قُوَّةَ لِلْجِمَاعِ.

قُلْتُ لَهَا: اَلْخَمْرُ يَزِيدُ لِشَارِبِهِ اَمْرَاضاً وَنُعَاساً؛ وَشَارِبُ اَلْمَاءِ يَعِيشُ صَحِيحاً.

قُلْتُ لَهُمْ: قَراتُ فِي اِلانْجِيلِ اِنَّ اَلنَّبِي زَكَرِيَا - عَلَيْهِمْ[١] اَلسَّلاَمِ - جَاءَهُ مَلَكٌ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ وَقَالَ لَهُ: قَدْ قَبِلَ اَللَّهُ دُعَاءَكَ وَاِمْرَاتُكَ اَلْيَصَبَاتْ تَلِدُ اِبْناً لَكَ يُدْعَى بِاسْمِهِ يُوحَنَّا وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ (١٤٣أ) عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلِدِهِ؛ وَيَكُونَ عَظِيماً قُدَّامَ اَلرَّبِّ، لاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً.

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا عِنْدَكُمْ فِي اِلانْجِيلِ؟

قَالُوا: نَعَمْ؛ هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا اَلَّذِي اَخبَرَ به اِلْمَلَكُ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ تَعَالَى اَنَّهُ لاَ يَشْرَبُ خَمراً وَلاَ مُسْكِراً؛ هُوَ كَمَالٌ فِي حَقِّ اَلْوَلَدِ أَمْ نُقْصَانٌ؟

قَالُوا: اِنَّمَا ذَلِكَ كَمَالٌ فيهِ. قُلْتُ لَهُمْ: كَذَلِكَ هُوَ كَمَالٌ فِي دِينِنَا أَنْ لاَ نَشْرَبَ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً.

---

[١] كذا في الأصل.

فَحِينَئِذٍ اَخَذُوا فِي اَلْكَلاَمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَقَالُوا لِي: نَحْنُ رَأَيْنَا رِجَـالاً مِنْ اَهْلِ دِينِكُمْ وَتَكَلَّمْنَا مَعَهُمْ وَلَمْ نَرَ قَـطْ مَنْ قَـالَ لَنَـا مِثْـلُ هَـذَا اَلْكَـلاَمَ، وَالاَجْوِبَةَ اَلَتِّي رَأَيْنَاهَا وَسِمِعْنَاهَا مِنْكَ٠

قُلْتُ لَهُـمْ: أَعْلَمُوا أَنَّنِي تُرْجُمَانُ سُلْطَان مَرَّاكُشْ؛ وَمَنْ كَانَ فِـي تِلْـكَ اَلدَّرَجَةِ يَحْتَاجُ يَقْـرَا فِـي اَلْعُلُـومِ وَكُتُبِ اَلْمُسْلِمِينَ وَكُتُـبِ اِلنِّصَـارَى لِيَعْرَفَ مَا يَقُولُ وَمَا يُتَرْجِمُ بِحَضْرَةِ اِلسُّلْطَانِ وَأَمَّا اِذَا كُنْتُ بِحَضْـرَةِ عُلَمَاءِ دِينِنَا لاَ اَقْدِرُ أَتَكَلَّمُ فِي اَلْعُلُومِ بِحَضْرَتِهِمْ٠

حِينَئِذٍ اَرَدْتُ أَنْ اَقُومَ لِنَذْهَبَ اِلَى اَلْدَّارِ اِلَتِّي كُنْتُ (٤٣ ب) نَازِلاً بِهَا؛ وَقَالُوا لِي: لاَ تَقُمْ، نَحْنُ نَبْعَثُ مَعَكَ خُدَّامَنَا وَاَقْعُدْ مَعَنَا لِلْكَلاَمِ٠

قَالَتْ اَلْمَرَأَةُ: كَيْفَ اَبَاحَ لَكُمْ نَبِيُّكُـمْ أَنْ تَنْكِحُـوا أَرْبَعَـةَ نِسَـاءَ وَاللّـهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى– لَمْ يَعْطِ لاِبِينَا أَدَمَ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِلاَّ اِمْرَأَةً وَاحِـدَةً ؟ وَلَمَّـا رَءَا اَلْقُضَـاةُ اَلْحَـاضِرُونَ أَنَّ هَـذِهِ اِلْمَسْئَلَةِ عَقْلِيَـــةٍ اَعَانُوهَــا وَتَقَوَوْا عَلَيَّ بِهَذِهِ اِلْحُجَّـةِ.

قُلْتُ لَهُمْ: أُمَّنَا حَوَّى ظَهَرَ فِيهَا بَرَكَةً اَكْثَرَ مِمَّا تَظْهَرُ فِي اَرْبَعَةِ نِسَاءً مِنْ زَمَانِنَا؛ لاَنَّهَا وَلَدَتْ كَذَا وَكَذَا مَرَّةً ذُكُوراً وَاِنَاثاً؛ وَنِسَـاءُ زَمَانِنَـا: اِحْدَى تَكُونُ مَرِيضَةً وَأَخْرَى عَاقِرَةً مَـا تَلِدُ أَبَداً، وَمِثْـلَ اَلاَعْـرَاضِ كَثِيرَةٌ فِيهِنَّ مَا لاَ كَانَتْ فِي أُمِّنَا حَوَى٠

قَالُوا: سَيِّدُنَا عِيسَى– عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ – أَمَـرَ أَنْ لاَ يَـتَزَوَّجُ اَلرَّجُـلُ اِلاَّ اِمْرَأَةً وَاحِدَةً وَاَنْتُمْ تَاخُذُونَ اَرْبَعَةً.

قُلْتُ لَهُمْ: اَلاَنْبِيَـاءِ اَلاَوَايِّـل – عَلَيْهِـمْ اَلسَّـلاَمُ – مِثْـلُ سَـيِّدُنَا اِبْرَاهِيـمَ وَسَيِّدُنَا يَعْقُوب وَغَيْرُهُمْ؛ فِي اَيِّ مَقَامٍ هُمْ عِنْدَكُمْ؟

قَالُوا: فِي مَقَامٍ مَحْمُودٍ وَمُرْضِيينَ عِنْدَ اللّهِ تَعَالَى٠

قُلْتُ: كَانَتْ لَهُمْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَجَوَارِي كَمَا فِي دِينِنَا؛ وَكَانَ لِسَيِّدِنَا (١٤٤) سُلَيْمَان – عَلَيْهِ السَّلاَمْ – سَبْعَمِائَةِ إِمْرَأَةٍ بِالنِّكَاحِ وَثَلاَثُ مِائَةِ جَارِيَةٍ – كَمَا هُوَ فِي التَّوْرِيَةِ.

قَالُوا: تِلْكَ الزَّمَنْ أُبِيحَ ذَلِكَ لِيَكْثُرَ النَّسْلُ وَالآنَ الدُّنْيَا عَامِرَةٌ.

قُلْتُ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرِيَة فِي كُتُبِ التَّوَارِيخ: أَنَّ بَعْضَ السَّلاَطِين فِي الزَّمان الاَوَّلُ كَانُوا يَحْرِكُونَ بِثَمَانِ مِائَةِ اَلْفِ رَجُلِ جَيْشٍ؛ وَالآنَ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا سُلْطَانٌ مَنْ يَجْمِعِ لِلْحَرْبِ ذَلِكَ الْعَدَدِ اِلاَّ السُّلْطَان السَّيِّدْ الْكَبِير؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ أَنَّ الدُّنْيَا كَانَتْ عَامِرَةٌ.

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: وَلَحْمَ الْخَنْزِير، لِمَاذَا هُوَ مَمْنُوعٌ عِنْدَكُمْ؟

قُلْتُ: لاَنَّهُ نَجِسٌ؛ لاَنهُ لا يَاكُلُ اِلاَّ النَّجَاسَاتِ؛ وَحَتَّى فِي الاِنْجِيلِ هُوَ مَمْنُوعٌ!

قَالُوا: لَيْسَ بِمَمْنُوعٍ، وَأَيْنَ الْمَنْع فِي الاِنْجِيلِ؟

قُلْتُ: قَرَأْتُ فِيهِ أَنَّ مَجْنُونَيْنِ كَانَا فِي الْمَقَابِرِ؛ رَدِيَانِ جِداً؛ حَتَّى اَنَّهُ لَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ اَنْ يَجُوزَ مِنْ تِلْكَ الطَّرِيقِ؛ فَصَاحَا قَائِلِينَ: مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَصُوعُ اِبْنُ اللَّهِ، أَجِئتَ هَا هُنَا لِتُعَذِّبَنَا؟ وَكَانَ هُنَاكَ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٌ تَرْعَى بَعِيداً مِنْهُمْ، فَطَلَبَا اَلِيهِ[1] الشَّيَاطِين قَائِلِينَ: اِنْ كُنْتَ تَخْرِجُنَا مِنْ هَاهُنَا فَارْسِلْنَا اِلَى قَطِيعِ خَنَازِيرٍ؛ فَقَالَ لَهُمْ: (٤٤ ب) اَذْهَبُوا، وَلَمَّا خَرَجُوا مَضَوْا وَدَخَلُوا فِي الْخَنَازِيرِ؛ وَاِذَا بِقَطِيعِ الْخَنَازِيرِ كُلِّهِ قَدْ وَثَبَ عَلَى جُرْفِ وَتَوَاقَعَ فِي الْبَحْرِ وَمَاتَ جَمِيعَهُ فِي الْمَاء وَهَرَبَ الرُّعَاةُ، انْتَهى، وَكَانُوا نَحْوَ الْفَين.

---

[1] كتب الحجري فوقها: «منه».

قُلْتُ لَهُمْ: اَلانْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ اَلسِّلاَمُ – كَانُوا يَخسِّرُونَ اَلنَّاسَ فِي أَمْوَالِهِمْ؟

قَالُوا: لاَ!

قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا نَحْوَ اَلفِينِ خَنْزِيرِ تُسَاوِي دَرَاهِمَ كَثِيرَةً وَاَذَنَ سَيِّدِنَا عيسَى– عَلَيْهِ اَلسِّلاَمُ – فِي اِفْنَائِهَا وَتَلَفِهَا وَأَنَّ اَرْبَابَهَا يَخْسِرُونَ قِيمَتَهَا لاَجْلِ أَنَّ اَلْخَنَازِيرَ كَانَتْ عِنْدَهُ حَرَاماً؛ وَلَوْ كَانَتْ مِنَ اَلْمَوَاشِي اَلْمُبَاحَةِ لَمْ يَاذَنْ سَيِّدْنَا عيسَى– عَلَيْهِ اِلسِّلام – لِلْجُنُونِ بِالدُّخُولِ فِيهَا لإفْسَادِهَا وَهلاَكِهَا. فَأَخَذَ اَلْقُضَاةُ فِي اِلْكَلاَمِ وَالتَّدْبِيرِ فِي اِلْجَوَابِ.

ثُمَّ قَالُوا: لَمْ تَبْلُغْ هَذَا اَلْعَدَد اَلَّذِي ذَكَرتَهُ!

قُلْتُ: هَذَا اَلَّذِي قَرَأْتُهُ؛ فَأُحْضِرَ اَلانْجِيلُ فَوَجَدُوهُ كَذَلِكَ. وَقَدْ ذَكَرَ هَذِهِ اِلْمَسْئَلَة فِي مَوْضَعَيْنِ فِي اِلانْجِيل: فِي اَلْفَصْلِ الْخَامِس عَشَرِ لمَرْقُشْ؛ وَهُوَ اَلَّذِي قَالَ: كَانُوا نَحْوَ أَلْفِينِ.

ثُمَّ اَنَّهُمْ أَخَذوا فِي اِلْكَلاَمِ وَلَمْ يَجِدُوا مَا يُجَاوِبُوا بِهِ وكَانَ قَدْ مَضَى (٤٥أ) من اَللِيلِ نَحْوَ نِصفِهِ؛ فَانصَرَفْتُ اِلَى مَنْزِلِي، وَبَعَثُوا مَعِي خُدَّامَهُمْ؛ وَرَأَيْتَهُمْ فَارِحينَ شَاكِرِينَ لِي؛ وَلَمْ يَسْمَعُوا مِنِي اِلاَّ مَا ذَكَرْتَ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عَكْسَ دِينِهِمْ.

وَاصبَحْتُ يَوْماً اَخرُ؛ وَمَشَيْتُ اِلَى اَلْقَاضِي وَأَعْطَانِي اِلمَوَاجِب وَمَا اَخَذَ مِنِي شَيْئاً مِنَ اَلدَّرَاهِمْش فِيهَا. ثُمَّ أَبْصَرَتْنِي اَلْمَرأَةُ اَلَّتِي كَانَتْ مَعَنَا لِلْكَلاَمِ وَرَعَتْ اَنْ لاَ يَرَاهَا أَحَدٌ وَأَعْطَتْنِي دَرَاهِمَ ذهَباً لَيْسَ بِالْقَلِيلِ وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَالْجِهَادُ عَلَى اَلدِّين وَبَرَكَةِ يَوْمِ مُولْد اَلنَّبِي – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وَمِمَّا ذَكَرَ لِي أبرَتْ أنّ فِي بَلَدٍ يُسَمَّى شَانْدِيُنشِي؛ عَلَى بُعْدِ سِتَةِ أَمْيَالٍ مِنْ بْرِيشْ - فِي دَارٍ عَظِيمَةٍ لِلْمُتَرَاهِبِينَ ذَخَايِرَ وَتِيجَانٍ لِلْمُلُوكِ وَغَيْرُ ذَلِكَ لِلْسَلاَطِينِ اَلْمَاضِيِينَ وَالاَسَاكِفَةِ؛ وَمِنْ جُمْلَتِهَا كَاسٌ مِنْ بِلَوْرٍ كَبِيرٍ مَكْتُوبٍ بِالْعَرَبِيَةِ وَالْحُرُوفُ مَرْسُومَةٌ مَصْنُوعَةٌ فِي وَسَطِ الْكَاسِ؛ وَأَنَّه كَانَ لِسَيِّدِنَا سُلَيْمَانَ بِنْ دَاوُود نَبِيُّ اَللَّهِ - عَلَيْهِمَا اَلسَّلاَمُ -. قُلْتُ لَهُ: أُحِبُ ارَى ذَلِكَ!

وَسِرْنَا وَبَلَغْنَا اِلَى اَلدَّارِ وَكَانَ فِيهَا أُنَاسٌ جَاءُوا مِنْ بِلاَدِهِمْ لِرُؤْيَةِ (٤٥ ب) اَلذَّخَايِرِ. وَصَعَدْنَا جَمِيعاً اِلَى بَيْتٍ مُرتَفِعٍ؛ وَجَاءَ رَجُلٌ وَفَتَحَ اَلْخِزَانَةَ اَلَّتِي كَانَتْ فِيهَا الذَّخَايِرُ؛ وَأَخَذَ تَاجاً مِنْ ذَهَبٍ وَتَكَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ: هَذَا تَاجُ اَلسُّلْطَانِ اَلْفُلاَنِي؛ ثُمَّ قَبَضَ آخَرَ مِنْ اَلتِيجَانِ وَذَكرَ لِمَنْ كَانَ؛ وَبَقِيَ كَذَلِكَ يَاخُذُ تَاجاً بَعْدَ تَاجٍ وَهِيَ بِالاَحْجَارِ اَلْمُثْبَتَةِ وَالضِّيَمَنْتِ[1] وَالْيَاقُوتِ اَلنَّفِيسَةِ. ثُمَّ اخَذَ كَاساً بِلَّورٍعَلَى طُولِ ذِرَاعِ اِلانْسَانِ وَمَوْضِعُ قَبْضِهِ فِي اِلْوَسَطِ أَوْ انْزَلِ مِنْهُ حِزَامٌ مَكْتُوبٌ بِالْعَرَبِيَةِ بِخَطٍّ مِثْلَ اَلْكُوفِي مَنْقُوشَةٌ فِيهِ؛ وَقَبَضْتُهُ بِيَدِي وَقَرَأتُ فِي اِلْمَكْتُوبِ اسْمَيْنِ مِنْ اَسْمَاءِ اَللَّهِ تَعَالَى: هَادِي؛ كَافِي؛ وَلَوْ تَرَكَهُ عِنْدِي لَقَرَاتُهُ كُلَّهُ، وَسَدَّ عَلَى اَلذَّخَايِرْ. وَتَعَجَبْتُ مِمَّا اَتَّفَقَ لِي بِأَخْذِ كَاسِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَان - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمْ - بِيَدِي؛ وَأَيْضاً اَلرّقّ اَلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ زَمَنِ سِسِلْيُوْه كَاتِبُ اَلصَّالِحَةِ مَرْيَم - عَلَيْهَا اَلسَّلاَمُ - وَبَعْضَ اَلْكُتُبِ فِي وَرَقِ اِلرِّصَاص مِنْ تِلْكَ الزَّمَانِ.

اُنظُرْ اَلْعَرَبِيَة مَا اَقْدَامها، وَايُّ حُرْمَةٍ لَهَا حَتَّى أَنّ نَبِيُ اَللَّهِ سَيِّدُنَا سُلَيْمَان- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - (٤٦أ) لَمْ يَخْتَرْ اِلاّ حُرُوفَ اَلْعَرَبِيَة وَاَسْمَاء

[1] يريد: الدايمت Dimond وهو الألماس.

اللهِ مكْتُوبَةً بِهَا فِي الْكَاسِ لِيَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا عِنْدَ قَبْضِهِ. وَالْكَلامُ بِالْعَرَبِيَةِ لِمَنْ يَعْرِفُهَا خَيْرٌ مِنَ أَلْكَلامِ بِغَيْرِهَا مِنَ اَللُّغَاتِ، كَمَا ذَكَرَ اَلْنَبِي – صَلَّى اَللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَنَّهُ كَانَ يُحِبُّهَا.

وَأَمَّا اَلَّذِي قَضَيْتُ فِي بَّرِيشْ؛ اَعْطَوْنِي كِتَابَ اَلسُّلْطَان بِطَابِعِ الدِّيوَان اَلْكَبِير لِلْحُكَّام عَلَى كَافَةِ الدَّوَاوِين اَلَّتِي بِبِلاَدِ الْفَرَنْج وَالاَمْرُ فِيهِ اَنَّ جَمِيعَ مَا يُجَدُ مِنْ نَهْبِ الاَنْدَلُس اَنْ يَدْفَعُوهُ لِي؛ وَذَكَرَ قَايِّدُ طَابِع اَلسُّلْطَان أَنَّ فِي بَلَدِهِ بِأُلُونهْ وَاحِداً وَعِشْرِينَ رَءيساً؛ كُلُّ وَاحِدٍ بِسَفِينَتِهِ نَهَبَ اَلاَنْدَلُس اِلَّذِينَ اَكْتَرَوْهَا؛ وَكَانَ فِيهِمْ وَاحِدٌ مِنْ اَلَّذِينَ نَهَبُوا اِحْدَى اَلسُّفُنِ اِلَّتِي كَانَتْ لِي اَلْوَكَالَةُ عَلَيْهَا. وَاَتَّفَقْنَا أَنْ نَمْشِي مَعَهُ مِن بَّرِيش.

اَلْبَــــابُ اَلثَامِــــنُ

فِي قُدُومِنَا إِلَى أُولُونَة ثُمَّ إِلَى مَدِينَةِ بُرْخِيُوش

وَلَمَّا رَأَيْتُ مَا اَظْهَرَ مِنَ اَلنَّصِيحَةِ اِلَيْنَا قَايِدُ الطَّابِعِ؛ مَشَيْنَا اِلَى بَلَدِهِ؛ وَلَمَّا اَنْ وَصَلْنَا اِلَى دَارِهِ – وَكَانَتْ خَارِجاً عَنِ اِلْبَلَدِ عَلَى قُرْبِ نَهْرِ – وَهِيَ مَانِعَةٌ كَبِيرَةٌ مُبْنِيَةٌ بِالْحَجَرِ اِلْمَنْجُورِ؛ وَفِيهَا بَعْضُ اَلْمَدَافِعِ (٤٦ ب) وَبِقُرْبِهَا بُسْتَانٌ كَبِيرٌ وَغَابَاتٌ؛ وَبِلاَدٌ وَاسِعَةٌ لِلزَّرْعِ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِلْقَايِدِ اِلْمَذْكُورِ.

وَأَقْبَلَتْ عَلَيْنَا زَوْجَتَهُ وَخُدَّامِهَا مِنَ اَلْبَنَاتِ وَاَلْرِجَالِ؛ وَكَانَتْ فِي تِلْكَ الدَّارِ بِنْتٌ مِنْ قَرَابَتِهِمْ ذَاتُ مَالٍ عَظِيمٍ مِمَّا تَرَكَ لَهَا وَالِدَيْهَا؛ وَهِيَ مِن اَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَلَهَا مِنَ اَلْحُسْنِ وَاَلْجَمَالِ كَثِيرٍ؛ وَطَلَبَهَا لِلزَّوَاجِ كَثِيرٌ مِنْ أَكَابِرِ اَهْلِ بِلاَدِهِمْ وَلَمْ تَرْضَ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ.

وَقَدَّمُوا لِي مَعَ اَصْحَابِي طَعَامَاً فَلَمْ نَأكُلْ مِنْهُ. قُلْتُ لَهَمْ: هَذَا مَمْنُوعٌ فِي دِينِنِا؛ ثُمَّ اَعْطُونَا مَا ذَكَرْنَا لَهُمْ.

ثُمَّ جَاءَتْ اَلْبِنْتُ وَقَالَتْ لِي: أَنْ اَصِفَ لَهَا حَالَ اَلنِّسَا اَلَّتِي هُنَّ فِي غَايَةِ اِلْحُسْنِ وَاَلْمَلاَحَةِ عِنْدَنَا. وَذَكَرْتُ لَهَا مَا تَيَسَّرَ.

قَالَتْ: اَنْتُمْ عَلَى اَلْحَقِ! وَذَلِكَ اَنَّهَا كَانَتْ بَيْضَا بِشَيْءٍ مِنَ اَلْحُمْرَةِ وَشَعْرُهَا اَسْوَدُ وَشَعْرُ اِلْحَوَاجِبِ وَاَشْفَارِ اِلْعَيْنِ وَكُحْلُ اَلْعَيْنِ فِي غَايَةٍ؛ وَالْمَرَاةُ عِنْدَ اَلْفَرَنْجِ عَلَى هَذِهِ اِلْحَالَةِ مَهْمُولَةٌ عِنْدَهُمْ فِي اَلْحُسْنِ؛ وَيَقُولُونَ: اَنَّهَا سَوْدَا.

وَقَدْ كُنْتُ اَذْكُرُ لاَصْحَابِي بَعْضَ اَلْحِكَايَاتِ فِيمَا وَقَعَ لِلرِّجَالِ الصُّلَحَا اَلْوَاقِفِينَ عَلَى اَلْحُدُودِ لِتَقْوِيهِمْ عَلَى نُفُوسِهِمْ وَنَفْسِي عَلَى دَعَاوى اِلنَّفْسِ وَالشَّيطَان فِي شَانِ اِلنِّسَاء (٤٧أ) اَلْمُحَرَّمَات لاَنَّ بِسَبِبِ اِلْحَرِيمِ اِلْمَكْشُوفِ كَانَ اَلشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُنَا كَثِيراً؛ وَكُنَّا صَابِرِينَ٠

وَكَانَتْ اَلْبِنْتُ تُزَيِّنُ نَفْسَهَا وَتَسْئَلَنِي: هَلْ فِي بِلاَدِنَا مَنْ يَلْبِس لِبَاسَاتِ اِلْحَرِيرِ مِثْلُهَا؟ ثُمَّ قَالَتْ لِي: أُعَلِّمُكَ تَقرَا بِالْفَرَنْجِ، وَصِرْتُ تِلْمِيذاً لَهَا؛ وَأَخَذَتْ فِي اِكْرَامِ اَصْحَابِي؛ وَكَثُرَتْ اَلْمَحَبَّةَ بِيْنَنَا حَتَّى اَبْتَلَيْتُ بِمَحَبَّتِهَا بَلِيَة عَظِيمَة٠ وَقُلْتُ: قَبْلَ ذَلِكَ كُنْتُ فِي خِصَامٍ مَعَ اَلنَّصَارَى عَلَى اَلْمَالِ وَفِي اِلْجِهَادِ عَلَى اَلدِّينِ وَالاَنَ هُوَ اَلْخِصَامُ مَعَ اَلنَّفْسَ وَالشَّيْطَان؛ فَالنَّفْسُ تَطْلُبُ قَضَا اَلْغَرْض وَالشَّيْطَانُ يَعِينُهَا؛ وَالرُّوحُ يَنْهَى عَنِ اَلْحَرامِ؛ وَالْعَقْلُ يَحْكُمْ بَيْنَهُمَا٠ وَمِن اَلنَّاسِ مَنْ يُعَبِّرُ بِالْقَلْبِ عَنِ اِلرُّوحِ؛ فَالنَّفْسُ تَسْتَعِينُ بِالشَّيْطَانِ لأَنَّهُ مِنْ طَبْعِهَا وَهُوَ طَبْعُ اَلنَّارِ وَالْحَرارَة وَاليُبُوسَة؛ وَلاَ يُوَسِّوسَان اَلانْسَان اَنْ يَعْمَلَ اِلاَّ مَا يَكُونُ مِنْ اَعْمَالِ اَهْلِ اِلنَّار؛ وَالرُّوحُ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ اِبْلِيسُ عِنْدَ اِستِكْبَارِهِ عَن السُّجُودِ لِسَيِّدِنَا اَدَم -عَلَيْهِ اِلسَّلاَم- "خَلَقْتَنِي مِن نَار"؛ وَحَيْثُ هِيَ اَلنَّفْسُ وَالشَّيْطَانُ مِن طَبْعِ اِلنَّارِ فَهُمَا يَتبَعَانِ اِلانْسَانَ لِيَذْهَبَ اَلِيْهِ مَعَهُمَا؛ وَلَمَّا عَلِمَ اَلشَّيْطَانُ أنْ لَيْس (٤٧ب) لَهُ قُوَّةً عَلَى اِلاِنْسَان اِلاَّ لِيُوَسْوِسَهُ فَقَطْ؛ وأَنَّ اَلْوِسْوَاسُ يَرُدُّهُ اَلانْسَانُ تَارَةً بِلاَ تَعَبِ وَتَارَةً يَحْتَاجُ اَلدُّعَا اِلَى اَللَّهِ تَعَالَى٠

وَكُنتُ اَخْرُجُ اِلَى بَيْنِ اِلاَشْجَارِ وَاَدْعُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُثَبِّتَنِي فَمَشَى اِبْلِيسُ اِلَى صَاحِبِي - وَكَانَ اَكْبَرُهمْ سِناً مِنَ اِلاَصْحَابِ -

ووَسْوَسَهُ واَتَّفَقَ مَعَهُ أَنْ يُكَلِّمُنِي فِي شَأنِ اِلْبِنْتِ؛ وكُنْتُ اُخْفِي مَا اَصَابَنِي مِنَ الْهَمِّ بِسَبَبِ اِلْبِنْتِ مِنْ اَصْحَابِي لِئَلاَ يَظْهَرَ لَهُمْ ضُعْفُ مِنِّي اِذْ كُنْتُ أُقَوِّيهِمْ أَنْ يَغْلِبُوا نُفُوسَهُمْ عَنِ اِلنِّسَا اَلْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَيْلُ لَهُنَّ. فَجَأَنِي صَاحِبِي عَلَى وَجْهِ اِلسِّرِّ وَالنُّصْحِ.

وقَالَ لِي: يَا سَيِّدِي أَصَابَنِي تَغْيِيرٌ بِسَبَبِ اِلنَّاقِصَةِ اَلَّتِي رَأَيْتُهَا مِنْكَ.

قُلْتُ لَهُ: اذْكُرْ لِي مَا رَايْتَ مِنِّي لَعَلَّكَ تَنْفَعَنِي.

قَالَ: هَذِهِ الْبِنْتُ مَا يَخْفَى حَالُهَا؛ وَهِيَ تَعْمَلُ اَلْخَيْرَ اَلْكَثِيرُ مَعَنَا بِسَبَبِ مَحَبَّتِهَا اِلَيْكَ اِذْ هِيَ ظَاهِرَةٌ لَيْسَتْ بِخَافِيَةٍ؛ وَأَنْتَ تَعْرَفُ اَلْعَادَةَ اَلْجَارِيَةَ فِي هَذِهِ اِلْبِلاَدِ اِنِّ اَلرَّجُلَ يَمُدُّ يَدَهُ لِلْبَنَاتِ وَيُلَعِبُهَا؛ وَلَيْسَ بِعَيْبٍ عِنْدَ اَحَدٍ مِنْ هَذَا[1] اَلنَّاسِ؛ وَهِيَ تَقِفُ أَمَامُكَ مِرَاراً قَرِيباً مِنْكَ تَنْتَظِرُ أَنْ تُلاَعِبَهَا وَأَنْتَ لاَ تُفَرِّحُهَا وَلاَ تَشْرحُهَا!

قُلْتُ فِي نَفْسِي: هَذَا اَقْوَى مِنْ اَلشَّيْطَانِ. قُلْتُ: (١٤٨أ) يَا صَاحِبِي هَذَا عِنْدَنَا فِي دِينِنَا اَمْرٌ بِالْمَنْعِ مِنْ ذَلِكَ وَالنَّصُ هُوَ: "وَالتَّكَفُّ يَدَكَ عَنْ مَا لاَ يُحِلّ لَكَ مِنْ مَالٍ اَوْ جَسَدٍ"؛ وَهَذَا جَسَدٌ لَيْسَ بِحَلاَلٍ لِي!

قَالَ: لاَ اَقُولُ لَكَ اِلاَّ اَنْ تُلَعِبَهَا فَقَطْ!

قُلْتُ لَهُ: قَالَ صَاحِبُ اَلْبُرْدَةِ:

فَلاَ تَرُمْ بِالْمَعَاصِي كَسْرَ شَهْوَتِهَا إِنَّ اَلطَّعَامَ يُقَوِّي شَهْوَةَ اَلنَّهِمِ

قَالَ: مَا مَعْنَى هَذَا؟

قُلْتُ: اَلَّذِي يُفْهَمُ مِنَ الْمَعْنَى- حَسْبِمَا سَمِعْتُ - لاَ تَحْسِبْ أَنَّكَ اِذَا اَعْطَيْتَ لِلنَّفْسِ اَلْقَلِيلَ مِمَّا تَشْتَهِي مِن اَلْحَرَامِ إِنَّهَا تَقْنَعُ بِذَلِكَ بَلْ تَزْدَادُ شَهْوَتُهَا وَتَتَقَوَّى عَلَيْكَ وَتَغْلَبُكَ حَتَّى تَفْعَلَ مِنَ الْحَرَامِ اَكْثَرَ مِمَّا

[1] كذا في الأصل.

قَصَدْتَ • وَمِثَالُ ذَلِكَ: أَنَّ اَلانْسَانَ اِذَا كَانَ صَايِماً فَهُوَ صَابِرٌ عَلَى اَلطِّعَامِ حَتَّى يَبْتَدِي بَالْمَاكُول تَتَقَوَّى شَهْوَتَهُ عَلَيْهِ أَنْ يَاكُلَ حَتَّى يَشْبَعَ؛ وَاَلاحْسَنُ وَالافْضَلُ مُخَالِفَةُ اَلنِّفْس وَالشَّيْطَان وَأَنْ يَعْصِيهِمَا •

فَلاَ نَفَعَ مَعَ صَاحِبِي مِنْ كُلِّ مَا قُلْتُ لَهُ شَيْئاً لانَّهُ جَاءَ مِنْ وَرَاءِي وَاَلْبِنْتُ وَاقِفَةٌ تَتَكَلَّمُ مَعِي وَأَدْحَانِي اِلَيْهَا؛ وَحِينَ ذَهَبَتْ خَاصَمْتُه عَلَى حُمقِهِ •

وَسَأَلَتْنِي : هَلْ عِنْدِي اِمْرَأَةٌ فِي بِلاَدِي؟

قُلْتُ لَهَا: عِنْدِي!

ثُمَّ قَالَتْ: وَتَتَزَوَّجُونَ اكْثَرَ مِنْ اِمْرَأَةٍ ؟

قُلْتُ لَهَا: جَائِزٌ ذَلِكَ فِي دِينِنَا.

ثُمَّ (٤٨ ب) قَالَتْ: هَلْ عِنْدَكَ اَوْلاَدٌ؟

قُلْتَ لَهَا: عِنْدِي؛ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي – حِيْنَ عَلِمَتْ ذَلِكَ تَنْقُصُ اَلْمَحَبَّةَ فَلَمْ تَنْقُصَ شَيْئاً •

وَرَايتُهَا يَوْماً زَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَكَانَتْ تَرْعَانِي وَلَيْسَ لِي خَبَرٌ بِمَا اَضْمَرَتْ؛ وَسِرْتُ اِلَى اَلْجِنَانِ؛ وَاَلْبَسَاتِين بِتِلْكَ اَلْبِلاَد مَا لَهَا حِيطَان لِلْتَحْوِيطِ بَلْ يَحْفُرُونَ خَنْدَقاً دَايِراً بِالْبُسْتَانِ غَرِيقاً لِمَنْعِ اِلنَّاسِ مِنْ اَلدُّخُول اِلَيْهِ اِلاَّ مِنْ اَلْبَابِ • وَسَمِعْتُهَا تُنَادِينِي فَجِئْتُ مِنْ دَاخِلِ اِلْجِنَان اِلَى حَاشِيَةِ اِلْخَنْدَقِ وَهِيَ وَاقِفَةٌ عَلَى اَلْحَاشِيَةِ مِنْ اَلْجِهَةِ اِلاُخْرَى وَطَرِيقٌ صَغِيرٌ هَابِطٌ اِلَى قَعْرِ اِلْحُفْرَةِ وَطَالِعٌ اِلَى اَلْجِنَان وَاَلْخَنْدَقُ، اَلْكُلُّ عَامِرٌ بِالاَشْجَارِ اِلبرِّيَةِ حَتَّى لاَ يَظْهَرُ قَعْرَهُ اِلاَّ فِي بَعْضِ اِلْمَوَاضِعِ؛ فَتَكَلَّمْنَا هُنَالِكَ وَفَهِمْتُ مِنْ حَالِهَا مَا لاَ يَخْفَى؛ وَتَكَلَّمَ بَعْضُ اَصْحَابِي فِي اِلْجِنَان وَقَرُبَ مِنْ جِهَتِي وَذَهَبَتْ • وَفَّقَنِي اَللَّهُ بِفَضْلِهِ

وَاِحْسَانِهِ وَحِمَايَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ الْجَمِيلِ؛ وَاسْتَغْفِرُ اللّهَ مِنَ الْكَلاَمِ الَّذِي صَدَرَ مِنِّي اِلَيْهَا وَالنَّظَرِ اِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؛ وَاِنَّ اللّهَ يَغْفِرُ الصَّغَايِرَ بِاِجْتِنَابِ الْكَبَايِرِ.

وَقَدْ جَاءَتْ بِنْتٌ مِنْ اَكَابِرِ الْفَرَنْجِ مِنْ مَدِينَةِ فُنْتَنِي اِلَى زِيَارَةِ صَنَمٍ بِقُرْبِ الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ (١٤٩أ) وَبَعْدَ الزِّيَارَةِ جَاءَتْ اِلَى اِمْرَاَةِ الْقَايِدِ وَالْبِنْتُ الَّتِي فَرَغْنَا مِنَ الْكَلاَمِ عَلَيْهَا؛ فَاَقْبَلُوا عَلَيْهَا. وَبَعْدَ الطَّعَامِ نَادَوْنِي وَاَعْطُونِي كُرْسِياً؛ وَجَلَسْتُ وَزَوْجَةُ الْقَائِدِ عَنْ يَمِينِي وَالْبَنَاتُ قُبَالَتِي وَالَّتِي جَاءَتْ اِلَى الزِّيَارَةِ كَانَتْ اَجْمَلُ وَاَزْيَنُ مِنَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدَّارِ؛ وَفِي حَالِ لِبَاسِهَا ظَاهِرَةٌ اَنَّهَا مِنَ الاَكَابِرِ؛ وَمَعَهَا بِنْتَانِ تَخْدُمَانِهَا.

وَقَبْلَ أَنْ نَادَوْنِي اَعْلَمُوهَا بِي؛ وَلَمَّا جَلَسْتُ نَظَرَتْنِي شَزْراً وَاَظْهَرَتْ فِي وَجْهِهَا الْغَضَبُ وَقَالَتْ لِي: اَنْتَ تُرْكِيٌّ؟

قُلْتَ لَهَا: مُسْلِمٌ، اَلْحَمْدُ لِلّهِ.

قَالَتْ: كَيْفَ بِكُمْ لم تَعْرَفُوا اَللّهَ؟

قُلْتُ لَهَا: اَلْمُسْلِمُونَ يَعْرَفُونَ اَللّهَ خَيْرٌ مِنْكُمْ!

قَالَتْ: خَيْرٌ مِنَّا؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ لِي: بِمَا تُثَبِّتُ ذَلِكَ؟

فَنَظَرْتُ اِلَيْهَا وَرَأَيْتُ تَحْتَ اِبْطِهَا كِتَاباً - كَمَا هِيَ مِنْ عَادَة بَنَاتِ التُّجَّارِ وَلاَكَابِرِ مِنَ الْفَرَنْجِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٌ تَحْمِلُ كِتَاباً مِثْل تَهْلِيل؛ وَفِي كُلٍّ وَاحِدٍ خَمْسَةَ اَدْعِيَةِ اَوْ سُوَر اَلَّتِي هِيَ فَرْضٌ عَلَى كُلِّ بَالِغٍ حِفْظُهَا.

قُلْتُ لَهَا: اَلْبُرْهَانُ فِيمَا قُلْتُ فِي كِتَابِك اَلذِي عِنْدَكَ وَبِهِ نُثَبِّتُ مَا قُلْتُهُ لَكِ. فَاخَذَتْ الْكِتَاب وَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدِي عَلَى اَلْمَايِدَةِ (٤٩ ب)

وَقَالَتْ: هَا هُوَ اَلْكِتَابُ!

قُلْتُ لَهَا: اَنْظُرِي اَلْعَشْرَةَ الاَوَامِرَ اَلرَّبَّانِيَةَ!

فَفَتَشَتْ فِي الْكِتَابِ وَقَالَتْ: هَا هِيَ!

قُلْتُ لَهَا: اَقْرَءِي اِلاَمْرَ اَلاَوَّل مِنْ الْعَشْرَةِ فِي دِين اِللّٰهِ!

فَقَرَأَتْ وَقَالَتْ: الاَمْرُ الاَوَّلُ مِنْ اَلْعَشْرَةِ؛ قَالَ اَللّٰهُ تَعَالَى: لاَ تَعْمَلْ صُوَرَاً وَلاَ تَعْبُدَهَا؛ اَعْبُدْ اَللّٰهَ وَحْدَهُ.

وَلَمَّا اَنْ قَرَأَتْهُ قُلْتُ لَهَا: اَلْمُسْلِمُونَ مَا يَعْمَلُونَ صُوَرَاً وَلاَ يَعْبُدُونَهَا وَيَتَحَفَظُونَ مِنْ ذَلِكَ؛ حَتَّى أَنَّ اَلنِسَا اَلَّتِي تَرْقُمْنَ لَمْ تُصَوِّرْنَ فِي رَقْمِهَا اَبَداً شَيْئاً لَهُ رُوحٌ؛ وَكَذَلِكَ اَلرَّسَامُونَ اَلَّذِينَ يَرْسُمُونَ وَيُزَوِّقُونَ دِيَارَ اَلْمُلُوكِ وَاَلْجَوَامِعِ؛ لَمْ يُصَوِّرُوا اَبَداً شَيْئاً فِيهِ رُوحٌ.

قَالَتْ: لَيْسَ عِبَادَتَنَا لِلاَصْنَامِ لِذَاتِهَا؛ اِنَّمَا ذَلِكَ لِلْمُشَبَّهِ بِهِ.

قُلْتُ لَهَا: كَانَ لِي كَلاَمٌ اَقُولُهُ لَكِ فِي اِلشَّبِيهِ وَالْمُشَبَّه وَلَكِنْ اَتْرُكُهُ لِنَحْزَكِ لِمَسْئَلَةٍ أُخْرَى لَنْ تَجِدِي لَهَا جَوَاباً!

قَالَتْ: مَاذَا هِيَ؟

قُلْتُ لَهَا: اَلاَمْرُ اَلرَّبَّانِي بِالنِّصِ قَالَ: لاَ تَعْمَلُوا صُوَرَاً وَلاَ تَعْبُدُوهَا؟

قَالَتْ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهَا: أَتَعْمَلُونَ اَصْنَاماً أَمْ لاَ؟

فَكَانَ لَهَا اِنْصَافٌ لِلْحَقِّ وَعَقْلٌ؛ وَنَظَرَتْ اَلنِّسَا وَقَالَتْ لَهُنَّ بِلِسَانِهِنَّ: غَلَبَنِي، وَمَا وَجَدْتُ بِمَا نُجَاوِبَهُ بِهِ. فَنَظَرْتُ اِلَيْهَا وَنَزَلَ بِهَا فَرَحٌ

وَانْشِرَاحٌ كَأَنَّهُ زَالَ مِــنْ قَلْبِهَـا (٥٠أ) غِشَـاءٌ. وَاقْبَلَـتْ عَلَـيَّ بِحُسْنِ الْكَلاَمِ وَذَهَبَ عَنْهَا اَلْغَيْظُ وَالْغَضَبُ اَلَّذِي كَانَ فِيهَا لِلْمُسلِمِينَ.

وَقَالَتْ لِي: كَمْ سَنَةَ اَلَّذِي ظَهَرَ فِي اِلدُّنْيَا نَبِيُّكُمْ؟ وَهَلْ هُوَ تَـارِيخُ اَلسِّنِينَ مِنْ مِيلاَدِهِ كَمَـا هُوَ عِنْدَنَا مِـنْ مِيـلاَدِ عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ؟

قُلْتُ: بَلَغَ حِسَابُ تَارِيخِ اَهْلِ دِينِنَـا فِـي هَـذِهِ اِلسَّنَةِ اِحْدَى وَعِشْرِينَ وَالْف مِنَ اَلْهِجْرَةِ؛ وَهِيَ اَلسَّنَةُ اَلَّتِي خَـرَجَ نَبِيُّنَـا – صَلَّـى اَللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ – مِنْ مَكَّةَ لِشُهْرَةِ دِينِ اِللَّهِ تَعَالَى.

قَالَتْ: وَاَلسَّنَةُ عِنْدَكُمْ هِيَ كَعَامِنَا فِي اَيَّامِهِ؟

قُلْتُ لَهَا: اَمَا اَلسَّنَةُ عِنْدَكُمْ فَهِـيَ شَمْسِيَةٌ وَفِيهَـا مِـنَ اَلاَيَّـامِ ثَلاَثُمِائَـةٍ وَخَمْسَةَ وَسِتُّونَ يَوْماً وَرُبُعُ يَوْمٍ؛ وَالسَّنَةُ عِنْدَنَا فَهِيَ قَمَرِيَةٌ وَفِيهَا مِـنَ اَلاَيَامِ ثَلاَثَ مِائَةٍ وَأَرْبَعَ وَخَمْسِينَ يَوْماً بِتَقْرِيبٍ.

قَالَتْ: اَلشُّهُرُ كَأَشْهُرِنَا؟

قُلْتُ لَهَا: كُلُ شَهْرٍ عَرَبِي يَنْقُصُ يَوْماً عَنِ اِلشَّهْرِ اِلشَّمْسِي.

قَالَتْ: وَالنِّسَا عِنْدَكُمْ مَحْجُوبَات؟

قُلْتُ لَهَا: نَعَمْ!

قَالَتْ: وَكَيْفَ يَكُونُ اَلْعِشْقُ عِنْدَ اَلْبَنَاتِ وَمَنْ يَنْكِحُهُنَّ؟

قُلْتُ لَهَا: لَـنْ يَرَاهَـا اَحَدٌ مِمَّن يَخْطُبُهَا حَتَّـى تَكُــونَ لَـهُ (٥٠ب) زَوْجَةٌ.

وَمَعْنَـى قَوْلِهَـا وَسُـؤَالِهَا عِـنْ اِلْعِشْـقِ؛ قَدْ تَقَـرَّرَتْ اَلْعَـادَةُ بِبِــلاَدِ اِلْفَرَنْجِ وَاَلْفَلَمِنْك اَنَّ كُلَّ مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَـتَزَوَّجَ بِنْتَـاً فَهُـوَ لَـهُ مُبَـاحٌ مِـنْ قَرَابَتِهَا اَنْ يَزُورَهَا وَيَنْفَرِدُ بِهَا لِلْكَـلاَمِ لِتَحْصَـلَ اَلْمَحَبَّـةُ بَيْنَـهُمَـا؛ فَـاذَا ظَهَرَ لَهُ اَنَّهُ يَخْطُبُهَا وَلِلْبِنْتِ اَيْضاً حِينَئِذٍ يَقَعُ اَلْكَلاَمُ عَلَى اَلنِكَاحِ؛ وَاِذَا

ظَهَرَ لَهُ غيْرُ ذَلِكَ فَلاَ يَلْزَمُهُ شَيْءٌ فِيمَا فَاتَ مِنْ مُخَالَطَتِهَا؛ وَقَدْ يَكُونُ لِلْبِنْتِ غيْرُ وَاحِدٍ مَنْ يَزُورُهَا عَلَى اَلْوَجْهِ اِلْمَذْكُورِ، وَوَجَبَ لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَشْكُرَ اَللَّهَ عَلَى دِينِ اِلاسْلاَمِ وَنِعْمَتِهِ وصَفَائِهِ.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا لِلْبِنْتِ فِي شَأْنِ الاصنْامِ؛ فَقَدْ قَالَ فِي اِلتَّوْرَيةِ اِلَّتِي بَأَيْدِيهِمْ الاَنَ - اَعنِي بِأَيْدِي اِلْيَهُودْ وَاَلنِّصَارَى - قَالَ فِي اَلْكِتَابِ اِلثَّانِي اِلْمُسِمَّى بِالاشْطْ؛ فِي اِلْبَابِ اِلْعِشْرِينَ مِنْهُ؛ قَالَ سَيِّدُنَا مُوسَى - عَلَيْهِ اِلْسَّلاَمُ - اِنَّ اَللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ أَنْ يَنْزِلَ مِنْ جَبْلِ اِلطُّورِ وَاَنْ يَقُول عَنِ اِللَّهِ تَعَالَى لِبَنِي إِسْرَايِلَ:

أَنَا اِلَهُكُمْ؛ اَخْرَجْتُكُمْ مِنْ مِصْرَ؛ مِنْ دِيَارِ اِلاَسْرِ؛

لاَ تَتَّخِذُوا اَلاهَةً غَيْرِي وَلاَ تَعْمَلُوا صُوَراً مِنْ صُوَرِ اِلسَّمَاءِ اِلْعَلِيَةِ وَلاَ مِنْ صُوَرِ (٥١أ) اِلاَرْضِ وَلاَ مِنْ تَحْتِ اِلاَرضِ؛ لاَ تَسْجُدُوا لَهَا وَلاَ تَعْبُدُوهَا؛ لاِنِّي اِلَهُكُمْ غَيُورٌ.

وَلاَ تَحْلَفُ حَانِثاً.

اَلثَّالِثُ: قَالَ: وَعَظِّمُوا اَلْمَوَاسِمِ.

وَالرَّابِعُ: وَأَطِعْ وَالِدَيْكَ لِيُطُولُ عُمْرُكَ.

اَلْخَامِسُ: لاَ تَقْتُلْ.

اَلسَّادِسُ: لاَ تَزْنِي.

اَلسَّابِعُ: لاَ تَسْرَقْ.

اَلثَّامِنُ: لاَ تَكْذِبْ وَلاَ تَشْهَدْ بِالزُّورِ وَلاَ تَفْتَرِي.

اِلتَّاسِعُ: لاَ تَتَمَنَّى دَارَ صَاحِبِكَ وَلاَ زَوْجَتَهُ وَلاَ مَالَهُ.

وَهَذِهِ الأَوَامِرُ أَخَذَهَا النَّصَارَىْ مِنْ التَّوْرَيةِ وَزَادُوا الْعَاشِرَ، وَقَالُوا: الْعَاشِرُ: أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ وَتُحِبُّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ.

فَهَذِهِ الْعَشْرَةِ أَوَامِرِ الرَّبَّانِيَّةُ، فَالْمِلَلُ الثَّلاَثَةُ مُتَفَقُّونَ عَلَيْهَا؛ وَهِيَ عِنْدَنَا فِي الْقُرْءَانِ الْعَزِيْزِ مُتَفَرِّقَةٌ؛ وَالنَّصَارَى - دَمَّارَهُمْ اللَّهُ - لَمْ يَعْمَلُوا بِالأَمْرِ الأَوَّلُ وَهُوَ الأَصْلُ.

وَقَدْ نَهَى النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ - عَنِ الصُّورِ؛ وَقَالَ: "الْمُصَوِّرُونَ فِي النَّارِ"[١]. وَقَالَ: "اَنَّ الْمَلاَئِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتاً فِيهِ صُوَرٌ"[٢]. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْمِلَّةَ الْمُحَمَّدِيَةَ نَقِيَةٌ سَالِمَةٌ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ الْعَظِيمِ.

وَقَالَ فِي التَّوْرَيةَ؛ فِي بَابِ لَمْ نَسْتَحْضَرْهُ: أَنَّ الْوَثَانِ (٥١ ب) الْكَائِنُ فِيهِ ذَهَبٌ اَوْ فِضَةٌ اَنْ لاَ يَنْتَفِعُ بِهَا اَحَدٌ؛ وَأَنْ يَجْعَلُوا ذَهَبَهُ وَفِضَتَهُ فِي النَّارِ.

وَقَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - فِي الإنْجِيلِ: "اَنْذِرْ صَاحِبَكَ عَنِ الْفِعْلِ الْقَبِيحِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ فَانْذِرْهُ بِحَضْرَةِ إِثْنَيْنِ - اَوْ كَمَا قَالَ - فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِ فَدَعْهُ كَوَثَنِي اَوْ عَشَّارٍ". وَمَعْنَى وَثَنِي: عَابِدُ الاَوثَانِ وَالاَصْنَامِ.

وَقَالَ النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "مُدْمِنُ خَمْرٍ كَعَابِدِ وَثَنٍ"[٣].

---

[١] انظر: **المعجم المفهرس** ٤٣٧/٣ فقد ورد أكثر من حديث بهذا المعنى.

[٢] المصدر نفسه ٤٣٨/٣.

[٣] **سنن ابن ماجة** أشربة ٣ و**المعجم الكبير** للطبراني ٤٥/١٢.

وَذَكَرَ اَلشَّيْخُ جَلاَلُ اَلدِّين اَلسّيُوطِي فِي اَلْخصَائِص اِلْكُبْرَى: اَنَّ اَلنبِّي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حِينَ دَخَلَ مَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ فِي عَامِ اِلْفَتْحِ؛ كَانَ بِالْكَعْبَةِ ثَلاَثُمِائَةِ وَسِتُونَ صَنَماً بِأَرْجُلٍ مِنْ رَّصَص وكَانَ يَشِيرُ اِلَى كُلّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِقَضِيبٍ بِيَدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَصِلَ اِلَيْهَا؛ وَيَقُولُ: "جَاءَ اَلْحَقُ وَزَهَقَ اَلْبَاطِل أَنَّ اَلْبَاطِلُ كَانَ زَهُوقاً"[١]؛ فَيَقَعُ اَلصنَّمُ عَلَى ضَهْرِهِ اَوْ وَجْهِه[٢].

وَقَدْ اَفْرَدْتُ فِي اِلرِّحْلَةِ بَاباً فِي ذِكْرِ اِلاَصنَامِ وَحَكَيَاتَ عَلَيْهَا؛ وَلَمْ نَذْكُرْ هُنَا إِلاَّ وَاحِدَةَ مِنْهَا وَهِيَ:

اِنَّ اَلْفَقِيه عَلِي بَنْ مُحَمَّدْ اَلْبَرْجِي اَلاَنْدَلُسِي - رَحِمَهُ اَللَّهُ - ذَكَرَ لِي بِمَرَّاكُشْ أَنَّ بِقُرْبِ اَلْبَلَدِ (١٥٢أ) اَلِّذِي كَانَ سَاكِنَاً فِيهِ - فِي زَمَانِنَا هَذَا - كَانَ مُسْلِمٌ أَسِيرًا اَسْمُهُ آحْمَدُ وَسَيِّدُهُ فَلاَنْ - ذَكَرَ إِسْمَ مَرْتَبَتِهِ مِثْلُ مَرْكِشْ اَوْ قُنْد - وَلَهُ بُلْدَانٌ مِلْكٌ لَهُ؛ وَفِي قَرْيَةٍ مِنْ بِلاَدِه اَتَفَقَ اَعْيَنُ سَكَّانِهَا عَلَى شِرَاءِ صَنَمٍ. وَبْعدَ شِرَائِهِ فِي بَلَدٍ اَخَر ظَهَرَ لَهُمْ اَنَّ اَحْمَدَ اَلْمُسْلِمُ يَبْعَثُونَهُ لِيَأْتِيَهِم بِالصَنَمِ؛ وَأَعْطَوْهُ حِمَاراً؛ وَمَشَى وَوَضَعَ اَلصنَّمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يُمْسِكُهُ اِلَى اَنْ خَرَجَ اِلَى اَلطَّرِيقْ وَلَمْ يَرَ اَحَدَا مِنَ اَلنصَّارَى، قَالَ لِلْصَنَمِ: وَاللَّهِ مَا نَحْمِلُكَ اِلاَّ مَرْبُوطاً مَجْرُوراً عَلَى اَلاَرْضِ، وَرَبَطَهُ بِحَبِلٍ فِي اِلْحِمَارِ بَعدَ أَنْ اَطْرَحَهُ عَلَى اَلاَرْضِ؛ وَرَكِبَ اَحْمَدُ وَمَشَى.

وَلَمّا قَرُبَ مِنَ اَلقَرْيَة فَكَانَ اَلِّذِينَ بَعَثُوهُ يَنْتَظِرُونَ اَلصنَّمَ وَرَأَوْ اَحْمَداً رَاكِباً وَالصنَّمَ مَجْرُورًا عَلَى اَلاَرْضِ فَاسْرَعُوا جَمِيعَاً وَعَرَّوْ

---

[١] سورة الإسراء ٨١.

[٢] الحديث في **المعجم الكبير** للطبراني ١٠/٢٧٩.

رُءُوسَهُمْ تَعْظِيماً لِلْصنَمِ؛ وَهُمْ يَمْسَحُونَهُ وَيَبْكُونَ عَلَى مَا أَصَابَهُ.
وَقَبَضُوا الْمُسْلِمِ احْمَدَ؛ وَهُمْ يَنْظُرُونَ بِيْنَهُمْ مَاذَا يَصْنَعُونَ بِهِ؟ هَلْ يَقْتُلُونَهُ اوْ يَضْرِبُونَهُ؟

وَاتَّفَقَ نَظَرْهُمْ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهُ اِلَى سَيِّدِهِ وَمَوْلَى بَلَدِهِمْ (٥٢ ب) لِيَقْتُلَهُ وَمَشَوْا بِهِ جَمِيعاً، وَبِبَرَكَةِ مَا جَاهَدَ فِي الصَّنَمِ، قَالَ لَهُمْ سَيِّدُهُمْ - بَعْدَ أَنْ اشْتَكَوْا اِلَيْهِ بِهِ -: انْتُمْ تَسْتَحِقُّونَ اشَدَّ الْعُقُوبَةِ اِذْ بَعَثْتُمْ مُسْلِماً يَاتِيكُمْ بِالصَّنَمِ؛ فَهُوَ عَمِلَ بِمُقْتَضَى دِينِهِ. وَبَقِيَ احْمَدُ سَالِماً فَارِحاً ضَاحِكاً عَلَيْهِمْ وَهُمْ فِي خِزْيٍ وَهمٍّ وَذُلٍّ؛ وَالِهُهُمْ مَجْرُورٌ.

وَأَمَّا مَعْنَى مَا قَالَ فِي النِّصِّ: "لاَ تُصَوِّرُوا صُوَراً مِنْ صُوَرِ السَّمَاءِ وَلاَ مِنْ صُوَرِ الارْضِ" الْمَفْهُومُ: لاَ تُصَوِّرُوا شَيْئاً مِمَّا فِيهِ رُوحٌ - وَاللّهُ اعْلَمُ - وَالْمَجُوسُ تُصَوِّرُ الدَّرَارِي السَّبْعَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ اَوْ حَيْوَانَ. وَمَا زَالَتْ النِّصَارَى الاَنَ تُصَوِّرُ تِلْكَ الصُوَرِ فِي كُتُبِ التَنْجِيمِ؛ فَيُصَوِّرُونَ زُحَلاً عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ شَيْخٍ كَبِيرٍ بِمَنْجَلٍ فِي يَدِهِ يَحُوشُ الارْوَاحِ؛ وَالْمُشْتَرِي عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ قَاضِي؛ وَالْمَرِيخُ عَلَى صُورَةِ رَجُلٍ بِسَيْفٍ فِي يَدِهِ؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ السَّبْعَةِ بِمَا يُنَاسِبَهُ.

وَأَمَّا صُورَةَ الْبُرُوجِ فَإِنَّ مِنْهَا صُورَةَ الْكَبْشِ لِلْحَمَلِ وَصُورَةُ ثَوْرٍ لِبرْجِ الثَّوْرِ وَصُورَةُ الْجَوْزَا وَالسِّرطَانِ وَالاَسَدِ وَعَقْرَبٍ وَجَدْيٍ وَحُوتٍ وَيَكُونُ الْمَنْعُ بِسَبَبِ (٥٣أ) ذَلِكَ لانَّهَا صُوَرُ اشْيَاءِ لَهَا ارْوَاحُ فِي الْوُجُودِ.

وَامَّا صُورَةُ نُجُومٍ اوْ شَجَرٍ مِنَ الارْضِ وَاشْيَاءِ مِمَّا لاَ رُوحَ فِيهَا فَلاَ يَظْهَرُ انَّ ذَلِكَ مَمْنُوعٌ.

وقَدْ قَالَ لِي بَعْـضُ اَلرّهْبَـانِ: اَنْتُـمْ تُصَـوِّرُونَ اَلْـوَرْدَ وَاَلاَشْـجَارْ، قُلْـتُ: اَلنّـصُ لَيْـسَ بِمَـانِعٍ لِصُـورِ اِلْجَمَـادَات وَالاَشْـجَارِ؛ اِنمَّـا الْمَنْـعَ تَصوِيرِ شَيْءٍ يَشْبِهُ شَيْئاً حَيّاً.

وَأَمّا اَلْمَسْئَلَةُ اَلَتِي جِئْنَا اِلَيْهَا بِكِتَـابِ اِلسُّـلْطَان لِقَبْضِ اَلرُّيَّـاسِ اِلّذِيـنَ نَهَبُوا اَلاَنْدَلُسْ وكَانُوا بِأوْلُونَهَ فَلَمْ نَقْضِ شَيْئاً هُنَـالِكَ؛ وَأَظُـنُّ اَنّ قَـايِدَ اَلطَابِع قَبَضَ مِنْهُمْ شَـيْئاً لِنَفْسِـهِ. وَأَرَدْتُ اَلْقُـدُوم مِنْ عِنْـدَهُ؛ وَطَلَـبَ مِنِّي اَنْ نَتْرُكَ لَهُ كِتَابَ اَلسّلْطَان؛ وَأَبَيْـتُ اَنْ نَتْرُكَـهُ لَـهُ وَمَشَـيْنَا مِـنْ هُنَالِكَ اِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ.

اَلْبَــابُ اَلتَّاسِــعُ

فِي قُدُومِنَا إِلَى مَدِينَةِ بُرْضِيُوشْ
وَمَا وَقَعَ لِي فِيهَا مِنَ اَلْمُنَاظَرَاتِ

اَعلَمْ اَنَّهَا مِنْ اَعْظَمِ مُدُنْ فرَنْجَه؛ عَلَى حَاشِيَةِ نَهْرعَظِيمٍ؛ وَفِيهَا ثَمَانُونَ قَاضِياً وَمِائَتَانِ وَكِيلاً؛ وَالْمُفْتِوُنَ وَالْكُتَّابُ (٥٣ ب) بِلاَ حِسَابٍ. وَفِيهَا دِيوَانٌ يَحْكُمُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ اَلْبُلْدَانِ.

وَمِمَّا وقَعَ لِي مَعَ بَعْضِ اِلقَسِّيسِينَ فِي دَارِ قَاضِي اَلاَنْدَلُسْ؛ جَاءَ اِلَيْهَا قَسِيسَانِ لِقَضَاءِ غَرَضٍ؛ وَقِيلَ لَهُمَا عَنِّي اِنِّي مُسْلِمٌ.

وَجَاءَانِي وَقَالاَ لِي: اَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ لَهُمَا: نَعَمْ!

قَالاَ: اَتَعتَقِدُونَ أَنَّ فِي الْجَنَّةِ اَكْلاً وَشُرْبَاً وَتَنَعُّماً مِثْلُ مَا فِي اِلدُّنْيَا؟

قُلْتُ لَهمْ: نعَمْ، وَلاَكِنْ اَفْضَلُ مِمَّا فِي اِلدُّنْيَا.

فَضَحِكَا.

قُلْتُ لَهُمَا: بِمَا تُنْكِرَانِ ذَلِكَ؟

قَالاَ: لاَنَّ مَنْ ثُفْلِ اَلطَّعَامِ تَكُوُن اَلنَّجَاسَةُ؛ وَمِنْ اَلْمُحَالِ اَنْ تَكُونَ اَلنِّجَاسَاتُ فِيهَا.

قُلْتُ لَهُمَا: اَمَا عِنْدَكُمْ فِي كُتُبِكُم اِنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ خَلَقَ اَبَانَا آدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَذَنَ لَهُ اَنْ يَاكُلَ مِنْ جَمِيعِ اِلْفَواكِهِ فِي اِلْجَنَّةِ اِلاَّ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ؟ قَالَ لَهُ: لاَ تَاكُلْ مِنْهَا لاَنَّكَ اِذَا اَكَلْتَ مِنْهَا تَمُوتُ؟

قَالاَ: هَكَذَا هُوَ!

قُلْتُ لَهَمْ: لَوْلاَ اَكَلَ مِنْ اَلشَّجَرَةِ لَكَانَ فِيهَا اِلَى اَلآنْ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ كَذَلِكَ!

قُلْتُ: فَكَانَ يَاكُلُ مِنَ اَلْفَوَاكِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ لَهُ تَفْلاً؛ وَكَذَلِكَ لَوْ بَقِيَ اِلَى الاَنَ. وَأَمَّا اَلتُّفْلُ مَا كَانَ اِلاَّ مِن فَاكِهَةِ اِلشَّجَرَةِ اَلْمَنْهِي عَنْهَا وَكَذَلِكَ إِذَا رَجِعَ اَبُونَا آدَمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ مِنْ اَهْلِ اِلسَّعَادَةِ (١٥٤أ) مِنْ اَوْلاَدِهِ يَاكُلُونَ فِيهَا وَلاَ تَخْرُجُ مِنْهُمْ نَجَاسَةٌ اَبَدَاً.

قَالاَ: اَلْجَنَّةُ اَلَّتِي كَانَ فِيهَا اَبُونَا آدَمُ كَانَتْ فِي اِلاَرْضِ وَاَلَّتِي تَمْشِي اَلَيْهَا اَلنَّاسُ فِي اِلآخِرَةِ هِيَ فِي السَّمَاءِ[1].

قُلْتُ: مَا كَانَ اَبُونَا اَدَمُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِلاَّ فِي اِلسَّماءِ؛ لاَنَّ كُلُّ مَا يَكُوْن فِي اِلاَرْضِ لاَ يُسَمَّى بِجَنَّةٍ، لاَنَّهُ مَقْهُورٌ بِالْعَنَاصِرِ اِلاَرْبَعَةِ وَلاَ بُدٌ مِنَ اَلتَّغْبِيرِ بِسَبَبِهَا، وَلاَ بُدٌ مِنْ اَلنُّورِ وَالظُّلْمَةِ؛ وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا تَغْبِيرٌ وَلاَ ظُلْمَةٌ؛ وَهَذَا بُرْهَانٌ اَنَّ سَيِّدِنَا اَدَم – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – كَانَ فِي جَنَّةٍ فِي اِلسَّمَاءِ، فَبُهِتَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا[2].

وَاَعْلَمْ اَنَّ اَلنَصَارَى وَالْيَهُود يَقُولُونَ بِمَا فِي اِلْبَابِ اِلاَوَّلِ مِنَ اَلتَّوْرَيَةِ قَالَ: اِنَّ اِللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ اَدَمَ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – فِي جَنَّةٍ فِي اِلاَرْضِ؛ وَفِيهَا اَشْجَارٌ تُسْقَى بِمَاءِ عَيْنِ مَاءِ؛ وَمِنْهُ تَخْرُجُ اَرْبَعَةُ اَنْهَارٌ وَهُمْ: اَلنِيلُ وَالْفُرَاتُ وَقَيْصُونٌ[3] وَالدِّجْلَةٌ. وَهَذِهِ اِلاَنْهَارُ مَعْرُوفَةٌ اَلآنَ أَنَّ كُلَّ نَهْرٍ فِي بِلاَدٍ مُخْتَلِفَةٍ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَمَعْرُوفُ

---

[1] في الأصل: هي فالسماء.

[2] لإشارة للى الآية « فبهت الذي كفر» من سورة البقرة ٢/٢٥٨.

[3] يريد: وجيحون.

اِبْتِدَاؤُهُ وَانْتِهَاؤُهُ؛ وَهَذَا دَلِيلٌ اَنَّ هَذَا اَلنَّصْ بَاطِلٌ بِالْبُرْهَانِ مِثْلَ اَلشَّمْسِ. وَمَعْنَى اَلاحَادِثُ النَّبَوِيَّةُ فِي ذَلِكَ (٥٤ ب) - وَاَللَّهُ اَعْلَمُ - اَنَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيُفْهَمُ ذَلِكَ مِنْ اَلْبَرَكَةِ اِلَّتِي اَوْدَعَهَا اَللَّهُ تَعَالَى فِيهَا؛ لاَنَّ اَلاعْتِقَادَ فِي اِلْجَنَّةِ اِنَّهَا فِي اِلسَّمَاءِ لاَ فِي اِلاَرْضِ؛ وَالاَنْهَارُ اِبْتِدَاؤُهَا وَاِنْتِهَاؤُهَا عَلَى اَلاَرْضِ. وَقَالَ فِي بَعْضِ كُتُبِ عَبْدُ اَلْوَهَّابِ اِلشَّعْرانِي - نَفَعَ اَللَّهُ تَعَالَى بِهِ - اَنَّ سَيِّدَنَا جِبْرِيلَ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - نَزَّلَ مَاءً مِنَ اَلْجَنَّةِ وَوَضَعَهُ فِي أَمَاكِنَ مِنَ اَلاَرْضِ وَمِنْهَا اِبْتِداءُ اِلاَنْهَارِ اِلارْبَعَةِ: كُلُّ وَاحِدٍ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَاَنَّ اَلْجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ. وَجَمِيعُ شُرَّاحِ اِلرسَالَةِ قَالُوا : اَنَّ مِنْهَا اُهْبِطَا أَبُونَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -.

وَقَدْ اَمَرَنِي اِلسُّلْطَان مَوْلاَيْ زَيْدَانْ - رَحِمَهُ اَللَّهُ - اَنْ اُتَرْجِمَ لَهُ كِتَاباً عَجَمِياً كَبِيراً سَمَّاهُ مُؤَلِّفُهُ: بدرَان لِعُظْمِ جبَلِ مُسمًّى بِهَذَا الاسْمِ لاَنَّه عِنْدَ اَلْجَعْرَافِيُون اَعْظَمُ اَعْظَمُ[1] جِبَال اَلدُّنْيَا اَلْمَعْرُوفَةَ. وَلَمْ نَرَ فِي كُتُبِ اَلْجَعْرَافِيَاتِ مِثْلَهُ؛ وَكَانَ بَلِسَانِ اِلْفَرنْجِ؛ وَصَاحِبُ اَلْكِتَابِ كَانَ فَرَنْجِياً اَسْمُهُ اَلْقِبطَان؛ وَبِلاَدُ اَلدُّنْيَا كُلُّهَا مُصَوَّرَةٌ فِي ذَلِكَ اَلْكِتَابِ بِطُولِ كُلِّ بَلَدٍ وَعَرْضِهِ وَالاَنهَارُ؛ وَكُلُّ نَهْرٍ بِأَيِّ أَرْضٍ وَمَوْضَعَ مَنْبَعَهُ (٥٥أ) وَاِبْتِدَاؤُهُ؛ وَالْمُدُنِ اَلَّتِي عَلَى حَاشِيَتِهِ؛ كُلُّ وَاحِدَةٍ بِأَسْمِهَا؛ وَجَمِيعِ اَلاَبْحُرِ وَالْجُزُرِ وَالاَقَالِيمِ.

وَجَمِيعِ كُتُبِ اِلْجَعْرَافِيَاتِ مُتَفِقُونَ أَنَّ بَحْرَ اَلنِّيلِ يَخْرُجُ مِنْ جَبَلِ اِلْقَمَرِ؛ وَمَوْضِعِه ثَمَانِ عَشْرَةَ دَرَجَةً مِنْ خَطِّ اَلاسْتِوَاءِ اِلَى جِهَةِ اِلْجَنُوبِ بِبِلاَدِ اِلسُّودَانِ؛ وَاَلاَنهَارُ اَلثِّلاَثَةُ فِي غَيْرِ هَذَا اَلْقِسْمِ اَلافْرِيقِي

---

[1] كذا مكررة في الأصل.

اِلّذِي هُوَ رُبُع اَلدُّنْيَا؛ وَفِيهِ هُوَ اَلنِّيلُ وَلَيْسَ وَاحِدٌ مِنْ اَلثَّلاَثَةِ فِي هَذَا اَلرُّبُع؛ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ اَلثَّلاَثَةِ فِي قُطْرٍ بَعِيدٍ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ. أَمَّا اَلْفرَاتُ إبْتِدَاؤُهُ بِقُرْبِ بِلاَدِ اِلْجَرْجَانِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ مَعَ وَادِ اِلدِّجْلَةِ اِلّذِي يَجُوزُ عَلَى بَغْدَادٍ؛ وَالثَّالِثُ بِبِلاَدِ الطَطَرِ؛ وَالرّابِعُ بِبِلاَدِ اَرْمَانِيَه – كَمَا قَالَ مَنْ يَدّعِي بِمَعْرِفَةِ اِلدُّنْيَا٠

وَقَالَ اَلْقبطَانْ اَلْفرَنْجِي حِينَ بَانَ لَهُ غَلَطَ اَلتَّوْرَيةَ: هَذَا اَلْكَلاَمُ الّذِي عِنْدَنَا فِي التَّوْرَيَةِ عَنِ اَلاَنْهَار اِنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؛ فَهُوَ بَاطِلٌ وَكَذِبٌ بِالْعِيَانِ؛ لاَنَّ هَذِهِ اِلاَنْهَارُ اَلاَرْبَعَةُ اَلّتِينَ[1] قَالَ تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدٍ[2] فَالْخِلاَفُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ ظَاهِرٌ لِمَنْ يَعْرَفُ مَوَاضِعَ اَلدُّنْيَا؛ اَنْتَهَى٠

وَبِهَذَا اَلْبُرْهَانُ (٥٥ ب) اَلظَّاهِرُ اَلْمَوْجُودُ اَلاَنَ لِكُلِّ مَنْ اَرَادَ اَنْ يَسْتَلَ عَنِ اَلاَنْهَارِ الاَرْبَعَةِ: فِي أَيِّ بَلَدٍ هُوَ إبْتِدَاؤُهَا فَيَجِدُ ذَلِكَ بِخِلاَفِ مَا قَالَ عَنِ اَلْجَنَّةِ اَنَهُ كَانَ فِيهَا اَبُونَا اَدَمُ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ، وَاِذَا رَأى وَتَحقَقَ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ ذَلِكَ : أَنّ كُلَّ مَا ذَكَرَ فِي اِلاَنْهَارِ وَهِيَ اَرْبَعَةٌ؛ تَشْهَدُ شَهَادَةً مُتَفِّقَةً أَنّ مَنْ قَالَ عَلَيهَا أَنْهَا تَخْرُجُ مِنْ عَيْنٍ وَاحِدٍ فِي اِلْجَنّةِ فِي اِلاَرْضِ قَالَ اَلْبَاطِلُ؛ فَيَبْطُلُ اَيْضاً كُلُّمَا قَالَ فِي اَبِينَا أَدَم – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِنّ اَللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَهُ فِي اِلاَرْضِ٠

وَأَمّا مَا تَقُولُهُ اَلنّصَارَى وَاَلْيَهُودُ عَنِ اَلجَنَةِ اَنْ لَيْسَ فِيهَا شَيْء مِنْ نَعَايِمِ اِلدُّنْيَا مِنَ اِلْمَاكَلِ وَاَلْمَشْرَبِ وغَيْرُ ذَلِكَ؛ فَقَالُوا اَلْحَقُّ فِي خَاصَتِهِمْ لاَنَّهَا مُحَرّمَةٌ عَلَيْهِمْ اِذْ هُمْ كُفَّارٌ؛ وَاَلْمُسْلِمُونَ هِيَ لَهُمْ

---

[1] يريد: التي، وقد جمع الحجري «التي» على التين وهو جمع عامي غريب.

[2] كذا في الأصل، والحجري يريد: واحدة.

بِفَضْلِ اِللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّـهِ وَرَسُولِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلاَمٌ مِثْـلُ هَـذَا فِـي مَدِينَـةِ بُرْضِيُوشْ مَـعَ اَلْقَـاضِي اِلْمُسمَّى فَيِّرْض؛ وَكَانَتْ مَوَاجِبِي فِي اِلأُمُورِ اَلشَّرْعِيَةِ عِنْدَهُ؛ وَكَـانَ يَنْصِحَنِي كَثِيراً، وَكَانَ يَعْرِفُ اَللِّسَانَ اَلاَنْدَلُسِـي اِلْعَجَمِـي (٥٦أ) وَقَـدْ وَجَبَ لَهُ دَرَاهِمُ كَثِيرَةٌ؛ وَاَرَدْتُ أَنْ أُخَلِّصَهُ وَلاَ قَبِلَ مِنِّي شَيْئاً.

وَقَالَ لِي: يَا فُلاَنٌ تَعَجَبْتُ مِنْكَ كَيْفَ أَنْتَ عَلَى دِينِ اَلْمُسْلِمِينَ؟

قُلْتُ لَهُ: لِمَاذَا؟

قَالَ: لاَنَّ عِنْدَنَا فِي كُتُبِنَا اِنَّ اَلْمُسْلِمِينَ يَزُورُونَ مَكَّةَ لِيَرَوْ نَبِيِّهُـمْ فِـي اِلْهَواء فِي وَسَطِ حِلْقَةِ حَدِيدٍ فِـي اَلْهَـوَاء لاَنَّ اَلْحِلْقَـةَ فِي اِلْهَـوَاءِ فِي وَسَطِ قُبَّةِ حَجَـر[١] اِلْمَغْنَـاطِيسِ؛ وَاَلْمَعْرُوفُ مِنْـهُ اَنَّـهُ يَجْـذِبُ اَلْحَدِيـدَ وَاَلْجَذْبُ فِي اِلْقُبَّةِ عَلَى حَـدٍ سَـوَاءٍ مِـنْ كُـلِّ جِهَـةٍ وَتَبْقَـى اَلْحِلْقَـةُ فِـي اِلْهَوَاءِ بِنَبِيِّكُمْ، وَاَلْمُسلِمُون يَعْتَقِدُونَ أَنَّ ذَلِكَ مُعْجِزَةٌ لِنَبِيِّهِمْ.

قُلْتُ لَهُ: هَلْ يَجُوزُ فِي دِينِكُمْ لاَحَـدِ اَنْ يَكْـذِبَ، وَاِنْ كَـانَ بِنِيَـةِ تَقْبِيـحِ دِينَ غَيْرِهِ لِتَحْسِينِ دِينِهِ وَتَزْيِينِهِ لاَهْلِ مِلَّتِهِ؟

قَالَ: لاَ يَجُوزُ ذَلِكَ!

قُلْتُ: اَلنِّصَارَى اَلَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ اَذْنَبُوا ذَنْباً كَبِيراً فِي دِينِكُمْ.

قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: لأَنَّ اَلنَّبِي – صَلَّى اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَيْسَ هُوَ بِمَكَةَ وَلَيْسَ هُـوَ فِي حِلْقَةِ حَدِيدٍ؛ بَلْ هُوَ مَدْفُونٌ فِي اَلْمَدِينَةِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّـةَ عَشْـرَةَ

---

[١] يبدو أن الحجري لم يكن واثقاً من اللفظة فكتبها: «حَجَر» وأضاف «ا» بعد الجيم لتبدو «حِجَار».

ايـامِ؛ وَالْمُسْلِمُونَ يَـزُورُونَ الْكَعْبَـةَ لاَنَّهـا دارٌ[١] مُبَارِكَـةٌ بَنَاهَـا سَـيِّدُنَا (٥٦ ب) اِبْرَاهِيمُ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ –.

قَالَ: زُرْتَهَا انْتَ وَرَأَيْتَ قَبْرَ نَبِيِّكُمْ تَحْتَ الاَرْضِ؟

قُلْتُ لَهُ: لاَ، وَلَكِنْ الَّذِيـنَ مَشَـوْا مِـنْ عِنْدِنَـا يَقُولُـونَ ذَلِكَ مِـنْ غَيْرِ اِخْتِلاَفٍ؛ وَهِيَ مَسْئَلَةٌ لاَ شَكَّ فِيهَا.

قَالَ: عِنْدَكُمْ مَسْئَلَةٌ أُخْرَى؛ أَنَّكُمْ تَعْتَقِدُونَ أَنَّ اَهْلَ الْجَنَّةِ يَـاكُلُونَ فِيهَـا وَيَشْرَبُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ بِنِعَمٍ مِثْلَ مَا فِي اِلدُّنْيَا!

قُلْتُ لَهُ: اَمَّا سَيِّدُنَا عِيسَى– عَلَيْهِ السَّلاَمُ – فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ اِذْ قَـالَ فِـي الاِنْجِيلِ: «اَمَا مَـاءُ هَـذِهِ الشَّـجَرَةِ – اَعْنِـي مَـاء الْكَرْمَـةِ – فَـإِنِّي لَـمْ نَشْرُبْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا اِلَى اَنْ اَشْرُبَهُ مَعَكُمْ فِي الْمَلَكُوتِ».

قُلْتُ لَهُ: هُوَ هَذَا فِي اِنْجِيلِكُمْ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: وَكَيْفَ تَنْكَرُونَ ذَلِكَ؟ لاَنَّ نَعَايِمَ الدُّنْيَا دَالَّةٌ عَلَى نَعَايِمِ الْجَنَّةِ اِلاَّ اَنَّ اُمُورَ الْجَنَّـةِ فِـي غَايَـةِ الْكَمَـالِ؛ وَفِيهَـا مَـا لاَ عَيْـنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذْنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؛ وَسَيِّدُنَا عِيسَـى – عَلَيْـهِ السَّـلاَمُ – ذَكَرَ الشُّرُبَ فِي الْجَنَّةِ كَمَـا كَـانَ يَعْلَمُـهُ وَيَعْتَقِـدُهُ اَنَّ فِـي الْجَنَّـةِ اَكْـلاً وَشُرْبًا.

وَبَقِيَ الْقَاضِي يُفَتِّشُ فِي نَفْسِهِ مَا يَقُولُـهُ؛ وَلَمْ يَجِدْ، وَكَـانَ مِـنْ اَكَـابِرِ عُلَمَائِهِمْ.

---

[١] في الأصل: "دار مباركة "، وكتب الحجري " بيت " تحت كلمة "دار" ولم يغيّر "مباركة" إلى "مبارك" .

وَهَذَا هُوَ اَلنِّصُ فِي اِلانْجِيلِ (٥٧أ) قَالَ مَتِّى فِي اِلْبَابِ التَّاسِعِ وَثَمَانِينَ: «وَفِيمَا هُمْ يَاكُلُونَ اَخَذَ يَصُوعُ خُبْزاً وَشَكَرَ وَكَسَرَ وَاَعْطَى تَلاَمِذَهُ وَقَالَ: خُذُوا كُلُوا هُوَ جَسَدِي؛ وَأَخَذَ كَاساً وَشَكَرَ وَاَعْطَاهُمْ وَقَالَ: اَشْرَبُوا مِنْ هَذَا كُلُّكُمْ لاَنَّ هَذَا هُوَ دَمِي؛ اِلْعَهْدِ اِلْجَدِيدِ اَلَّذِي يُهْرَقُ عَنْ كَثِيرٍ لِمَغْفِرَةِ اِلْخَطَايَا؛ وَأَقُولُ لَكُمْ: اِنِّنِي لاَ اَشْرُبُ عَصِيرِ هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ حَتَّى اِلَى ذَلِكَ اَلْيَوْمِ الَّذِي اَشْرُبُهُ مَعَكُمْ جَدِيداً فِي مَلَكُوتِ اَبِي». وَاَيْضاً قَالَ مَرْقُشَ فِي بَابِ سِتَتِ وَاَرْبَعِينْ: «اَلْحَقُّ اَقُولُ لَكُمْ اِنِي لاَ اَشْرَب عَصِيرِ هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ حَتَّى اِلَى ذَلِكَ أَلْيَوْمِ حِيْنَ نَشْرُبُهُ جَدِيدًا فِي مَلَكُوتِ اِللِّهِ»[١] اَنْتَهَى.

وَعِنْدَهُمْ فِي اِلانْجِيلِ اَيْضاً: قَالَ اَنَّ اَلْيَهُودَ جَاءُوا اِلَى سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - عَلَى وَجْهِ اِلضَّادِّ لَهُ، وَسَأَلُوهُ؛ قَالَ لُقَا اَلْمُنَجِيلِي فِي اِلْبَابِ اِلثَّانِي وَالسَّبعِين؛ قَالَ: «قَالَ اَلْيَهُودُ اِمْرَأَةٌ تَزَوَّجَهَا سَبْعَةُ اِخْوَةٌ؛ وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ وَمَاتَتْ اَلْمَرْأَةُ؛ فَفِي اِلْقِيَامَةِ لِمَنْ (٥٧ ب) مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةً؟ لاَنِّ السَّبْعَةَ قَدْ تَزَوَّجُوهَا، فَقَالَ لَهُمْ سَيِّدُنَا عِيسَى: اَمَّا بَنُوا هَذَا الدَّهْرِ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَزَوَجُونَ؛ وَأَمَّا اُولاَئِكَ اَلِّذِينَ اَسْتَحِقُّوا ذَلِكَ اَلدَّهْرَ وَاَلْقِيَامَةِ، الاَمْوَاتُ، لاَ يَتَزَوَّجُونَ وَلاَ يَزَوِّجُونَ لاَنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ بَلْ يَصِيرُونَ مِثْلَ اَلْمَلاَئِكَةِ اِلْكِرَامِ؛ وَيَصِيرُونَ اَبْنَاءِ اِللِّهِ وَبَنِي اِلْقِيَامَةِ» اَنْتَهَى.

هَذَا اَلسَّؤَالُ كَمَا يُقَالُ اَنِّ اِبْلِيسَ - لَعَنَهُ اللَّهُ - سَأَلَ سَيِّدِنَا اِدْرِيس - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -: هَلْ يَسْتَطِيعُ اَللِّهُ تَعَالَى اَنْ يَجْعَلَ اِلدُّنْيَا كُلُّهَا فِي قِشْرَةِ بَيْضَةٍ؟ وَعَرَفَهُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَجَاوَبَهُ عَلَى

---

[١] ١٤: ٢٥.

مُقْتَضَى عِنَادِهِ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ جَوَابُ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – لِلْيَهُودْ، وَالنِّصَارَى الْمُشْرِكُونَ اَخَذُوا بِهَذَا الْجَوَابُ وَتَرَكُوا النَّصَ الاَوَّلَ.

ثُمَّ قَالَ لِي الْقَاضِي: اعْلَمْ اِنَّ لِي شَيْخاً كَبِيراً وَهُوَ قَاضِي بَقِيَ فِي بِلاَدِكُمْ سِنِينَ وَقَالَ لِي: انَا اقُولُ لَكَ تَمْشِي عِنْدَهُ؛ وَكَّدَ عَلَيَّ فِي ذَلِكَ؛ قُلْتُ لَهُ: نَمْشِي اِنْ شَاءَ اللّهُ؛ وَبَعدَ (٥٨أ) ذَلِكَ بِاَيَّامٍ قَالَ لِي: لاَ بُدَّ اَنْ تَمْشِي عِنْدَهُ؛ فَمَشَيْتُ عَلَى غَرَضِهِ وَالْتَقَيْتُ بِهِ فِي دَارِهِ؛ وَهُوَ مِنْ نَحْوَ الثَّمَانِينَ سَنَةً.

فَلَمَّا عَرَفَنِي قَالَ لِي- بَعْدَ اَنْ اَقبَلَ عَلَيَّ وَاَظْهَرَ الْفَرَحَ وَجَلَسْتُ مَعَهُ – قَالَ لِي: كُنْتُ بِبِلاَدِكُمْ نَحْوَ الْخَمْسَ سِنِينَ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَةِ؛ وَسَأَلْتُ عَنْ نَبِيِّكُمْ وَذَمُّوهُ لِي!

قُلْتُ: لِمَنْ سَأَلْتَ عَنْهُ؟ لاَنَّ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَهُمْ خَبَرَهُ مِنْ حِينَ خُلِقَ وَمَنْ أَرْضَعَتْهُ مِنَ النِّسَاءِ وَأَيْنَ مَكَثَ وَاِلَى اَيِّ بَلَدٍ سَافَرَ وَمَا عَمَلَ مِنْ الْغَزَوَاتِ وَمَا قَالَ مِنَ أَحَادِيثٍ وَالاَوَامِرِ وَالنِّوَاهِي وَالْوَصَايَا وَمَا عَمِلَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَمَعَ مَنْ تَزَوَّجَ مِنَ النِّسَاءِ اِلَى اَنْ مَاتَ؛ وَاَنْتُمْ لَيْسَ لَكُمْ خَبَرُ سَيِّدِنَا عِيسَى- عَلَيْهِ السَّلاَمُ – اَيْنَ كَانَ وَاَيْنَ سَافَرَ مِنْ بَعْدِ اَنْ بَلَغَ ثَلاَثَةِ عَشْرَةِ سَنَةً اِلَى ثَلاَثَ وَثَلاَثِينَ؛ الَّتِي تَقُولُونَ اَنَّهُ صُلِبَ.

قَالي: دِينُنَا هُوَ دِينُ الْحَقِّ لاَنَّهُ مَاتَ لِيُخَلِّصَ الذَّنْبَ أَلاَوَّلَ عِنْ سَيِّدِنَا ادَمْ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – وَعَنِ الْجَمِيعِ بِسَبِبِ الْفَاكِهَةِ الَّتِي نَهَاهُ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فَاكَلَهَا.

قُلْتُ: نَحْنُ عِنْدَنَا خَلاَصٌ لِمَا وَرِثْنَا مِنَ اَلْفَاكِهَةِ خَيْـرٌ مِـنْ خَلاَصِكُـمْ (٥٨ب) لاَنَّكُمْ تَقُولُونَ اَنَّ وَاحِداً وَهُوَ سَيِّدُنَا عِيسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - خَلَّصَ عَنِ اِلْجَمِيعِ؛ وَنَحْنُ نُخَلِّصُ كُلُّ وَاحِدٍ عَنْ نَفْسِهِ۰

قَالَ: كَيْفَ هُوَ خَلاَصُكُمْ ؟

قُلْتُ لَهُ: اَبُونَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - كَانَ فِي اِلْجَنَّةِ وَمَـا كَـانَ يَخْـرُجُ مِنْ جَسَدِهِ شَـيْءٌ مِـنَ اَلْفَضَـلاَتِ حَتَّـى اَكَـلَ مِـن اَلشَّـجَرَةِ اِلَّتِـي اُمِـرَ بِتَرْكِهَا صَارَ يَخْرُجُ مِنْ جَسَدِهِ مَا لاَ كَانَ لَهُ قَبْلَ.

قَالَ: نَعَمْ؟

قُلْتُ : فَهَذِهِ اِلْفَضَلاَتُ اَلَّتِي تَخْرُجُ مِنَّا هِيَ اَلَّتِي وَرِثْنَا بِسَبَبِ اِلشَّجَرَةِ؛ وَاَعْلَمْ اَنَّهُ فَرْضٌ فِي دِينِنَا عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ بَالِغٍ؛ ذَكَراً كَـانَ اَوْ اُنْثَـى؛ أَنَّهُ يُصَلِّـي لِلَّـهِ تَعَالَى فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ خَمْـسَ صَلَـوَاتٍ؛ وَمِـنْ شُـرُوطِ فَرَائِضِهَا اَنْ يَكُونَ طَاهِراً بِوَضُـوءٍ؛ لاَنَّـهُ لاَ يَدْخُل لِحَضْـرَةِ اِلْمَوْلَـى اِلاَّ بِوَضُـوءٍ؛ وَالْوَضُـوءُ مُطَهِّـرٌ لِلْجَسَـدِ مِمَّـا وَرِثَ مِـنَ اَلْفَاكِهَــةِ اِلْمَذْكُورَةِ؛ وَأَحْدَثَتْ فِي اِلْجَسَدِ اِلنِّجَاسَـاتِ فَيَغْسِـلُ اَلاِنْسَـانُ مَوَاضِـعَ اَلنِّجَاسَةِ فِي اَلْجَسَدِ؛ ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ لاِجلِ أَنَّ اَبَانَا اَدَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - مَدَّ يَدَهُ اِلَى اَلْفَاكِهَةِ اَلَّتِي نَهَاهُ اَللَّـهُ عَنْهَـا؛ وَفَمَـهُ لاَنَّـه أَكَـلَ مِنْهَـا؛ وَاَنْفَهُ (٥٩أ) لاَنَّهُ اَسْتَنْشَقَ اَلْفَاكِهَةِ؛ وَوَجْهَهُ لاَنَّهُ تَوَجَّهَ اِلَيْهَا؛ وَيَمْسَـحُ بِرَاسِهِ لاَنَّهُ دَخَلَ تَحْتَ اَلشَّجَرَةِ؛ وَاُذُنَيْهِ لاَنَّه سَمِعَ بِهِمَا مَا قِيلَ لَهُ فِـي اَلْفَاكِهَةِ عَكْسِ مَا قِيلَ لَهُ اَوَّلاً؛ وَرِجْلَيْهِ لاَنَّهُ سَعَى بِهِمَا اِلَى اَلشَّـجَرَةِ؛ وَاَلْمَوَاضِـعَ كُلُّهَـا يَغْسِـلَهَا بِالْمَـاءِ اِلطَّـاهِرِ لاَنَّ فِـي اِلدُّنْيَـا لَيْـسَ شَـيْءٌ لِلْطَهَارَةِ مِثْلَهُ؛ حِينَئِذٍ يَدْخُلُ اَلاِنْسَانُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ فِي اِلْحَالَةِ اَلَّتِـي كَانَ اَبُونَـا اَدَمُ قَبْلَ اَنْ اَكَـلَ مِـنَ اَلْمَنْهِـي عَنْـهُ۰ وَتَـدُوم هَـذِهِ اِلْطَّهَـارَةُ

حَتَّى يَخْرُجُ مِـنَ الانْسَـانُ شَـيْءٌ مِمَّـا ورِثَ؛ فَيَحْتَـاجُ يَتَوضَّـا؛ وَهَـذَا خَلاَصٌ خَيْرٌ مِنْ خَلاَصِكُمْ، وَانْتَ قَاضِي تَدْرِكُ الْحَقَّ بِعَقْلِكَ؛ فَالَّذِي يُخَلِّصُ عَنْ نَفْسِهِ فَهُوَ بِهَذَا الْعَمَلِ يَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ، وَمَنْ لاَ يُصَلِّي وَلاَ يَتَوَضَّى يُطَلِّبُ بِذَلِكَ، وَانْتُمْ تَقُولُونَ: انَّ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – يُخَلِّصَ عَنِ الْجَمِيعِ.

فَتَعَجَبَ الْقَاضِي وقَالَ: ابَدَاً مَا سَمِعْتُ مَنْ قَالَ هَذَا الْكَلاَمُ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَكَلِّمْنَا؛ وَلَمْ نُثْبِتْ الاَّ لِهَذَا.

وَالْسِرُّ فِي الْوَضُوءِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الَّذِي ذَكَرْتُ؛ كُنْتُ قَرَأْتُ ذَلِكَ (٥٩ ب) بِبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا فِي كِتَابِ يُسَمَّى: بِمُخْتَصَرِ جِبْرِيل وكَانَ فِيهِ انَّ الْمَنِي وُجِدَ فِي ابِينَا ادَمْ – عَلَيْهِ السَّلاَمُ – بَعْدَ أَنْ اكَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ؛ وَانَّهُ يَخْرُجُ مِنْ تَحتِ كُلِّ وَبْرَةٍ مِنْ جَمِيعِ الْجَسَدِ؛ وَلِذَلِكَ وَجَبَ غُسْلُهُ جَمِيعاً[١].

ثُمَّ الْتَقَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَّامٍ بِابْنِ أَخِي الْقَاضِي – وَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي انْ امْشِي الَى عَمِّهِ – وَلَمَّا انْ رَأَنِي قَالَ لِي: رُدّ بَالِكَ، انَّ عَمِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ فَدَعْهُ عَلَى دِينِهِ لاَ تَرُدَّهُ مُسْلِمَاً!

قُلْتُ لَهُ: انتَ اكَدْتَ عَلَيَّ الْقُدُومَ الَيْهِ!

قَالَ: هُوَ يَطْلُبُ مِنْكَ انْ تَمْشِي لَهُ وَلَكِنْ رَأَنِي وَصَيِّتُك؛ وَلاَ ادْرِي الاَنَ هَلْ رَجَعْتُ الَيْهِ امْ لاَ.

وَقَدْ وَقَعَ لِي كَلاَمٌ بِالْمَدِينَةِ الْمَذْكُورَةِ مَعَ رَجُلٍ مُفْتِي؛ قَالَ لِي يَوْمَاً: مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى – عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟

قُلْتُ: انَهُ نَبِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ!

---

[١] الحديث في **الكامل** لابن عدي ٢/١٩٣.

قَالَ: مَا تَقُولُونَ اَنَّهُ اِبْنَ اللّٰهِ حَقِيقَةً؟

قُلْتُ لَهُ: مَا نَقُولُ ذَلِكَ!

قَالَ: فَمَنْ كَانَ اَبُوهُ؟

قُلْتَ: اَلَّتِي كَانَتْ أُمٌّ حَوَى كَانَ أَبُوهُ!

قَالَ: بَيِّنْ مَا قُلْتَ لانِّي مَا فَهِمْتُ مَا قُلْتَهُ عَنْ أُمِّنَا حَوَى!

قُلْتُ لَـهُ: اَعْلَمْ اَنَّ اَلْخِلْقَةَ الانْسَانِيةَ هِيَ عَلَى اَرْبَعَةِ اَقْسَامٍ: اَلْقِسْمُ اَلاوَّلُ: خَلَقَ اَللّٰهُ تَبَارَكَ (٦٠أ) وتَعَالَى اَبَانَا اَدَمَ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - مِنْ غَيْرِ اَبَوَيْنِ؛ وَخَلَقَ أُمَنَا حَوَى مِنْ غَيْرِ أُمٍّ؛ وَخَلَقَ سَائِرَ اَلنَّاسِ مِنْ اَبَوَيْنِ؛ وَخَلَقَ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - مِنْ أُمٍّ لَيْسَ لَهُ أَبٌ؛ كَمَا خَلَقَ اُمِّنَا حَوَى لَيْسَ لَهَا أُمٌ؛ وَلِذَلِكَ قُلْتُ لَكَ حِينَ سَأَلْتَنِي: مَنْ كَانَ اَبُوهُ؟ قُلْتُ: أَنَّ اَلَّتِي كَانَتْ أُمٌّ حَوَى كَانَ اَبُوهُ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: هَلْ تَرَى أَنَّ قُدْرَةَ اَللّٰهِ تَعَالَى صَالِحَةٌ لاكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ اَمْ لاَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

حِينَئِذٍ قَالَ لِلْحَاضِرِينَ مِن اَلنِّصَارَى: أَنْ يَشْهَدُوا عَلَيْهِ أَنَّهُ نِصْرَانِي يَامَنْ بِكُلِّ مَا فِي دِينِهِمْ فِي الدَّارِ اِلَّتِي فِي رُومَةَ وَمَعَ ذَلِكَ اَقُولُ اَنَّ هَذَا اَلْكَلاَمُ اَلَّذِي قَالَهُ اَلْمُسْلِمُ فِيهِ مَا يُسْمَعُ وَهُوَ كَلاَمٌ عَظِيمٌ؛ اَوْ قَالَ اَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ لَهُ اَلْحَاضِرُونَ مِن اَلنِّصَارَى: لاَ يُقْبَلْ ذَلِكَ. فَزَادَ عَلَيهِمْ هُوَ بِمَا بَانَ لَهُ مِنَ اَلْحَقِّ.

وَاَيْضاً كُنْتُ لَيلَةً بِبَابِ طَبِيبٍ صَيْدَلاَنِ - لانَّ بِتِلْكَ اَلْبِلاَدِ؛ بَلْ بِبِلاَدِ اَلنِّصَارَى كُلِّهَا؛ جَمِيعُ دَكَاكِينِ اِلْبَيعِ وَالشِرَاء (٦٠ب) لَمْ يَسُدُّوهَا اِلَى

اَنْ يَجُوْزَ وَقْتُ اَلْعِشَاءِ اِلاَخِرَةَ - وَكَانَ بَعْضُ اَلنِّصَارَى فِي كَلاَمٍ مَعِي فِي الدِّينِ وَفِي مُعْجِزَاتِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ.

قُلْتُ لَهُمْ: اَلْمُعْجِزَةُ هِيَ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ؛ يَخْلُقُهَا اَللَّهُ تَعَالَى عَلَى يَدَيْ اَلاَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

وَقَالَ وَاحِدٌ مِنَ اَلْعَلَماءِ اَلْكُفَّارِ: اَلْمُعْجِزَاتُ اَلَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْ سَيِّدِنَا عِيسَى هُوَ كَانَ يَعْمِلُهَا!

وَرَأَيْتُ بَعْدَ ذَلِكَ وَاحِداً مِنْ اَصْحَابِي خَرَجَ مِنْ بَيْنَنَا بِسُرْعَةٍ؛ فَسَأَلْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِمَاذَا خَرَجَ وَذَهَبَ؟ قَالَ: لانِي حِينَ سَمِعْتُ اَلنِّصْرَانِي يَقُولُ اَنَّ اَلْمُعْجِزَاتِ اِلَّتِي ظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - هُوَ عَمَلَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ خِفْتُ مِنَ اَلدَّارِ اِلْعَالِيَةِ اِلَّتِي كُنَّا بِبَابِهَا اَنْ تَقَعَ عَلَيْنَا بِسَبَبِ مَا قَالَ.

وَقَدْ قَالَ بَدْرُسْ اِلَّذِي كَتَبَ رُبُعَ اَلانْجِيلِ فِي رِسَالَتِهِ فِي اِلْبَابِ اِلثَّانِي فِي اَلْمَقَالَةِ اِلثَّانِيَةِ وَالْعِشْرِينَ: "يَا بَنِي اِسْرَائِيلَ عِيسَى اَلنِّصَارِي ذَكَرٌ مُزَكًّى مِنَ اللَّهِ بَيْنَكُمْ فِي مُعْجِزَاتٍ وَعَلاَمَاتٍ عَمَلَهَا (١٦١أ) اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَكُمْ عَلَى يَدَيْهِ كَمَا فِي عِلْمِكُمْ "؛ اَنْتَهَى. اُنْظُرْ هَذَا اَلْقَوْلَ الصَّرِيحَ اَلْمُوَافِق لِدِينِنَا وَاِعْتِقَادِنَا اَلَّذِي قَالَهُ مَنْ كَتَبَ رُبُعَ اَلانْجِيلِ بِخِلاَفِ نَصَارَى هَذَا اَلزَّمَنْ.

وَقَدْ مَشَيْتُ اِلَى مَدِينَةِ طُلُوشَهْ، وَهِيَ مِنَ اَلْمُدُنِ الْكِبَارِ بِفَرَنْجَه عَلَى شَاطِيِ اِلنَّهْرِ اِلْعَظِيمِ اَلَّذِي يَمُرُّ مِنْهَا اِلَى بُرْضِيُوشْ وَبَيْنَ اَلْمَدِينَتَيْنِ نَحْوَ اَلثَّلاَثَةِ اَيَّامٍ؛ وَعَزَمْتُ نُوَلِّي مِنْهَا اِلَى بُرْضِيُوشْ عَلَى اَلنَّهْرِ فِي قَارِبٍ. وَلَيْلَةٌ قَبْلَ يَوْمِ اِلسَّفَرِ رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ جَمَاعَةً شَيَاطِينِ تَدُورُ بِي مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَجَعَلْتُ اَقْرَا: " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" وَاَشِيرُ إِلَيْهِمْ فَتَهْرُبُ

اَلشَّيَاطِينُ عَنِّي ثُمَّ تَرْجِعُ اِلَيَّ وَاَنَا اَعِيدُ قِرَاءَةَ اَلسُّورَةَ وَتَذْهَبُ عَنِّي. فَأَصْبَحْتُ مُتَغَيِّراً مِنْ اَجْلِ الرُّءْيَا؛ وَقُلْتُ: اَلشَّيَاطِينُ اَعْدَاءٌ فِي التَّاوِيلِ، وَرَكَبْتُ فِي اَلْقَارِبِ وَنَوَيْتُ نَقْرَا فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ سُورَةَ "قُلْ هُوَ اللّهُ اَحَدٌ" اَلْف مَرَّةٍ؛ وَنَدْعُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِبَرَكَتِهَا يَدْفَعُ عَنِّي شَرَّ اَلاَعْدَاءِ.

وَكَانَ اَلْقَارِبُ عَامِراً بِالرِّجَالِ وَبَيْنَهُمْ قَسِيسَانِ مُتَرَهِبَانِ؛ وَعَرَفَنِي وَاحِدٌ مِنَ اَلَّذِينَ كَانُوا بِالْقَارِبِ (٦١ب) وَكُنْتُ - كَمَا تَقَدَمَ - مِنْ حِينَ دَخَلْتُ رَوَانا لَبَسْتُ لِلْضَرُورَةِ لِبَاسَ الْفَرَنْجِ؛ وَذَكَرَنِي لِلْقَسِيسِ؛ فَنَادَانِي وَقَالَ لِي: اَجْلِسْ بِإِزَاءِي فَجَلَسْتُ.

فَقَالَ لِي: اَنْتَ مُسْلِمٌ؟

قُلْتُ: مُسْلِمٌ لِلَّهِ اَلْحَمْدُ!

وَكَانَ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ اَلطِّلْيَانُ وَهُوَ قَرِيبٌ جِدّاً مِنْ لِسَانِ بِلاَدِ اَلاَنْدَلُسْ اَلْعَجَمِي.

قَالَ لِي: لَقَيْتُ فِي اَلْبُنْدُقِيَة بَعْضَا مِنْ اَهْلِ دِينِكُمْ وَرَاَيْتَهُمْ يَعْمَلُونَ شَيْئاً كَأَنَّهُ عَبَثٌ لاَ اَصلَ لَهُ فِي دِينٍ.

قُلْتُ: مَاذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ؟

قَالَ: إِذَا نَزَلَتْ نَجَاسَةٌ اَوْ بَوْلٌ فِي حَوايجَهُمْ يَغْسِلُونَ ذَلِكَ اَلْمَحَلَّ بِمَاءٍ فَسَأَلْتَهُمْ عَنْ اِلسَبَبِ اَلْمُوجِبِ لِذَلِكَ فَلَمْ نَجِدْ عِنْدَهُمْ خَبَراً.

قُلْتُ لَهُ: اَلسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَيْهِ فَرْضٌ اَنْ يُصَلِّي لِلَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ صَلَوَاتٍ؛ كُلُّ صَلاَةٍ فِي وَقْتِهَا؛ مَا بَيْنَ اَلَيِّلِ وَالنِّهَارِ؛ وَمِنْ فَرَايِضِ اِلصَّلاَةِ اَنْ يَكُونَ طَاهِراً فِي جَسَدِهِ وَلِبَاسِهِ لاَنَّهُ يُنَاجِي اللّهَ رَبَّهُ؛ وَيَنْبَغِي اَنْ يَكُونَ عَلَى اَفْضَلِ حَالَةٍ؛ وَلَمَّا كَانَ

مَا يَخْرُجُ مِنَ اَلانْسَانِ مِن اِلسَّبِيلَيْنِ نَجِسّاً بِسَبَبِ اِلشَّجَرَةِ اِلَّتِي اَكَلَ مِنْهَا اَبُونَا ادَمُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - مِنْ فَاكِهَتِهَا وَنَسِيْ (٦٢أ) مَا نَهَاهُ اَللّهُ عَنْهَا؛ وَمِنْ اَجْلِ ذَلِكَ رجَعَ جَسَدَهُ يَدْفَعُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ مَا لاَ كَانَ قَبْلَ فَوَرثَنَا ذَلِكَ؛ فَإِذَا وَقَعَ شَيْءٌ مِمَّا يَخْرُجُ مِنَ الْجَسَدِ فِي ثَوْبِهِ اَوْ لَحْمِهِ؛ يَزِيلُهُ بِالْمَاء اِلطَّاهِرِ؛ لِيَكُونَ اَلانْسَانُ بِحَضْرَةِ مَوْلاَهُ طَاهِراً ظَاهِراً وَبَاطِناً؛ اَمّا فِي الظَّاهِرِ فَفِي اِلْجَسَدِ وَمَا يَلْبَسُهُ وَاَلْمَوْضِعُ اَلَّذِي يَعْبُدُ فِيهِ وَمَا فِي بَاطِنِهِ يَنْبَغِي لَهُ اَنْ لاَ يَتَفَكَّرُ اِلاَّ فِيمَا يَقْرَاهُ، وَهَذَا هُوَ اَلاَصْلُ وَالسَّبَبُ اَلْمُوجِبُ فِي غَسْلِ النِّجَاسَةِ.

فَاستَحْسَنَ اَلْجَوَابَ غَايَةً؛ حَتَّى قَالَ لِلَّذِينَ كَانُوا فِي الْقَارِبِ بِلِسَانِهِمْ كَلاَمُ اَلْخَيْرِ عَنِّي وَبَحثَنِي فِي مَسَائِلِ دَقِيقَةٍ وَنَسِيَتْهَا، وَلَمَّا صَدَرَ مِنْهُ اَنَّهُ قَالَ لاصْحَابِهِ عَنِّي خَيْرَاً وَانَا عَلَى غَيْرِ دِينِهِ؛ فَمَا رَأى فِي نَفْسِهِ مِنْ اَلرَّاي اِلاَّ أَنْ قَالَ لَهُمْ: اَلْمُسْلِمُونَ اَعْطَاهُمْ اَللّهُ عُقُولاً وَافِرَةً - كُلُّ ذَلِكَ لِتَكُونَ عُقُوبَتَهُمْ فِي اِلآخِرَةِ اَشَدُّ وَأَقْوَى اِذْ لَمْ يَكُونُوا نَصَارَى؛ قَالَ ذَلِكَ اَيْضاً بِلِسَانِهِمْ وَكُنْتُ اَفْهِمُهُ.

وَكَانَ مِنْ اَلْحَقِّ اَنْ اَقُولُ لَهُ حِينَ ذَكَرْتُ إِنَّ اَلإِنْسَانَ يَحتَاجُ اَنْ يَكُونَ طَاهِراً فِي البَّاطِنِ؛ بِأَنْ اَقُولُ لَهُ: اَوَّلُ طَهَارَةِ (٦٢ب) اِلْقَلْبِ أَنْ لاَ يَكُوُنَ مُشْرِكَاً بِاللّهِ. وَكَانَ مَعَ اَلرَّاهِبِ صَاحِبُهُ عَلَى اَلرَّهْبَانِيَةِ وَمَذْهَبُهُ؛ وَكَانَ يَقُولُ بِلِسَانِهِ أَنْ يَتَكَلَّمَ مَعِي بِالتَّثْلِيثِ فِي اِلاُلُوهِيَّةِ؛ وَيُجَاوِبُهُ وَيَقُولُ لَهُ: مَا يَلِيقُ ذَلِكَ.

وَمَشَيْنَا اَلْيَوْمَ كُلَّهُ؛ وَعِنْدَ اَلْمَغْرِبِ خَرَجْنَا جَمِيعاً مِنْ اَلْقَارِبِ اِلَى دَارِ مَنْزِلَة بِحَاشِيَةِ اِلْوَادِ؛ وَكُنْتُ فِي اَعْلاَ اَلدَّارِ فِي مَوْضِعِ خَارِجٌ

عَنْ الْبَيْتِ الَّذِي نَزَلْنَا فِيهِ أَقْرا لِنتمّ الالْفَ « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» • وبَعَثْتُ لِلْقَسِيسِين شَيْئاً مِنْ الْخُبْزِ مَعْجُوناً بِسُكَّر وبَيْضٌ.

وَنَادَاني وقَالَ لِي: انَا صَايِمٌ هَذِهِ الايَّامِ؛ وَهذَا الَّذِي بَعَثْتَ لِي فِيهِ بَيْضٌ؛ وَلاَ نَاكُلُ ذَلِكَ فِي ايَّام الصَّوْمِ • وَاشْتَغَلَ يَذْكُرُ مَا هُوَ فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ النَّفْسِ وَانَّهُ لاَ يَلْبسُ كِتَاناً وَلاَ يَاخُذُ بِيَدِهِ دَرَاهِمَ وَلاَ يَاكُلْ كَثِيراً • وَاخَذَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ وَمَذْهَبِه •

وَقُلْتُ لَهُ: مِثْلُكَ مَا يَجِدُ الشَّيْطَانُ وَلاَ النَّفْسَ سَبِيلاً لِلتَوَسْوُس ظَاهِراً الاَّ اِذَا كَانَ عَلَى وَجْهِ الْحَسَنَةِ!

قَالَ: كَيْفَ تَاتِي مِنْ بَابِ الْحَسَنَاتِ؟ لانِّي مَا فَهِمْتُ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: انْتُمْ الْقَسِيسُونَ تَزُورُونَ النِّسَاءَ وَتَسْتَخْلُونَ (٦٣أ) بِهِنَّ وَهُنَّ يُحْسِنَّ اِلَيْكَ بِالْصَّدَقَاتِ فَتَقُولُ لَكَ نَفْسُكَ: سِرْ اِلَى فُلاَنَةِ اِنَّهَا مِنْ الصَّالِحَاتِ وأَذْكُرْ لَهَا شَيْئاً مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالْهِمْهَا الَيْهِ وَيَحْصَلَ لَكَ أَجْرٌ وَحَسَنَةٌ؛ وَهَذَا هُوَ بَابُ الْحَسَنَةِ؛ وَغَرَضُهَا مِنْكَ أَنْ تَقْرُبَ مِنْهَا حَتَّى تَتَمَكَّنَ الْمَحَبَّةُ مِنْ قُلُوبِكُمَا؛ فَامَّا تَغْلِبْكُمَا حَتَّى تَقَعَا فِي الْمَعْصِيَةِ وَالْحَرَامِ وَهُوَ الْمَقْصُودُ مِنَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَامَّا تَكْثُرُ الْمَحَبَّةُ بَيْنَكُمَا وَتَشْغِلُكَ حَتَّى انَّكَ اِذَا كُنْتَ فِي صَلاَتِكَ تَذْكُرُ بِاللِّسَانِ وَمَعَهَا قَلْبُكَ، وَهَذَا هُوَ بَابُ نَصِيحَتِهَا.

فَسَكَتَ الْقَسُّ وَلاَ انْكَرَ وَلاَ انْعَمَ • وكَانَ مِنَ الْحَقِّ اَنْ يُقَالُ لَهُ: مِثْلُكَ لاَ يُوَسْوِسُهُ الشَّيْطَانُ وَلاَ النَّفْسُ ابَداً؛ لانَّ اللِصَّ لاَ يَقْصُدُ الاَّ الْبَيْتَ الْعَامِرَ بِالْخَيْرَاتِ؛ وَمِثْلُكَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ الْمَالِكِ الدَّيَّان وَعَابِدُ الاوْثَان فَلَيْسَ لَهُ اِلاَّ انْ يُعَظِّمُ لَكَ الشَّانَ وَيُزَيِّنُ لَكَ الطَّرِيق الذَّاهِبُ اِلَى النِّيرَانِ •

ثُمَّ قَالَ: مَا اَلسَّبَبُ فِي مَنْعِ اِلْخَمْرِ فِي دِينِكُمْ ؟
قُلْتُ لَهُ: لأنَّهُ مُسْكِرٌ يَزِيلُ اَلْعَقْلَ (٦٣ب) اَلَّذِي هُوَ اَشْرَفُ وَاَفْضَلُ مَا فِي الإنْسَانِ.
قُلْتُ لَهُ: وَإِذَا كُنْتَ صَايِماً تَقْطَعُ شُرْبَ اَلْخَمْرَ؟
قَالَ: لاَ!
ثُمَّ قَالَ لِي وَاحِدٌ مِنَ اَلشَّيَاطِينِ الَّذِينَ رَأَيْتُهُمْ فِي اِلنَّوْمِ - وَكَانَ كَافِراً مِنَ اَلَّذِينَ جَاءُوا فِي اِلْقَارِبِ مَعَنَا -: كَيْفَ اَنْتَ فِي بِلاَدِنَا؟ وَمَنْ اَذَنَ لَكَ فِي ذَلِكَ؟ وَأَظْهَرَ اَلْغَضَبَ وَاَكْثَرَ اَلْكَلاَمَ.
فَاظْهَرْتُ لَهُمْ كِتَابَ سُلْطَانِهِمْ، وَسَخَّرَهُمْ اَللَّهُ جَمِيعاً حَتَّى إِنَّا إِذَا بَلَغْنَا اِلَى دَارِ مَنْزِلَةِ اِلَّتِي نَنْزِلُ فِيهَا لِلْمَبِيتِ فِيهَا فَيُكَلِّمُونَ رَبَّ اَلدَّارِ وَيَقُولُونَ: هَذَا رَجُلٌ تُرْكِي - لانَّ فِي بِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ وَفِي كَثِيرٍ مِنْ سَلْطَانَاتِ اِلنَّصَارَى لاَ يُسَمُّونَ اَلْمُسْلِمِ اِلاَّ تُرْكِي كَمَا تَقَدَمَ - وَقَدْ جَاءَ مِنْ بِلاَدِهِ وَاَذَنَ لَهُ سُلْطَانِنَا فِي قَضَاءِ اَغْرَاضِهِ وَيَسْتَحَقٌ اَنْ تَقُومَ بِحَقِّهِ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كَلاَمِ اِلْخَيْرِ.
وَكَانُوا فِيمَا بِيْنَهُم يَفْرَحُونَ بَنَا فِي اِلْقَارِبِ فِي اِلاَيَّامِ اِلَّتِي عَبَرْنَا فِيهِ عَلَى اَلنَّهْرِ؛ كُلُّ ذَلِكَ بِبَرَكَةِ سُورَةِ اِلاخْلاَصِ؛ خَلَّصَنَا اَللَّهُ مِنْ شَرِّهِمْ وَعَظَّمَنَا فِي اَعْيُنِهِمْ؛ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ اِلْعَالَمِينَ.

اَلْبَــابُ اَلْعَــاشِرُ

فِي مُنَاظَرَاتِ اِلْيَهُودِ بِبِلاَدِ فَرَنْجَه وَفَلَنْضِسْ (٦٤أ)

اِعْلَمْ أَنَّ اَلْيَهُودَ اَلَّذِينَ هُمْ بِتِلْكَ اَلْبِلاَدِ كَانَ اَصْلُهُمْ فِي قَدِيمِ اِلزَّمَنِ وَفِي زَمَنِنَا؛ بِبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ؛ وَأَكْثَرُهُمْ بِبُرْتُقَالْ؛ وَكَانُوا فِي الظَّاهِرِ نَصَارَى؛ وَفِي خَفَاءِ مِنْهُمْ يَهُود وَكَانُوا يَخْفُونَ اَنْفُسَهُمْ بَيْنَ اَلنِّصَارَى اَكْثَرُ مِنَ الاَنْدَلُسْ؛ وَيَقْرَءُونَ اَلْعُلُومَ بِالْعَجَمِيَةِ وَلاَ يَتَكَلَّمُونَ اِلاَّ بِهَا؛ وَيَدْرَكُونَ بِالْعِلْمِ بَعْضَ اَلْمَرَاتِبِ، وَاِذَا اَدْرَكَ اَحَدُهُمْ اَمْراً يَتَحَكَّمَ عَلَى اَلنَّاسِ يَضُرُّ بِهِمْ كَثِيراً لاَ سِيَمَا بِالاَنْدَلُسْ؛ حَتَّى اَنَّ اَلنَّاسَ اِذَا اَلْحقَهُمْ ضَرَرْ مِمَنْ يَحْكُمُ، سَوَاء كَانَ اَلْحُكْمُ عَلَى اَلنِّصَارَى اَوْ عَلَى اَلاَنْدَلُسْ يَبْحَثُونَ عَلَى أَصْلِهِ؛ وَيَجِدُونَهُ يَهُودِياً مَخْفِياً اَوْ مِنْ سُلاَلَتِهِمْ: اَمَّا مِنْ اَلاَبَوَيْنِ اَوْ مِنْ جِهَةِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ؛ لاَنَّهُمْ مِنْ اَجْلِ اِلرِّيَاسَةِ وَالطَّمَعْ كَانُوا يَخْتَلِطُونَ فِي اِلتَّزْوِيجِ مَعَ اَلنِّصَارَى، وَيَعْطُونَ بَنَاتَهُمْ وَيَتَزَوَّجُونَ مِنْهُمْ. وَجَمِيعُ اَلْيَهُودِ فِيهِمْ مِنْ اَلْكِبْرِ اِلْخَفِي مَا لاَ كُنْتُ نَظُنُّ فِيهِمْ؛ حَتَّى رَأَيْتَهُمْ بِالْبِلاَدِ اَلْمَذْكُورَةِ؛ وَهِيَ فَرَنْجَه وَفَلَنْضِسْ. وَفِيهَا هُمْ اَشْهَرَ مِمَّا هُمْ بِبِلاَدِ (٦٤ ب) اِلْفَرَنْجِ لاَنَّ لَهُمْ الاذْنِ فِي نَقْلِ اِلسِّلاَحِ وَاللِّبَاسِ مِثْلُ اَهْلِ فَلَنْضِسْ.

وَاَلْتَقَيْتُ فِي مَدِينَةِ بُرْضِيُوش بِفَرَنْجَهْ بِبَعْضِ عُلَمَاءِهِمْ وَبَلَّغُوا وَاطَّنَبُوا فِي مَدْحِ دِينِهِمْ حَتَّى رَأَيتُ اَنَّهُ لاَ يَكْفِينِي فِي اِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْ كُتُبِنَا اِلاَّ اِذَا كَانَ مِنْ كُتُبِهِمْ فَهُوَ اَقْوَى وَاَبْلَغُ كَمَا اتَّفَقَ لِي مَعَ

اَلنصَارَى، فَاتِّصلْتُ بِالتَّوْرَيـةِ بِاللِّسَانِ الْعَجَمِي الاَنْدَلُسِي؛ ووَجَدْتُ فِيهَا مَسَائِلَ كَثِيرةً لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ مِنْهَا. فَفِي التَّوْرَيـةِ الْكُتُبُ الْخَمْسَـةُ الاَوَائِلُ؛ فَهِيَ مَنْسُوبَةٌ لِسَيِّدِنَا مُوسَى – عَلَيْـهِ السَّلاَمُ – وَفِيهَا اُمُور دِينِهِمْ؛ وَجَمِيعُ كُتُبِ التَّوْرَيةِ بِالْخَمْسَةِ اَلَّتِي ذَكَرْتُ اَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ كِتَاباً؛ وَلَمْ نرَ فِي جَمِيعِهَا ذِكْرَ جَنَّةٍ وَلاَ نَارٍ وَلاَ عَذَابِ الآخِرةِ؛ بَلْ فِيهَا اَلْمَدْحُ اَلتَّامُّ لِبَنِي اِسْرَائِيلَ حَتَّى قَالَ فِيهَا: "لاَ تَاخُذْ رِباً اَوْ طَالِعاً فِي الْمَالِ مِنْ اَحَدٍ مِنْ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَيَجُوزُ الاَخْذُ مِنْ غَيْرِهِمْ".

وَوَجَدْتُ فِي اِحْدَ اَلْكُتُبِ الْخَمْسَةِ اِنَّ اَلرَّجُلَ اِذَا جَامَعَ زَوْجَتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِمَا غُسْلُ جَمِيعَ الْجَسَدِ بِمَاءِ طَاهِرٍ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ خُرُوجِ الْمَنِي، وَأَنَّ اَلْمَرْاَةَ وَجَبَ عَلَيْهَا (١٦٥أ) مِنَ اَلْحَيْضَةِ اَيْضاً. وَوَجَدْتُ فِيهَا اِنَّ اَللَّهَ يَدْخِلُ جَنْ اَلْجَنَّةَ، وَسَأَلْتُ عُلَمَاءَهُمْ فِي تِلْكَ اَلْبِلاَدِ وَغَيْرِهَا عَلَى هَذَا اَلْمَذْكُورِ فِي التَّوْرَيةِ الْمُسَمَّى بِجَنْ؛ وَاَنَّ اَللَّهَ يَدْخِلُهُ اَلْجَنَّةَ، قَالُوا: لَمْ نَدْرِ.

ثُمَّ اِنِّي بَعْدَ أَنْ وَلَّيْتُ اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشْ اَتِّصَلْتُ بِكِتَابٍ يُسَمَّى بِالسَّيْفِ الْمَحْدُودِ فِي الرَّدِّ عَلَى اَلْيَهُودِ لِعَبْدِ الْحَقِّ اَلاسْلاَمِي – رَحِمَهُ اَللَّهُ – قَالَ: أَنَّهُ كَانَ مِنْ اَحْبَارِ الْيَهُودِ وَوَفَّقَهُ اَللَّهُ تَعَالَى لِدِينِ الاسْلاَمِ؛ وَاَتَى بِالنُّصُوصِ مِنْ اَلتَّوْرَيةِ بِالْخَطِّ الْعِبْرَانِي وَيَضَعَهَا فِي طُرَّةِ الْكِتَابِ، ثُمَّ كَتَبَ اَلاَلْفَاظَ بِالْخَطِّ الْعَرَبِي فِي دَاخِلِ الاَسْطَارِ؛ ثُمَّ تَفْسِيرُ اَلْمَعَنَى بِأَثَرِهِ، وَذَكَرَ فِي مَوَاضِعِ مِنْ اَلتَّورِيَةِ اِسْمَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بِرِمُوز وَحَلَّهَا بِأَسْرَارِ الْحُرُوفِ، وَالَّذِي بَقِيَ فِي حِفْظِي وَاحِدٌ مِنْهَا؛ وَاَكْتَفَيْتُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَهُوَ كَافٍ بَايِّنٌ:

وذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ فِي التَّوْرَيةِ فِي بَابِ: «يَدْخِلُ اَللَّهُ جَـنْ اَلْجَنَّـةَ» فَأَمَّا جَنْ فَهُوَ اِسْمُ سَيِّدِنَا مُحَمَّد – صَلَّى (٦٥ ب) اَللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَـلَّمَ – فَهُوَ اَسْمُهُ اَحْمَدُ؛ لاَنَّ اَلنُّونُ تَنْقُـطُ خَمْسِـينَ بِالْحِسَـابِ اِلْمَشْـرِقِي وَالْمَغْرِبِي؛ وكَذَلِكَ اَلْجِيمُ ثَلاَثَةُ؛ وَاَلْمَجْمُوعُ ثَلاَثَةُ وَخَمْسُونَ، وَهُوَ مَـا تَنْقُطُ حُرُوفُ اَحْمَدُ بِـالاصْطِلاَحِ اِلْمَشْـرِقِي وَاَلْمَغْرِبِـي؛ فَأَمَّـا اَلاَلِـفُ فَوَاحِدٌ وَالْحَاءُ ثَمَانِيَةُ وَالْمِيمُ اَرْبَعُونَ وَاَلدَّالُ اَرْبَعَةٌ؛ فَـالْمَجْمُوعُ ثَلاَثَـةٌ وَخَمْسُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَانُ وَدَلِيلٌ قَطْعِي أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ – صَلَّـى اَللَّـهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مَذْكُورُ اَسْمُهُ فِي اِلتَّوْرَيةِ اِلَى اَلآن.

ووَجَـدْتُ فِيهَـا اَيْضَـاً أَنَّ اَلاِثْنَـى عَشَـرَ سِـبْطَاً مِـنْ بَنِـي اِسْـرَائِيلَ اَلسَّبْعَةَ مِنْهُمْ امَّهَاتُهُمْ كُلُّ وَاحِدَةٍ أُمُّ وَلَدْ وَلَيْسَ بِزَوْجَةِ نِكَاحٍ.

وَمِنَ اَلْمَسَائِلِ اِلَّتِي قَالُوا لِي اَلْيَهُـود: أَنَّ أَصْلَنَـا اَلْقَدِيـمُ مِـنْ سَـيِّدِنَا اِسْمَاعِيل – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – وَاَنَّ أُمَّهُ لَيْسَتْ كَأُمِّ سَيِّدِنَا اِسْحَاق – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – لاَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَـةً لِسَـيِّدنا اِبْرَاهِيـم – عَلَيْـهِ اِلسَّـلاَمُ – وَأُمُّ اِسْمَاعِيلَ – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – مَمْلُوكَةٌ.

قُلْتُ لَهُمْ: كُلُّ مَا فَعَلَ اَلانْبِيَـاءُ – عَلَيْهِـمُ اَلسَّـلاَمُ – فَهُـوَ مُوَافِقٌ لِمَـا اَبَاحَهُ اَللَّهُ تَعَالَى؟

ثُمَّ نَسْتَلُهُمْ عَنِ اِلاِثْنَي (٦٦أ) عَشَرَ سِبْطَاً.

فَيَقُولُونَ: هُمْ اَلاَصْلُ فِي اِلدِّينِ؛ وَهُمْ اَلْمَذْكُورُونَ اَلْمَقْبُولُونَ عِنْدَ اَللَّهِ تَعَالَى!

ثُمَّ أَقُولُ لَهُمْ: فَالْسَبعَةُ مِنْهُمْ لَمْ تَكُنْ أُمَّهَاتِهِمْ زَوْجَـةِ نِكَـاحٍ؛ وَكَمَـا هُـمْ عِنْدَكُمْ فِـي مَقَـامِ مَحْمُـودٍ كَذَلِـكَ كَـانَ مَقَـامُ سَـيِّدِنَا اِسْمَاعِيل – عَلَيْـهِ اِلسَّلاَمُ – وَلاَ يَجُوزُ لَكُمْ أَنْ تَسْتَنْقِصُوهُ بِسَبَبِ أُمِّهِ.

ثُمَّ يَستَلُونِي سُؤَالاً؛ وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَنَّ أَحَداً لاَ يَجِدُ مَا يُجَاوِبُ عَلَيْهِ؛ وَذَلِكَ اَنهُمْ قَالُوا لِي: اَلدِّينُ اَلَّذِي أَتَى بِهِ سَيِّدِنَا مُوسَى- عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - كَانَ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، مَا بَيْنَنَا نِزَاعٌ فِي هَذِهِ اِلْمَسْئَلَةِ.

قَالُوا: سَلاَطِين اَلدُّنْيَا يَرْجِعُونَ فِيمَا اَعْطَوْا مِنْ كُتُبِهِمْ مُعَلَّمَةٌ مِنْهُمْ.

قُلْتُ: لاَ يَرْجِعُونَ اِلاَّ فِيمَا يَظْهَرَ اَنَّهُ يُلِيقُ بِهِمْ، وَفِي بَعْضِ اَلاَزْمِنَةِ؛ وَنَحْنُ عِنْدَنَا فِي دِينِنَا ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾.

قَالُوا: لَيْسَ ذَلِكَ عِنْدَنَا!

قُلْتُ لَهُمْ: عِنْدَكُمْ فِي اِلتَوْرَيةِ مَسْئَلَةٌ مِثْلُ مَا قَالَ اَللَّهُ فِي اِلْقَرْءَانِ اَنَّهُ يَمْحُو وَيُثَبِّتُ.

قَالُوا: فِي أَيِّ مَوْضِعٍ فِي اَلتَّوْرَيةِ؟

قُلْنَا: فِي اِلبَابِ اِلْعِشْرِينَ مِنْ (٦٦ب) اَلْكِتَابِ اِلثَّانِي لِلْسَلاَطِينِ؛ قَالَ: اَنَّ اَلسُّلْطَان حَزْكِيَهْ مَرَضَ بِمَرَضَ اَلْمَوْتِ؛ وَجَاءَ اِلَيْهِ اِلنَّبِي يَشْعِيَهْ اِبْنِ اَلنَّبِي مُزْ وَقَالَ: اِنَّ اَللَّهَ أَرْسَلَنِي اِلَى دَارِكَ؛ اِنَّكَ تَمُوتُ وَلاَ تَعِيشُ؛ فَدَعَا وَبَكَا بُكَاءً شَدِيْداً، ثُمَّ تَابَ اِلَى اَللَّهِ تَوْبَةً صَادِقَةً؛ ثُمَّ بَعَثَ اَللَّهُ اَلنَّبِي يَشْعِيَهْ: ارْجِعْ اِلَى سُلْطَانِ بِلاَدِي وَقُلْ لَهُ: رَأَيْتُ بُكَاءَكَ وَقَبِلْتُ دُعَاءَكَ؛ وَفِي ثَالِثِ يَوْمٍ يَاتِي اِلَى بَيْتِي وَنَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسِ عَشْرَةَ سَنَةً؛ وَنُنجِيهِ مِنْ سُلْطَانِ شُوْمْ؛ وَنَحفَظُ هَذِهِ اِلْمَدِينَةَ، اَنْتَهَى.

فَكُلُّ مَنْ نَسْئَلَهُ مِنْ عُلَمَائِهِمْ عَنْ هَذَا: هَلْ هُوَ فِي اِلتَّوْرَيةِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَأَقُولُ اَلْكَلاَمُ اَلاوَّلُ اَلَّذِي جَاءَ بِهِ اِلنَّبِي كَانَ كَلاَمُ اَللَّهِ؛ وَقَالَ: يَمُوتُ مِنْ مَرَضِهِ؛ وَاَلْمَرَّةُ اَلثَّانِيَة قَالَ: يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةٍ؛ فَمَحَى اَلْكَلاَمَ الاوَّلُ وَاَثْبَتَ اَلثَّانِي.

وَهَذَا بُرْهَانٌ لاَ يَرُدُّهُ اَحَدٌ؛ وَكَذَلِكَ مَحَى اَللَّهُ دِينَ اَلْيَهُودِ فِي الْعِبَادَاتِ وَاَثْبَتَ دِينَ اَلاسْلاَمِ؛ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ اَلْمَلِكَ بَعَثَ رَسُولاً اِلَى قَوْمِهِ وَاَمَرَهُمْ بِكِتَابِهِ أَنْ (٦٧أ) يَفْعَلُوا كَذَا؛ ثُمَّ بَعَثَ كِتَاباً اَخَرَ يَزِيدُ اَوْ يَنْقُصُ عَنْ اِلاَمْرِ اِلاَوَّلِ؛ فَمَنْ عَمِلَ بِالاَمْرِ اِلاَخِرِ فَهُوَ طَايِعٌ؛ وَالَّذِي تَمَسَّكَ بِالاَمْرِ اِلاَوَّلِ وَقَالَ: مَا نَعْمَلُ اِلاَّ بِمَا اَتَانَا بِهِ رَسُولُهُ فُلاَنٌ بِكِتَابِهِ فَهُوَ عَاصٍ مِثْلُ اَلْيَهُودِ. وَكَذَلِكَ اَمَرَ اَللَّهُ سَيِّدِنَا اِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ - بِالتَخْتِينِ هُوَ وَابْنُهُ سَيِّدُنَا اِسْمَاعِيلُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَمَنْ بَعْدَهُ؛ وَلَمْ يَامِرْ بِذَلِكَ لِمَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ اَلاَنْبِيَاءِ وَاَلْمُومِنِينَ، فَكَانُوا اَلْيَهُودُ لاَ يَجِدُونَ مَا يُجَاوِّبُونَ بِهِ.

وَذَكَرَ فِي التَّوْرِيَةِ اِنَّ اَلسَرَّ فِي اِلتَخْتِينِ مِثْلُ عَلاَمَةٍ يَعْمَلُهَا اَلاِنْسَانُ اَنَّهُ يُوَفِّي بِمَا اَمَرَهُ اَللَّهُ بِهِ؛ وَتَشْهَدُ اَلنَّصَارَى: اِنَّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - اَخْتَتَنَ فِي أَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَهْرِ يَنَيْرٍ؛ ثُمَّ اَنَّهُمْ اَسْقَطُوا ذَلِكَ عَنْ اَنْفِسِهِمْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ؛ بَلْ قَالُوا: اِنَّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - خَلَّصَ عَنْ اَلْجَمِيعِ ذَلِكَ بِمَوْتِهِ. وَاَبَاحُوا اَكْلُ لَحْمَ اَلْخِنْزِيرِ - وَهُوَ مَمْنُوعٌ فِي التَّوْرِيَةِ - وَالْخَبَائِث.

وَقَدْ بَحَثْتُ اَلْيَهُودَ فِي مَسْئَلَةٍ اُخْرَى؛ قُلْتُ لَهُمْ: هَذَا اَلاَمْرُ اَلَّذِي اَنْتُمْ مَامُرُونَ بِهِ فِي كِتَابِكُمْ: أَنَّ الرَّجُلَ اِذَا جَامَعَ زَوْجَتَهُ وَجَبَ عَلَيْهِ وَعَلَيْهَا اَلْغُسْلُ (٦٧ب) لِجَمِيعِ اِلْجَسَدِ بِمَاءٍ طَاهِرٍ؛ هَلْ تَصْنَعُونَ ذَلِكَ اَمْ لاَ؟

قَالُوا جَمِيْعاً: لاَ نَفْعَلُ ذَلِكَ؛ وَلاَكِنْ اَلنِّسَاءُ تَغْتَسِلْنَ مِنَ اَلْحَيْضَةِ؛ وَلَيْسَ لَنَا وَلاَ لِلْنِسَا غُسْلٌ مِنَ الْجِمَاعِ.

قُلْتُ لَهُمْ: مَـنْ اَسْقَطَ عَنْكُمْ هَذِهِ الْفَرِيضَـةِ وَأَنْتُمْ مَـامُرُونَ بِهَا فِـي كِتَابِكُمْ؟

قَالُوا: ذَلِكَ الامْرُ كَانَ حِينَ كُنَّـا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ!

قُلْتُ لَهُمْ: الامْرُ لَيْسَ هُـوَ مُرْتَبِطَاً بِشَرْطٍ، لانَّـهُ مَـا قَـالَ هَذَا الامْـرُ لِلْغُسْلِ فَرْضٌ عَلَيْكُمْ مَا دُمْتُمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَوْ قَالَ ذَلِكَ كَـانَتْ لَكُمْ حُجَّةٌ مَقْبُولَةٌ بِمَا تَقُولُونَ؛ وَهَذَا بُرْهَـانٌ بِـأَنَّهُمْ جَمِيـعُ الْيَهُـوْدِ بِنَاجِسَـةٍ مَوْرُوثَةٍ مِنْ اَبَائِهِمْ وَاَجْدَادِهِمْ؛ وَعُلَمَائُهُمْ مَلْعُونِينَ بِإِبَاحَتِهِمْ فِـي تَـرْكِ فَرْضٍ مِنْ فَرَائِضِهِمْ.

وَاَمَّا الـفَرَضُ لَهُمْ فِي تَرْكِ الاَسْبَابِ يَـوْمَ السَّبْتِ حَيْثُ هُـوَ أَمْرٌ مُوَافِقٌ لِشَـهْوَةِ النَّفْسِ لانَّهَـا تُحِـبُّ الرَّاحَـةِ؛ فَهَـذَا يَقُومُـونَ بِحَقِّـهِ وَيَظْهَرُونَ مِنَ الْوَرَعِ جَمِيعُهُمْ بِالْقِيَامِ بِحُقُوقِ السَّبْتِ؛ وَيَذْكُرُونَ اَنَّهُمْ لاَيَجُوزُ لَهمْ فِيهِ كَذَا وكَذَا، وَيَتْرُكُونَ الطَّهَارَةَ الَّتِـي هِـيَ الاَصْلُ فِـي الْعِبَادَاتِ؛ وَكَذَلِكَ النَّصَارَى لاَ يَقْرُبُونَ الْمَاءَ اَبَدَاً (٦٨أ) الاَّ مَـرَةً فِـي الْعُمُـرِ وَهُوَ الْغُسْلُ عِنْدَ دُخُولِهِمْ فِي دِينِ النَّصَـارَى؛ الْمُسَـمَّى بِالْمَـاء الْمَعْمُدَانِ.

وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ فِي الدُّنْيَا وَجَبَ عَلَيْهِ الْغُسْلُ يَقُومُ مِنْ فِرَاشِـهِ عِنْـدَ السَّحَرِ فِي اَيَّامِ الْبَرْدِ وَلاَ يَجِدُ سَبِيلاً لِتَسْخِينِ الْمَاءِ وَيَغْتَسِلُ بِهِ بَـارِدَاً لِئَلاَ تَفُوتَهُ صَلاَةُ الصُبْحِ؛ وَالْمُوَاظِبُونَ عَلَى الصَّلاَةِ فِي اَوْقَاتِهَـا فَـلاَ يَنَامُونَ الاَّ بَعْدَ أَدَاءِ صَلاَةِ الْعِشَاءِ الاَخِرَةِ وَيَتْرُكُونَ مَضَـاجِعَهُمْ عِنْـدَ صَلاَةِ الْفَجْرِ؛ وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. وَقَالَ رَسُـولُ اللَّـهِ – صَلَّـى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ –: "مَنْ

صَلَّى اَلْعِشَاءِ فِي جَمَاعَةٍ فَكَانَمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ؛ وَمَنْ صَلَّى اَلصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّهُ صَلَّى اَللَّيْلَ كُلَّهُ"[١]. فَبِبَرَكَتِهِمْ لَمْ يَزَلْ اَلْعِزُ لِلإِسْلاَمِ فِي الدُّنْيَا وَبِبَرَكَةِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اَلَّذِي قَالَ: "وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي اِلصَّلاَةِ"؛ وَقَالَ :" اَنَا اَوَّلُ مَنْ يَدُقُ بَابَ اَلْجَنَّةِ"؛ وَلِذَلِكَ قَالَ فِي اِلتَّوْرَيةِ: "يَدْخُلُ اَللَّهُ جَنَّ اَلْجَنَّةَ"؛ اِذْ هُوَ (٦٨ب) اَوَّلُ مَنْ يَدْخُلَهَا وَبَعْدَهُ مَنْ كَانَ مِنَ اَلْسعَدَاءِ.

وَفِي اِلْكِتَابِ اَلاوَّلِ مِنَ التَّوْرَيةِ فِي اِلبَابِ اِلسَّابِعِ وَالاَرْبَعِينَ قَالَ: "اِنَّ سَيِّدْنَا يَعْقُوبَ كَانَ يَذْكُرُ لاوْلاَدِهِ مَا يَكُونُ مِنْ اَمْرِهِمْ فِي اِلدُّنْيَا؛ وَقَالَ عَلَى اَلْيَهُودِ: يَكُونُ لَهَمْ اَلامْرُ وَالْحُكْمُ فِي اِلدُّنْيَا اِلَى اَنْ يَاتِي شِلُوهْ؛ وَالنَّصَارَى تَقُولُ: أَنَّ شِلوهْ كَانَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَالصَّحِيحُ اَنَّ اَلْمُلْكَ كَانَ لَهُمْ بَعْدَهُ اَكْثَرَ مِنَ اَرْبَعِينَ سَنَةً. وَفِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَزُلْ بِالْكُلِّيَةِ اِلَى اَنْ جَاءَ اَلنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اِذْ وَقَعَ لَهُمْ مَعَهُ حَرْبٌ وَشَرٌ بِخَيْبَرْ؛ وَبَعْدَ ذَلِكِ لَمْ يُسْمَعْ أَنَّ اَلْيَهُود حَارَبُوا أَحَداً.

وَفِي اِلتَّوْرَيةِ؛ فِي اِلْكِتَابِ الْمُسَمَّى ذُوتَرْنَمِي فِي اِلبَابِ اَلاَرْبَعِينَ، قَالَ: اَرْعَوْا اَرْوَاحَكُمْ؛ لاَ تَزُورُوا اَصْنَاماً؛ وَقَالَ اَيْضَاً: لاَ تَقْطَعُوا وَتَصْنَعُوا لَكُمْ صُوَراً وَلاَ اَصْنَاماً مِنْ شَيْءٍ مِنَ اَلصُّوَرِ: صُورَةَ ذَكَرٍ وَلاَ أُنْثَى؛ وَلاَ صُورَةَ دَوَابَ اِلاَرْضِ؛ وَلاَ صُورَةَ طَيْرٍ مِنَ اَلَّتِي تَطِيرُ فِي اِلْهَوَاءِ وَلاَ صُورَةَ دَابَّةٍ تَنْجَرُ عَلَى اَلاَرْضِ وَلاَ صُورَةَ حِيتَانِ اِلْمَاءِ وَلاَ تَسْجُدُوا وَلاَ تَعْبُدُوا اَلْقَمَرَ وَلاَ اَلنُّجُومَ.

---

[١] المعجم الكبير للطبراني ٩٢/١.

وقَالَ فِـي اِلكِتَـابِ (٦٩أ) اَلْمُسَـمَّى بِلِبتِـقُ مِـنْ كُتُـبِ اِلتَّورَيـةِ فِـي اِلْبَابِ اَلْعَاشِـر: وكَلَّمَ اَللّهُ لِهَارُون وقَالَ: اَنْتَ وَلاَ اَولـدَكَ؛ لاَ تَشْـرَبُوا خَمْرَاً وَلاَ مِزْراً - يَعْنِي: مُسْكِراً - اِذَا اَرَدْتَ اَلدُّخُول فِي اِلْجَـامِعِ لِيَتَبَيَّنَ اَلطَّاهِرُ مِن اَلْنَجِسْ وَلاَ تَمُوتَ؛ عَهْدٌ لِلاَبَـدِ يَكُـوْن لِمَـنْ يَتَنَسَّـلَ مِنْكَ.

وفي كتاب آخر يسمى بِـذَوتَرْتَمِيُ؛ فِـي اَلْبَـابِ اِلسَّـادِسِ؛ لِسَـيِّدنَا مُوسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - قَالَ: "نَبِيَّ مِنْ وَسَطِكَ مِنْ اخْوَانِكُمْ يَظْهِـرَهُ اَللّهُ مِنْهُ تَسْمَعُونَ ". وقَالَ فِي كِتَابِ **اِلسَّيْفِ اِلْمَحْدُودِ فِـي الـرَّدِّ عَلَـى اَليَهُودِ** فِي هَذَا اَلْمَعْنَى: نَبِيٌ مِنْ بَنِي اِخْوَانِكُمْ مِنْـهُ تَسْـمَعُونَ. وَفِـي كِتَابِ **اِلْقُضَاةِ** مِنْ كُتُبِ اِلتَّوْرَيَةِ فِي اَلْبَابِ اِلْخَامِس، قَالَ: "نَبِيٌ نُقَيِّضُهُ مِنْ بَيْنَ اِخْوَانِهِمْ مِثْلُك؛ وَاَنَا نَضَعُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ؛ وَهُوَ يَتَكَلَّمْ بِكُلِّ مَا نَامِرُ؛ وَمَنْ لاَ يَسْمَعُ مِنْ كَلاَمِي[1] اِلَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنِّي اَنَا نُحَاسِبُهُ". فَهَذَا[2] دَلاَيِلٌ عَلَى اَلْنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي كِتَابِ **اَسَكِيلْ** مِنْ اَلتَّوْرَيَةِ قَالَ دَانِيَال اَلنَّبِي - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - قَالَ اَللَّهُ تَعَالَى: " اَكْسِرْ (٦٩ب) اَلاَصْنَامَ وَيَخْمدُ وَيَفْنَى اَلْكُفْرُ"؛ وَفِـي اِلْعَامِ اِلثَّانِي مِنْ تَوْلِيَـةِ بُخْـتُ نَصـَرْ اَلْمَمْلَكَـة رَأى رُءِيَـا بُخْـتُ نَصـَرْ وَنَسِيَهَا؛ وَاَمَـرَ بَإحْضَـارِ اِلْكُهَّـانِ وَاَلْمُنَجِمِيـنَ وَالسَّـحَارَةُ اَلْقِبْطِييـنَ[3] لِيَظْهِرُوا لِلسُّلْطَانِ اَلرُّءيَا، وَلَمَّا حَضَرُوا قَـالَ لَهُـمْ اَلسُّـلْطَان: رَأَيْـتُ

---

[1] هنا تبدأ قطعة باريس، ومن هنا نرمز لها بالحرف: س.

[2] س: فهذه.

[3] س: مثل القبطيين.

حِلْماً وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ لِنَعْلَمَ مَا رَأَيْتَهُ[١]، قَالُوا: اَذْكُرْ لَنَا مَا رَأَيْتَ وَنُفَسِّرُهُ؛ قَالَ اَلسُّلْطَان لِلْقِبْطِيين: ذَهَبَ[٢] عَنِّي مَا رَأَيْتُهُ؛ وَإِذَا لَمْ تَظْهَرُوا اَلرُّعِيَا نَقْتُلُكُمْ اَشَرّ قَتْل؛ وَإِذَا ذَكَرتُمُوْهَا نَجُودُ عَلَيْكُمْ، قَالُوا مَرَّةً ثَانِيَةً: اَذْكُرُ مَا رَأَيْتَ نُبَيِّنُ تَفْسِيرَهُ، ثُمَّ قَالُوا: لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى هَذَا اَلاَمْرَ إِلاَّ اَلمَلاَئِكَة اَلِّتِي لاَ تَسكُنُ فِي اَلاَجْسَادِ؛ فَغَضِبَ اَلسُّلْطَان؛ وَأَمَرَ بِقَتْلِ جَمِيعِ عُلَمَاءِ بَغْدَاد[٣]. وَشُهِرَ اَلاَمْرُ؛ وَقَبَضُوا اَلْعُلَمَاء وَطَلَبُوا عَلَى ذَانِيَال وَاَصْحَابِهِ لِيَقْتُلُوهُمْ؛ حِينَئِذٍ تَكَلَّمَ مَعَ اَلرِّيُوجْ القَبطَانْ اَلْمُتَكَفِلِ بِحرْصِ السُّلْطَان وَقَالَ: مَا السَبَبْ فِي سُرْعَةِ هَذَا اَلاَمْرِ؟ فَبَيَّنَهُ لَهُ، وَدَخَلَ ذَانِيال[٤] لِلْسُلْطَان وَطَلَبَ مِنْهُ اَنْ يَمْهِل[٥] عَلَيْهِمْ؛ وَأَنَّهُ يُبَيِّن لِلْسُّلْطَان مَا طَلَبَ.

حِينَئِذٍ مَشَى ذَانِيَال[٦] (٧٠أ) اِلَى مَنْزِلِهِ وَذَكَرَ اَلاَمْرَ لاَصْحَابِهِ[٧]: أَنَانِيشْ وَمَشَايِلُ وَاِلَى قَرِيش[٨]؛ لِيَطْلُبُوا اَلرَّحْمَةَ مِنْ اِلَهِ اِلسَّمَاءِ وَاللُّطْفَ لِئَلاَ يَهْلِكُ ذَانِيَال وَأَصْحَابَه وَعَلَمَاءِ بَغْدَادِ؛ حِينَئِذٍ أَوْحَى اَللهُ اَلْمَستَلَةَ لِذَانِيَال[٩] بِرُعْيَا فِي اَلَّيل[١٠]؛ وَشَكَرَ اَللَّهَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَقَالَ اَلْبَرَكَةُ

---

[١] س: ما رأيت.

[٢] س: اذهبوا عني ما رأيته.

[٣] س: وأمر بقتلهم جميعاً يعني علماء بغداد.

[٤] س: عليه السلام.

[٥] س: يهمل.

[٦] س: عليه السلام.

[٧] س: وذكر الأمر غلى ناتيش

[٨] س: والى قريش أصحابه.

[٩] س: لدنيال عليه السلام.

فِي اِسْمِ اِللّٰهِ تَعَالَى فِي كُـلِّ قِرْنٍ وَزَمَـنٍ[١]؛ لَـهُ هِـيَ اَلْحِكْمَـةُ وَالْقُـوَّةُ؛ وَهُوَ اَلَّذِي يُبَـدِّلُ اَلاَزْمِنَـةَ؛ وَيَزِيـلُ اَلشَّـدَائِدَ وَيَضَعَهَـا؛ يُوتِـي اِلْحِكْمَـةَ لِلْحُكَمَاءِ وَالْعِلْمَ لِلاَفْهَامِ؛ وَهُوَ يُوحِي مَا كَانَ مَسْتُوراً وَمَكْنُوناً؛ يَعْلَمُ[٢] وَيُمَيِّز[٣] مَا كَانَ فِي اِلظُّلُمَاتِ وَالنُور وَمَا فِي هِمَا؛ اِلَيْكَ يَـا اِلَـهَ أَبَـائِيَ اَشْهَـدُ وَأَشْكُرُكَ، اِنَّكَ اَعْطَيْتَنِي عِلْماً وَأَعْلَمْتِنِي مَا طَلَبْنَا مِنْـكَ وَبَيَّنْـتَ لِي اَمْرَ اَلسُّلْطَانِ.

ثُمَّ كَلَّمَ وَزِيرَ اَلسُّلْطَانِ اَلَّذِي كَانَ لَهُ اَلاَمْرُ عَلَى قَتْلِ عُلَمَاءِ بَغْـدَادِ وَقَالَ لَهُ: لاَ تَقْتُلْ اَلْعُلَمَاءَ وَاَدْخِلْنِي بِحَضْرَةِ اَلسُّلْطَانِ؛ وَأَنَا أُبَيِّنُ لَهُ مَـا طَلَبَ؛ فَالْتَقَى بِهِ وَقَالَ اَلسُّلْطَانِ لِذَانِيَالِ[٤] - وَكَانَ اَسْمُهُ بَلْتَشَـرْ، تَقْدِرُ تُبَيِّن لِي اَلرُءْيَا وَتُفَسِرُهَا؟ قَالَ ذَانِيَال[٥] لِلْسُّـلْطَانِ: اَلاَمْـرُ اِلَّذِي سَـأَلْتَ عَنْهُ لاَ يِقْدِرُ (٧٠ب) عَلَى اِظْهَـارِهِ عُلَمَـاءٌ وَلاَ مُنَجِمُـونَ وَلاَ سَـحَرَةٌ وَلاَ كُهَّانٌ؛ وَلاَكِنْ فِي اِلسَّمَاءِ اِلَهٌ وَاحِدٌ اَلَّذِي يُوحِي اَلاَسْـرَارَ؛ وَهُـوَ يَعْلَمُ اَلسُّلْطَانُ بُخْتُ نَصْر مَا يَحْـدُثُ وَمَـا يَكُـونُ بَعْدَ اَيَـامٍ وَاَزْمِنَـةٍ. وَمَا[٦] رَأَيْتَ فِي فِرَاشِكَ هُوَ هَذَا: فَاَنْتَ يَاسُلْطَانُ فِي فِرَاشِكَ كَانَ فِـي[٧] فِكْرِكَ لِتَعْلَمُ مَاذَا يَكُونُ فِيمَا يَاتِي؛ وَاَلَّذِي يُوحِي اَلاَسْـرَارَ وَالْعَجَـايِبَ

---

١٠ س: الليل.

١ س: وزمان.

٢ في الأصل: يعرف، وكتب الحجري في الحاشية: «صزابه يعلم».

٣ "مستوراً ومكنونا ويعرف ويميز"، ساقطة من س.

٤ س: وقال السلطان وكان اسمه.

٥ س: عليه السلام.

٦ س: واما .

٧ س: كان فكرك.

اَظْهَرَ لَكَ اَلَّذِي يِكُوُن۰ وَأَمَّا اَنَا فَأَظْهَرَ لِي هَذَا اِلسِّرّ وَلَيْس ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ اَلْعِلْمَ اَلَّذِي عِنْدِي أَنَّهُ[١] اَكْثَرُ مِنَ الْعِبَادِ؛ وَلاَكِنْ لِنَظْهِرَ تَفْسِيرَهُ لِلسُّلْطَان؛ وَلِتَعْرِفَ مَا كَانَ فِي فِكْرِكَ وَقَلْبِكَ۰ وَاَنْتَ يَا سُلْطَانُ رَأَيْتَ صَنَمَاً عَظِيْمَاً جِدّاً؛ وَكَانَ لَهُ مَجْدٌ وَهُوَ وَاقِفٌ اَمَامَكَ وَبَصَرُهُ قَوُّي؛ اَمَّا رَاسُ اَلصَّنَمُ فَكَانَ مِنْ ذَهَبٍ خَالِصٍ؛ وَصَدْرُهُ وَعَضُدَاهُ مِنْ فِضَةٍ؛ وَبَطْنُهُ وَفَخِذَاهُ مِنْ مَعْدَنٍ؛ وَ[٢]رِجْلاَهُ مِنْ حَدِيدٍ وَقَدَمَاهُ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَبَعْضُهَا مِنْ فَخَّارٍ؛ وَاَنْتَ تَنْظُرُهُ؛ وَرَأَيْتَ حَجَرَةً قُطِعَتْ بِغَيْرِ اَيَادِي وَضَرَبَتْ اَلصَّنَم فِي قَدَمَيْهِ مِنَ اَلْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ (٧١أ) وَطَحَنَتْهَا غَبْرَةَ الْحَدِيدِ وَالْفَخَّارِ وَالْمَعْدَنِ وَالْفِضَةِ وَالذَّهَبِ وَرَفَعَهَا اَلرِيحُ؛ فَمَا وُجِدَ لَهَا مَوْضِعَ؛ وَلاَكِنَّ اَلْحَجَرُ اَلَّذِي ضَرَبَ اَلصَّنَمَ رَجَعَ جَبَلاً عَظِيمَاً حَتَّى عَمَّرَ وَمَلاَ جَمِيعَ الاَرْضِ؛ وَهَذَا هُوَ اَلْحِلْمُ اَو الرُّءيَا۰ وَاَمَّا تَفْسِيرُهُ: نَذْكُرُهُ اَيْضَاً بِحَضْرَةِ اَلسُّلْطَان:

اَنْتَ يَا سُلْطَان، اَنْتَ سُلْطَانُ سَلاَطِين؛ لاِنَّ اِلَهُ السَّمَاءِ اَعْطَاكَ اَلْقُدْرَةُ وَالْقُوَّةُ وَالْعَظَمَةُ، وَكُلَّ مَا عَمَّرَ ابْنَاءِ اِلرِّجَالِ وَدوابٌ الْفَحْصِ وَطُيُورُ اَلْهَوَاءِ؛ وَضَعَهُ فِي يَدِكَ وَجَعَلَكَ اَميراً عَلَى جَمِيعِه، وَانْتَ هُوَ ذَلِكَ اَلرَّاسُ مِنْ ذَهَبٍ؛ وَبَعْدُكَ تَقُوُمُ سَلْطَنة أُخْرى اَقَلّ وَاَصْغَرُ مِنْكَ؛ فَالْصَدْرُ مِنْ فِضَةٍ؛ وَسَلطَنَةُ ثَالِثَةٌ مِنْ مَعْدَنٍ؛ وَتَتَحَكَّمُ عَلَى جَمِيعِ اِلاَرْضِ؛ وَالسَّلْطَنَةُ اَلرَّابِعَة تَكُونُ قَوِيَةُ مِثْلَ اَلْحَدِيْدِ – وَكَمَا أَنَّ الْحَدِيدَ يَغْلبُ وَيَقْهِرُ جَمِيعَ الاَشْيَا وَيِكْسِرُهَا – فَالذَّهَبُ وَالْفِضَةَ يَكْسِرُهُ وَيَدُقَهُ۰

---

[١] س: عندي أكثر من العباد.

[٢] هنا يبدأ سقطٌ في س .

وَأَمَّا مَا رَأَيْتَ أَنَّ الْقَدَمَيْنِ وَالأَصَابِعُ بَعْضُهَا فَخَّار وَبَعْضُهَا حَدِيدٌ؛ (٧١ب) فَالسُّلْطَنَةُ تَنْقَسِمُ: قِسْمٌ قَوِيٌّ وَقِسْمٌ ضَعِيفٌ؛ وَأَمَّا امْتِزَاجُ الْحَدِيدِ مَعَ شَقَفِ الْفَخَّارِ؛ فَيَتَزَوَّجُونَ وَيَمْتَزِجُونَ الزَّرِيعَةَ الآدَمِيَةَ؛ وَلاَكِنْ مَا تَلْتَصِقُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، وَلاَكِنْ فِي أَيَّامِ هَذَا السَّلاَطِينِ الْمُتَأَخِرِينَ الَّذِينَ لاَ يَمْتَزِجُونَ لِتَكُونَ سَلْطَنَةً قَوِيَةً؛ الإِلَهُ السَّمَاءِي يُقِيمُ سَلْطَنَةً لاَ تَنْكَسِرُ وَلاَ تَفْنَا اَبَداً. وَهَذِهِ السَّلْطَنَةُ لاَ تَتْرُكُ لِغَيْرِهَا مِنَ الْبِلاَدِ؛ وَهِيَ الَّتِي تُهَرِّسُ وَتَفْنِي جَمِيعَ هَذِهِ السَّلْطَانَاتِ؛ وَهِيَ تَدُومُ وَتَبْقَى إِلَى الاَبَدِ، كَمَا رَأَيْتَ اَنَّ مِنَ الْجَبَلِ قُطِعَ الْحَجَرُ بِغَيْرِ يَدَيْنِ وَهَرَّسَ الْحَدِيدَ وَالْمَعْدَنَ وَالْفَخَّارَ وَالْفِضَّةَ وَالذَّهَبَ؛ الإِلَهُ الْعَظِيمُ اَظْهَرَ لِلسُّلْطَانِ مَاذَا يَكُونُ فِي الْمَنَال وَالْحِلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ صِدْقٌ.

حِينَئِذٍ اَلسُّلْطَان بُخْتُ نَصَرْ وَقَعَ عَلَى وَجْهِهِ وَرَكَعَ إِلَى ذَانِيَال؛ وَأَمَرَ بِإِعْطَائِهِ هَدِيَّاتٍ وَتَبَاخِرٍ؛ وَكَلَّمَ السُّلْطَانُ إِلَى ذَانِيَال وَقَالَ: اَلصَّحِيحُ أَنَّ إِلَهَكَ هُوَ إِلَهُ الإِلَهَاتُ وَرَبُّ السَّلاَطِينِ؛ مُظْهِرُ الْعَجَايِبِ وَالْمُعْجِزَاتِ، (٧٢أ) حَيْثُ قَدَرْتَ تُنْبِئْنِي بِهَذِهِ الْمُعْجِزَةِ؛ قَالَ ذَانِيَالُ: لاِنِّي لاَ اَعْبُدُ اَصْنَاماً مَصْنُوعَةً بِالْيَدَيْنِ وَلاَكِنْ اَعْبُدُ الإِلَهَ الْحَي الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ وَلَهُ اَمْرٌ عَلَى كُلِّ لَحْمٍ". اِنْتَهَى مَا تَرْجَمْنَاهُ مِنَ التَّورِيَةِ في هذا الباب[١].

قَالَ سَيِّدِي اَحْمَدُ زَرُّوقْ - نَفَعَ اللَّهُ بِهِ - فِي هَذَا الْمَعْنَى: فَانْظُرْ هَذَا التَّصْرِيحَ الْجَلِي الْمُطَابِق لِسَيِّدِنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اِذْ هُوَ الَّذِي بعِثَ فِي آخِرِ الزَّمَان وَهُوَ الَّذِي نُبُوعَتُه

---

[١] "في هذا الباب"، أضافه الحجري بخطه في الحاشية.

وَمُلْكُ أُمَّتِهِ اَبَدِيٌّ اِلَى قِيَامِ اِلسَّاعَةِ؛ اِذْ لاَ نَبِيَّ بَعْدَه - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَلاَ نُسْخَ لِشَرْعِهِ اَلشَّرِيفِ مَا بَقِيَتِ اِلدُّنْيَا؛ وَهُوَ اَلَّذِي بُعِثَ لِسَائِرِ اِلاُمَمِ، وَظَهَرَ عَلَيْهَا كُلِّهَا وَخَلَطَ بَيْنَ اَجْنَاسِهَا وَجَعَلَهَا عَلَى اِخْتِلاَفِ أَدْيَانِهَا وَاِخْتِلاَفِ لُغَاتِهَا جِنْساً وَاحِداً؛ وَعَلَى لُغَةٍ وَاحِدَةٍ وَدِيْنٍ وَاحِدٍ؛ اِذْ كُلُّهُمْ يَقْرَءُونَ اَلْقُرءَانَ بِلُغَتِ اِلْعَرَبِ وَبِهَا يُصَلُّونَ اِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهُمْ يَدِينُونَ بِدِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ دِيْنُ اِلاِسْلاَمِ؛ اَنْتَهَى.

وَاَقُولُ: قَدْ سَمِعْتُ بِبِلاَدِ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا مِرَاراً اَلْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانَ يَخْتَطِبُونَ (٧٢ ب) وَيذْكُرُونَ اَلرُّءْيَا اَلَّذِي رَأَى بُخْتُ نَصَرْ؛

وَمَا فَسَّرَ اَلنَّبِيُ ذَانيَال - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَيَقُولُونَ: اَنَّ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - هُوَ اَلَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ اِلرُّءْيَا؛ وَاَنَّ دِينَهُ عَمَّرَ اَلدُّنْيَا؛ وَسَلاَطِينَ دِينِهِ غَلَبُوا سَلاَطِينَ اِلدُّنْيَا؛ وَكَذَّبَهُمْ اَلْعِيَانْ بِصِحَّتِ اِلْبُرْهَانْ بِمَا اَظْهَرَ فِي اَلدُّنْيَا اَلْمَلِكُ اَلدَّيَانْ؛ لَهُ اَلشُّكْرُ وَالْفَضْلُ وَالاِمْتِنَانْ عَلَى عُلُوِ كَلِمَةِ تَوْحِيدِهِ وَاَلاِسْلاَم وَخَالِصِ اِلاِيمَانْ.

اَمَّااَلسُّلْطَان بُخْتُ نَصَرْ فَكَانَ فِي مَدِينَةِ بَغْدَاد وَالنَّصَارَى لَمْ تَمْلِك قَطُّ بَغْدَاد وَلاَ كَانَ لَهُمْ فِيْهَا دَارَ مُلْكٍ كَمَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ. وَاَيْضاً اَنَّ اَلسُّلْطَان رَاَى اَلْحَجَرْ اَلَّذِي هَرَّسَ اَلصَّنَمْ وَعَظُمَ حَتَّى مَلاَ اَلدُّنْيَا كُلَّهَا؛ وَذَلِكَ كَانَ اَلنَّبِي مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَاَهْلُ دِينِهِ لاَنَّهُ هَرَّسَ فِي مَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ اَلاَصْنَام - كَمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ - وَلَمْ يُعْبَدْ صَنَمٌ فِي اِلْبِلاَدِ اَلَّتِي دَخَلَهَا اَلاِسْلاَمُ.

وَاَمَّا اَلنَّصَارَى بَعْدَ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - فَلاَ يَعْبُدُونَ اِلاَّ اَصْنَاماً؛ وَمَا مِنْ كَنِيسَةٍ اِلاَّ لَهَا صَنَامٌ اَوْ اَصْنَام كَثِيرَةٌ؛ وَفِي

صَلاَتِهِمْ يَعْبُدُونَ قُرْصَةً مِنْ (١٧٣أ) خَالِصِ الدَّقِيقِ وَالْخَمْرَ أَيْضاً – كَمَا تَقَدَّمَ – وكَمَا شَاهدْتُهُ سِنِينَ عَدِيدَةٍ. وَالرُّؤْيَا مُنْبِئَةٌ عَلَى اَلْحَجَرِ اَلَّذِي هَرَّسَ اَلصَّنَمِ؛ وَهُوَ اَلاِسْلاَمُ؛ لاَ عَلَى مَنْ اَقَامَ اَلاَصْنَامَ وَعَبَدَهَا: وَهُمْ اَلنَّصَارَى اَلضَّالِّينَ.

وَقَولُ اَلنَّبِي ذَانِيَال – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ –: اَنَّ فِي أَيَّامِ اِلسَّلاَطِين اِلْمُتَأَخِرِينَ يَقِيمُ اَللَّه سَلْطَنَةً لاَ تَنْكَسِرُ؛ وَلاَ تَفْنَى أَبَداً وَهِيَ اَلَّتِي تَكْسِرُ وَتَفْنِي جَمِيعَ هَذِهِ اِلسَّلْطَانَات، وَهِيَ تَدُومُ اِلَى اَلاَبَد؛ فَأُبَيِّنُ مَا ظَهَرَ مِنْ ذَلِكَ عَلَى قَدْرِ اَلاِسْتِطَاع؛ وَأَنَا اَمَرَنِي اِلشَّيْخُ اَلاَثِيرُ اَلشَّهِيرُ بِمِصْرَ وَغَيْرِهَا: اَنْ لاَ نَكْتُبَ فِي اَلْمُخْتَصَرِ اِلاَّ مَا وَقَعَ لِي مَعَ اَلْكُفَّارِ مِنَ اَلْكَلاَمِ، فَهَذِهِ بَيِّنَةٌ وَبُرْهَانٌ بِأَنَّ اَلاِسْلاَمَ عَمَّرَ اَكْثَرَ بِلاَدِ اِلدُّنْيَا اَلمَعْرُوفَةَ فِي زَمَنِ اَلْقُدَمَا اَلَّذِي وَقَعَ اَلْكَلاَمُ عَلَيْهَا؛ اِحْتِرَازاً عَلَى اَلدُّنْيَا اَلْجَدِيدَةِ اَلَّتِي ظَهَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْمَغْرِبِ اِلْبَعِيد؛ حَيْثُ هِيَ اَلْهُنُودُ اَلْمَغرِبِيَة اَلَّتِي لَمْ يَدْخُلْهَا اَلاِسْلاَمُ؛ وَجَمِيعُ سُكَّانِهَا اَلْقُدَمَا مَجُوسٌ يَعْبُدُونَ اَلشَّمْسَ اَكْثَرَهُمْ؛ اِلَى اَنْ اَدْخَلَ فِيهَا سُلْطَانُ بِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ اَصْنَامَهُ وَشِرْكَهُ.

وَاَقُولُ: اَنَّ اَلنَّصَارَى تَزْعُمُ اَنَّ اَلْحَجَرَ اَلَّذِي هَرَّسَ اَلصَّنَمَ (٧٣ب) وَعَظَّمَ وَعَمَّرَ اَلدُّنْيَا كُلَّهَا؛ كَانَ سَيِّدُنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – وَقَدْ تَحَقَّقْنَا فِي ذَلِكَ مِنْ كُتُبِهِمْ وَمِمَّا يُصَوِّرُونَ فِي اِلمَبَّاتِ وَاَلْكُورِ اِلاَرْضِيَةِ وَاَلرَّسَائِلَ اِلَّتِي قَرَأْتُ عَلَيْهَا.

فَاعْلَمْ أَنَّ اَلْقُدَمَا فِيمَا مَضَى قَسَمُوا اَلدُّنْيَا اَرْبَعَةَ اَقْسَام؛ وَكُلُّ قِسْمٍ سَمَّوْهُ بِاسْمِهِ؛ فَسَمَّوْا اُورُوبَّةَ لِلْرُبعِ اِلْجَوْفِي اَلَّذِي هُوَ اِلَى جِهَةِ اِلْقُطْبِ اِلشِمَالِي؛ وَاِبْتِدَاؤُهُ مِنَ اَلْبَحْرِ اِلاَسْوَدِ اِلَى أَخِرِ بِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ؛

وَفِي هَذَا الرُّبْعِ هِيَ اَلْمَدِينَةُ اَلْعُظْمَى اَلشَّهِيرَةُ فِي الدُّنْيَا انها اَعْظَمُ مُدُنِهَا بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ الْمِلَلِ وَالاَجْنَاسِ الْعَارِفِينَ: وَهِيَ اَلْقَسْطَنْطِينِيَةُ، حَرَسَهَا اَللَّهُ تَعَالَى، وادَمَ عِزَّهَا اِلَى الإسْلاَمِ مَا دَامَةِ اَلدُّنْيَا؛ وَالْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الرُّبْعِ عَلَى مَا قِيلَ لِي: نَحْوَ اَلْخَمْسِينَ يَوْمَاً لِلْمَاشِي الْمُتَوسِطِ، وَيَحْتَمِلُ أَنهُ اَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ؛ وَمَا عدَا الاسْلاَمِ فَهُوَ لِلنِّصَارَى؛ فَالْمُجَاوِرْ لِلاِسْلاَمِ هُوَ سُلْطَانُ الاِمَانِيَهْ ؛ وَظَهَرَ لِي اِنهُمْ اَلصَّقَالِبَةَ المَذْكُرُونَ فِي اِلتَوَارِيخِ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَبِلاَدُ مُشْقُوبِيَهْ اَلْجَوْفِيَةِ؛ وَبِلاَدُ رُومَةِ بِإِطَالِيَةَ وَبِلاَدِ اَلْفَرَنْجْ وَفَلَنْضِسْ وبِلاَدْ اَلانْجِلزِ وَبِلاَدُ اَلانْدَلُسْ بِمَا (٧٤أ) لَهَا مِنْ جُزُرٍ فِي اِلْبَحْرِ اِلْمُحِيطِ وَالْبَحْرِ الْصَغِيرْ.

وَأَمَّا اَلرُّبُعِ اَلثَّانِي فَيُسَمَّى عِنْدَهُمْ بِالرُّبُعِ الافْرِيقِي: اِسْمٌ مَاخُذٌ اَوْ مُشْتَقٌ مِنْ مَدِينَةٍ عَظِيمَةٍ كَانَتْ فِيمَا مَضَى تُسَمَّى بِإفْرِيقِيَهْ وَبِالْمُعْجَمِ اَفْرِقَهْ. كَانَتْ بِقُربِ تُونسْ اَلْمَحْرُوسَةَ بِاللَّهِ، وَفِي زَمَنِنَا هَذَا يُسَمَّى هَذَا اَلرُّبُعُ عِنْدَ اَلْعَامَةِ بِبِلاَدِ اِلْمَغْرِبِ، وَابْتِدَاءُ هَذَا اَلرُّبُعُ اَلثَّانِي مِنْ بَحْرِ سُوَيْسِ وَاَلْبَحْرُ اَلْمُحِيطُ دَائِرٌ بِهِ مِنْ اَلْقِبْلَةِ وَاَلْمَغْرِبِ وَاَلْبَحْرُ اَلصَّغِيرُ مِنْ جِهَةِ اِلْجَوْفِ وَاَلْمَشْرِقِ، وَفِي هَذَا اَلرُّبُعُ اَلْمَغْرِبِي اَكْثَرَ سُكَّانَهُ اَلْمُسْلِمُونَ؛ فَأَمَّا مِصرْ - اَلْمَحْرُوسَةُ بِاللَّهِ - فَهِيَ مِنْ اَعْظَمِ مُدُنْ اَلدُّنْيَا؛ هِيَ مِثْلُ بِّرِيشْ بِفَرَنْصَه اِذَا اَضِفْنَا اِلَيْهَا مَصْرُ اَلْعَتِيقُ وَبُولَقْ؛ وَهِيَ تَحْتَوِي عَلَى اَثْنَى عَشْرَةَ اَلْفَ قَرِيَةٍ؛ ثُمَّ مَغْرِباً عَنْهَا اِسْكَنْدَرِيَةٌ؛ ثُمَّ مَغْرِباً عَنْهَا مَدِينَةُ طَرَابُلسْ؛ وَمَغْرِباً عَنْهَا مَدِينَةُ تُونسْ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ اَلبِلاَدِ وَبِلاَدِ اِلْجَرِيدِ؛ ثُمَّ مَغْرِبَاً عَنْهَا مَدِينَةُ اَلْجَزَايِر بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا مِنَ اَلْبِلاَدِ؛ ثُمَّ تِلِمْسَان - وَاِنْ كَانَتْ تَحْتَ حُكْمِ اَلْجَزَايِر - فَكَانَتْ فِيمَا تَقَدَّمَ دَارَ مُلُوك (٧٤ ب) ثُمَّ مَغْرِباً عَنْهَا

مَدِينَة فَاس دَارَ اَلْمُلُوك بِمَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا مِنَ اَلْبِلاَدِ؛ ثُمَّ مَدِينَةُ مَرَّاكُشْ فِي صُقْعِهَا قَدْرَ بَرِيشْ بِفَرَنْصَةْ أَوْ أَقَلّ: دَارَ سَلاَطِين اَلشُّرَفَاء.

وَأَدْرَكْتُ خَمْسَ سِنِينَ مِنْ مُدَّةِ مَوْلاَيْ أَحْمَد - رَحِمَهُ اَللَّهُ - اَلَّذِي كَانَ مِنْ يَوْمِ مَاتَ سُلْطَان بُرْتُقَالْ اَلنَّصْرَانِي - حِينَ أَحْرَكَ إِلَى اَلْمَغْرِبِ بِجُيُوشٍ عَظِيمَةٍ - وَمَاتَ هُوَ وَبَقِيَ جَيْشَهُ هُوَ أَسَارَى بِأَيْدِ اَلْمُسْلِمِينَ. وَبَقِي مَوْلاَي أَحْمَد فِي اَلْمَمْلَكَةِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً إِلَى أَنْ مَاتَ عَامْ اِثْنَتَيْ عَشَرَ وَأَلْفٍ. وَكَانَتْ تَحْتَ طَاعَتِهِ سَلْطَنَةُ مَرَّاكُشْ بِمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ الأَقْطَارِ وَسَلْطَنَةُ فَاسْ وَسَلْطَنَةُ سُوسْ الأَقْصَى وَسَلْطَنَةُ سِجِلْمَاسَةَ اَلْمَعْرُوفَةُ الآنَ بِتَافِلَلتْ؛ وَبِلاَدْ دَرْعَة أَقْرَبُ مِنْهَا إِلَى مَرَّاكُشْ؛ وَبِلاَدْ تَوَات. وَكَانَ لَهُ بِبِلاَدِ السُّودَانِ سَلْطَنَتَانِ اَسْتَفْتَحَهَا هُوَ - أَعْنِي اَلسُّلْطَانَ اَلْمَذْكُورَ - رَحِمَهُ اَللَّهُ - وَهِيَ مَدِينَةُ تُنْبُكْتُ بِمَا تَحْتَ حُكْمِهَا؛ وَمَدِينَةُ جَاغْ وكُكِي؛ وَلَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ خَطِّ الاسْتِوَاء إلاَّ نَحْوَ عَشَرِ دَرَج مِنَ الْعَرْضِ؛ وَفِي بِلاَدِ اَلسُّودَانِ بِلاَدٌ (١٧٥أ) كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْهَا سَلْطَنَةُ مِلِّي وَهِيَ تَمْتَدُ إِلَى اَلْبَحْرِ اَلْمُحِيطِ؛ ثُمَّ سَلْطَنَةٌ عَظِيمَةٌ بِالسُّودَان لِسُلْطَان بُرْنُ، وَبِلاَدٌ كَثِيرَةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مُمْتَدَةٌ مِنْ سَلْطَنَةِ بُرْنُ إِلَى بِلاَدِ اَلْحَبَشَةِ اَلَّتِي هِيَ قِبْلَةً وَمَشْرِقاً عَنْهَا؛ وَمَا بَقِيَ فِي هَذَا اَلرُّبُع فَهُوَ أَقَلُّهُ فِيهِ مَجُوسٌ وَأَيْضاً سُلْطَان نَصْرَانِي.

وَأَمَّا مَا تَقُولُهُ اَلْعَامَةُ أَنَّ بَنِي آدَمِ اَلسُّودَانِيين أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ اَلْبِيضِ فِي اَلدُّنْيَا؛ فَذَلِكَ بَاطَلٌ وَزُورٌ؛ وَأَظُنُّ أَنَّ اَلسُّودَانِيين يَكُونُونَ قَدْرَ عُشُورِ اَلْبِيضِ؛ وَكَذَلِكَ تَكْذِبُ اَلْيَهُود عَنْ وَادِ اِلسَّبْتِ؛ وَأَنَّ وَرَاءَهُ سَلْطَنَةٌ عَظِيمَةٌ لِلْيَهُود؛ وَأَنَّ اَلْوَادُ لاَ يَجْرِي يَوْمَ اَلسَّبْتِ. وَقَدْ

عَرَفَتْ اَلنَّاسُ فِي زَمَانِنِا هَذَا اَكْثَرَ مِنَ اَلاوَايِلِ فِي اُمُورِ اَلدُّنْيَا؛ فَاَمَّا اَلْيَهُودُ فَيُصَبِّرُونَ نُفُوسَهَمْ عِنْ ذُلِّهِمْ وَخَزْيِهِمْ بِذِكْرِ وَادِ اِلسَّبْتِ، وإذَا سُئِلُوا: فِي اَيِّ قُطْرٍ اَوْ جِهَةٍ مِنْ اَلدُّنْيَا هُوَ؟ فَلاَ يَعْلَمُونَ مَا يَقُولُونَ.

وَيَمتَدُّ هَذَا الرُّبُعُ اَلافْرِيقِي اِلَى طَرَفِ حُسْنَ اَلرَّجَا اَلَّذِي هُوَ سَبْعَ وَثَلاَثُونَ دَرَجَةٌ اِلَى اَلْجَنُوبِ مِنْ (٧٥ ب) خَطِّ اَلاسْتِوَاء وَيَضِيقُ اَلاَرْضُ مِنَ اَلْجَانِبِينِ اِلَى اَنْ يَكُونَ كَرُكْنٍ وَاَلْبَحْرُ اَلْمُحِيطُ دَائِرٌ بِهِ، وَاَيْضاً اَلْبَحْرُ اَلصَّغِيرُ، وَبَحْرُ سَوِيْس، كَمَا ذَكَرْنَا.

وَأَمَّا نِصْفُ اَلدُّنْيَا تُسَمَّى بِالْعَجَمِيَةِ بِأَشِيَهْ؛ وَفِيهَا لِلْمُسْلِمِينَ بِلاَدُ اَلشَّام وَمَكَّةَ وَاَلْمَدِينَةَ وَاَلْحِجَاز وَاَلْيَمَن وَبِلاَدَ اَلْتُرْكِ اَلشَّهِيرَةُ بَرَكَتِهَا - وَلاَ اَعْرِفُ اَقْطَارهَا - وَعِرَقْ عَرَبْ وَعِرَقْ عَجَمُ وَبَغْدَاد وَمَا تَحْتَوِي عَلَيْهِ مِنَ اَلاَقْطَار، وَبِلاَدُ هَرْمُوسْ وَسُلْطَان حَضْرَمَوْت وَسَلْطَنَةُ قِشِنٍ وَسَلْطَنَةُ ضَفَرْ وَبِلاَدُ اَلامَام نُعْمَان، ثُمَّ بِلاَدُ اَلْهِنْدِ وَخُرَسَان وَبِلاَدُ فَارِسْ وَمَا لَهَا مِنَ اَلاَقطَارِ وَمَا وَرَاءَ اَلنَّهَرِ وَسَمَرْقَنْد وَبُخَارَة وَأُسْبَكْ وَبِلاَدْ اَلطَطَرْ تَاخُذُ مِن اَلدُّنْيَا حَاضاً وَافِراً، وَسُلْطَان جَلاَلُ اَلدِّين فِي اِلهُنُودِ: سُلْطَانٌ عَظِيمٌ اَلَّذِي يَذْكُرُونَ عَنْهُ اَنَّ لَهُ أَفْيَالاً لِلْحُرُوبِ؛ كَمَا ذَكَرَ لِي بَعْضُ اَلْهِنْدِيينَ فِي جَامِعْ اِلاَزْهَرِ بِمِصْرَ، وَذَكَرَ لِي رَجُلٌ اَنْدَلُسِي بِمَكَّةَ اَلْمُشَرَّفَةَ: أَنَّهُ خَدَمَ سُلْطَانِينِ مُسْلِمَيْنِ سِنِينَ (٧٦أ) غَيْرَ سُلْطَانِ جَلاَلُ اَلدِّينِ.

وَكَمْ مِنْ اَقْطَارِ وَبِلاَدِ لِلْمُسْلِمَينَ غَيْرَ مَا ذَكَرْنَا لِجَهْلِي بِهَا؟ وَكُلَّمَا ذَكَرْنَا فَهِيَ فِي اِلاَرْضِ اَلْكُبْرَى اَلْمُتَصِيلَةَ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَفِي اِلْمَبَّاتْ اَلَّتِي تُصَوِّرُ اَلنِّصَارَى؛ وَاَلْكُورِ اِلاَرْضِيَةِ فِيهَا: كُلُّ مَدِينَةٍ مُصَوَّرَةٍ وَمَكْتُوبٌ اِسْمُهَا بِطُولِهَا وَعَرْضِهَا؛ وَكَذَلِكَ اَلْوِيدَان

وَالاَبْحُر – كَمَا تَقَدَّمَ –؛ وَفِيهَا فِي الاَرْضِ اَلْكُبْرَى اَلْمُتَّصِلَةَ مِنْ بِلاَدِ لِلْمُسْلِمِينَ؛ بِمَا تَاخُذُ مِنَ الرُّبُعِ الْمَغْرِبِي وَهِيَ نِصْفُ اَلدُّنْيَا اَلَّتِي قُلْنَا تُسَمَّى بِأَشْيَه نَحْوَ اَلْمِائَةِ وَارْبَعِينَ دَرَجَةً اَوْ اَكْثَرُ طُولاً، وَالْمَحْسُوبُ لِكُلِّ دَرَجَةٍ مِنَ الاَرْضِ اِثْنَانِ وَخَمْسِينَ مِيْلاً وَنِصْفٌ لِلْمَاشِي عَلَى خَطٍّ مُسْتَقِيمٍ مِنْ غَيْرِ صُعُودِ جَبَلِ وَلاَ اِنْحِرَافٍ؛ وَيَكُونُ بِتَقْرِيبٍ لِكُلِّ دَرَجَةٍ ثَلاَثَةُ اَيَّامٍ لِلْمَاشِي اِلْمُتَوَسِطِ، كَمَا قَدَّرْنَا لِطُولِ بِلاَدِ الاَنْدَلُسْ ثَلاَثِينَ رَحْلَةً طُولاً؛ وَدَرَج طُولِهَا عَشْرَ أَوْ اِحْدَى عَشْرَةَ دَرَجَةً بِحِسَابِ اَلرَّحْلاَتِ اِلْمَشْهُورَةِ فَهِي ثَلاَثُونَ يَوْماً بِتَقْرِيبٍ؛ وَجَاءَ لِكُلِّ دَرَجَةٍ (٧٦ ب) ثَلاَثَةُ اَيَّامٍ، كَمَا قُلْنَا؛ وَنَحْسِبُ لِلاَرْضِ اِلْمُتَّصِلَةِ اَلْعَامِرَةِ بِالْمُسْلِمِينَ اَرْبَعُ مِائَةَ وَعِشْرِينَ يَوْماً.

وَقَدْ جَاءَ رَسُولٌ مِنْ بِلاَدِ فَلَمِنْكِ اِلَى مَوْلاَيْ زَيْدَان اِبْنُ مَوْلاَيْ اَحْمَد – رَحِمَهُمَا اَللّهُ – اِلَى مَدِينَةِ مَرَّاكُشْ؛ وَكِتَابُ رِسَالَتِهِم عَجَمِي؛ وَاَمَرَنِي اَلسُّلْطَان اَنْ اُعَرِّبَهُ؛ وَمِنْ اَجْلِ ذَلِكَ كَانَ اَلرَّسُولُ يَظْهَرَ لِي مَحَبَّةً. وَرَأَيْتُ عِنْدَهُ كُتُباً بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَهُوَ يَقْرَا وَيَكْتُبُ بِهَا؛ فَسَأَلْتَهُ أَيْنَ تَعَلَّمَ ذَلكَ؟

قَالَ: اَعْلَمْ اِنِّنِي كُنْتُ فِي جَزِيرةِ كَذَا مِنْ جُزُرِ اَلْهُنُودِ اِلْمَشْرَقِيَةِ اِلَّتِي يَاتُوا مِنْهَا بِالْقَرْفَةِ وَالْقَرَنْفُل وَالْجَوْزَ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ اَلاَبَازِير وَهِيَ لِلْمُسْلِمِينَ؛ وَهُنَالِكَ تَعَلَّمْتُ نَقْرَا.

قُلْتُ لَهُ: وَهَلْ فَي تِلْكَ اَلْجُزُرِ مُسْلِمُونَ؟

قَالَ: فِيهَا؛ وَفِي كُلِّ جَزِيْرَةِ سُلْطَانٌ مُسْلِمٌ؛ وَفِي بَعْضِ اِلْجُزُرْ سُلْطَانَان.

فَاستَغْرَبْتُ ذَلِكَ؛ وَحَلَفَ بِدِينِهِ وَمَا يَعْبُدُ أَنَّ فِي تِلْكَ اَلْجُزُرِ اَكْثَرَ مِنْ عَشْرَةِ آلاَفِ جَزِيْرَةٍ لِلْمُسْلِمِينَ؛ فَتوَقَفْتُ فِي اِلامْرِ؛ ثُمَّ قُلْتُ: ثَلاَثَتُ مَسَائِل تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ: اِلاوْلَى: اَنَّهُ كَانَ يَقْرَا (١٧٧) وَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَةِ؛ وَيَحْتَاجُ اِلَى ذَلِكَ سِنِينَ وَلَيْسَ بِفَلَنْضِسْ اِلاَّ الَّذِي سَنَذْكُرُهُ يَقْرَا بَالْعَرَبِيَةِ وَهُمَا رَجُلاَنِ فَقَطْ، وَالثَّانِيَةُ: أَنَّهُ كَانَ رَسولاً وَاَلْمُلُوكُ لاَ تَبْعَثُ مَنْ هُوَ سَفِيهٌ بِرِسَالَةٍ؛ اَلثَّالِثَةُ أَنَّهُ نَصْرَانِي عَدُوٌّ فِي الدِّينِ وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ اِلنِّصَارَى تَعْظِيمُ اَلْمُسْلِمِينَ؛ وَاِذَا شَهِدَ لَكَ عَدُوُّكَ بِمَا تُحِبُّ فَيُقْضَى لَكَ بِالْغَلْبِ؛ وَاِذَا قُلْنَا هَذَا زَادَ كَثِيراً؛ فَنَاخُذُ العُشْرَ مِمَّا قَالَ وَيَبْقَى مِنَ اِلْحِسَابِ اَلْفُ جَزِيْرَةٌ؛ كُلٌّ وَاحِدَةٍ بِسُلْطَانٍ مُسْلِمٍ.

وَقَرَاتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ النِّصَارَى أَنَّ جُزُرْ اَلْهُنُودِ اَلْمَشْرِقِيَةِ هِيَ اَكْثَرَ مِنْ اَلْفِ وَثَلاَثُ مِائَةِ جَزِيْرَةٍ.

وَقَدْ طَالَعْتُ كِتَاباً عَجَمِياً لِبدْرُ طَشَايِرَ - نَصْرَانِي؛ وَذَكَرَ فِيهِ اَنَّهُ رَكِبَ اَلْبَحْرَ بِبِلاَدِ بُرتُقَالْ مِنْ بِلاَدِ اَلاَنْدَلُسْ؛ وَمَشَى اِلَى اَلْهُنُودِ اِلْمَغْرِبِيَةِ ثُمَّ مَشَى فِي بِلاَدِهَا اِلَى اَنْ قَطَعَهَا بَرّاً، ثُمَّ رَكِبَ اَلْبَحْرَ اِلْمُحِيطُ وَمَشَى فِيهِ مَغْرِباً زَمَناً فِي اَلْبَحْرِ بَيْنَ اَلْجُزُرِ اَلْمَغْرِبِيَةِ اِلَى اَنْ خَرَجَ بِقُرْبِ بَغْدَادِ (٧٧ ب) وَجَاءَ فِي اِلْبَرِّ مِنْ بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ اِلَى بَحْرِ اَلرُّوم - اَظُنُّ اَنَّهُ ذَكَرَ اَلَى حَلَبِ - وَرَكَبَ فِي اَلْبَحْرَ وَمَشَى اَلَى بِلاَدِ اَلنِّصَارَى؛ وَكَمَّلَ سَفَرَهُ بَرّاً وَبَحْراً اِلَى اَنْ دَارَ بِالدُّنْيَا دَائِرَةَ كَامِلَةَ؛ وَكَانَ رَجُلاً حَكِيماً، وَكَتَبَ مَا رَأَى. وَمِنْ جُمْلَةِ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ: اَنَّ فِي جَزِيرَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْ جُزُرْ اِلْمَشْرِقِ؛ دَخَلَ اَلاسْلاَمُ فِيهَا قَبْلَ هَذَا اَلْعَهْدِ بِنَحْوَ اَلْمِائَةِ وَثَلاَثِينَ سَنَةَ؛ وَاَلْجَزِيرَةُ

تُسمَّى بِجَاوُشْ وَصَارُوا مُسْلِمِينَ؛ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَاكُلُونَ لَحْمَ بَنِي أَدَم.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ اَلَّذِي اَعْلَمَنَا وَاَشْرَحنَا بِعمَارَةِ اَكْثَرْ اَلدُّنْيَا اَنهَا لِلْمُسْلِمِينَ، وَاَنهُمْ اَلَّذِينَ لاَ يَتَبَدَّلُ مُلْكَهُمْ اِلَى تَمَامِ اَلدُّنْيَا. وَلَيْسَ هَذَا مِنَ اَلْعَجَبِ فِي اَخْذِ تِلْكَ اَلْجُزُرْ اَلْكَثِيرَةِ مِنْ اَيْدِ اَلْكُفَّار؛ لاَنَّ اَلْمُسْلِمِينَ مَامُورُونَ بِالْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ وَاَلْمُشْرِكِينَ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: «جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ»، فَالْمُسْلِمُونَ مَنْصُرُونَ مِنَ اَللَّهِ بِالْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ وَبِتَرْكِهِ يَبْتَلِيهِمْ اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِقَوْلِ اَلنَّبِي - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : «مَا تَوَاطَأَتْ قَوْمٌ عَلَى تَرْكِ اَلْجِهَادِ (١٧٨أ) اِلاَّ اَبْتَلاَهُمْ اَللَّهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ». وَقَدْ شَاهَدْنَا شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ.

وَبَقِيَ وَاضِحٌ اَنَّ اَلْحَجَرَ اَلَّذِي كَسَرَ الصَّنَمْ وَعَظُمَ حَتَّى عَمَّرَ اَلدُّنْيَا كَانَ اَلنَّبِى مُحَمَّدٌ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَهْلُ دِينِهِ وَلَمْ يَكُنْ سَيِّدْنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَلاَ اَلنَّصَارَى اَلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ.

وَكُلُّ وَاحَدِ مِنْ سَلاَطِينِ اِلنَّصَارَى يَرْتَعِدُ وَيَخَافُ مِنْ سَلاَطِينِ اَلاِسْلاَمِ وَالَّدِينِ اَلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ رَبِّ اِلْعَالَمِينَ: وَهُمْ اَلسَّلاَطِين اِلْفُضَلاَ اَلْعُظَمَا اَلْعُثْمَانِيُون اَلتُرْكِيُون. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا ذِكْرُ مَا رَأَيْتُ وَفَهِمْتُ مِنَ اَلنَّصَارَى فِي بِلاَدِهِمْ مِنَ اَلْخَوْفِ اِلْعَظِيمِ اَلَّذِي فِي قُلُوبِهِمْ مِنْهُمْ؛ وَرَأَوْا مُلُوكِ اِلنَّصَارَى اَنَّهُ يُلِيقُ بِهِمْ صُحْبَتَهُمْ عَلَى وَجْهِ اِللِّينِ وَاللُّطْفِ. حَتَّى اَنَّ كُلَّ وَاحِدِ مِنْهُمْ يَبْعَثُ رَسُولَهُ لِيَقْعُدَ عَلَى اَلدَّوَامِ وَالاِسْتِمْرَارِ فِي اِلْقُسْطَنْطِينِيَةِ اِلْعُظْمَى يَطْلُبُ مِنْهُمْ اَلصُّلْحَ وَاِلرِّضَى عَنْهُمْ؛ وَهُمْ - نَصرَهُمْ اَللَّهُ وَخَلَّدَ مُلْكَهُمْ وَجَعَلَ اَلنَّصَارَى وَاَلْكُفَّارَ

الاَعْدَا تَحْتَ اَقْدَامِهِمْ - لاَ يَبْعَثُونَ رَسُولاً لِكَافِرٍ عَلَى وَجْهِ الْقُعُودِ فِي بِلاَدِهِمْ، وَصَحَّ (٧٨ ب) أَنَّ سُلْطَان اِشْبَانِيَة - وَهِيَ بِلاَد الاَنْدَلُسْ - اَرَادَ اَنْ يَبْعَثَ رَسُولاً لِلْقُعُودِ مِثْلَ سَايِرِ مُلُوكِ النَّصَارَى وَلَمْ يَقْبَلُوهُ؛ لَمَّا تَحَقَّقُوا مِنْ عِدَاوَتِهِ لِلاِسْلاَمِ وَغَدْرِهِ فِيمَا مَضَى مِمَّا صَدَرَ مِنْهُمْ مَعَ سُلْطَان الْهُنُودِ الْمَغْرِبِيَة بِمَدِينَة مِشِقْ[1] الْمُسَمَّى مُتَشُمَه؛ اِذْ مَشَوا اِلَيْهِ بِهَدِيَةٍ وَقَتَلُوهُ. وَالْعُهُود الَّذِي عَاهَدَ الْمُسْلِمِينَ الاَنْدَلُسْ حِينَ اَخَذَ بِلاَدَهُمْ ثُمَّ نَكَثَهَا. وَأَنَّ حِينَ اَمَرَ عَلَى الاَنْدَلُسْ بِالْخُرُوجِ مِنْ بِلاَدِهِ؛ كُلٌّ مَنْ عَلِمَ بِهِ اَنَّهُ يَمْشِي اِلَى بِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ اَخَذَ لَهُمْ الاَوْلاَدَ: كُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ اَقَلِّ مِنْ عَشْرِ سِنِينَ اَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا ذُكِرَ عَنْهُمْ فِي اَخْذِ مَدِينَةِ مِلاَنْ. وَلَمْ يَكُنْ لِسَلاَطِينِ الْمُسْلِمِينَ اَعْدَا وَلاَ اَضَرُّ مِنْ سَلاَطِينِ اِشْبَانِيَة. وَيَضُرُّونَ سَلاَطِينَ الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ وَذَلِكَ بِمَا لَهُ مِنَ الْقُوَّةِ بِالْمَالِ. نَسْئَلُ اللَّهَ الْعَظِيمِ بِبَرَكَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّد - عَلَيْهِ اَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيم - اَنْ يَنْصُرَ سَلاَطِينَ الْمُسْلِمِينَ[2] عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ نَصْراً تُعِزُّ بِهِ الدِّينْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينْ.

وَقَدْ ذَكَرَ فِي كِتَابِ الجَنْشِيشْ مِنْ كُتُبِ التَّوْرِيَةِ (١٧٩) فِي الْبَابِ السَّادِس عَشَر؛ قَالَ: "وَكَلَّمَ الْمَلَكُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِهَاجَرْ فِي الْبَرِّيَةِ بِقُرْبِ عَيْنِ مَاءٍ؛ قَرِيباً مِنْ عَيْنِ طَرِيقِ الْقِبْلَةِ، وَقَالَ لَهَا: يَا هَاجَرْ مِنْ أَيْنَ جِئْتَ وَاَيْنَ تَمْشِي؟ قَالَتْ: هَرَبْتُ مِنْ شَرِّ سَيِّدَتِي. قَالَ لَهَا الْمَلَكُ: اَرْجِعِي اِلَى سَيِّدَتِكِ وَاَخْضَعِي اِلَيْهَا؛ وَقَالَ لَهَا الْمَلَكُ: تَكُونَ

---

[1] يريد: المكسيك.

[2] هنا ينتهي السقط.

زَرِّيعَتِك حَتّى لاَ يُحْصَى عَدَدَهَا مِنْ كِثْرَتِهَا؛ وَقَالَ لَهَـا: أَنْـتِ حَمَلْـتِ وَتَلِدُ اِبْنَاً وَتُسَمِّيهِ[١] اِسْمَاعِيل؛ لاَنَّ اَللِّـهُ سَمِـعَ حُزْنَـكِ؛ وَيَكُـوُنُ رَجُـلاً قَوِياً؛ يَـدَهُ عَكْـسَ اَلْكُـلِّ وَاَيْدِي اِلْجَمِيـعِ عَكْسَـهُ. وَيَسْكُنْ قُدَّام جَمِيـعِ اِخْوَانِهِ".

وَوَلَدَتْ هَاجَر اِسْمَاعِيلَ لِسَيِّدِنَا اِبْرَاهِيـم[٢] وَسَـمَّى اَبْنَـهُ اِسْمَاعِيل. وَلَمَّا بَلَغَ سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيمُ مِائَةَ سَنَةٍ وُلِدَ لَهُ اِسْحَاق[٣] مِنْ سَارَةٍ. وَقَالَ فَي اِلْكِتَاب اِلْمَذْكُور فِي اَلْبَابِ اَلْوَاحِدِ وِالعِشْـرِينَ: "وَقَـامَ سَـيِّدِنَا اِبْرَاهِيـمُ مِنْ اَلْصُّبْحِ وَأَخَذَ خُبْزَاً وَجَلْدَ مَاءٍ وَأَعْطَاهُ اِلَى هَاجَر وَوَضَـعَ اَلطِّفْـل[٤] اَبْنَهُ عَلَى كَتْفِهَا وَبَعَثَهَـا وَمَشَـتْ وَتُلِفَـتْ فِـي فَحْـص بِرْشَـبَاوَفَرَغَ لَهَـا اَلْمَـاءُ مِـنَ اَلْجِلْـدِ وَتَرَكَـتْ (٧٩ ب) اَلطِّفْل؛ تَحْـتَ شَـجَرَةٍ وَذَهَبَـتْ؛ وَجَلَسَتْ قُبَالَتَهُ عَلَى بُعْدِ رَمْيِ قَوْسٍ؛ وَهِيَ تَقُولُ: مَا نَرَى اِلاَ الطِّفْل[٥] يَمُوتُ. وَجَلَسَتْ وَرَفَعَتْ صَوْتَهَا وَبَكَتْ[٦]؛ وَسَمِعَ اَللِّهُ صَـوْتَ اَلطِّفَـل وَقَالَ مَلَكُ اَللِّهِ مِنَ اِلسِّمَاءِ: مَالَكِ يَا هَاجَر؟ لاَ[٧] تَخَـافِي اِنَّ اَللِّـهَ سَـمِعَ صَوْتَ اَلطِّفَل مِنْ حَيْثُ هُوَ؛ فَقُمْ وَارْفَعْ اَبْنَكِ؛ وَخُذْهُ[٨] مِنْ يَدِهِ لاِنَّهُ فِي

---

[١] س: وسميه.

[٢] س: عليه السلام.

[٣] س: عليه السلاك.

[٤] كتب الحجري "الولد" فوق كلمة "الطفل".

[٥] كتب الحجري أيضاً كلمة "الولد" فوق كلمة "الطفل".

[٦] س: بالبكاء .

[٧] س: فلا .

[٨] س: فقمي وارفعي ابنك وخذيه.

كَبِيرِ قَوْمٍ يَكُونُ[١]. حِينَئِذٍ فَتَحَ اَللّهُ عَيْنَيْهَا وَاَبْصَرَتْ عَيْنَ مَاءٍ وَعَمَّرَتْ اَلْجِلْدَ مِنَ اَلْمَاءِ وَأَعْطَتْ اَلْوَلَد يَشْرُبُ؛ وَأَصْلَحَ اَللّهُ اَلْوَلَدَ؛ وَكَبَرَ فِي اِلْخَلاَءِ؛ وَكَانَ رَامِياً بِالْقَوْسِ".

وَقَالَ فِي اِلْكِتَابِ اِلْمَذْكُورِ فِي بَابِ خَمْسَ وَعِشْرِينَ: "وَهَذِهِ اَسْمَاءُ أَوْلاَدِ إِسْمَاعِيل اِبْنَ اِبْرَاهِيم: أَوَّلُ اَوْلاَدِ سَيِّدِنَا اِسْمَاعِيل كَانَ: نَبْيُو فَتَحْ وَاَسْدَرْ وَادْبَ وَاَلإِمْبَشَمْ وَمَشْ وَمَبْدُ مَشْمَشَا ادَدْ اتْهُمَا اَجْتَهُر وَنَافِشْ وَوَسْدَمَا • فَهِيَ أَسْمَاءُهُمْ؛ فَكَانُوا فِي بِلاَدِهِمْ وَدِيَارِهِمْ اِثْنَا عَشَرَ: جَمِيعُ اَلاخْوَانِ وَكُلُّ وَاحِدٍ عَمِلَ قَبِيلَةِ وَبَلَد[٢] (١٨٠أ) وَحْدَهُ"، اَنْتَهَى •

وَذَكَرَ فِي اِلتَّوْرِيَةِ فِي اِلْكِتَابِ اِلثَّانِي لِلْمُلُوكِ فِي اَلْبَابِ اِلثَّانِي وَالْعِشْرِين: "اَنَّ اَلسُّلْطَان يُشَيَشْ كَانَ بِبَيْتِ اِلْمَقْدِس؛ بَقِيَ بِهِ سُلْطَاناً اَحْدَى وَثَلاَثِينَ سَنَةً. وَفِي اِلسَّنَةِ اِلثَّامِنَةِ عَشَر بَعَثَ اَلسُّلْطَان لِشَافَنْ بَنْ اَزَلْيَهْ – مِنَ اَلْكُتَّابِ – لِلْبَيْتِ اِلْمُقَدَّسِ لِيَبْنُوا وَيَصْلِحُوا مَا فَسَدَ فِيهَا • وَقَالَ اَلْحِبْرُ حِلْكِهُ لشَافَان[٣]: وَجَدْتُ كِتَابَ اَلدِّين فِي بَيْتِ اِللّهِ وَهُوَ هَذَا اَعْطِهِ[٤] لِلسُّلْطَان. فَقَالَ: حِلْكِهُ اَلْحِبْرُ اَعْطَانِي هَذَا اِلْكِتَابَ • وَقَرَاهُ اَلسُّلْطَان؛ وَلَمَّا سَمِعَهُ قَطَّعَ اَللِّبَاسَ اَلَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَاَمَرَ بِكَسْرِ اِلاَصْنَامِ. وَأَمَرَ جَمِيعَ اَلنَّاسِ اَنْ يَعْمَلُوا عِيداً • وَلَمْ يُعْمَلْ مِثْلَهُ فِي زَمَن[٥] اِلسَّلاَطِينِ اِلاَّ فِي زَمَنِ اِلْحُكَّامِ حِينَ كَانُوا فِي اِلتِّيهِ"•

---

[١] س: لأن نجعله في كبير قوم.

[٢] س: بلداً.

[٣] س: لشافن الكاتب .

[٤] س: فأعطاه السلطان.

[٥] س: زمان .

وَيَظْهَرُ مِنْ هَاذَا اِنّ اِلتَوْرَيَةَ لَيْسَ كَانَتْ عِنْدَ اَلنَّاسِ فِي تِلْكَ اَلاَزْمِنَةِ؛ وَكَيْفَ يُثَبِّتُونَ[١] أَنَّ هَذَا هِيَ اَلَّتِي كَانَتْ فِي زَمَنِ سَيِّدْنَا مُوسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ . وَاَلْحَمْدُ لِلَّهِ وَالشُّكْرُ لَهُ أَنَّ اَلْقُرءَانَ اَلْعَزِيزَ كَانَ فِي كُلِّ بَلَدٍ مِنْ بِلاَدِ اَلْمُسْلِمِينَ مَوْجُوداً؛ وَكَانَ عِنْدَنَا[٢] بِبِلاَدِ (٨٠ ب) اِلاَنْدَلُسْ مَعَ اَلْحُكْمِ اِلْقَوِّي وَاِلْحِرْصِ اِلشَّدِيدِ مِنَ اَلْكُفَّارِ عَلَى مَنْ يَظْهَرَ عِنْدَهُ يَقْتُلُونَهُ وَيَأْخُذُونَ مَالَهُ[٣] وَيَحْرَقُونَهُ. وَمَضَتْ اَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْ حِينَ مَنَعُوهُ وَهُوَ مَوْجُودٌ. وَصَدَقَ اَللَّهُ اَلْعَظِيمُ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: "نحن نزلنا القرآن وانا له لحافظون"[٤]. وَتَقَدَّمَ لَنَا[٥] أَنَّ فِي اِلْكِتَابِ اِلْمُسَمَّى بِلِبِتَقُ مِنْ كُتُبِ اِلتَوْرَيَةِ فِي اِلْبَابِ اِلْعَاشِرِ فِي اَلْمَقَالَةِ اِلثَّامِنَةِ، قَالَ: "كَلَّمَ اَللَّهُ هَارُون قَائِلاً: اَنْتَ وَأَوْلاَدِكَ مَعَكَ لاَ تَشْرَبُوا خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً إِذَا اَرَدْتُمْ اَلدُّخُول فِي اَلْجَامِعِ وَمَا تَمُوتُونَ؛ هَذَا اَمْرٌ اِلَى اَلاَبَدِ لِكُلِّ مَنْ يَتَنَسَّلَ مِنْكُمْ. هَذَا لِتُفَرِّقُوا وَتُمَيِّزُوا بَيْنَ اَلصَّلاَحِ وَاَلْفَسَادِ وَبَيْنَ اَلطَّاهِرِ وَالنَّجِسِ وَلِتُعَلِّمَ بَنِي اِسْرَائِيلَ وَتُبَيِّنَ لَهُمْ مَا اَمَرَهُمْ اَللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْ مُوسَى".

فَانْظُرْ هَذَا اَلْقَوْلَ اَلصَّرِيحِ عَلَى اَلْخَمْرِ وَاَلْمُسْكِرِ أَنَّهُ نَجِسٌ وَأَنَّهُ مُفْسِدٌ، وَجَمِيعُ اِلْيَهُودْ يَشْرَبُونَهُ. وَانْظُرْ مَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ اِلْمَلَكِ اَلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِ اِللَّهِ اِلَى سَيِّدِنَا زَكَرِيَا – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – وَقَالَ لَهُ: اَنَّ اَللَّهَ قَبِلَ دُعَاءَكَ وَامْرَاتُكَ اَلْيَاصِبَاتْ (٨١أ) تَلِدُ اِبْنَاً يُدْعَى بِأَسْمِهِ

---

[١] س: يتبت .

[٢] ناقصة في س .

[٣] "ويأخذون ماله" ، ناقصة في س .

[٤] الصواب: "نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

[٥] "لنا" ، ناقصة في س .

يُوحَنَّا – وَعِنْدَنَا فِي اَلْقُرءَانِ اَلْعَزِيزِ اِسْمُهُ يَحْيَى[١] – وَيَكُونُ لَهُ فَرَحٌ عَظِيمٌ وَتَهْلِيلٌ؛ وَكَثِيرٌ يَفْرَحُونَ بِمَوْلِدِهِ؛ وَيَكُونُ[٢] عَظِيماً قُدَّامَ اَلرَّبِّ لاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً"، وَهَذَا فِي اِلاِنْجِيلِ.

فَالْيَهُودُ[٣] تَتَعَامَى عَلَى مَا عِنْدَهُمْ فِي اِلتَّوْرَيَةِ مِنَ اَلْمَنْعِ وِالتَّبْيِينِ اِنَّهُ نَجِسٌ[٤] وَيُحَلِّلُونَهُ لِنُفُوسِهِمْ اَلنَّجِسَةِ. وَالنَّصَارَى تَقْرَا هَذَا النَّصَّ فِي اِلتَّوْرَيَةِ وَتَقْرَا اَيْضاً مَا فِي[٥] اِلاِنْجِيلِ مِنْ قَوْلِ اِلْمَلَكِ عَنْ يَحْيَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – اِنَّهُ لاَ يَشْرَبُ خَمْراً وَلاَ مُسْكِراً. وَتَعْتَقِدُ الحِلِّيَّةَ وَالطَّهَارَةَ فِي اَلْخَمْرِ؛ حَتَّى لاَ تَجُوزُ اِلصَّلاَةُ عِنْدَهُمْ اِلاَّ بِهِ. فَاشْكُرِ اَللَّهَ اَيُّهَا اَلاَخُ اَلْحَبِيبُ عَلَى مَا وَجَدْتَ فِي هَذَا اَلْكِتَابِ مِنَ اَلتَّبْيِينِ عَلَى دِينِ اِلاسْلاَمِ أَنَّهُ خَيْرُ اَلاَدْيَانِ.

وَالْتَقَيْتُ بِمُسْتَرْضَمْ بِفَلَنْضِسْ بِحِبْرِ مُفْتِي اِلْيَهُودِ؛ مَشَى[٦] اِلَيْهِمْ مِنْ بِلاَدِ اِلْمَشْرِقِ. وَقَالَ لِي: – فِي اِثْنَاءِ اِلْكَلاَمِ عَنِ سَيِّدِنَا مُوسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – أَنَّه عَمَلَ ذَنْباً عَظِيماً[٧].

قُلْتُ لَهُ: اَلاَنْبِيَاءُ – عَلَيْهِمْ (٨١ ب) اِلسَّلاَمُ – مُنَزَّهُونَ عَنِ اِلذُّنُوبِ؛ وَكَيْفَ تَقُولُ اَنْتَ هَذَا اَلْكَلاَمَ؟

---

[١] س: تلد ابنا لك يدعى يحيى ويكون لك فرح كثير عظيم وتهليل .

[٢] أعاد الحجري كتابة "لك فرح عظيم وتهليل وكنت" هنا وشطب عليها.

[٣] س: فأما اليهود .

[٤] س: نجس ومفسد .

[٥] س: تقرأ أيضا في الإنجيل .

[٦] س: جاء إليهم .

[٧] س: كبيراً .

قَالَ: نَعَمْ، لاَنَّهُ كَانَ يُوَبِّخ بَنِي اِسْرَائِيلَ؛ وَيَقُولُ فِيهِمْ: اَنَّهُمْ قَوْمٌ قَاسِحُونَ، لاَنَّهُمْ اَهْلَ اَللَّهِ، وَلاَ عَلَتْ دَرَجَتَهُ عَنْدَ اللَّهِ تَعَالَى اِلاَّ بِسَبَبِهِمْ.

وَهَذَا بُرْهَانٌ فِي مَا[١] قُلْنَا[٢]: اَنَّ فِيهِمْ اَلْكِبْرُ، حَتَّى اَنَّهُمْ يُعَظِّمُونَ اَنْفُسَهُمْ عَلَى اَنْبِيَاء اِللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ لِي هُنَالِكَ يَهُودِيٌّ آخَرُ: اَنَّ دِينَ[٣] اَلاِسْلاَمِ يَتِمُّ فِيمَا هُوَ قَرِيبٌ.

قُلْتُ لَهُ: مَنْ قَالَ هَذَا؟

قَالَ: اِلتَّوْرَيةُ: اَنَّ كُلِّ مَنْ يَاتِي بِدَعْوَةٍ بَاطِلَةٍ لَمْ تَبْلُغْ وَلاَ تَدُومُ اَلْفُ[٤] سَنَةٍ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ؛ لانّ دَعْوَةُ نَبِّينَا – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جَازَتْ اَلأَلْفَ[٥] سَنَةً بِأَكْثَرِ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةٍ!

فَلَمَّا اَنْ سَمِعَ ذَلِكَ نَزَلَ عَلَيْهِ اِلذُّلُّ وَالْخِزْيُ وَالتَّغْيِيرُ وَخَابَ ظَنُّهُ فِيمَا كَانَ يَرْجُوهُ[٦].

وَقَدْ وَصَّى عَبْدُ اَلْحَق اَلاِسْلاَمِي – رَحِمَهُ اَللَّهُ – فِي كِتَابِهِ اَلَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ اَلْمُسَمَّى: بِالسَّيْفِ اِلْمَحْدُودِ فِي اِلرَّدِّ عَلَى اَلْيَهُودِ– لِلْمسْلِمِينَ اَنْ يَتَحَفَظُوا مِنْ اَطْعِمَةِ اِليَهُود بِمَا عَلِمَ مِنْ غُشِّهِمْ.

---

١ س: لما قلنا.

٢ س: قلت .

٣ س: آخر ودين الإسلام.

٤ س: باطلة لا تبلغ الف سنة.

٥ س: الف .

٦ س: يرجوه وينتظر .

َايْضَاً فِي كِتَابٍ نَسِيْتُ اِسْمَ مُؤلِفِهِ مِنْ كُتُبِ (١٨٢أ) اَلْمُسْلِمِينَ طَلَبَ مِنِّي وَاحِدٌ مِنْ فُقَهَاءِ اِلاَنْدُلُسْ أَنْ اُتَرْجِمُهُ لَهُ بِالْعَجَمِيَةِ مِنَ الْعَرَبِي بِسَلاَ بِالْمَغْرِبِ، وَذَكَرَ فِيهِ مِنْ غِشِّ اِلْيَهُودِ شَيْئَاً كَثِيراً؛ وَحِكَايَاتٍ مِمَّا وَقَعَ لِلْمُسْلِمِينَ مَعَهُمْ تَرَكْتُهَا لِلتَطْوِيلِ، وَنَذْكُرَ[١] مَا ذَكَرَ لِي رَجُلٌ مِنْ اَهْلِ اِلْعِلْمِ بِمِصْرَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ اَكَابِرِ اِلْعُلَمَاءِ يَعْرِفُهُ[٢].

قَالَ: اَنَّهُ كَانَ يَمْشِي اِلَى حَوْمَةِ دِيَارِ اِلْيَهُودْ لِدَارِ حِبْرٍ مِنْ اَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ[٣] يَقْرَا عَلَيْهِ عِلْمَ المَنْطِقِ، لاِنَّهُ كَانَ بَالِغاً فِيهِ. وَمَشَى يَوْمَاً كَمَا كَانَتْ مِنْ[٤] عَادَتِهِ؛ فَلَمَّا اَنْ دَخَلَ عَلَيْهِ[٥] مِنَ اَلْبَابِ خَرَجَ اِلَيْهِ اِلْيَهُودِي وَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارِهِ بِسُرْعَةٍ وَسَدَّ اَلْبَابَ فِي وَجْهِهِ. وَمَشَى اَلْعَالِمُ مُتَعَجِباً وَمُتَغَيِّرَاً[٦] مِمَّا وَقَعَ لَهُ. ثُمَّ لَقِيهُ بَعْدَ ذَلِكَ اَلْيَهُودِي؛ وَقَالَ لَهُ فِي سِرٍّ: لاَ تَاخُذْ عَلَيَّ فِيمَا عَمِلْتُ مَعَكَ؛ لاِنَّنَا عِنْدَنَا فِي دِيْنِنَا اِنَّ اَلْيَهُودِي اَلَّذِي يَقْدِرُ عَلَى قَتْلِ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى دِينِهِ[٧] وَلاَ يَقْتُلَهُ فَهُوَ يَرْتَدُّ عَنْ دِينِ اَلْيَهُودِ، وَاَنْتَ يَا سَيِّدِي فِي اَلْيَوْمِ اِلَّذِي جِئْتَ اِلَى دَارِي

---

[١] س: ونذكر هنا .

[٢] س: يعرفه هو .

[٣] س: اكابر العلماء اليهود .

[٤] س: كانت عادته .

[٥] س: فلما ان دخل من الباب .

[٦] لم ترد الفظة في س .

[٧] س: على دينه من غير أن يلحقه ضرر من الحكام ولا يقتله.

لَمْ يَكُنْ اَحَدٌ فِي الدَّارِ[١] وكُنْتُ قَادِرٌ عَلَى قَتْلِكَ لَوْ دَخَلْتَ عِنْدِي وَاَسْرَعْتَ (٨٢ ب) بِرَدِّكَ لِئَلاَّ نَقْتُلُكَ اَوْ نَرتَدُّ[٢].

فَانْظُرْ وَتَأَمَّلْ فِي هَذَا الاَمْرِ، وَلاَ تَأْمَنْهُمْ فِي شَيْءٍ؛ لاَ سِيَمَا أَنْ تُنَادِي طَبِيباً مِنْهُمْ يُعَالِجُكَ؛ اَوْ تَاخُذ مِنْهُمْ دَوَاء لاَنَّهُ يَسْهُلُ عَلَيْهِ[٣] قَتْلَ اَلْعَلِيلِ وَلاَ يَلْزَمُهُ شَيْءٌ. وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الاُمُورِ الَّتِي تَضُرُّ بِالاِنْسَانِ، اِنْتَهَى اَلْكَلاَمُ عَلَى اَلْيَهُود[٤].

وَاَمَّا اَلْحَوَايِجُ اَلَّتِي كَانَتْ مَطْرُوحَةٌ بِبُرْضِيُوش اَلَّتِي نَهَبَ الرَّايِسُ لاَهْلِ اَلْحَجَرِ الاَحْمَرِ؛ فَاتَّصَلْتُ بِهَا بَعْدَ اَنْ جَازَ عَلَيْنَا نَحْوَ اَلْعَامِ وَنِصْفٍ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّ كُلَّ مَنْ وَكَّلَنِي مِنْ جَمِيعِ الاَنْدَلُسِ وَصَلَ اِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ اَلدَّرَاهِمِ.

وَلَمَّا تَقَضَيْنَا مِنْ اُمُورِنَا بِبُرْضِيُوش وَلَيْنَا اِلَى بَّرِيشْ، بَلَدِ اَلسُّلْطَانِ، وَالْتَقَيْتُ هُنَالِكَ بِأَكْبَرِ الْمُنَجِمِينَ فِي الاَحْكَامِ اَلنُّجُومِيَةِ وَقَالَ لِي: هَذَا اَلْعِلْمُ لَمْ نَرَ لَهُ نَتِيجَةً اَبَداً فِي الاَحْكَامِ، وَقَدْ جَرَّبْتُ كَثِيراً مِنْ اَلاِخْتِيَارَاتِ، وَلَمْ يَصْدُقْ فِيهَا وَاحِدٌ؛ وَلَمْ نَتْرُكْ شَيْئاً مِنَ اَلتَّحْقِيقِ فِي اِلنِّصْبَاتِ وَأَخْذِ الاَرْتِفَاعِ لِلْبُرُوجِ[٥] فِي الطَّالِعِ مِمَّا قَالَ اَلْمُؤَلِّفُونَ لِلْكُتُبِ؛ وَعِنْدِي اَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ تَالِيفٍ فِي اَلْفَنِّ، وَنَفْهَمُ مَا فِيهَا. وَلَمَّا

---

[١] س: داري لم يكن فيها أحد وكنت .

[٢] س: لئلا نرتد او نقتبك .

[٣] س: عليهم.

[٤] زيادة تظهر في نسخة باريس هي: "ولما تحققت ببلد فرنجة وفلنضس من الكبر الذي في اليهود قلت: اذا وليت الى بلد المسلمين ونرى مسلما يضرب يهوديا فلا نغيثه ابد.

[٥] س: ارتفاع البرج.

قُتِلَ اَلسُّلْطَانُ بِبِّرِيشْ اَبو لُوشْ[١] اَلَّذِي هُوَ (٨٣أ) اَلآنَ سُلْطَانٌ؛ قُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلشَّمْسُ اَلَّتِي يُنْسَبُ اَلْحُكْمُ اِلَيْهَا عَلَى اَلسَّلاَطِينِ[٢] تَكُونُ فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ اَلَّتِي قُتِلَ فِيْهَا مُتَّصِلَةً بِنَحْسٍ. وَلَمَّا نَضَرْتُ[٣] ذَلِكَ وَجَدْتُهَا مَعَ اَلزُّهْرَا وَهِيَ سَعْدٌ وَلاَ يَحْكُمُ لِلسُّلْطَانِ بِذَلِكَ اِلاَّ بِسَعْدٍ اِذَا كَانَتْ اَلزُّهْرَةَ مُقْتَرِنَةً اَوْ مُتَّصِلَةً بِالشَّمْسِ؛ وَالْعُلَمَاءُ اَلَّذِينَ وَضَعُوا هَذِهِ الْقَوَاعِدِ وَالاَقَاوِيلِ وَالاَحْكَامِ فَلاَ نَتِيجَةٌ بَعْدَ اَلْعَمَلِ عَلَى مُقْتَضَى أَقْوَالِهِمْ بَلْ نَجِدُ اَلْمَسْئَلَةَ بِالْعَكْسِ مِمَّا قَالُوا، اَنْتَهَى.

وَاَقُولُ: اَعْلَمْ اِنِّي كُنتُ قَرأْتُ شَيْئاً فِي عِلْمِ الاَحْكَامِ عَلَى اَلْفَقِيهِ اَحْمَدَ الْمُصَيْوِبْ اَلْفَاسِي الاَنْدَلُسِي نَسَباً، وَكَانَ بَالِغاً فِي اِلْفَنِّ فِي عِلْمِ اِلتَنْجِيمِ وَالْخَاطِّ[٤] الرَّمْلِي وَعِلْمِ الْجَدْوَلِ الْعَدَدِي وَالْحَرْفِي[٥] وَكَانَتْ لَهُ مِنْ اَلْكُتُبِ فِي تِلْكَ الْفُنُونِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، لاَنّ اَلسُّلْطَانَ مَوْلاَيْ اَحْمَدَ - رَحِمَهُ اَللَّهُ؛ ظَهَرَ لِي[٦] أنَّهُ - كَانَ يَمُدُّهُ بِالْكُتُبِ مِنْ خَزَانَتِهِ اِلَّتِي قَالُوا: نِهَايَةِ كُتُبِهَا اِثْنَانِ وَثَلاثُونَ اَلْفَ كِتَابَا[٧]؛ وَقَالَ لِي الشَّيْخُ - رَحِمَهُ اَللَّهُ - مِرَارَاً[٨] اِذَا سَأَلَنِي اَلسُّلْطَانِ شَيْئاً فِي الاُمُورِ الْمُغَيَّبَاتِ نَتْرُكُ اَلْكُتُبَ كُلِّهَا وَنَعْمَلْ جَدْوَلاً مُخَمَّساً وَنَعَمِّرُهُ (٨٣ ب) بِخَمْسَةِ

---

[١] س: يَلُوشْ.

[٢] س: السلطان.

[٣] س: ونظرت .

[٤] س: والخط .

[٥] س: والحروفي .

[٦] س: اظن انه كان يمده .

[٧] س: كتاب .

[٨] اللفظة لم ترد في س.

أَسْمَاءٍ مِنْ اَسْمَاءِ اِللّٰهِ تَعَالَى وَهِيَ: اَلْهَادِي، اِلْخَبِيرُ، اَلْمُبِينُ، عَلاَّمُ اَلْغُيُوبِ، بِالتِّدَاخُلِ فِي اِلصِّنْعَةِ بِحَيْثُ يُقْرَا طُولاً وَعَرْضاً وَقُطْراً عَلَى هَذَا اَلنِّعْتِ:

الهادي	الخبير	المبين	علام	الغيوب
علام	الغيوب	الهادي	الخبير	المبين
الخبير	المبين	علام	الغيوب	الهادي
الغيوب	الهادي	الخبير	المبين	علام
المبين	علام	الغيوب	الهادي	الخبير

ثُمَّ نَقْرَا مَا تَنْقُطُ جَمَيعِ اِلْحُرُوفِ بِالْجَزْمِ اِلْكَبِيرِ[1] وَإِذَا فَرَغْتُ مِنَ اَلْقِرَاءَةِ فِي اَلِّيلِ قَبْلَ اَلنَّوْمِ؛ فَنَضَعُ اَلْجَدْوَلَ تَحْتَ رَاسِي، وَيَاتِينِي فِي اِلنَّوْمِ مَنْ يَخْبِرَنِي بِالْجَوَابِ مِمَّا اَضْمَرْتُهُ فِي نَفْسِي نَذْكُرُ حَاجَتِي جَهْراً، قَالَ: اَنَّهُ يَصْدَقُ فِيمَا يُجَوبُ بِهِ، وَيَحْتَمِلُ اَنَّهُ كَانَ يَعْمِلُ نَصْبَةً عَلَى اَلْمَسْئَلَةِ وَيَظْهِرُهَا لِيُظَنَّ اَنَّ اَلْجَوَابَ اَسْتَخْرَجَهُ مِنْهَا.

وَقَدْ حَكَمَ عَلَى تَارِيْخِ وِلاَدَتِي بِاشْبِيلِيَةْ زَوْجٌ مِنْ اَكَابِرِ اِلْمُنَجِمِينَ بِانَّ عُمُرِي يَكُونُ مِنْ اَرْبَعِينَ اِلَى خَمْسِينَ سَنَةً، وَوَجَدَ فِي مَرَّاكُشْ

---

[1] زيادة في نسخة باريس هي: "واذا نقرأ ما تنقط جميع الحروف في اليل قبل النوم فنضع الجدول تحت راسي وياتيني في النوم من يخبرني بالجواب مما ذكرت وطلبت واضمرته في نفسي".

اَلشَّيْخُ اَحْمَـدْ اَلمُصَيْـوبْ سَـتٌ وَسِـتِّينَ سَـنَةً وَالْيَـوْمُ بَلَغْـتُ اِلَـى اَرْبَـعَ وَسَبْعِيَن سَنَةً قَمَرِيَة وَمَا زُلْنَا فِي رَحْمَةِ اللِّهِ تَعَالَى[١].

وَمِمَّـا رَايْـتُ (١٨٤أ) بِـبَّرِيشْ اِمْرَأَتَيْـن تُرْكِيَتَيْــن: اِحْدَهُمَــا عَجُــوَزَةٌ وَالاخْرَى مِنْ نَحْوَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهِـيَ مَشْـغُولَةٌ بِالاَشْـغَال الْعَجِيبَـةِ[٢] لِلْسُّلْطَانَةِ. وكَانَتْ اَلنِّسَا جَمِيعاً تَتَعَجَبْنَ مِنْ حُسْنِ شُغْلِهَا وَظَرَفِهَـا فَـي الرَّقْمِ. وكَانَتْ تَاخُذُ مِنْ عِنْدَ اَلسُّلْطَانَةِ كُلُّ يَوْمِ رِيَالَةً كَبِيرَةً. وَسَـأَلْتُهَا عَنْ اَلسَّبَبِ اِلِّذِي جَـاءَ بِهَـا مِـنْ بِـلاَدِ الْمُسْلِمِينَ[٣] اِلَـى بِـلاَدِ الْفَرَنْـجِ. قَالَتْ: كُنَّا فِي اِلْبَحْرِ قَاصِدِينَ اَلْحِجِّ وَاَخَذَنَا اَلنِّصَـارَى وَاَتَـوْا بِنَـا اِلَـى اَلْبُنْدُقِيَةِ. وَكَتَبَ رَسُولُ سُلْطَانْ فَرَنْجَهْ وَاَعْلَمَ اَلسُّلْطَانَة بِشُغْلِنَا؛ وَبَعَثَتْ لَهُ أَنْ يُرْسَلَنَا اِلَيْهَا؛ ثُمِّ اَنِّ اَلسُّلْطَانَةُ وَنِسَاء اَلاكَابِرِ دَعَوْهَا اِلَى دِينِهِمْ وَدَخَلَتْ فِيهِ.

فَقُلْتُ لَهَا مَا اَلْهَمَنِي اَللِّهُ فِي اُمُورِ اِلاَدْيَان؛ واَنِّهُ لاَ يَنْجَو اَلآنَ أَحَدٌ اِلاِّ فِي دِينِ اِلاسْلاَمِ؛ وَاَتَيْتُ لَهَا بِبَرَاهِينَ عَلَى ذَلِكَ. وَ[٤]هِيَ كَانَتْ تَقْرَا بِالْعَرَبِيَـةِ وَالْعَجُـوزُ كَذَلِـكَ؛ قَـالَتْ: اَنِّهَـا كَـانَتْ مِـنَ الـدَّارِ الْكَرِيمَـةِ لِلْسِّلاَطِينِ بِإِصْطَنْبُولْ[٥]؛ وَنَادَتْنِي يَوْمَـاً؛ وَبَعْدَ اَلطَّعَـامِ اِلعَجِيـبِ قَـالَتْ لِي: اَطْلُبُ مِنْكَ حَاجَةً لِوَجِهِ اِللِّهِ تَعَالَى.

قُلْتُ لَهَا: اَذْكُرِي حَاجَتَكِ!

قَالَتْ لِي : تُدَبِّر عَلَيِّ لِنَمْشِي اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ.

---

[١] " وقد حكم .... رحمة الله تعالى" ، أضافها الحجري في الحاشية و لم ترد في س .

[٢] س: العجمية .

[٣] س: جاء بها من بلدها غلى بلاد الفرنج .

[٤] س: وقالت انها كانت تقرا بالعربية

[٥] س: بلقسطنطينية .

قُلْتُ لَهَا (٨٤ ب) : وَتَسْمُحَ لَكَ اَلسّلْطَانَه فِي اِلانْتِقَالِ؟
قَالَتْ : مَا تَسْمُحْ لِي اَبَداً!
قُلْتُ لَهَا: اِنْ شَاءَ اَللّهُ أُدبِّرُ عَلَيْكُمَا حَتّى تَرْجِعَا اِلَــى بِـلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ، حِينَئِذٍ وَدّعتُهُمَا. وَسَيَاتِي اِلْكَلاَمُ فِي شَأنِهِمَا.
فَمَشَيْنَا مِنْ بْرِيشْ اِلَى مَدِينَةِ رُوانْ؛ ثُمّ مِنْهَا اِلَى مَرْسَــى اَلْبَرَكَـةِ ايْـنَ كَانَ نزُولِنَا مِنَ اَلْبَحْـرِ حيـنَ جِئْنَـا اِلَـى بِـلاَدِ اِلْفَرَنْـجِ، وَرَكَبْنَـا اَلْبَحْـرَ وَمَشَـيْنَا اِلَـى فَلَنْضِـسْ، وَبَلَغْنَـا فِـي اَرْبَعَـةِ اَيَّـامٍ اَوْ اَكْـثَرٍ. وَكُنَّـا فِـي مُرُورِنَا ذَاهِبِينَ اِلَى جِهَةِ اِلْقُطْبِ اِلشّمَالِي، وَبِـلاَدِ فَرَنْجَـهْ عَنْ يَمِينِنَـا وَبِلاَدِ الانْجِلِزْ عَنْ يَسَارِنَا وَنَرَوْ اَلْبِّرِيْن فِي بَعْضِ اِلْمَوَاضِعِ.

اَلْبَـــابُ اَلْحَـادِي عَشَــرَ

فِي ذِكْرِ بِلَادِ فَلَنْضِسْ

إِعْلَمْ إِنَّنَا مَشَيْنَا وَقَصَدْنَا تِلْكَ اَلْبِلاَدِ وَهِـيَ اَبْعَدُ عَنْ بِلاَدِنَـا مِنْ بِـلاَدِ اَلْفَرَنج وَلَكِنْ يَنْبَغِي لِلاِ نْسانِ أَنْ يَسْتَعِيذَ[١] مِنْ غَيْرِهِ اَوْ مِنْ نَفْسِـهِ. وَلَمَّا رَأَيْتُ وَتَحَقَّقْتُ مِنْ عَمَلِ الفَرَنجِ اِلْبَحْرِيَةِ مَعَ اَلْمُسْلِمِينَ، قُلْتُ: لَمْ نُوَلِّي اِلَى بِلاَدِنَـا[٢] فِـي سُفُنِهِمْ ؛ بَلْ نَمْشِي اِلَـى فَلَنْضِـسْ لِـاَنَّهُمْ لاَ يَضُرُّونَ اَلْمُسْلِمِينَ ، بَلْ يَحْسِنُونَ اِلَيْهِمْ – كَمَا سَيَاتِي.

وَلَمَّا اَنْ بَلَغْنَـا اِلَـى مَدِينَـةِ مُسْتَرْضَامْ؛ رَأَيْتُ اَلْعَجَـبَ (١٨٥أ) فِـي حُسْنِ بُنْيَانِهَا وَنَقَائِهَا وَكِثْرَةِ مَخْلُوقَاتِهَا؛ كَادَ اَنْ تَكُونَ فِي الْعَمَارَةِ مِثْلُ مَدِينَةِ بَرِيشْ بِفَرَنْجَهْ. وَلَمْ تَكُنْ فِي اِلْدُنْيَا مَدِينَةٌ بِكِثْرَةِ اِلسُّفُنِ مِثْلُهَا. قِيلَ: اِنَّ فِي جَمِيعِ سُفُنِهَا؛ صِغَارًا وَكِبَـارًا؛ سِتَةُ اَلاَفِ سَفِينَةٌ. وَاَمَّا اَلدِّيَارُ: كُلُّ وَاحِدَةٍ مَرْسُومَةٌ وَمُزَوَّقَةٌ مِنْ اَعْلاَهَا اِ لَى اَسْفَلِهَا بِلاَلْوَانِ الْعَجِيبَةِ؛ وَلَنْ تُشْبِهُ وَاحِـدَةٌ أُخْـرَى فِـي صُنْـعِ رَقْمِهَـا؛ وَالاَزِقَـةَ كُلُهَـا بِالاَحْجَارِ اِلْمُنَبَّتَةِ. وَالْتَقَيْتُ بِمَنْ رَاَى بِلاَدَ الْمَشْرِقِ وَبِـلاَدِ اِلْصَقَالِبَـةِ وَرُومَةَ وَغَيْرُهَا مِنْ بِلاَدِ اِلدُنْيَا وَقَالَ لِي: أَنَّهُ مَا رَأَى مِثْلَهَا فِي اِلزَّيْنِ وَالْمَلاَحَةِ.

وَاَعْلَمْ اَنَّ هَذَا فَلَنْضِسْ؛ هِيَ سَبْعَ عَشْرَةَ جَزِيرَةً، وَجَمِيعِهَا كَـانَتْ لِسُلْطَانِ بِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ . وَبَعْـدَ اَنْ ظَهَـرَ فِـي تِلْـكَ اَلْبِـلاَدِ رَجُـلٌ عَـالِمٌ

---

[١] س : يستفيد .

[٢] س: بلدنا .

عِنْدَهُمْ يُسَمَّى بِلُطِرْيُ وَعَالِمٌ اَخَرُ يُسَمَّى بِقَلْبِنَ، وكَتَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا ظَهَرَ لَهُ فِي دِينِ النَّصَارَى عَنْ اَلتَّحْرِيفِ وَاَلْخُرُوجِ عَنْ دِينِ سَيِّدِنَا عِيسَى وَاَلانجِيلِ، وَأَنَّ الْبَابَا بِرُومَةِ يَضِلُّونَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ الاَصْنَامِ وَبِمَا (٨٥ ب) يَزِيدُونَ فِي الدِّينِ بِمَنْعِ الْقَسِّيسِينَ وَالرُّهْبَانِ مِنَ اَلتَّزْوِيجِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كَثِيرٌ. وَدَخَلَ فِي هَذَا الْمَذْهَبِ جَمِيعُ اَهْلِ فَلَنْضِسْ - اَعْنِي الْجُزُرْ اَلسَّبْعَةَ - وَقَامُوا عَلَى سُلْطَانِهِمْ اِلَى الاَنَ . وَهُمْ اَيْضًا عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ اَهْلُ سَلْطَنَةِ الانْجلِزْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ بِفَرَنْجَةْ وَحَذَّرَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ مِنْ البَّابِ وَمِنْ عُبَّادْ اَلاصْنَامْ وَاَنْ لاَ يَبْغَضُوا اَلْمُسْلِمِينَ لاَنَّهُمْ سَيْفُ اَللَّهِ فِي اَرْضِهِ عَلَىعُبَّادِ الاَصْنَامِ. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ لَهُمْ مَيْلٌ اِلَى الْمُسْلِمِين. وَأَمَّا اَلسَّبْعَةُ عَشْرَةَ جَزِيرَةً؛ فَالسَّبْعُ مِنْهَا قَامَةٌ[1] عَلَى سُلْطَانِ بِلاَدْ الاَنْدَلُسْ قَبْلَ هَذَا الْعَهْدِ بِنَحْوِ اَلسَّبْعِينَ سَنَةً. وَمَا قَدَرَ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَئِسَ مِنْهُمْ. وُهُمْ اَقْوَى مِنْ جَمِيعِ النَّصَارَى فِي البَحْرِ بِالسُّفُنِ. وَكُلُّ جَزِيرَةِ الْبَحْرُ دَائِرٌ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ وَهُوَ الْمُحِيطُ[2].

وَلَمَّا اَنْدَخَلْنَا مَدِينَةِ لَيْذَا[3] رَأَيْنَا فِيهَا مَدَارِسَ لِقِرَاءَةِ الْعُلُوم. وَوَجَدتُ فِيهَا رَجُلاً كَانَ يَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ وَيُقَرِّ بِهَا غَيْرَهُ وَيَاخُذُ رَاتِبًا عَلَى ذَلِكَ؛ وَكُنْتُ عَرَفْتُهُ (٨٦أ) بِفَرَنْجَةْ؛ وَحَمَلَنِي اِلَى دَارِهِ. وَكَانَ يَتَكَلَّمُ مَعِي بِالْعَرَبِيَةِ - يُعَرِّبُ اَلاَسْمَا وَيُصَرِّفُ الاَفْعَال- وَكَانَ لَهُ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ بِالْعَرَبِيَةِ، وَمِنْ جُمْلَتِهَا اَلْقُرْءَان اَلْعَزِيز، فَأَخَذْنَا فِي

---

[1] س: قامت .

[2] س: وكل جزيرة من السبعة في البحر المحيط وهو داير بها من كل جانب وهو ليس بمالح كثيرا .

[3] س: فلما ان دخلنا مدينة ليدا والتقينا فيها رجلاً يقرأ بالعربية ويقري بها غيره.

اِلْكَلَامِ ؛ وَهُوَ يُثْبِتُ قَوْلَهُ بِالْتَثْلِيثِ فِي الْأُلُوهِيَةِ؛ لِأَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ فِي ذَلِكَ مَعَ الْبَّابِ وَاَتْبَاعِهِمْ[١]. وَكَانَ يَشْكُرُ وَيَمْدَحُ دِينَهُ كَثِيرًا بِالْمِدْحِ التَّامِّ لِسَيِّدِنَا عِيسَى٠

قُلْتُ لَهُ: كُلَّمَا تَقُولُ فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِدْحٍ؛ فَنَحْنُ مُتَفِقُونَ مَعَكُمْ فيه اِلَّا قَوْلِكَ اَنَّهُ اِلَه؛ اَوْ اِبْنُ اللّهِ حَقِيقَةً.

وَذَكَرَ ايْضًا اَلرُّوحَ اَلْقُدُسِ٠ قُلْتُ لَهُ: اَلرُّوحُ اَلْقُدُسِ هُوَ الْبَّارَقْلِيطُ اَلْمَذْكُور فِي اِلانْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ ! هُوَ،

قُلْتُ لَهُ : انتْ تَعْرِفُ اَلألسَنِ وَاللُّغَاتِ؛ مَا مَعْنَى اَلْبَارَقْلِيطِ؟

قَالَ: هِيَ كَلِيمَةٌ لَيْسَتْ مِنْ لَغَتِ اِللَّطِينِ، اِنَّمَا هِيَ مِنْ لُغَةِ اِلْيُونَانِ؛ وَمَعْنَاهَا بِالْعَرَبِيَةِ: شَفِيعٌ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا مِنْ اَسْمَاءِ نَبِيِّنَا مُحَمَّد– صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛ وَهَذَا اِسْمٌ يَدُلُّ عَلَى اِسْمِ شَخْصٍ؟

قَالَ: نَعَمْ !

قُلْتُ: وَلِمَاذَا تَجْعَلُونَهُ اِلاهاً (٨٦ ب) وَتَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ وَوَاحِدٌ مَعْنَى شَيْءٌ وَاحِدٌ ؟

ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ حَكِيمٌ مَشْهُورٌ فِي اِلطِّبِّ وَالْعُلُومِ٠ قَالَ لِي : نَحْنُ عِنْدَنَا اَلْقُرْءَانُ مُتَرْجَمٌ بِاللَّطِينِ وَلَيْسَ فِيهِ مُعْجِزَاتٍ لِنَبِيِّكُمْ كَمَا عِنْدَنَا فِي اِلانْجِيلِ! وَقَالَ : هَلْ عِنْدَكُمْ كُتُبٌ فِي مُعْجِزَاتِ نَبِيِّكُمْ ؟

قُلْتُ: عِنْدَنَا! وَوَاحِدٌ مِنْ اَلْكُتُبِ اَلْمَشْهُورَةِ فِي ذَلِكَ لِلْقَاضِي عِيَاضْ، وَذَكَرْتُ لَهُ شَيْئًا؛ وَاَنَّ عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ كُتُبٌ كَثِيرَةٌ؛ وَكَانَ – صَلَّى اَللَّهُ

---

[١] س: مع الباب واهل مذهبهم.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَعْمَلَهَا بِحَضْرَةِ اَقْوَامٍ كَثِيرَةٍ، وَلَمَّا رَأَتْ اَلنَّاسُ فَضْلَهُ وَبَرَكَاتَهُ وَصِدْقَهُ فِي اِلْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَتَوْحِيدِهِ؛ مَعَ اَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ يَقْرَا، فَدَخَلَتْ اَلنَّاسُ فِي دِينِهِ. وَاللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَنْصُرَ اَلْحَقَّ حَتَى اَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى اَلاَدْيَانِ. وَاَكْثَرُ مَعْمُورُ اَلدُّنْيَا عَلَى دِينِهِ.

قَالَ اَلْحَكِيمِ: وَاللَّهِ اِنَّنَا تَمَنَّيْتُ نَقْرَا هَذَا اَلْكِتَابِ! ثُمَّ قَالَ: هَذِهِ اِلْمُعْجِزَاتْ فِيهَا اِحْتِمَالاَتْ، لِاَنَّ كَثِيرًا يَصْتَعُونَ مَسَائِلاً بِوَاسِطَةِ اِلشيطان!

قُلْتُ: وَلَيْسَ فِي عِلْمِكُمْ بِمَا تُفَرِّقُون بَيْنَ اَلْمُعْجِزَة (١٨٧أ) اَلنَبَوِيَةِ اَلرَّبَّانِيَةِ اَوْ اَلشَّيْطَانِيَةِ اِلْمُسْتَعْمَلَةِ اَوْ بِالشَّعْوَذَةِ ؟

قَالَ لِي: اَذْكُرْ لِي اَنْتَ كَيْفَ يُعْرَفُ ذَلِكَ ؟

قُلْتُ : اَمَّا اَلنَّبِيُّ فَلَمْ يَعْمَلْ مُعْجِزَةً اِلاَّ اِذَا طُلِبَتْ مِنْهُ وَغَالِبًا يُنْتَجُ مِنْهَا نَفْعٌ بَاطِنٌ وَظَاهِرٌ. اَمَّا اَلبَاطِنُ: حُصُولُ اَلْيَقِينِ فِي اَلْقُلُوبِ وَالصِّدْقِ لِمَا ذَكَرَ لَهُمْ[١] مِنْ جَانِبِ اِللَّهِ تَعَالَى، وَأَمَارَهُمْ[٢] بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ. وَاَمَّا اَلظَّاهِرُ: يَكُونُ فِيهِ نَفْعٌ ظَاهِرٌ لِلنَّاسِ[٣]. مِثَالُ ذَلِكَ اَنْ يَغِيثَ جَيْشًا مِنْ مخْلُوقَاتِ اِللَّهِ[٤] تَعَالَى بِالْمَاءِ اَوْ بِالْطَعَامِ. وَلَوْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ لَمَاتُوا جَمِيعًا؛ كَمَا وَقَعَ لِنَبِيِّنَا – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مِرَارًا، فَهَذَا نَفْعٌ ظَاهِرٌ، اَوْ يَطْلُبُ اَلْمَطَرَ، اَوْ يَشْفِي مَرِيضاً. وَاَمَّا مَا يَكُونُ مُسْتَعْمَلٌ[٥] مِنْ اَلشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ لاَ يَعُودُ اَلنَّفْعُ اِلاَّ عَلَى خَاصَّةِ نَفْسِهِ لاَ لِغَيْرِهِ.

---

[١] س: للناس .

[٢] س: وأمرهم به .

[٣] س: واما الظاهر يكون النفع للناس .

[٤] س: من خلق ا لله .

[٥] س: مستعملاً.

وَأَمَّا بِالشَّعْوَذَةِ: فَإِنَّهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُطْلَبَ مِنْهُمْ وَلاَ يَحْصُلُ مِنْهَا نَفْعٌ حَقِيقِي أَبَدًا - لاَ ظَاهِرًا وَلاَ بَاطِنًا - وَهُمْ الَّذِينَ يَجْذِبُونَ النَّاسَ (٨٧ ب) لِيَرَوْا مَا يَعْمَلُونَهُ[١]. وَإِذَا طَلَبَهُمْ أَحَدٌ[٢] أَنْ يَصْنَعُو شَيْئًا مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ غَيْرَ الَّذِي يَظْهِرُونَ، فَلاَ يَقْدِرُونَ عَلَيْهَا. وَصَاحِبُ الشَّعْوَذَةِ يَعْمِلُ الْعَجَايِبَ لَعَلَّهُ بِذَلِكَ يُفَرِّحُ النَّاظِرِينَ[٣] وَيَعْطُونَهُ شَيْئًا لِيَعِيشَ بِهِ. وَلَوْ قِيلَ لَهُ: عَلِّمْنِي هَذَا الَّذِي أَنْتَ تَعْمِلَهُ وَأَعْطِيكَ دَرَاهِمَ فَيُعَلِّمَهُ حَتَّى يَكُونُ مِثْلَهُ فِي الْعَمَلِ.

حِينَئِذٍ قَالَ الْحَكِيمُ: صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ! هَذَا هُوَ الْحَقُّ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ هُنَالِكَ[٤] أَتَوْنِي بِكِتَابٍ عَرَبِي، قَالُوا[٥] لِي: أَتَعْرَفُ تَقْرَأُ هَذَا ؟

فَلَمَّا طَالَعْتُهُ[٦]، كَانَ يَتَكَلَّمُ فِي التَّصَوُفِ؛ وَأَنَّ بَعْضَ الصَّالِحِينَ لَمْ[٧] يَتَكَلَّمْ فِي الْجَامِعِ مَعَ أَحَدٍ مِنْ النَّاسِ[٨]، وَإِذَا أَحْتَاجَ أَنْ يَرُدَّ الْجَوَابَ يَخْرُجُ إِلَى بَابِ الْجَامِعِ، وَيَرُدُّهُ. قُلْتُ لَهُمْ: فَهِمْتُ مَا فِيهِ؛ وَأَقْدِرُ أَنْ أُتَرْجِمَهُ بِالأَعْجَمِيَةِ.

---

[١] س: يعملون .

[٢] س: احد للسحارين واهل الحيات ان يصنعوا .

[٣] س: يفرح الناس الناظرين .

[٤] لم ترد في س .

[٥] س: وقالوا .

[٦] س: فلما طالعته كان مكتوبا بالعربية يتكلم في التصوف.

[٧] س: كان لم .

[٨] س: الناس في امور الدنيا .

فَتَعَجَبُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَقَالُوا لِي: هَذَا اَلْكِتَابُ سَاقُوهُ مِنْ جَزِيرَةٍ كَذَا مِنْ اَلْهُنُودِ اَلْمَشْرِقِيَةِ اَلَّتِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا فِي اَلْبَحْرِ زَمَنٌ طَوِيلٌ؛ اَقَلّ مِنْ سَنَةٍ فِي اَلْبُلُوغِ اِلَيْهَا. وَهَذَا عَجَبٌ! لاَنَّ بَيْنَ بِلاَدِكَ وَبَيْنَهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ وَاَنْتَ تَفْهَمُ مَا (١٨٨أ) فِي اَلْكِتَابِ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى اَنَّ اَلْعَرَبِيَةَ لِسَانٌ وَاحِدٌ عَامٌ فِي كُلِّ بَلَدٍ. وَكَلاَمُنَا فِي هَذِهِ اَلْبِلاَدِ مُخْتَلِفٌ لِسَائِرِ اَلاَلْسَانِ؛ لِأَنَّ فِي بِلاَدِ اَلاَنْجِلِزِ كَلاَمٌ وَاحِدٌ؛ وَاَهْلُ فَرَنْجَهْ بِلُغَةٍ أُخْرَى، وَكَذَلِكَ بِبِلاَدِ اَلاَنْدَلُسْ عَجَمِيَةٌ أُخْرَى، وَكَذَاكَ فِي اِطَالِيَهْ وَاَلاِمَانِيَهْ وَمُشْقُبِيَه[1]. وَكُلُّ لِسَانٍ مُخْتَلِفٌ عَنْ غَيْرِهِ. وَهَذَا اَلْعَرَبِيَةُ وَاحِدَةٌ فِي اَلدُّنْيَا.

وَقَالُوا اَلْحَقَ فِي ذَلِكَ فَهُوَ كَلَامٌ مُبَارَكٌ؛ وَمَنْ يَتَكَلَّمُ بِهَا لاَ بُدَّ يَذْكُرُ اَللَّهَ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ بَعْضُ مِنْ اَلاَنْدَلُسَ: لاَ عَرَبِيَةَ بِلاَ اَللَّهِ وَلاَ عَجَمِيَةَ بِلاَ شَيْطَانٍ؛ لاَنّ اَلنَّصَارَى يَذْكُرُونَهُ كَثِيرٌ فِي كَلَامِهِم. وَلَا يَكْرَهُ اَلْعَرَبِيَةَ وَاَلْكَلَامَ بِهَا اِلاّ مَنْ لاَ يَعْرِفُ فَضْلَهَا وَبَرَكَتِهَا[2]؛ اَنْتَهَى. وَصَحَ مِنْ هَذَا اَلْكِتَابِ اَلْعَرَبِي اَلَّذِي اَتَوْ بِهِ مِنْ اَلْجُزُرِ اَلْمَشْرِقِيَةِ اَنَّهُمْ سُكَانِهَا مُسْلِمُونَ.

ثُمَّ مَشَيْنَا مِنْ مَدِينَةِ لَيْذًا اِلَى مَدِينَةِ اَلْهَايَهْ، فِيهَا دَارُ اَمِيرِهِمْ وَالدِّيوَان، وَاَلْتَقَيْتُ هُنَالِكَ بِرَسُولِ اَلاَمِيرِ، كُنْتُ عَرَفْتُهُ[3] بِمَرَّاكُشْ، وَكَانَ شَاكِراً لِي كَثِيرٌ؛ عَلَى مَا وَقَفْتُ مَعَهُ فِي سِجْنِهِ حَتَّى خَلَّصْتُهُ

---

[1] س: ومسقوبيه .

[2] س: فضلها قالت الصالحة مريم عليها السلام في كتاب مواهب الثواب لعباد الله المومنين فضل لسان العربية على ساير الالسن كفضل الشمس على دراري السماء ثم مشينا الى الهايه .

[3] س: اعرفه .

[4] لم ترد في س .

مِنْهُ. وَسَبَبُ قُدُومِهِ اِلَى مَرَّاكُشْ[١] ؛ اَنَّ سُلْطَان بِلَادَ الاَنْدَلُسْ بَعَثَ اَلاغْرِبَةَ اِلَى اَلْجُزُرِ اِلَّتِي قُلْنَا اَنَّهَا عَلَى غَيْرِ (٨٨ ب) طَاعَتِهِ؛ فَخَرَجَ اِلَيْهِمْ اَهْلَ اَلْجُزُرِ وَاَخَذُوا اَلاغْرِبَةَ[٢]؛ وَرَمَوْا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ اَلنَّصَارَى فِي اِلْبَحْرِ – كَذَا قِيلَ[٣] – وَفَكُّوا كُلَّ مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ؛ وَكَانُوا اَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ مِائَةِ؛ وَجَعَلُوهُمْ فِي سَفِينَةٍ عَظِيمَةٍ وَبَعَثُهُمْ اَهْلَ فَلَنْضِسْ هَدِيَةً اِلَى سُلْطَان مَرَّاكُشْ – وَكَانَ اَبْنُ مَوْلَاي اَحْمَد اَسْمُهُ بُو فَارِس وَكَانَ ذَلِكَ[٤] فِي نَحْوَ اَرْبَعَةَ عَشَرَةَ سَنَةً وَالْفُ.

وَمَشَى بِهِمْ رَسُولاً بَدْرُ مَرْ تِينَ اَلَّذِي اَلْتَقَيْتُ بِهِ مِنْ غَيْرِ ظَنٍّ وَذَلِكَ[٥] بِالْهَايَه؛ وَهِيَ بِلَادَهُ. وَبَعْدَ اَنْ جَلَسَ هَذَا اَلرَّسُولُ بِمَرَّاكُشْ سِنِينَ فِي زَمَنِ اِلْهَرَجِ وَالشَّرِّ، ثُمَّ ثَبَتَ فِي اَلْمَمْلَكَةِ اِلسُّلْطَان مَوْلَايْ زَيْدَان، فَسَجَنَ[٦] هَذَا اَلرَّسُول لانَّهُ مَا مَشَى بِالْهَدِيَةِ فِي زَمَانِهِ؛ وَبَعْدَ اَنْ جَازَ زَمَن عَلَى اَلرَّسُولِ فِي سِجْنِهِ، بَلَغَنِي اِلْخَبَرُ وَتَذَكَّرْتُ اَلْخَيْرَ اَلَّذِي عَمِلُوا لِلْمُسْلِمِينَ حِينَ بَعَثُوهُمْ هَدِيَةً اِلَى مِلَّتِهِمْ. وَوَقَفْتُ وَدَبَّرْتُ وَكَلَمْتُ اَلْمُفْتِي اَلْعَالِمُ اَلشَّهِيرُ مُحَمَّدُ اَبَا عَبْدُ اللَّهِ؛ وَكَلَّمَ اَلسُّلْطَان وَاَنْطَلَقَ مِنْ اَلسِّجْنِ.

فَلَمَّا اَنْ رَأَنِي بِبِلَادِهِ مَشَى اِلَىَ اَلاَمِيرِ وَاَعْلَمَهُ وَحَمَلَنِي اِلَى عِنْدِهِ، وَاِسْمُ (٨٩أ) اَلاَمِيرِ مَوْرِسِيُ – وَاَقْبَلَ عَلَيَّ؛ وَعَرَّ رَاسَهُ وَاَخَذَ بِيَدِي

---

[١] س: الى بلد المسلمين .

[٢] س: واخذوا خمسين من الأغربة .

[٣] س: قيل لي .

[٤] لم ترد في س .

[٥] لم ترد في س .

[٦] س: فسجن .

وَأَجْلَسَنِي مَعَهُ؛ وَزُرْتُهَ ارْبَعُ مَرَّاتٍ. وبَعْدَ انْ جَلَسْتُ يَوْمًا قَالَ لِي: مَاذَا تَعْرِفُ مِنَ الالْسَانِ؟

قُلْتُ لَهُ : اَلْعَرَبِيَةَ وَلِسَانِ اِشْبَّانِيَهْ وَلِسَانِ اَهْلِ بُرْتُقَالْ؛ وكَلاَمُ اَلْفَرَنْجِ نَفْهَمُهُ وَلاَكِنْ مَا نَعْرِف نَتَكَلَّمُ بِهِ.

قَالَ لِي : فَأَنَا نَعْرِفُ كَلاَمَ اَلْفَرَنْجِ وَنَفْهَمُ كَلاَمَ اَشْبَّانِيَه –وَهُوَ كَلاَمُ اَهْلِ بِلاَدِ اِلانْدَلُسْ كَمَا قُلْنَا مِرَارًا – وَلاَ أَعْرِفُ اَتَكَلَّمُ بِهِ؛ وَاِلَى هَذَا فَأُكَلِّمُكَ بِالْفَرَنْجِ وَتُكَلِّمُنِي بِلِسَانِ اَهْلِ بِلاَدْ اَلانْدَلُسْ اَلْعَجَمِي.

قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ لِي: مَا اَلسَّبَبُ اَلَّذِي ظَهَرَ لَكَ حَمَلَ سُلْطَانْ اِشْبَانِيَه عَلَى إِخْرَاجِ اِلاَنْدَلُسْ مِنْ بِلاَدِهِ ؟

قُلْتُ: اَعْلَمْ أَنَّ اَلاَنْدَلُسْ كَانُوا مُسْلِمِينَ فِي خَفَاءٍ مِنْ اَلنَّصَارَى، وَلاَكِنْ تَارَةً يَظْهَرُ عَلَيْهِمْ اَلاِسْلاَمُ؛ وَيَحْكُمُونَ فِيهِمْ، وَلَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَامَنْ فِيهِمْ؛ وَلاَ كَانَ يَحْمَلُ مِنْهُمْ اَحَداً اِلَى اَلْحُرُوبِ وَهِيَ اَلَّتِي تَفْنِي كَثِيرًا مِنَ اَلنَّاسِ. وَكَانَ اَيْضًا يَمْنَعُهُمْ مِنْ رُكُوبِ اَلْبَحْرِ لِئَلاَ يَهْرُبُوا[1] اِلَى اَهْلِ مِلَّتِهِم. وَالْبَحْرُ يَفْنِي كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ. وَأَيْضًا فِي اِلنَّصَارَى كَثِيرُونَ (٨٩ ب) قِسِيسُونَ وَرُهْبَانْ وَمُتَرَهِبَاتٍ؛ وَبِتَرْكِهِمْ اَلزّوَاجِ يَنْقَطِعُ فِيهِمْ اَلنَّسْلُ؛ وَفِي اِلاَنْدَلُسْ لَمْ يَكُنْ فِيهِم قِسِيسُونَ وَلاَ رُهْبَان وَلاَ مُتَرَهِبَات اِلاَّ جَمِيعِهِمْ يَتَزَوَّجُونَ وَيَزْدَادُ عَدَدُهُمْ بِالاوْلاَدِ وَبِتَرْكِ اِلْحُرُوبِ وَرُكُوبِ اِلْبَحْرِ. وَهَذَا اَلَّذِي ظَهَرَ لِي حَمَلَهُ عَلَى اِخْرَاجِهِمْ ؛ لأَنَّهُمْ بِطُولِ اِلزَّمَنِ يَكْثُرُونَ .

ثُمَّ قُلْتُ لَه: اَتَفْهَمُ كَلاَمِي؟

---

[1] س: يهربون .

قَالَ لِي بالفرنج: كُلّمَا قُلتَ فَهِمتُهُ وَمَا ذَكَرْتَ هُوَ اَلْحَقُّ •

قَالَ لِي: لَوْ اتـفَقْنَا مَعَ كُبَرَاءِ اِلاَنْدَلُسْ وَنَبْعَثُ لَهُمْ عِمَارَةَ مِنْ سُفُن كَبِيرَةٍ لِيَرْكَبُوا فِيهَا مَعَ جُنُودِنَا نَاخذُ اِشْبَّانِيهْ؟

قُلْتُ: لاَ يُمْكِنُ لِلاَنْدَلُسْ اَنْ يَتـفَقُوا عَلَى هَذَا اِلاَّ بِإِذْنِ اِلسَّلاَطِينِ اِلَّذِينَ خَرَجُوا بِبِلاَدِهِمْ وَسَكَنُوا بِهَا •

قَالَ: لَوْ كُنَّا نَتـفِقُ مَعَ سُلْطَانِ مَرَّاكُشْ وَنَبْعَثُ لِلْسَـيِدِ اِلْكَبِيرِ - اَعنِي اَلسُّلْطَانْ اَلاَعْظَم سُلْطَان اَلاِسْلاَم وَاَلدِّين - وَنَتَفِقُ جَمِيعًا عَلَى سُلْطَان اِشْبَّانِيه نَظفَرُ بِهِ وَنَاخذُ بِلاَدَهُ.

قُلْتُ لَهُ: هَذَا اَمْرٌ عَظِيمٌ لَوْ حَصَلَ وَفِي تَحْصِيلِهِ شَكٌّ. وَاَمَّـا لَـوْ كَـانَ هَذَا اَلاتِفَاق فَيَاخُذُونَ بِلاَدْ اَلاَنْدَلُسْ - اَعَادَهَا اَللَّهُ اِلَى اَلاِسْلاَمِ!

وَقَالَ لِلرَّسُولِ: اَكْتُبْ رَمْزاً فِي اَلْحُرُوفِ (٩٠أ) وَاَعْطِهِ نُسْخَةً لِتَكُونَ اَلْمُكَاتَبَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ. وَاَعْطَانِي نُسْخَةً.

ثُمَّ قَالَ لِيْ: تَمَنَّى عَلَيَّ؛ مَعْنَى هَذَا اَلْقَولْ: اطْلُبْ مَا تُحِبْ مِنِّي؛ - وَهِيَ عَادَةٌ عِنْدَ مُلُوكِ اِلنِّصَارَى - إِنْ قَالُوا لإِنْسَانٍ أَطْلُـب) مِنِّي مَا شِئْتَ: إِنَّهُمْ يُعْطُونَهُ مَا يَطْلُبَهُ مِنْهُم؛ وَلاَ يَقُولُونَ ذَلِكَ إِلاَّ نَادِراً لِمَنْ رَضَوْا عَنْهُ غَايَةَ اَلرِّضَا.

قُلْتُ فِي نَفْسِي: اَلنِّصَارى تَقُولُ عَنْ اِلْمُسْلِمِينَ اَنَّهُمْ طَمَّاعُونَ كَثِيرًا فِي مِتَاعْ اَلنَّاس؛ وَهَذَا لَمْ يَرَ مِنَ اَلْمُسْلِمِينَ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ - وَاَنَا اَحَدُهُم - وَلِيَعْلَمْ وَيَتَحَقَّقَ اَنَّ اَلَّذِي يَقُولُونَه فِيهِمْ• لَيْسَ بِصَحِيحٍ، وَأَنَّ فِيهِمْ مَنْ لاَ يَطْمَعُ فِي مَالِهِ، فَلاَ نَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً •

قُلْتَ لَهُ: اَطْلُبُ مِنْ فَضْلِكُمْ مَسْئَلَةً اَوْ شَيْئاً[1].

---

[1] لعل الصواب كان: «لا اطلب» فسقطت لفظة «لا».

قَالَ: مَا تَطْلُبُ ؟

قُلْتُ: انْ تَوَصِّي بِنَا رَايسَ اَلسِّفِينَةِ اِلِّتِي نَمْشِي فِيهَا.

قَالَ: هَذَا فَقَطْ ؟

قُلْتُ: نَعَمْ!

قَالَ: فَابْحَثْ حَتَّى تَتَحَقَقَ مِنَ السِّفِينَةِ اِلِّتِي تَمْشِي وَاعْرَفْ إِسْمَ اَلرِّايِسِ وَاَيْضاً اسْمَ اَلتَّاجِرِ مَوْلاَ اَلسِّفِينَةِ؛ وأَتِنِي.

فَاخْبَرْتُهُ بِأَسْمَائِهِمَا، وَأَمَرَ لِكَاتِبِ اِلسِرِّ[١] أَنْ يَكْتُبَ لِكُلِّ وَاحِدِ بَرَاءَةً بِالْوَصِيِّةِ عَلَيْنَا وَعَلِّمَ عَلَيْهَا، وَفَرِحَ كُلُّ وَاحِدِ (٩٠ ب) بِكِتَابِهِ؛ فَالتَّاجِرُ اَسْتَعْمَلَ لَنَا مِنَ السُكِّرِ اَنْوَاعاً مِنَ الاَطْعِمَةِ، وَأَعْطَانَا حَتِّى اَلتِّمْرْ اَلِّتِي هِيَ غَرِيبَةٌ عِنْدَهُمْ، لأَنِّهَا مَجْلُوبَةٌ مِنْ بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ، اِذْ لَيْسَ هِيَ فِي الدُّنْيَا إِلاَّ فِي بِلاَدِهِمْ.

وَأَمَّا اَلرِّسُولُ اَلِّذِي فَرِحَ بِي فِي بِلاَدِهِ؛ قُلْتُ لَهُ: اِنَّ[٢] تُرْكِيَتَيْنِ بِبِلاَدِ اِلْفَرَنْجِ: بِبِّرِيشْ وَاتِّفَقَ لَهُمَا بِأَنْ دَخَلَتَا فِي دِينِ اِلنِّصَارَى؛ وَطَلَبَتَا مِنِّي أَنْ أدَبِّرَ عَلَيْهِمَا حَتِّى تَرْجِعَا اِلَى بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ؛ وَأَنَا رَاجِعٌ اِلَى مَرَّاكُشْ فِي هَذِهِ اِلأَيَّامِ – اِنْ شَاءَ اَللَّهُ تَعَالَى – وَكَيْفَ يَكُونُ اَلتَّدْبِيرُ عَلَيْهِمَا؟

قَالَ: أُكْتُبْ لَهُمَا تَأتِيَانِ اِلَى دَارِي؛ وَأَنَا أُدَبِّرُ عَلَيْهِمَا حَتِّى تَرْجِعَا اِلَى بِلاَدِهِمَا.

وَكَتَبْتُ لَهُمَا بِذَلِكَ، وَبَعَثْتُ البَرَاءَةَ اِلَى رَجُلِ اَنْدَلُسِي؛ وَبَلِّغَهَا لَهُمَا؛ وَسَتَرَهُمَا اَللِّهُ تَعَالَى فِي اِلطِّرِيقِ مِنَ اَلْفَرَنْجِ حَتِّى بَلَغَتَا اِلَى فَلَنْضِسْ.

---

[١] س: لكاتب سره .

[٢] س: قلت له اعلم ان .

وَوَقَعَ اَلتَّدْبِيرُ مَعَ اَلاَمِيرِ [1] وَبَعَثَهُمَا فِي سَفِينَةِ تُجَّارٍ اِلَى اِصْطَنْبُول، وَبَلَغتَا سَالِمَتَانِ. وَصَنَعَ مَعَهُمَا ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ مَشَيْتُ مِنْ تِلْكَ اَلْبِلاَدِ وَلاَ رَايْتُهُمَا، وَالْخَيْرُ يَاتِي بِخَيْرٍ. وَاَمَّا اَلرَّايِسُ كَانَ يَفْرَحُ بِنَا (١٩١أ) فِي سَفِينَتِهِ وَذَلِكَ مَقْصُودِنَا.

وَأَمَّا مَدِينَةُ اَلْهَايَهْ اَلَّتِي كَانَ فِيهَا اَلاَمِيرُ؛ فَعَرْضُهَا اِثْنَانِ وَخَمْسُونَ دَرَجَةً، وذَلِكَ فِي اِلاَقْلِيمِ اَلسَّادِسِ مِنَ اَلدُّنْيَا. وَاَصَابَنَا اَلْحَالُ وَنَحْنُ فِيهَا فِي اَطْوَلِ اَيَّامِ اِلْعَامِ عِنْدَ حُلُولِ اِلشَّمْسِ بِالسَّرَطَانِ وَلَيْسَ طُلُوعُ اَلشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا كَهَذِهِ اِلْبِلاَدِ – اَعْنِي مِصْرَ وَالْمَغْرِبِ وَالشَّام وَبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ – فَالْيَوْمُ هُنَالِكَ مِنْ [2] أَوَّلِ اِلْفَجْرِ مِنْ نَحْوَ تِسْعَةَ عَشَرَةَ سَاعَةٍ بِتَقْرِيبٍ؛ وَلاَ ظُلْمَةَ فِي اِلَيْلِ إِلاَّ قَلِيلَةٌ؛ وَغُرُوبُ اَلشَّمْسُ مُنْحَرِيفَةٌ، وَتَبْقَى اَلْحُمْرَةُ فِي اِلسَّمَاءِ اِلَى قَرِيبٍ مِنْ نِصْفِ اِلَّيْلِ؛ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَاعَةٍ وَنِصْفٍ بِتَقْرِيبٍ نُصَلِّي اَلصُّبْحَ.

---

[1] زيادة في س: "بواسطة الرسول وكان قد قال لي الرسول ان المسلمين الذين وجدوا في بلدهم في الاغربة حين اراد الامير ان يبعثهم هدية الى بلد المسلمين جاء التجار اليه وقالوا له ان يبيع لهم المسلمين ليفدوا بهم نصارى اسارى عند المسلمين قال لهم: نبعثهم هدية للمسلمين ليعملوا الخير مع اهل بلدنا الذين يريدون عليه. حينئذ قالوا: المسلمون طماعون ولا يرون بالخير. قال لهم: ان لم يكن فيهم الا واحدا من يرى بهذا الخير لوجه هاذا الواحد نعطي هؤلاء الاسارى كلهم. ولما ان وقفنا مع الرسول في مراكش حتى خرج من السجن وردوا له حصانه وغير ذلك قال انه كتب للامير واخبره وقال له هذا ك الواحد الذي قلتم انه يرى بالخير الذي عملتم مع المسلمين الذين بعثتوني بهم قد ظهر وذكر ذلك الخير حتى بلغ السلطان واطلقني من السجن ، ولنكذب التجار الذين قالوا العيب في المسلمين ما اردت نطلب شيئا من المال ورضى المسلمين عندي افضل من كل متاع الدنيا " .

[2] س: من انشقاق الفجر غلى غروب الشمس من نحو تسع عشرة ساعة ولا ظلمة .

وَيطُولُ اَلْكَلاَمُ عَلَى مَا رَأَيْنَا بِفِلِنْضِسْ، ذَكَرْنَا شَيْئاً[١] فِي اِلرِّحْلَةِ، وَأَيْضاً حِكَايَةَ اَلسِّتَّتَ رِجَالٍ[٢] اِلَّذِيْنَ جَاءُوا فِي سَفِينَتِهِمْ مِنَ اَلْبَحْرِ اِلَّذِي يَكُونُ فِيهِ اِلْيَوْمُ مِنْ سِتَّتِ اَشْهُرٍ اَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ لاَ لَيْلَ فِيهَا. وَبِعَكْسِ ذَلِكَ فِي زَمَنِ اِلشِّتَاءِ لاَ شَمْسَ فِيهَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ اَلزَّمَنِ مِنَ اِلشِّتَاءِ[٣].

وَاَمَّا مَا ذَكَرْتُهُ فِي هَذَا اَلْبَابِ (٩١ب) مِمَّا جَوَّبْتُ بِهِ لِلأَمِيرِ فِي شَانِ اِلاَسْبَابِ اِلَّتِي حَمَلَتْ لِسُلْطَانِ اِلنَّصَارَى عَلَى اَخْرَاجِ اِلاَنْدَلُسْ مِنْ بِلاَدِهِ، فَنَذْكُرُ هُنَا شَيْئاً، وَلَمْ نَذْكُرْهُ فِي اِلنُّسَخِ اِلَّتِي سَبَقَتْ لِهَذَا اَلْمُخْتَصَرِ.

اَعْلَمْ اِنَّ سُلْطَانَ اَلْبِلاَدِ اِلْمُسَمَّى: بِفِلِبٍّ اِلثَّانِي، مِنْ اِسْمِهِ - اَعْنِي مِمَّنْ سُمِّيَ مِنْ اَلسَّلاَطِينِ بِفِلِبٍّ - وَبَيَّنْتُ هَذَا لاَنِّي طَالَعْتُ بَعَضَ كُتُبِ اِلتَّوَارِيخِ لِلْمُسْلِمِينَ فِيمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنَ اَلْحُرُوبِ مَعَ سُلْطَانِ اَلْبِلاَدِ اِلْمُسَمَّى بِاَلْفُنْشْ؛ وَلَمْ يُبَيِّنُوا اَيُّهُمْ كَانَ؟ لأَنَّ بِبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ كَانَ فِيهَا اَكْثَرَ مِنْ اِثْنَا عَشَرَ سُلْطَاناً مَنْ سُمِّيَ بِالْفُنْشْ؛ اِلاَّ اَنَّهُمْ يَذْكُرُونَ كُلَّ وَاحِدٍ بِحِسَابِهِ مِنَ اَلاِسْمِ، مِثْلُ اَنْ يَقُولُوا: اَلْفُنْشْ اَلرَّابِعِ أَوْ اَلثَّامِن اَوْ اَلْعَاشِر. وَاَلْمُؤَرِّخُونَ اَلْمُسْلِمُونَ لاَ يَذْكُرُونَ دَرَجَةً لِلاِسْمِ. وَهَذَا فِلِبٌّ اَلثَّانِي اَمَرَ فِي بِلاَدِهِ كُلِّهَا قَبْلَ خُرُوجِي مِنْهَا أَنْ يُزَمِّمُوا جَمِيعَ

---

[١] س: ذكرنا شيئاً كم ذلك في الرحلة.

[٢] س: وايضا حكايات ستة رجال.

[٣] س زيادة هي: " في ذلك الزمان ولنذكر هنا ما قال ساطان بلد الأندلس في كتابه انه سبب اخراج الاندلس من بلدة وترجمتها للسلطان مولاي زيدان رحمه الله اعلم ان من التيسير لخروج المسلمين الاندلس من بين الكفار المشركين غلى بلد المسلمين امر سلطان البلد المسمى فلب الثالث اسمه اعني ممن سمي من سلاطين النصارى بفلب في بلده كلها ان يزمموا جميع الاندلس ...

اَلاَنْدَلُسْ صِغَارًا وَكِبَاراً؛ حَتَّى اِلَّتِي فِي رَحْمِ اِلنِسَاءِ بِظُهُـورِ اِلْحِمْلِ. وَلاَ عَلِمَ اَحَدٌ اَلسِّرَّ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِنَحْوَ اَلسَّبِعِ عَشْرَةَ سَنَةٍ عَمَلُوا زَمَاماً آخَـرَ مِثْـلُ اَلاَوَّلِ – كَمَا أَعْلَمُونِي (١٩٢أ) بِمَرّاكُشْ – وَلَمْ يَدْرِ اَحَدٌ اَلسِّرَّ فِي ذَلِكَ حَقِيقَـةً؛ وَلاَكِنْ قَالَ لِسَانَ اَلْحَالِ: أَنَّهُمْ أَرَادُوا يَعْلَمُوا هَـلْ كَـانُوا فِـي زِيَـادَةٍ اَمْ لاَ؟ وَلَمَّا وَجَدُوا زِيَادَةً كَثِـيْرَةً أَمَـرُوا بِقُـرْبِ ذَلِكَ بِـإِخْرَاجِهِمْ. وَكَتَـبَ السُّلْطَان فِلِـبٌ اِلثَّـالِثُ – مَـنْ اِسْمِهِ – كِتَابَـاً لِقَرِيبِـهِ وَخَلِيفَتِـهِ بِمَدِينَـةِ بَلَنْسِيهْ يَامِرُهُ اَنْ يَشْرَعَ فِي اِخْـرَاجِ اِلاَنْدَلُسْ، وَتَرْجَمْتُ نُسْـخَةً مِـنَ اَلْبَرَاءَةِ لِلسُّلْطَان مَوْلاَي زَيْدَان اِبْنُ اَلسُّلْطَان مَوْلاَيْ اَحْمَد بِمَرّاكُشْ، وَكَانَ تَارِيخُ اَلْكِتَاب – وَاَللَّهُ اَعْلَمْ – فِي اَوَّلِ عَامْ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَاَلْـفٍ مِنَ اَلْهِجْرَةِ[١]، قَالَ فِيهِ:

"مَرْكِشْ ذاَ قَرَسِنَا قَرِيبُنَا وَخَلِيفَتُنَا فِي سِلْطَنَتِنَا بِلِنْسِيَهْ سَلاَمٌ! قَدْ عَلِمَتَ مَا صَنَعَ وَعُمِلَ مَعَ اَلنَّصَـارَى اَلْجُـدُودِ اِلاَنْدَلُسْ اَهْلِ تِلْـكَ اَلسَّلْطَنَةِ وَقَشْتَالَّةَ عَلَى طُولِ اِلسِّنِينَ اَلْكَثِيرَةِ اَلْمَاضِيَـةِ مِـنْ اَلتَّحْرِيضِ وَالاِرْشَادِ لاِثْبَاتِهِمْ فِي دِينِنَا اَلْمَجِيدِ وَاِيمَانِنَا. وَلاَ نَفَعَ مَعَهُمْ قَلِيْـلاً وَلاَ كَثِيرًا لاَنَّهُ لَمْ يُجَدْ فِيهِمْ وَاحِدٌ مَنْ هُوَ نَصْرَانِي حَقِيقَةً. وَاَلْغَرَرُ وَالشَّرُّ اَلَّذِي يُمْكِنَ اَنْ يَحْدُثَ (٩٢ ب) بِسَبَبِ مَـا تَعَامَيْنَـا عَلَيْهِمْ؛ قَـدْ ذَكَـرَهُ اِلَيْنَا رِجَالٌ عُلَمَاءٌ وَصُلَحَاء وَاَنَّه لَزِمَنَا اِصْلاَحُ ذَلِكَ اَلاَمْـرَ لِـنَرْضِي بِهِ اَللَّهَ؛ وَنَزِلُ غَضَبَهُ مِنْ اَجْلِ هَذِهِ اِلاُمَةِ، وَاَفْتَوا فِيهِمْ اَنَّهُ يَجُـوزُ لَنَـا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ أَنْ نُعَاقِبَهُمْ فِي اَنْفُسِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ؛ لاَنَّ اَلاِسْـتِمْرَار عَلَـى سُوءِ اَفْعَالِهِمْ خَتَمَ وحَكَمَ عَلَيْهِمْ اَنَّهُمْ مُنَـافِقُونَ وَاَعْدَاءَ لِلْمَقَـامِ اَلاِلَهِـي

---

[١] س: من حسابنا .

وَٱلإِنْسَانِي[١]، وَهَبْ إِنَّنَا قَادِرٌ عَلَى اَنْ نُجَزِيهِمْ وَنُعَاقِبَهُمْ بِمَا اَوْجَبَ سُوءِ فِعْلِهِمْ وَلَوْمَتِهِمْ. فَمَعَ ذَلِكَ اَخْتَرْتُ مُعَامِلَتِهِمْ عَلَى طُرُوقِ اَلْحِلْمِ وَٱللِينِ وَتَرْكِ اَلْمُوَاخَذَةَ. وَبِسَبَبِ ذَلِكَ اَمَرْنَا بِاجْتِمَاعِ اَلْمَحْفَلِ اَلَّذِي حَضَرْتُ فِيهِ مَعَ اَلْعُلَمَاءِ وَٱلاَكَابِرِ فِي تِلْكَ اَلْمَدِينَةِ لَعَلِّي نَجِدُ سَبِيلاً لِتَرْكِ اِخْرَاجِهِمْ مِنْ مِمْلَكَتِنَا؛ وَنَحْنُ فِي هَذَا تَحَقَّقْنَا وَصَحَّ مِنْ وُجُوهٍ: اِنَّهُمْ بَعَثُوا لِلتُّرْكِي اَلْكَبِيرِ بِإِصْطَنْبُول وَمَوْلاَيْ زَيْدَان بِمَرَّاكُشْ رُسُلَهُمْ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَنْجِدُوهُمْ وَاَنَّهُمْ عِنْدَهُمْ مِائَةُ وَخَمْسُونَ اَلْفَ رَجُلاً مُسْلِمُونَ؛ مِثْلُ اَلَّذِينَ بِبِلاَدِ اَلْمَغْرِبِ اَلافْرِقِيَه؛ وَاَيْضاً بَعَثُوا لاعْدَائِنَا (١٩٣أ) اَلْبَحْرِيَّةَ بِالْجِهَةِ الشَّمَالِيَهْ اِلَّتِي تَحْتَ اَلْقُطْبِ[٢] وَاَنْعَمُوا أَنَّهُمْ يعِينُهُمْ بِسُفُونِهِمْ. وَأَمَّا سُلْطَان اِصْطَنْبُول قَدْ اَصْطَلَحَ مَعَ سُلْطَان اَلْفُرْسِ لأَنَّهُ كَانَ يُشْغِلُهُ؛ وَاَمَّا سُلْطَان مَرَّاكُشْ فَقَدْ عَزَمَ عَلَى تَذْوِيخِ اَلْبِلاَدِ وَتَسْكِينِهَا؛ وَاِذَا اَتَّفَقُوا جَمِيعاً مَعَ هَؤُلاَءِ نَرَوْ نُفُوسَنَا فِي اَلاَمْرِ اَلَّذِي لاَ يَخْفَى.

وَلِلْقِيَامِ بِمَا لَزِمَنَا مِنْ حِفْظِ مَمْلَكَتِنَا، وَدَفْعِ مَا يَعْرُضُ لَهَا اَتَّفَقَ نَظَرُنَا - بَعْدَ أَنْ دَعَوْتُ اَللَّهَ وَاَمَرْتُ بِالدُعَا لَهُ طَامِعاً وَمُتَوَكِلاً فِي تَأْيِيدِهِ وَنَصْرِهِ لِمَا يَجِبُ لِمَجْدِهِ وَفَضْلِهِ - عَلَى اَخْرَاجِ جَمِيعِ اِلاَنْدَلُسْ اَلَّذِينَ هُمْ فِي تِلْكَ السَّلْطَنَةِ لاَنَّهُمْ اَقْرَابُ لِلْغَرَرِ؛ وَالاَنْجَازِ بِذَلِكَ اَمَرْنَا بِإِشْهَارِ هَذَا اَلاَمْرِ وَيُنَادَى بِهِ.

فَأَوَّلاً يُعْرَفُ مِنْهُ أَنَّ جَمِيعَ اِلاَنْدَلُسْ اَلَّتِي فِي تِلْكَ اَلْمَمْلَكَةِ رِجَالاً وَنِسَاءً بِأَوْلاَدِهِمْ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ شُهْرَةِ هَذَا اَلاَمْرِ بِالْبِلاَدِ اَلَّتِي هُمْ

---

[١] هنا يبدأ سقط آخر في س.

[٢] يعني: الجمهورية الهولندية.

سَاكِنُونَ أَنْ يَخْرُجُوا وَيَمْشُوا لِيَرْكَبُوا اَلْبَحْرَ فِي اِلْمَوْضِعِ اِلَّذِي يُومَرُ بِهِ؛ وَأَنْ يَحْمِلُوا مِنْ اَلْعُرُوضِ وَاَلاثَاثِ مَا يَسْتَطِيعُونَ عَلَيْهِ؛ لِيَرْكَبُوا فِي اِلْسُّفُنِ وَاَلاغْرِبَةَ (٩٣ ب) اِلَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ لِحَمْلِهِمْ اِلَى بِلاَدِ اِلْمَغْرِبِ؛ وَيَنْزِلُونَهُمْ مِنْ غَيْرِ مَضَرَّةٍ لاَحَدِ فِي اِلْنُّفُوسِ وَاَلامْوَال وَيَعْطُونَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ اِلَيهِ مِنَ اَلْطَعَامِ مَا دَامُوا فِيهَا. وَمَنْ اَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ لِنَفْسِهِ مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ فَلْيَفْعَلُ. وَمَنْ يَتَعَدَّى عَنْ هَذَا اَلأَمْرِ فَلْيُقْتَلُ فِي اِلْحِينِ.

وَاَنَّ كُلَّ مَنْ يُوجَدُ بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامِ اِلَّتِي يُنَادَى بِالاَمْرِ خَارِجاً عَنْ بَلَدِهِ؛ يَجُوزُ لِكُلِّ مَنْ لَقِيَهُ اَنْ يَنْهَبَ مَا عِنْدَهُ؛ وَيُسَلِّمَهُ لِلْحُكَّامِ[1] وَاِنْ اَمْتَنَعَ يَجُوزُ لَهُ قَتْلَهُ.

وَاَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْمَعَ اَلنِدَا لاَ يَخْرُجُ مِنْ بِلَدِهِ اِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَمْشِي مَعَ مَنْ يَقُودُهُمْ اِلَى رُكُوبِ اِلْبَحْرِ.

وَاَن كُلَّ مَنْ يَدْفَنَ شَيْئاً مِنْ اَمْتِعَتِهِ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعَ اَلرُّفُودَ مَعَهُ؛ اَوْ يَحْرِقَ شَيْئاً مِنَ اَلزَرْعِ أَوْ اَلاشْجَارِ، أَنْ يُقْتَلَ عَلَى ذَلِكَ؛ وَأَمَرْنَا جِيرَانَهُ بِتَنْفِيذِ اِلْحُكْمِ فِيهِمْ.

وَلِمَا يُصْلِحُ بِالْبِلاَدِ فِي مَعَاصِرِ اِلسُكَّرِ وَالرُوْزِ وَسَقْيِ اِلْبِلاَدِ لِيَعْلَمُوا اَلسُكَّانَ اَلْجُدُودِ؛ أَمَرْنَا بِقُعُودِ سِتَتٍ مِنَ اَلاَنْدَلُسْ بِأَوْلاَدِهِمْ اِلَّذِينَ لَمْ يَتَزَوْجُوا، فِي كُلِّ بَلَدٍ يَكُونُ مِنْ مِائَةِ دَارٍ وَاَلامْرِ فِي ذَلِكَ لِتَعْيِينِهِمْ فَهُوَ لِمَوْلِ كُلِّ بَلَدٍ وَيَكُونُ مِنَ اَلفَلَّحِينَ اَلقُدَمَاءِ اَلَّذِينَ (٩٤أ) ظَهَرَ عَلَيْهِمْ اَلْقُرْبُ وَالْمَيْلُ لِدِينِنَا، وَيُرْجَى فِيهِمْ اَلثَّبَاتُ عَلَيْهِ.

---

[1] يريد: حكام محاكم التفتيش.

وَإِنَّ الرُّمَاةُ وَالنَّصَارَى القُدَمَا لاَ يَاخذُوا شَيْئاً مِنْ اَمْوَالِهِمْ وَلاَ يَقْرَبُوا اِلَى نِسَائِهِمْ وَاَوْلاَدِهِمْ وَلاَ يَكْتُمُ مِنْهُمْ اَحَداً فِي دَارِهِ؛ وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ يُجْعَلُ فِي مُقَدِفِ الاَغْرِبَةِ سِتَّ سِنِينَ وَيُزَادُ عَلَى ذَلِكَ مَا يَظْهَرُ لَنَا.

وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ اَلسُّلْطَانَ[١] مَا مُرَادُهُ إِلاَّ اِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلاَدِهِ اِلَى بِلاَدِ الْمَغْرِبِ؛ فَلاَ يَضُرُّهُمْ اَحَدٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ وَأَنَّهُ يَنْفِقُ عَلَيْهِمْ وَيَحْمَلَهُمْ فِي سُفُنِهِ، وَإِذَا بَلَغُوا فَلْيَرْجِعُوا عَشْرٌ مِنْهُمْ لِيَعْلَمُوا لِغَيْرِهِمْ وَكُبَرَاءِ الاَغْرِبَةِ وَالسُّفُنْ فَلْيَعْمَلُوا بِهَذَا الاَمْرِ.

وَاَنَّ اَلصِبْيَانَ وَالاَيْتَامَ مِنْ اَقَلِّ مِنْ اَرْبَعِ سِنِينَ؛ اِذَا اَرَادُوا اَلْقُعُودَ بِرِضَاءِ وُكَلاَئِهِمْ وَالاَوْصِيَا؛ فَلْيَقْعُدُوا.

وَاَنَّ اَلصِّبْيَانَ اَلَّذِينَ يَكُونَ اَوْلاَدَ نَصَارَى لاَ يُخْرَجُوا وَلاَ لاَمَهَاتِهِمْ مَعَهُمْ وإِنْ كَانَتْ اَنْدَلُسِيَةً. وَاِنْ كَانَ اَبُوهُمْ اَنْدَلُسِي وَاُمَهُمْ نَصْرَانِيَةً فَتَقْعُودُ[٢] اَلْمَرْأَةُ بِأَوْلاَدِهَا اَلَّتِي مِنْ سِتَتِ فَأَقَلِّ وَهُو يَذْهَبُ وَيَخْرُجُ.

وَشُهِرَ هَذَا الاَمْرُ وَنُودِيَ بِهِ فِي اِلثَّانِي وَالْعِشْرِينَ (٩٤ب) مِنْ شَهْرِ شُتَنْبِر مِنْ عَامِ تِسْعَ وَسِتُّ مِائَةَ وَأَلْفُ مِنْ مِيلاَدِ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -"[٣] اَنْتَهَى.

وَبَعْدَ أَنْ خَرَجُوا اَهْلُ سَلْطَنَةِ بَلَنْسِيه؛ فَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ لِلَّذِين كَانُوا بِالاَنْدَلُسِيَةِ وَغَيْرِهَا مِنَ اِلْبِلاَدِ اَلْقَرِيبَةِ اِلَيْهَا اَنْ يَخْرُجُوا. وَبَعْدَ اَنْ

---

[١] هنا ينتهي السقط في س.

[٢] س: فتقعد .

[٣] س: ثم بعد ذلك أمر أمراً عكس هذا الذي فرعنا منه ان كل من يكرى سفينة للخروج في بلد المسلمين ياخذ اولاده كل من كان من نحو العشر سنين او سبعة واخذوا منهم شيئا كثيرا من الاولاد والبنات واخرجوا من عشرين سفينة كل من كان فيها من الاولاد واخذوا لأهل الحجر الأحمر...

اَكْتَرَوا اَلسُّفُن – وَهُمْ فِي وَادِ اِشْبِيلِيه – بَعَثَ اَلسُّلْطَان أَمْرًا عَكْسِ الاَوَّلِ؛ وَقَالَ: أَنَّ كُلَّ مَنْ اَكْتَرَى سَفِينَةً لِيَمْشِي لِبِلاَدِ الْمُسْلِمِينَ اَنْ يَاخُذُوا لَهُمْ كُلَّ مَنْ كَانَ مِنْ اَقَلِّ مِنْ سَبْعَ سِنِينَ مِنْ اَلاَوْلاَدِ وَاَلْبَنَاتِ. وَاَخْرَجُوا كُلَّ مَنْ كَانَ فِي عِشْرِين سَفِينَةٍ. وَاَخَذُوا لاهْلِ الْحَجَرْ اَلاَحْمَرَ نَحْوَ اَلْفِ مِنَ اَلاَوْلاَدِ، وَكُلُّ مَنْ جَازَ عَلَى طَنْجَه وَسَبْتَه، فَأَخَذُوا لَهُمْ اَوْلاَدَهُمْ مِثْلَ اَلاخَرِينَ. وَاللَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى اَخْذِ الْحَق مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى يَدِيْ مَنْ فَضَّلَهُ اَللَّهُ وَاَخْتَارَهُ مِنْ سَلاَطِينِ الْمُسْلِمِينَ[١].

[١] س: انه على ذلك قدير انه نعم المولى ونعم النصير .

الباب الثاني عشر

فيما اتفق لنا في مصر مع راهب عالم كان بالغاً في فنون العلم ويقرا بالعربية، وايضاً ما وقع لي من المكاتبة لراهب من اكابر علماء النصارى بمراكش

وَذَلِكَ أَنَّهُ جَاءَ فِي اِلْبَحْرِ (١٩٥أ) فِي سَفِينَةٍ مِنَ اَلْهُنُودِ قَاصِداً اِلَى بِلاَدِ الاَنْدَلُسِ، لِيَحْضَرَ فِي اِلدِّيوَانِ اِلْكَبِيرِ لِلْقَسِيسِينَ لِيَبْعَثُوا اَلرُّهْبَانَ لاَقْطَارِ اِلدُّنْيَا[١]، كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ، لاَنَّهُمْ لاَ يَتْرُكُونَهُمْ[٢] لِلسُّكْنَى فِي اِلْبِلاَدِ اِلَّتِي يَمْشُونَ اِلَيْهَا اِلاَّ نَحْوَ اَلْعَامَيْنِ اَوْ ثَلاَثٍ[٣]؛ ثُمَّ يُرَحِّلُونَهُمْ[٤] اِلَى بِلاَدٍ غَيْرِهَا.

وَرَايِسُ السَّفِينَةِ جَاءَ اِلَى مَرْسَى اَزَمُّورْ مِنْ بِلاَدِ اِلْمُسْلِمِينَ، وَظَنَّ اَنَّهَا مِنْ بِلاَدِ اِلنِّصَارَى، وَدَخَلَ فِيهَا وَبَقِيَ اَسِيراً هُوَ وَجَمِيعِ مَنْ كَانَ فِي اِلسَّفِينَةِ؛ وَمِنْ جُمْلَتِهِمْ اَلرَّاهِبُ اَلْكَبِيرُ؛ وَأَتَو[ا] بِالْجَمِيعِ اِلَى مَرَّاكُشْ؛ وَقَبْلَ اَنْ جَاءَ كُنْتُ تَكَلَّمْتُ مَعَ اَلسُّلْطَانِ مَوْلاَيْ زَيْدَانِ – رَحِمَهُ اَللَّهُ – فِي فِدَاءِ رَاهِبٍ اَسِيرٍ؛ وَدَفَعَ اَلْمَالَ فِي فِدَائِهِ؛ وَذَهَبَ اِلَى بِلاَدِهِ وَفَرِحْتُ بِذَلِكَ لاَنَّهُ كَانَ يُثَبِّتُ كُلَّ مَنْ يَسْلِمَ مِنَ اَلنِّصَارَى فِي دِينِ اِلْكُفَّارِ فِي خَفَاءٍ مِنَ اَلنَّاسِ؛ وَلَوْ تَحَقَّقَ سَلاَطِينَ اِلْمُسْلِمِينَ مِنْ سُوءِ فِعْلِ اَلْقَسِيسِينَ وَالرُّهْبَانِ وَاَنَّهُمْ يَحْتَالُونَ عَلَى اَكْثَرِ مِنْ

---

[١] س: لاقطار بلدهم.

[٢] س: لا يتركون .

[٣] س: او ثلاث سنين .

[٤] س: يرحلون .

يَرْجِعَ مُسْلِماً مِنَ النصارى[١] لِيَرْتَدَ فِي خَفَاءٍ عَنْ دِينِ الإِسْلاَمِ؛ وَأَنْ يَكُونَ عَدُوّاً لِلْمُسْلِمِينَ؛ لاَ يَتْرُكُونَ اَبَداً وَاحِداً مِنْهُمْ فِي بِلاَدِهِمْ. وَهَذِهِ نَصِيْحَةٌ (٩٥ب) مني اِلَيْهِمْ؛ وَمَا قُلْتُ فِيهِمْ فَهُوَ صَحِيحٌ لاَشَكٌ فِيهِ.

ثُمَّ اَنَّ اَلرَّاهِبَ اَلَّذِي جَاءَ مِنْ اَلْهُنُودِ بِلَغَهُ اَلْخَبَرُ بِأَنِّي تَكَلَمْتُ فِي فِدَاءِ اَلرَّاهِبِ اِلَّذِي كَانَ قَبْلَهُ وَانْفَدَا وَمَشَى. وَبَعَثَ لِي كِتَاباً بِالاَعْجَمِيَةِ[٢] يَطْلُبُ مِنِّي أَنْ أُكَلِّمَ اَلسُّلْطَان فِي فِدَائِهِ، وَقَرَأْتُ اَلرِّسَالَةِ؛ وَبَانَ لِي مِمَّا كَتَبَ اَنَّهُ مِنْ اَكَابِرِ عُلَمَائِهِمْ. وَكَانَ فِي اَعْلاَ اَلْبَرَاءَةِ صَلِيبٌ مَكْتُوبٌ كَمَا هِيَ مِنْ عَادَتِهِمْ. فَكَتَبْتُ لَهُ اَلْجَوَابَ وَقُلْتُ لَهُ: اَنْ يَصْبِرَ حَتَّى نَجِدَ مَفْصَلاً[٣] لِلْكَلاَمِ مَعَ اَلسُّلْطَان؛ وَلَمَّا اَنَّهُ صَدَّرَ فِي أعلا كِتَابِهِ اَلشِّرْكَ بِصُوْرَةِ اِلصَّلِيبِ اِلَّذِي يَعْبُدُونَهُ؛ كَتَبْتُ اَنَا فِي اَعْلاَ اَلْكِتَابِ تَوْحِيدِ اِللَّهِ تَعَالَى اَلَّذِي هُوَ ضِدْ اَلشِّرْكِ؛ وَكَتَبْتُ بِالاَعْجَمِيَةِ: بِسْمِ اِللَّهِ اِلْوَاحِدِ فِي ذَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي صِفَاتِهِ، وَاحِدٌ فِي اَفْعَالِهِ.

وَبَعْدَ اَنْ قَرَا اَلْجَوَابَ كَتَبَ لِي بَرَاةً ثَانِيَةً؛ وَذَكَرَ فِيهَا كَلاَماً عَنْ اِلذَّاتِ اِلْكَرِيمَةِ وَالصِفَاتِ وَالاَفْعَالِ؛ مُوَافِقًا لِتَوْحِيدِ اَلْمُسْلِمِينَ. ثُمَّ قَالَ: اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدمَ عَلَى هَيْئَتِهِ اَوْ عَلَى مِثَالِهِ. وَهَذَا اَلْقَوْلُ هُوَ اِبْتِدَاء شِرْكِهِمْ، لاَنَّ مُرَادَهُمْ بِالْشَّبِيهِ اَنَّ سَيِّدِنَا (٩٦أ) عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - لَهُ اَصْلٌ فِي ذَلِكَ اَلْخِلْقَة لِلأُلُوهِيَّةِ اَلّتِي يَقُولُونَ فِيهِ - لَعَنَهُمْ اَللَّهُ وَاَخْزَاهُمْ!

---

[١] لعله يعني بعض الاندلسيين المهجّرين، فإن المعروف أن بعضهم بقي على نصرانيته.

[٢] س: بالعجمية .

[٣] س: موصلا .

ثُمّ كَتَبْتُ لهُ الْجَوَابَ عَلَى الْكُفْرِ الَّذِي ذَكَرَ فِي كِتَابِهِ؛ وَقُلْتُ لَهُ: اَللّٰهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عنِ الشَّبِيهِ وَالْمِثَالِ؛ وبُرْهَانُ ذَلِكَ انّ ابَانا آدم - عَلَيْهِ السّلاَمُ - ولاَ شَيْءَ مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؛ فلاَ تَشْبَهُ اِلَى اَللّٰهِ تَعَالَى فِي ذَاتِهِ ولاَ فِي صِفَاتِهِ ولاَ فِي افْعَالِهِ. امّا ذَاتُ الاِنْسَانَ فَهِيَ حَادِثَةٌ؛ وَاَللّٰهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى قَدِيمٌ وَالاِنْسَانُ فَانٍ؛ وَاللّٰهُ تعَالَى بَاقٍ عَلَى الدّوَامِ؛ والاِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ ابَداً اِلَى الْمَحَلّ؛ وَاللّٰهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْهُ وقَائِمٌ بِنفْسِهِ؛ وَالاِنْسَانُ مُفْتَقِرٌ ابَداً واللّٰهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى هُوَ الْغَنِيُّ؛ وكُلُّ مَا سِوَاهُ مُفْتَقِرٌ اِلَيْهِ.

وَامّا الاِنْسَانُ فَلهُ صِفَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اللّٰهِ تَعَالَى، فَالاِنْسَانُ لَهُ سَمْعٌ وبَصَرٌ وكَلاَمٌ وقُدْرَةٌ حَادِثَةٌ وَعِلْمٌ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الصِفَاتِ. امّا السّمْعُ فَيَسْمَعُ الاِنسَانُ مَا هُوَ قَرِيباً مِنْهُ، وَاِذَا تَكَلّمَ اِلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ النّاسِ فِي حِينٍ وَاحِدٍ فَلاَ يَفْهَمُ مَا يَقُولُونَ اِلاّ انْ يَتَكَلّمَ كُلُّ وَاحِدٍ وَحْدَهُ؛ وَيَكُونُ الْكَلاَمُ بِاللغَةِ الّتِي يَعْرِفُ هُوَ؛ وَاَللّٰهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى يَسْمَعُ (٩٦ب) الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ، وَمَا تَقُولُهُ جَمِيعُ الْمَخْلُوقَاتِ بِلِسَانِ الْمَقَالِ وَلِسَانِ الْحَالِ وَمَا فِي الضّمَائِرِ فِي حِينٍ وَاحِدٍ؛ وَلاَ يُشْغِلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

وَامّا الْبَصَرُ فَالاِنْسَانُ يَبْصُرُ الْقَرِيبَ بِشُرُوطٍ مِثْلَ الضَوْءِ، وَانْ لاَ يَكُونَ حَائِلاً بيْنَهُ وبَيْنَ الْمَنْظَرُ[1] اِلَيْهِ. وَاللّٰهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى يرَى الْبَعِيدَ وَالْقَرِيبَ وَمَا تَحْتَ الثّرَى وَمَا فِي دَاخِلَ الاَحْرَامِ[2]. وَامّا الاِنْسَانُ فَلاَ يَعْلَمُ مِنْ الْعِلْمِ اِلاّ قَلِيلاً؛ وَاللّٰهُ تَعَالَى اَحَاطَ بِكُلّ شَيْءٍ عِلْماً، وكَذَلِكَ

---

[1] س: المنظور إليه .

[2] س: الارحام .

سَائِرُ اَلصِّفَاتِ اَلاِنْسَانِيَةِ كُلِّهَا نَاقِصَةٌ مَحْدُودَةٌ عَاجِزَةٌ فَانِيَةٌ؛ كُلُّهَا مُخْتَلِفَةٌ لِصِفَاتِ اِللّٰهِ تَعَالَى.

وَاَمَّا فِعْلُ اَلاِنْسَان فَلاَ يَخْرُجُ عِنْ عَادَتِهِ فِي اِلاَعْمَالِ اِلاَّ نَادِراً، حَتَّى اَنَّ اَلْخَطُّ اَلَّذِي يَكْتُبُ يَكُونُ مَعْرُوفاً لَهُ حَتَّى تَشْهَدُ اَلنَّاسُ وَتَقُولُ: هَذَا خَطُّ فُلاَنٍ؛ وكَذَلِكَ سَائِرُ اِلْعَمَالاَتِ واِلصَّنَايِع. وَانْظُرْ وَتَأَمَّلْ فِي اَفْعَال اِللّٰهِ تَعَالَى اَلْخَالِقُ اَلْعَظِيمُ؛ اِنَّ جَمِيعَ مَخْلُوقَاتِهِ لاَ يَشْبَهُ لَحَدٌ اَحَداً؛ وَلَوْ اِجْتَمَعَ كُلٌّ مَنْ خَلَقَ مِنْ بَنِي آدَم فِي اِلْدُّنْيَا وَمَا يَخْلُقُ، فَلاَ يَشْبَهُ اِنْسَانٌ اخَرَ غَيْرَهُ، وَاِذَا شَبِهَهُ فِي بَعْضِ الاَعْضَا (١٩٧أ) لاَ بُدَّ اَنْ يَخْتَلِفَ عَنْ غَيْرِهِ فَي شَيْءٍ؛ اَمَّا فِي الصَّوْتِ اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَاَفْعَالِهِ؛ لاَ شَبهَ لَهُ.

وَنَزِيْدُ فِي هَذَا اَلْمَعْنَى شَيْئَاً؛ وَلاَ تَذَكَرْتُ هَلْ كَتَبْتُهُ فِي اَلْبَرَاءةِ أَمْ لاَ؟ وَهُوَ اَنَّ[١] اِذَا دَخَلَ فِي غَابَةِ اَشْجَارٍ مِنْ نَوْعٍ وَاحِدٍ مِثْلَ اِلْسُّنُوبَرِ اَوْ قَسْطَل اَوْ بُلُوطِ اَوْ غَيْرُ ذَلِكَ؛ وَيَنْظُرُ فِي اِلاَشْجَارِ فَيَرَى كُلَّ شَجَرَةٍ مُخْتَلِفَةً عَنْ جَمِيعِهَا فِي اِلْطُولِ اَوْ اِلْعَرْضِ اَوْ بَعْضِ اِلاَغْصَان اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَهَذَا ظَاهِرٌ لِلْعِيَان؛ دَلَّ هَذَا اَنَّ اَللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لاَ نِهْيَةَ وَلاَ حَدَّ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَاِرَادَتِهِ وَجَمِيعِ صِفَاتِهِ.

وَاَمَّا اَلاِنْسَانُ فَبِخِلاَفِ ذَلِكَ فِي فِعْلِهِ وَعَمَلِهِ. وَقَدْ رَأَيْتُ يَوْمَاً رَجُلاَ اَشْتَرَى بَعْضَ اَلصَبَابط[٢] اَوْ رَوَاجِي صِغَاراً لِصِبْيَانِهِ؛ وَفِي اِلزُّنْقَةِ اَلْتَقَى بِمُعَلِّمٍ خَرَّازٍ؛ قَالَ لَهُ: هَذَا اَلصَّبَابِط[٣] مِنْ دُكَانِي؟ قَالَ لَهُ: وَكَمْ

---

[١] س: ان الإنسان اذا دخل .

[٢] لم ترد في س .

[٣] س: هذه السبابط هي من دكاني .

مِنْ حوَانِتِ فِــي مَرّاكُشْ عَـامِرَةٌ بِمِثْـلِ هَـذَا! قَـالَ اَلْخَـرّازُ: لَـوْ كَـانَ شُغْلِي بَيْنَ مِائَةٍ مِثْلِهِ اَعْرِفهُ.

وَقَـالَ رَجُـلٌ فخَّـارٌ: كُنَّــا نَخْـدَمُ نَحْـوَ اَلثَّمَانِيَـةِ مِـنَ اَلْصُنَّـاعِ فِـي (٩٧ب) عَمَلِ اِلْقِلَلِ اَوْ قُدُورِ[١] اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ اَلْمَواعِينِ مِنْ عَجْنَـةٍ وَاحِدَةٍ، لَيْسَ فِيهَا اِلاَّ اَلْطِّين وَالْمَاء. وَالْمَوَاعِيـنِ عَلَـى مِقْدَارٍ وَاحِدٍ؛ وَبَعْدَ اَلْعَمَلِ؛ فَنَعْرِفـُ وَنُمَيِّزُ شُغْلَ كُلٍّ وَاحِدٍ، وَمَنْ هُوَ اَلَّذِي عَمَلَهُ مِنَ اِلْصُنَّاعِ. وَهَذَا مِـنْ جُمْلَـةِ مَـا ذَكَرْنَـا مِـنْ خَـطٍّ اِلاِنْسَـان اَنَّـهُ يَعْـرَفـُ كَاتِبُهُ.

وَبَعْدَ اَنْ فَرَغْتُ مِنَ اَلْجَوَابِ لِلرّاهِبِ، كَتَبْتُ لَهُ سُوَالاً فِي دِينِهِ – لِمَا عَلِمْتُ مِنْ سُوءِ اِعْتِقَادِهِمْ – وَهَذَا مَعْنَاهُ: مَا قَوْلُكُمْ فِي دِيْنِكُمْ فِي رَجُلٍ زَنَا بِامْرَأَةٍ مُحْصَنَةٍ وَحَمَلَتْ مِنْهُ وَوَلَدَتْ، وَزَوْجُ اَلْمَـرأَةِ يَعْتَقِدُ اَنَّ اَلْمَوْلُـود كَـانَ اَبْنُـهُ حَتَّـى كَـبَرَ زَوَّجَـهُ وَاَعْطَـاهُ حَظّـاً مِــنْ مَالِـهِ؛ وَاَشْتَكَى يَوْمَ اَلْحِسَابِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَمِمَّنْ زَنَى بِهَا وِالْمَـالَ اَلَّذِي اَنْفَقَ وَاَعْطَى لاَبْنِ اَلَّذِي زَنَــى بِهَـا؛ فَـأُحْضِرَ اَلْزّانِـي وَاَلْزّانِيَـةُ، وَقِيْلَ لَهُمَا فِي ذَلِكَ، فَقَالَتْ اَلْمَرْأَةُ: اَنَا ذَكَرْتُ ذَنْبِـي لِلْقَسِيسِ اِلْفُلاَنِـي وَغَفَرَ لِي؛ وَقَالَ اَلْزّانِي: اَنَّهُ ذَكَرَ ذَنْبَهُ لِقَسِيسٍ فِـي اِلْدُّنْيَـا وَغَفَـرَ لَـهُ ذَنْبَهُ. وَالْسُّوَالُ (١٩٨) مِنْكُمْ – اَيُّهَا اَلرَاهِبُ اَلْعَالِمُ فِي دِينِهِ – هَلْ بَقِيَ لِلْرِّجُلِ اِلْمَظْلُومِ مَا يَطْلُبُ أَمْ لاَ ؟

وَكَتَبَ اَلْجَوابَ وَقَالَ: لَيْسَ لِلْرَّجُلِ مَا يَطْلُبُ مِنْ زَوْجَتِهِ وَلاَ مِمَّـنَ زَنَى بِهَا بَعْدَ اِسْتِقْرَارِهِمَا فِي اِلْدُّنْيَا لِلْقَسِيسِ مِـنَ اَلْذُنُـوبِ لاَنَّـهُ غَفَـرَ لَهُمَا؛ وَلَمْ يَبْقَ لِلزَّوجِ حَقٌّ عَلَيْهِمَا؛ اَنْتَهَى.

---

[١] س: في عمل واحد قلل وقدور وغير ذلك.

فَانْظُرْ هَذَا اَلاعْتِقَادَ اَلْفَاسِدَ اَلَّذِي عِنْدَهُمْ فِي دِينِهِمْ؛ اَلاَصْلُ فِيهِ يَقُولُونَ بِأُلوهِيَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ – وَاَنَّ اَلْبَّابَ خَلِيفَتَهُ وَجَمِيعِ اَيِيمَةِ دِينِهِمْ كُلُّ وَاحِدٌ خَلِيفَةُ اَلْبَّابِ[١]. وَيَامُرُونَ اَلنَّاسَ فِي كُلِّ عَامٍ فِي اَيَّامِ صِيَامِهِمْ اَنْ يَمْشِي كُلُّ مَنْ هُوَ بَالِغٌ مِنْ ذَكَرٍ اَوْ اَنْثَى اِلَى اَلْكَنِيسَةِ؛ وَيَذْكُرَ لِلْقَسِيسِ جَمِيعَ ذُنُوبَهُ وَيَعْطِيهِ بَرَاءَةً بِالْمَغْفِرَةِ وَيَاخُذَ اَلْدَّرَاهِمَ عَلَيْهَا. حِينَئِذٍ يَذْهَبُ مَغْفُوراً لَهُ. وَفِي سَائِرِ اَلاَيَّامِ اِذَا كَانَ مَرِيضاً يَمْشِي اِلَيْهِ اِلْقَسِيسُ اِلَى بَيْتِهِ وَيَغْفِرُ لَهُ وَيَاخُذُ أُجْرَتَهُ دَرَاهِمَ[٢]. وَقَدْ طَالَعْتُ كِتَابَ اَلتُّرْجُمَان – رَحِمَهُ اَللَّهُ – وَقَالَ فِي اِلْقَاعِدَةِ اَلْخَامِسَةِ مِنْ كِتَابِهِ فِي اِلْرَّدِّ عَلَى اَلنِّصَارَى، وَذَكَرَ مِثْلُ هَذَا (٩٨ب).

وَإِنِّي اَعْطَيْتُ دَرَاهِمَ سِنِينَ عَدِيدَةٍ فِي بَرَوَاتِ اِلْغُفْرَان مُعْتَقِداً فِي كُفْرِهِمْ، وَلاَكِنَّ كَانُوا يَطْلُبُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ بَرَاءَتَهُ بَعْدَ اَيَّامِ اِلصِّيَامِ مَكْتُوبٌ فِيهَا اَنَّ فُلاَناً اسْتَقَرَّ لِلْقَسِيسِ اِلْفُلاَنِي بِذُنُوبِهِ وَاَنَّهُ غَفَرَ لَهُ؛ وَيُعَلِّمْ بَرَاءَتَهُ وَاِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ اَلْبَرَاءَةُ يُحَكَّمْ فِيهِ[٣].

وَاَمَّا رَاهِبُ مِصْرَ؛ كَانَ يَقْرَا بِالْعَرَبِيَةِ، وَكَانَ عِنْدَهُ اَلْقَامُوس بِالْعَرَبِيَةِ وَالْعَجَمِيَةِ. وَقَدْ اَلْتَقَيْتُ بِهِ مِنْ اَجْلِ كِتَاب **تَعْدِيلِ اِلْكَوَاكِبِ**[٤]؛ لِنَعْرِفَ مِنْهُ فِي اَيِّ يَوْمٍ تَكُونُ اَلْوَقْفَةَ بِعَرَفَةِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ فِي اَيَّامِ

---

[١] س: اليابا .

[٢] لم ترد في س.

[٣] في س: وهم بهذا الاعتقاد الفاسد يعينون الرجال والنساء على الفساد لان اذا علم الانسان ان الذنب الكبير يغفره له القسيس فيسهل عليه عمله.

[٤] كتاب **تعديل الكواكب** لعمر بن محمد بن خالد المرورذي، الذي كان حيا في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة انظر: سزكين ١٥٩/٦ .

الاَهِلَّةِ؛ وَإنْ لَمْ يَكُـنْ اَلْعَمَـلُ بِقَـوْلِ اَلْمُنَجِّمِيـنَ فِـي اِلاَهِلَّـةِ اِلاَّ بِالْرُؤيَـةِ لِلْهِلاَلِ؛ فَلاَ يَضُرُّ اَلنَّظَرُ فِي ذَلِكَ.

وَسَأَلَنِي الرَّاهِبُ عَنْ اِعْتِقَادِنَا فِي اِلْجَنَّـةِ: هِلْ فِيهَـا اَكْـلٌ وَشُـرْبٌ؟ قُلْتُ لَهُ: نَعَمْ فِيهَا ذَلِكَ وَاَكْثَرُ مِنْ ذَلِـكَ؛ كَمَـا شَـهِدَ بِـهِ اَلانْجِيـلُ اِلَّـذِي عِنْدَكُمْ. لاَنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى - عَلَيْـهِ اِلسَّـلامُ - قَـالَ لِتَلاَمِذَتِـهِ: اِنِّـي لاَ اَشْرَبُ مِنْ عَصِيرِ هَذِهِ اِلْكَرْمَةِ اِلَى ذَلِكَ اَلْيَوْمِ اِلَّذِي اَشْرَبُه مَعَكُمْ فِـي مَلَكُوتِ اَبِي. وَفِي مَوْضِعٍ اَخَرُ فِي اِلانْجِيـلِ: (١٩٩أ) "مَلَكُـوتِ اِللَّـهِ". قَالَ اَلْرَّاهِبُ: لَيْسَ ذَلِكَ اَلْكَلاَمُ عَلَى ظَاهِرِهِ! وَنَكَرَ ذَلِكَ اَشَدَّ الاِنْكَـارِ؛ كَمَا هُوَ فَي اِعْتِقَادِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُ سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ - "فِي مَلَكُـوتِ اَبِـي"، فَـلاَ يُفْهَمُ مِنْهُ اَنَّهُ يَعْتَقِدُ اَنَّهُ اَبُوهُ حَقِيقَةً؛ وَالْمُـرَادُ بِذَلِـكَ أَنَّ اَبَـاهُ هُـوَ اِلَّـذِي اَخْرَجَـهُ مِـنْ اَلْعَدَمِ اِلَـى اَلْوُجُـودِ؛ كَمَـا لِغَيْرِهِ فِـي اَكْثَرِ مِـنْ عَشَـرَةِ مَوَاضِعِ مِنَ اَلانْجِيلِ؛

اَلاَوَّلُ: فِي مَعْنَى اَلْعِبَادَةِ فِي شَهَادَةِ مَتَّى اِلَّذِي كَتَبَ رَبْعَ اَلانْجِيلِ.

قَالَ فِي الْفَصْلِ اِلسَّادِسِ: اَنَّ اِبْلِيسَ جَاءَ اَلَى سَيِّدِنَا عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - وَقَالَ لَهُ: هَذَا العَالَمُ وَمَجْدَهِ اَعْطِيهِ لَكَ اِنْ سَجَدْتَ لِي؛ قَـالَ لَهُ عِيسَى - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ -: اِذْهَبْ يَا شَيْطَانُ؛ لِلرَّبِّ اِلَهُكَ أَسْجُدُ وَلَهُ وَحْدَهُ اَعْبُدُ، اَنْتَهَى. اَلْبُرْهَانُ فِي هَذَا اَلْقَولِ: اِنَّ اَلْعِبَـادَةَ لاَ تَكُـونُ اِلاَّ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَاَنَّهُ - عَلَيْهِ اِلسَّلاَمُ - كَانَ يَعْبُدُهُ؛ اِذْ هُوَ لَيْسَ بِاِلَهٍ.

وَاَمَّا مَا قُلْنَا: اَنَّ اِللَّـهَ تَعَـالَى اَبُـو اَلْمُومِنِيـنَ، وَمِـنْ جُمْلَتِهِـمْ سَـيِّدُنَا عِيسَى؛ مِنْهَا فِي اِلْفَصْلِ [الخـامس][1] لِمَتَّـى قَـالَ: قَـالَ سَـيِّدِنَا عِيسَـى

---

[1] في الأصل وس بياض وهذا ما اراد الحجري.

(٩٩ب) - عَلَيْهِ السَّلاَمُ -: طُوبَى لِلْنَقِيَّةِ[١] قُلُوبهِمْ فَإِنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اَللَّـهَ، طُوبَى لِصَانِعِي السَّلاَمَةِ، فَإِنَّهُمْ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءِ اللَّهِ. ثُـمَّ قَـالَ بَعْدَ كَـلاَمٍ اَخرَ: هَكَذَا فَلْيُضِيءُ نُوركُمْ قُدَّامِ النَّاسِ لِيَروْا اَعْمَالِكُمْ الصَّالِحَةِ، وَيُمَجِّدُوا اَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاءِ.

وَاَقُولُ هَذِهِ اَلتَرْجَمَةُ وَعِبَارَتِهَا هِيَ مِنْ اِنْجِيلِ مَكْتُوبٍ بِالْعَرَبِيَةِ كَانَ عِنْدَ اَلْقَسِيس اَلَّذِي وَقَعَ لِي اَلْكَلاَمُ مَعَهُ بِمِصْرَ كَتَبْتُ مِنْهُ كَمَا كَانَ. وَاَلْمَطْلُوبُ هُوَ اَلْمَعْنَى[٢].

اَلْفَصْل اَلْتَاسِعُ : اَحْسِنُوا اِلَى مَنْ اَبْغَضَكُمْ، وَصِلُوا مَنْ يَطْرُدُكُمْ وَيَغْتَصِبُكُمْ، لِكَيْمَا تَكُونُوا اَبْنَاءَ اَبِيكُمْ اَلَّذِي فِيْ اِلسَّمَوَاتِ اِلَّذِي يَشْرِقُ شَمْسُهُ عَلَى الاَخْيَارِ وَالاَشْرَارِ، وَيَمْطُرُ عَلَى اَلصِّدِقِينَ وَالظَّالِمِينَ.

وَقَالَ اَيْضاً: كُونُوا اَنْتُمْ مِثْلُ اَبِيكُمْ اَلسَّمَائِي فَهُوَ كَامِلٌ.

وَقَالَ اَيْضاً وَصَيَاتِ وَفِي آخِرِهَا: اَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى مَا فِي اِلْخَفَاءِ يَجْزِيكَ عَلاَنِيَةً.

اَلْفَصْل اَلْعَاشِرُ: صَلِّ لاَبِيكَ سِرّاً؛ وَاَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى اَلسِّرَّ يُعْطِيْكَ (١٠٠أ) عَلاَنِيَةً.

وَقَالَ أَيْضاً: لاَنَّ أَبَاكُمْ عَالِمُ بِمَا تَحْتَاجُون اِلَيْهِ قَبْلَ اَنْ تَسْتَلُوهُ.

وَقَالَ اَيْضاً: فَهَكَذَا تِصَلُّونَ اَنْتُمْ؛ اَبُونَا اَلَّذِي فِي اِلسَّمَوَاتِ لِيَتَقَدَّس اِسْمُكَ.

وَقَالَ اَيْضاً: فَإِنْ غَفَرتُمْ لِلنَّاسِ خَطَيَاكُمْ، غَفَرَ لَكُمْ اَبُوكُمْ اَلسَّمَاوِي؛ وَاَنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ خَطَيَاهُمْ، فَلاَ اَبُوكُمْ يَغْفِرُ لَكُمْ خَطَيَاكُمْ.

---

[١] س: للنقيين في قلوبهم .

[٢] "المطلوب هو المعنى" لم ترد في س .

وَقَالَ: إِذَا صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا كَالْمُرائِينَ؛ لأَنَّهُمْ يُعَبِّسُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَنْتَ اغْسِلْ وَجْهَكَ.

وَقَالَ أَيْضًا: وَصِيَّات؛ وَلِئَلاَّ يَظْهَرُ لِلنَّاسِ صِيَامُكُمْ، لَكِنْ لأَبِيكَ اَلَّذِي فِي السِّرِّ وَأَبُوكَ اَلَّذِي يَرَى اَلسِّرَّ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً.

اَلْفَصْلُ اَلثَّانِي عَشَرَ: قَالَ: اُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ اَلسَّمَاءِ وَأَبُوكُمْ اَلسَّمَاءِي يَقُوتُهَا.

اَلْفَصْلُ اَلثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ: قال: "عُصْفُرَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لاَ يَسقُطُ عَلَى اَلأَرْضِ إِلاَّ بِإِرَادَةِ أَبِيكُمْ؛ وَأَنْتُمْ فَشُعُورُ رُؤُسِكُمْ كُلُّهَا مُحْصَاةٌ، فَلاَ تَخَافُوا! فَإِنَّكُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِرٍ كَثِيرَةٍ. كُلُّ مَنْ يَعْرِفَنِي (١٠٠ب) قُدَّامَ اَلنَّاسِ اَعْتَرِفُ أَنَا بِهِ قُدَّامِ أَبِي اَلَّذِي فِي اَلسَّمَاءِ"، اِنْتَهَى.

قَدْ بَانَ فِي سِتَّتِ عَشَرَ مَوْضِعاً مِمَّا كَتَبْنَا مِنَ اَلإِنْجِيلِ إِنَّ سَيِّدَنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ – لَمْ يَخْتَصَّ بِإِسْمِهِ: اِبنُ اَللّهِ مِنْ دُونِ اَلنَّاسِ، لأَنَّهُ كَانَ مَخْلُوقاً مِثْلُهُمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبٌ؛ كَمَا كَانَتْ أُمُّنَا حَوَّى مِنْ غَيْرِ أَنْ يكُونَ لَهَا أُمٌّ.

ثُمَّ أَخَذَ اَلرَّاهِبُ فِي ذِكْرِ سَيِّدِنَا عِيسَى – عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ – يَقُولُ فِيهِ: إِنَّهُ إِلَهٌ وَابِن اَللّهِ حَقِيقَةٌ – تَعَالَى عَنْ قَوْلِهِ!

وَجِئْتُ إِلَى اَلدَّارِ؛ وَتِلْكَ اَللَّيلَةُ قِيلَ لِي فِي اَلنَّوْمِ: "كبرت كلمة تخرج من افواههم"، وَفُقْتُ بِهَذِهِ اَلْكَلِمَةِ وَفَهِمْتُ أَنَّ اَلقَوْلَ كَانَ عَلَى مَا قَالَ[١] اَلرَّاهِبُ فِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ مِنْ أُلُوهِيَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى. وانْظُرْ مَا فِي اَلآيَةِ اَلْكَرِيمَةِ، قَالَ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ اَلْكَهْفِ: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ

---

[١] هنا يبدأ سقط كبير في س يقع في حوالي ١٤ورقة لم يتنبه له الناسخ.

اللَّهُ وَلَدًا ۝ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[١].

ثُمَّ مَشَيْتُ عِنْدَهُ بَعْدَ الصُّبْحِ (١٠١أ)؛ وتَقَوى عَزْمِي مِنْ اِجْلِ الآيَةِ الْكَرِيمَة. وَاَخَذْنَا فِي الْكَلاَمِ،

وقُلْتُ لَهُ: نَحْنُ فِي دِينِنَا وَجَمِيعُ الاَنْبِيَا وَجَمِيعِ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَة لَمْ تَذْكُرْ اِلاَّ اِلَهاً وَاحِداً، وَاَنْتُمْ تَذْكُرُونَ ثَلاَثَةً؛

قَالَ: اَيْضاً نَقُولُ واحِداً!

قُلْتُ لَهُ: هَذَا الْوَاحِدُ اتَفَقْنَا فِيه لاَ خِلاَفَ بَيْنَنَا،

قال: نَعَمْ!

قُلْتُ: مَنْ هُمَا الإِثْنَانِ اللَّذَانِ فِي الاُلُوهِيَةِ؟ اذْكُرْ لِي وَاحِداً مِنْهُمَا! وَاَنَا اَعْرِفُ مَاذَا يُجَوِّب بِهِ.

قَالَ: سَيِّدُنَا عِيسَى!

قُلْتُ لَهُ: الإِلَهُ يَجْهَلُ شَيْئاً؟

قَالَ: لاَ!

قُلْتُ: هِيَ صِفَةُ الْعِلْمِ فِي الاُلُوهِيَةِ الْمُتَعلِقَةُ بِكُلِّ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: قَالَ فِي الاِنْجِيلِ: اِنَّ اَرْبَعَةَ اَوْ خَمْسَةَ مِنْ تَلاَمِذِ سَيِّدُنَا عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - اَتَوْا اِلَيْهِ فِي جَبَلِ الزَّيْتُون؛ بَعْدَ اَنْ ذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ هَذَا الْعَالَمُ يَفْنَى، قَالُوا: "اَعْلَمْنَا عَلَى وَجْهِ السِّرِّ مَتَى يَكُونُ اِنْقِضَا الْعَالَمِ؟ قَالَ لَهُمْ: اَمَّا هَذِهِ الْمَسْئَلَةُ فَلاَ يَعْلَمُهَا اَحَدٌ، حَتَّى مَلاَئِكَةُ السَّمَاء، لاَ يَعْلَمُهَا اِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ".

---

[١] سورة الكهف ٥.

قُلْتُ: هَكَذَا هُوَ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ: قَدْ تَقَدَّمَ لَنَا اِنَّ اَلإِلَهَ لاَ يَجْهَلُ شَيْئاً. وَهَذَا بُرْهَانٌ قَطْعِي (١٠١ب) وَبَايِنٌ اَنَّهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ، وَبِهَذَا تَبَيَّنَ وَاتَّضَحَ اَنَّ اَحَدَ الاثْنَيْنِ اَللَّذِينَ زِدْتَ لِلْوَاحِدِ ذَهَبَ. وَذَكَرَ اَلْمَلاَئِكَةَ عَلَى وَجْهِ اِلْمُبَالَغَةِ فِي اِلْعِلْمِ، اَنَّهُمْ اَعْلاَمُ[١] مِنْهُ. وَبَقِيَ لَنَا وَاحِدٌ مِنَ الاثْنَيْنِ، مَنْ هُوَ؟

قَالَ: هُوَ الرُّوحُ اَلْقُدْسِ؛

قُلْتُ: هَذَا رُوحُ اَلْقُدْسِ هُوَ اَلَّذِي ذُكِرَ فِي اِلانْجِيل اِنَّهُ اَلْبَارَقْلِيطُ ؟

قَالَ: نَعَمْ هُوَ ذَلِكَ!

قُلْتُ لَهُ: قَالَ سَيِّدُنَا عِيسَى: "اِذَا جَاءَ اَلْبَارَقْلِيطُ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ اِلَى جَمِيعِ اِلْحَقِّ، لاَنَّهُ لَيْسَ يِنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّمَا يَسْمَعُ وَيَخْبِرُكُمْ بِمَا يَاتِي"•

قُلْتُ لَهُ: هَكَذَا هُوَ فِي اِلانْجِيلِ؟

قَالَ: نَعَمْ!

قُلْتُ لَهُ: اَلإِلَهُ لاَ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ، بَلْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ؛ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ فَهُوَ نَبِيٌ يَتَكَلَّمُ بِمَا يَسْمَعُ مِنْ جَانِبِ اِلْحَقِّ تَعَالَى؛ فَهَذَا اَيْضاً ذَهَبَ بِالْبُرْهَانِ• لَمْ يَبْقَ اِلاَّ اَلْوَاحِدُ اَلَّذِي لاَ يَزُولُ.

فَخَرَسَ اَلرَّاهِبُ، وَقَالَ: اَلاَنْبِيَاءُ اَلْمُتَقَدِّمُون قَالُوا وَاَخْبَرُوا بِهِ – اَعْنِي بِسَيِّدِنَا عِيسَى.

قُلْتُ: لَمْ تَقُلْ اَلاَنْبِيَاءُ ذَلِكَ!

---

[١] يريد: أعلم.

وَإِذَا قَالُوا: ابن (١٠٢أ) الله؛ فَقَد تَبَيَّنَ ان من كان مومنا، وعمل صالحا كَانَ يسمّى بابن الله. وقال ايضا في التورية: ان الصلحاء هم ابناء الله تعالى. والنّص فيما ذكرنا ان تلامذه سألوا سيدنا عيسى - عليه السلام - قال مَتِيُ في الباب الرابع وعشرين: قال سيدنا عيسى: "فاما ذلك اليوم والساعة لايعرفها احد ولا الملائكة السموات إلا الأب وحده". وهذا اقرار من سيدنا عيسى- عليه السلام - ان الملائكة اعلم منه.

وقال مَرْكُشْ في الباب الثالث عشر، والمقالة اثنان وثلاثون: سال مَرْكُشْ وبِدْرُسْ ويعقوب وجوان واندرس سيدنا عيسى في جبل الزيتون في خفاء من الناس عن الساعة متى تكون؟ قال: "فاما ذلك اليوم وتلك الساعة لايعرفها احد والملائكة التي في السماء ولا الابن إلا الاب وحده". وهذا برهان الذي قلت للراهب أن سيدنا عيسى -عليه السلام- ليس بإله كما شهد على نفسه إنّ (١٠٢ب) الملائكة اعلم منه حيث قال : "ولا الملائكة"، على وجه المبالغة.

وايضا في الانجيل؛ ما ينسب لما قلت للراهب، ان سيدنا عيسى - عليه السلام - انسان وليس بإله ، قال في الفصل السابع والسّتّين لمَتَيُّ: ان سيدنا عيسى - عليه السلام - كان راجعا الى المدينة فجاع، ونظر شجرة تين على الطريق، فجاء إليها، فلم يجد فيها شيئا، إلا ورقا. فقال لها: لا تخرج منك ثمرة الى الابد، فيَبِسَت تلك الشجرة للوقت؛ فلو كان إلهاً - كما تعتقد الكفار انه انسان وإله - فلو كان إلهاً لعلم من موضعه ان الكرمة ليس فيها تين؛ اليس هذا برهان انه انسان مقهور يجهل الغيب ولا يبصر الا الظاهر فقط ؟

وايضا في الانجيل انه كان يسأل عن قبر لعازر حتى حملوه إليه.

وأما ذكر البارقليط فهو فيما كتب يوحنا في الفصل الثالث والثلاثين، وخمس وثلاثين، قال: "فإذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق؛ لانه ليس ينطق من عنده، بل يتكلم بكل مايسمع و(١٠٣أ) يخبركم بما ياتي، وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم.

وقد سألت الراهب: مامعنى البارقليط؟

قال: هو اسم يوناني، ومعناه: الشفيع بالعربية. فهذا هو رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأنه لم يتكلم من ذاته، بل يتكلم في امور الدين بكل مايسمع من الوحي من عند الله تعالى.

واما معنى ماقال سيدنا عيسى – عليه السلام – للحواريين: "يعلمكم جميع الحق، ويخبركم"؛ فتقول النصارى: انه جاء اليهم؛ وبذلك قال لي قسيس بمدينة بَرِّيشْ حين قلت له: ان البارقليط شخص يتكلم، وانه نبينا – صلى الله عليه وسلم –؛ والصحيح ان سيدنا عيسى – عليه السلام – كان يتكلم مع المومنين، وليس الكلام معهم فقط؛ لأنه قال لهم ما يكون في اخر الزمان، بقوله: اذا رأيتم كذا وكذا، والصحيح انهم لا يعشون لآخر الزمان٠ والبرهان في ذلك، قال مَتِىٌّ في الفصل الثامن وسبعين: فجاء اليه تلاميذه في خلوة (١٠٣ب) قائلين: قل لنا متى يكون هذا؟ وما علامة مجيئه وانقضا الزمان؟ فاجاب وقال لهم: انظروا لا يضلكم احد؛ كثير ياتون بإِسْمي، قائلين: انا هو المسيح، ويضلون كثيرا. فإذا سمعتم

بالحروب واخبار الحروب انظروا! لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله". ثم قال : "فإذا رأيتم رذلة الخراب الذي قيل في ذانيال النبي قايما في المكان المقدس"؛ فليفهم القاريء، والكلام كثير في هذاالمعنى، وهو من علامات القيامة. وكان الخطاب لهم. وكذلك الكلام على البارقليط معهم بأن قال: "ياتيكم"؛ والمفهوم: بعدهم - كما ذكر في هذا الباب.

واما قوله: " كثير ياتون باسمي قائلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا"، فهذا والله اعلم - هم البَّابّ؛ لانهم يضلون الناس، بان يشركون بالله ويعبدون الخبز والخمر (١٠٤أ) وآلات الصليب والانام• وسيدنا عيسى - عليه السلام -، تقدم لنا؛ حين جاء إليه ابليس وقال له: ان يسجد له؛ قال سيدنا عيسى -عليه السلام - "مكتوب، هو الاله وحده نعبد واليه نسجد"• وتقدم إني سألت الراهب: ما معنى البارقليط ؟ قال: هو اسم يوناني؛ ومعناه بالعربية: الشفيع• وهذا شخص مخلوق يشفع في المذنبين والإله كيف يشفع ؟ أو ممن يطلب ويرغب؟ وقال يوحنا في الفصل الثالث والاربعين: قال سيدنا عيسى - عليه السلام - لامراة اسمها مريم مَضَالِّينَ - وليست بأم سيدنا عيسى - عليه السلام -: "امض إلى اخواني وقلي لهم: اني صاعد إلى أبي وابيكم والهي والهكم"• انتهى. فهذا كلامه - عليه السلام - فهو بَيِّنٌ (١٠٤ب) كالشمس بغير غمام انه انسان حقيقة، اذ قال: "أبي وأبيكم والهي والهكم"، انتهى•

اعلم إن النصارى أخذوا كفرهم وشركهم مما كتب يوحنا المُنَجيلي؛ مما شهد في ابتداء كلامه وخطبته في الباب الاول؛ قال: "البدء كان الكلمة، والكلمة كانت عند الله، والله هو الكلمة، كان هذا قديما عند الله، كله به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان وبه كانت الحياة، والحياة هي نور الناس، والنور أضاء في الظلمة، والظلمة لم تدركه"، إنتهى.

هذا هو الأساس الى شركهم؛ لانهم يجعلون الكلمة إلهاً. وقال العلامة الاسكندر احمد الفيلسوفي الدربزوني[1]- في تأليفه في الردّ على النصارى - : " كلام الله لاينحصر صدقه على عيسى - عليه السلام - فقط؛ بل يصدق على كثير؛ وهو موافق بآية كريمة: ﴿يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده﴾؛ وليس كلام الله عين ذاته الله؛ اذ الكلام غير المتكلم، لأنه شبيه الكلام بالبذر (١٠٥أ) والمتكلم بالحرّاث.

فإذن لو كان عيسى- عليه السلام- إلهاً على تقدير كونه كلام الله؛ لزم أن يكون كلما أصدق عليه انه كلام الله ايضا إلهاً؟ فحينئذ لزم إلهات متعددة فاللازم باطل بالبداهة، والملزوم مثله. وهو موافق بآية كريمة: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾. انتهى.

وقال لي بمراكش شيخنا، الخيِّر الامام الفقيه، سيدي أحمد بن الحاج أحمد التواتي: أن فقيها من المسلمين كان أسيراً عند كافر نصراني يقرأ بالعربية؛ وقال للمسلم: عندكم في القرءان ان عيسى هو روح من الله؛ واتى بآية قال: ﴿وروح منه﴾، وعزم انه ينتقم من

---

[1] في الأصل: الدرين وني، فلعله يريد الدرينوي او الدريني.

المسلم اذا لم يات بحجة تفُكَهُ من يده. قال الفقيه: ان شاءَ الله بالقرءان العزيز ننجوا منه. فتوضى، وقرأ من أوله الى أن قال: ﴿ وسخر لكم ما في السموات والارض جميعا منه﴾ ففرح بذلك؛ وقال للكافر: إسمع قول الله تعالى في القرءان العزيز، وقرأ الآية؛ وقال: هذه الآية مثل الذي قال الله تعالى:﴿وروح منه﴾ ؛ فكما خلق السموات والارض، خلق سيدنا عيسى. ولما رأى النصراني الحق ترك (١٠٥ب) المسلم مما عزم عليه. ولو ذكر له قوله تعالى: ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي﴾؛ وكذلك: ﴿ وايده بروح منه ﴾؛ فكان ينجوا من الكافر.

واعلم ان النصارى فتشوا برهان التثليث في الالوهية؛ ولا وجدوه، لأنّ الباطل كان زهوقا. وقالوا: ليس لنا [إلا][1] الإيمان بذلك، ويحصل به الاجر. وهي قاعدة في دينهم ان يومنوا بما في الكنيسة الكبرى التي برومة؛ وهي عامرة بالاصنام والصلبان؛ وهي الباب الكبير للدخول في النيران، يقودهم إليها وليهم الشيطان؛ لعنهم الله تعالى بقوله في القرءان: ﴿ ألا لعنة الله على الكاذبين﴾.

[1] زيادة اقتضاها السياق اللفظي.

الباب الثالث عشر

في ذكر ماأنعم الله تعالى عَلَيَّ من فضله في بلاد الأندلس وغيرها من البلاد

إعلم - رحمك الله تعالى - ان هذا الباب توقفت فيه من وجوه. وكنت نتردد فيه، بما نعرف من نفسي (١٠٦أ) من التقصير وَالْجَهْلِ وَالذُّنُوبِ - نسئَلُ اللّهَ الْمَغْفِرَةَ وَالسَّعَادَةَ - وَلَكِنَّ بَعْدَ اَنْ رَأَيْتُ مَا انْعَمَ اللّهُ تعَالَى بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَقِينِ فِي الِاعْتِقَادِ فِي تَوْحِيدِهِ؛ لاَ سِيَمَا بَعْدَ اَنْ طَالَعْتُ كُتُبَ الاَدْيَانِ الثَّلاَثَةِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ بَاباً مِنْ كثْرَةِ بِبيَانِهَا مِنَ الشُّكُوكِ وَالاوْهَامِ وَالظُّنُونِ فِي دِينِ الِاسْلاَمِ؛ حَتَّى تَمَنَيْتُ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ اَنْ لَوْ كَانُوا كَذَلِكَ، فَعَزَمْتُ عَلَى كَتْبِهِ وَكُنْتُ نَتَرَدَدُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ الِامُورِ، لِمَا ذَكَرَ السَّنُوسِي - نَفَعَ اللّهُ بِهِ - فِي شَرْحِ الصُغْرَى فِي لِلتَّوْحِيدِ - فِي بَابِ ذِكْرِ اللّهِ -: "انَّ بَعْضَ مَنْ انْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمُلاَزِمِينَ لِقَوْلِ لاَ الَهَ الاَّ اللّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ - صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ يَجِدُ تَحْتَ السِّجَادَةِ دَرَاهِمَ حَتَّى شُهِرَ ذَلِكَ انْقَطَعَ عَنْهُ؛ وَكُنْتُ اَخَافُ اِنِّي اِذَا ذَكَرْتُ اَمْراً مِمَّا انْعَمَ اللّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ يُعِينُنَي عَلَى عِبَادَتِهِ يَذْهَبُ عَنِّي؛ حَتَّى رَاَيْتُ لَيْلَةً فِي النَّوْمِ انِّي اتْلُوا اَيَاتٍ مِنَ الْقُرْءانِ الْعَزِيزِ اِحْدَئهنَّ؛ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾؛ وَالثَّانِيَةُ: ﴿ سَنُرِيهِمْ (١٠٦أ) ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ؛ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾. والثالثة: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾.

وَفَهِمْتُ مِنَ اَلايَتَيْنِ الاباحَتِ لِكَتْبِ اِلْبَابِ، بَلْ اَلامْرُ بِذَلِكَ، فَالآيَـةُ اَلاخِرَةُ مَا فَهِمْتُ مَعْنَاهَا؛ وَتَكَلِّمْتُ مَعَ اَلْعَلاَمَةِ اَلشَّيْخِ عَلِي اِلاَجْهُورِي بِذَلِكَ؛ وَقَالَ لِي: حَتِّى اَلايَتَ اَلاخْرَةَ هِيَ مِثْلُ اَلِّتِي قَبْلَهَا بِالاَمْرِ: اَنْ لاَ تَتَوَقَفُ، وَاُذْكُرْ، وَاَكْتُبُ؛ فَفِي ذَلِكَ خَيْرٌ اِنْ شَاءَ اَللهُ.

وَبَعْدَ اَنْ كَتَبْتُ وَذَكَرْتُ اَلْمَسْئَلَةَ اَلِّتِي تَعِينَنِي عَلَى عِبَادَةِ اِللهِ؛ فَبَقَى اَلامْرُ اَحْسَنُ مِمَّا كَانَ قَبْلَ ذَلِكَ – لِلهِ اِلْمِنَةِ وَالشُّكْرُ عَلَى نِعَمِهِ وَعَلَى فَضْلِهِ وَاِحْسَانِهِ –؛ وَبَعْدَ اَنْ تَكَلِّمْتُ مَعَ اَلشَّيْخِ اَوْ بِقُرْبِ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ اَوْ فِي اَلِّيْلَةِ بِنَفْسِهَا ذَكَرْتُ اَلامْرَ اَلِّذِي مَا ذَكَرْتُهُ قَطّ اِلاَّ لِوَاحِدٍ مَرَةً؛ بَعْدَ اَنْ ذَكَرَ لِي بَعْضَ اَلاسْرَارِ اِلرَّبَّانِيَةِ. فَفِي اِلِّيْلَةِ اَلِّتِي ذَكَرْتُهَا هُنَا بِمِصْرَ رَاَيْتُ اَلْمَسْئَلَةَ فِي اِلْيَقَظَةِ عَلَى عَادَتِهَا. ثُمّ ذَكَرْتُهَا لاخٍ مِنَ اَلْمُحِبِّينَ فِي اِللهِ وَلَمْ تَذْهَبُ (١٠٧أ) عَنِّي.

وَهَلْ يَخْفَى عَلَى اَحَدٍ اَنّ قِرَأَتِي فِي اَقَلّ مِنْ يَوْمٍ وَاحِدٍ كَانَ ذَلِكَ هِيبَةً وَتَوْفِيقاً مِنَ اَللهِ سُبْحَانَهُ وَذَلِكَ بِبَرَكَةِ اِلاَنْدَلُسْ، كَمَا ذَكَرْنَا فِي اِلرِحْلَةِ: اِنّ اَللهَ تَعَالَى كَانَ يُسَهِّلُ عَلَى أَهْلَ اَلْعِلْمِ عَلَى قَدْرِ حَالِهِمْ اِذْ لَيْسَ لاحَدٍ تَيْسِيرٌ فِي اِلْحَالِ لِيَقْرَا فِي اِلاَلْوَاحِ [وما] فِي اَلْوَرَق بِجَمْعِ فِكْرٍ؛ فَاِذَا قَرَا يَخْفَى اَلْوَرَق [....][١] مَنْ مِنْهُ. وَلَمَّا اَنْ جِئتُ لاَبِي قُلْتُ [....] قَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ ؟ قُلْتُ لَهُ: هَذَا [....] فَكُنْتُ اَقْرَا اِلاَسْمَا اَلْمَذْكُورَةَ [....] لَهُ اَلْقَصِيدَةُ، قَالَ لِي: سِرْ عَنِّي [....] وَتَقُولُ اَنهَا فِي اَلْوَرَقِ؟ وَكُنْتُ [....] مِراراً، اِنّ ذَلِكَ حَقّ؛ وَلَمْ يَذْهَبْ عَنْهُ اَلشَّكُ حَتِّى جَاءَ اِلَى دَارِنَا اِبْنُ عَمِّهِ – رَحِمَهُ اَللهُ – وَقَالَ لَهُ: قَدْ فَتَحَ اَللهُ عَلَيْهِ.

---

[١] مطموس في الاصل.

وَقَدْ كَتَبْتُ اَلسَّبْعَ هَيَاكِلُ فِي وَرَقَـةٍ وَجَعَلْتُهَا عَلَـيَّ حِـرْزَاً، رَجَـاءَ بَرَكَاتِهَا؛ وَنِمْتُ لَيْلَةً؛ وَعِنْدَ اَلصُّبْح فَتَشْتُ اَلْوَرقَة فَلَمْ نَجِدْهَا، وَظَنَنْـتُ اَنِّهَـا وَقَعْـتْ مِنِّـي فَتَغَيَّرْتُ (١٠٧ب) عَلَيْهَـا مِنْ وُجُـوهٍ لِئَـلاَّ يَجِدَهَـا نَصْرَانِي وِيَنْضَرُّ اَلْمُسْلِمُونَ؛ وَاَيْضاً اِذَا اَصَابَهَا مُسْلِمٌ فَرُبَّمَـا يَعْـرِفُ خَطِّي، وَيَكْثُرْ اَلْكَـلاَمُ عَلَـيَّ عِنْـدَ اَلاَنْدَلُـسْ. وَلَمَّـا اَنْ صَلَّيْتُ اَلصُّبْحَ اَخَذْتُ فِي اِلدُّعَاءِ اِلَى اَللَّهِ – سُبْحَانَهُ وَتَعَـالَى – مُتَضَرِّعَـاً بِنَبِيِّـه اِنْ يَرُدَّ عَلَيَّ اَلْحِرْزَ؛ وَكُنْـتُ اَقْـرَا دُعَـاءً كَـانَ [الوالـدان رحمهمـا] اَللَّـهُ يَحْفِظَانِهِ، فَلَمْ نُتِمَـهُ بِـالْقِرَأَةِ، وَالْوَرَقَـةُ [....] كَـانَتْ نَزَلَـتْ فِـي كَفِـي فَفَرَحْـتُ [فرحـا عظيمـا] وَشَـكَرْتُ اَللَّـهَ تَعَـالَى عَلَـى ذَلَـكَ، وَاَزْدَادَ [....] اَنَّ اُخْتِـي رَحِمَهَـا اَللَّـهُ – [....] فَرَفَعَـتْ حَوَايِـجَ اَلْفِـرَاشِ وَوَجَدَتْ اَلْوَرَقَةَ، فَرَمَتْ بِهَا عَلَى بُعْدٍ؛ فَجَاءَتْ فِي اِلْهَوَاءِ وَنَزَلَتْ فِي كَفِّي وَهِيَ مَبْسُوطَةٌ، وَمَرْفُوعَةٌ اِلَى اَللَّهِ تَعَالَى.

وَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ – صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: "اِنَّ اَللَّهَ يُنْزِلُ اَلْبَلاَءَ وَيَسْتَخْرِجُ بِهِ اِلدُّعَاءَ".

وَهَذَا هُوَ اَلدُّعَاءُ اَلْمُبَارَكُ اَلَّذِي كُنْتُ اَقْرَأَهُ:

بِسْمِ اِللَّهِ اِلرَّحْمَنِ اِلرَّحِيمِ

اَللَّهُمَّ اِنِي اَسْأَلُكَ يَا اَوَلُ يَا قَدِيمُ، يَا فَرْدُ، يَا وِتْرُ، يَـا اَحَدُ (١٠٨أ) يَـا صَمَدُ، يَا اَللَّهُ، يَارَحْمَنُ، يَا رَحِيمُ، يَا حَيُّ، يَا قَيُّومُ، يَـا عَزِيـزُ، يَـا ذَا اَلْجَـلاَلِ وَالاِكْـرَامِ، يَـا نُـورَ اَلسَّمَوَاتِ وَاَلاَرْضِ وَمَـا بَيْنَهُمَـا، وَرَبُّ اَلْعَرْشِ اِلْعَظِيمِ، يَا مَنْ لَمْ يَلِدْ وَلَـمْ يُولَـدْ وَلَـمْ يَكُـنْ لَـهُ كُفُـوَاً اَحَـدْ، يَـا كَافِي، يَا هَادِي، يَا بَارِي، يَا عَالِمُ، يَـا صَـادَقُ [....] يَاحَمِعِسِق، يَـا رَبَّ اَلاَرْبَابِ [يا مجري السحاب] يَا مَالِكَ اَلْمُلُوكِ يَا وَلِـيَّ اِلْعَـالَمِينَ

[....] اَللِّهُمّ يَا اَللّهُ، اَنْتَ [....] اِلاَرْضْ وَلاَ اِلَهَ فِيهِمَا غَيْرُكَ [....] فِي اَلْسَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي اِلاَرْضِ [....] وَمَا بيْنَهُمَا غَيْرُكَ؛ قُدْرَتُكَ فِـي اِلاَرْضِ كَقُدْرَتِكَ فِـي اَلسِّمَاءِ. سُلْطَانُكَ فِي اِلاَرْضِ كَسُلْطَانِكَ فِي اِلسِّمَاءِ. اَسْأَلُكَ اَللّهُمّ بِأَسْمِكَ اَلْكَبِيرِ، وَوَجْهِـكَ اَلْمُنِيرِ، اَنْ تَجْعَلْ لِـي مِنْ اَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً اِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"؛ اَنْتَهَى.

وَمِمَّا مَنَّى[١] اَللّهُ عَلَيَّ بِهِ اَنْ شَفَا لِي مَرْضَـى بِالنَّشَرْ فَقَطْ وَالرُّقَـا بِاَيَاتٍ مِنْ اَلْقُرْءَانِ اَلْعَزِيزِ. وَلْنَذْكُرُ (١٠٨ب) هُنَا بَعْضُ مَا تَذَكَّرْتُ اِلَيْهَا. وَمِنْ ذَلِـكَ اِنَّ مَمْلُوكَـةً سُودَانِيَةً اَسْمُهَا مُبَارَكَـةً كَـانَتْ بِدَارِنَـا بِمَرَّاكُشْ وَخَرَجَ فِي جَسَدِهَا اَلبَرَصْ اَلْكَثِيرِ، وَهُوَ فِـي زِيَـادَةٍ [....] كَمَا هِيَ اَلعَادَةَ فِي تِلْكَ اَلْعِلَّةَ وَذَكَرَتْهَـا [لطبيب فقـال: ان] دَاءوهَـا صَعْبٌ وَتَحْتَاجُ اَدْوِيَةٍ كَثِيرَةٍ [....] اَلْصَيْفُ يُلِيقُ اَلْعِـلاَجُ. فَتَوَقَّفْتُ [....] فِي كِتَابِ اَلدُّرِّ اِلنَّظِيمِ فِي [....] اِلْوَادِيَاشِي، قَالَ [....] اِنْ لَـمْ يَدْهَنُ بِمَاءِ وَرْدٍ وَزَعْفَرَانِ [....] اِلْبَرَصْ اِنَّهُ يَـزُولُ عَنْـهُ اَوْ يُوقَـفْ [....] هَذَا دِوَاءٌ اَسْهَلُ وَاَقْرَبُ مِمَّا ذَكَرَا [....] فَكَتَبْتُ اَلسُّـورَةَ كُلَّهَـا فِي اِنَاءٍ لَمْ يَدْخُلْهَا طَعَامٌ. وَمَحَوْتُ اَلْحُرُوفَ بِمَاءٍ نَقِي وَاَعْطَيْتُ اَلْمَاءَ لِلْمَبْرُوصَـةِ وَشَـرِبَتْهُ؛ وَلاَكِـنْ اَخَـذْتُ مِـنَ اَلْمَـاءِ شَـيْئاً وَنَشَـرْتُ اَوْ وَضَعْتُ مِنْهُ عَلَى مَوَاضِعِ اِلْبَرَصِ؛ وَمِنْ ذَلِكَ اَلْيَوْمِ بَـدَأَتْ كُلُّ لَمْعَـةٍ تَصْغُـرُ عَلَـى قَدْرِهَا. وَبَعْدَ سِـتَتِ اَشْـهُر اَوْ اَكْـثَرِ (١٠٩أ) صَـارَتْ مَوَاضِعَ اَلْبَرَصْ حُمْرًا بَعْدَ اَنْ كَانَتْ بِيضَـاً؛ ثُـمَّ اَسْوَدَّتْ مِثْلَ سَـائِرِ اِلْجَسَدِ؛ وَشَفَاهَا اَللّهُ.

---

[١] يريد: مَنَّ.

وبَعْدَ عَامَيْنِ اَوْ اَكْثَرِ خَرَجَ فِيهَا اِلْبَرَصُ مَرّةً ثَانِيَةً حَتّى اَنّ بَعْضَ اَللُمَعِ كَانَتْ قَدْرَ اَلدِينَارِ؛ فَكَتَبْتُ لَهَا مَرّةً ثَانِيَةً اَلسُّورَةَ اَلْمُبَارَكَةَ وَشَرِبَتْ مَاءَهَا، وبَدَاهَا اَلشّفَا مِنْ ذَلِكَ اِلَى ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ؛ وَلَمْ يَعُدْ اِلَيْهَا اِلَى اَنْ جَازَتْ نَحْوَ اَلْعَشْرِ سِنِينَ وَمَاتَتْ. وَهَذَا مِنْ اَلْعَجَبِ اِذْ لَيْسَ فِي هَذَا اَلْعِلاَجِ شَيْءٌ مِنَ اَلْعَقَاقِيرِ وَلاَ مِنَ اَلاَدْوِيَةِ اَلّتِي تُعَالَج بِهَا اَلاَمْرَاضِ؛ اِنّمَا ذَلِكَ شَيْءٌ مِنْ زَعْفَرَان مَحْلُولاً فِي قَلِيلِ مَاءِ وَرْدٍ لِتَظْهَرْ اَلْحُرُوفِ فَقَطْ.

وَقَدْ جَاءَنِي بِبِلاَدِ اِلاَنْدَلُسْ رجُلٌ مَرِيضٌ بِالاِسْتِسْقَا، وَهُوَ مَنْفُوخٌ مَتْرُوكٌ مِنَ اَلاَطِبَا، وَكَتَبْتُ لَهُ نَشْرَةً بِآيَاتِ اِلْقُرءَان، وَمَحَوْتُهَا وَاَعْطَيْتَهُ اَلْمَاء وَشَربَهُ فِي نَحْوَ اَلسّبْعَةِ اَيَامٍ وبَرأ. وَجَاءَنِي وقَالَ: مَا كُنْتُ نَظُنُّ اَنّنِي نَبْرَا مِمّا اَصَابَنِي؛ وَاَلاَنَ شَفَانِي اَللّهُ تَعَالَى بِالْمَاءِ اَلّذِي اَعْطَيْتَنِي، وَلَيْسَ لِي بِمَا نَكْفِيكَ إِلاّ اَنْ تُحِبُّ اَنْ اخْدَمَكَ فَأَكُونُ كَأَنِي مَمْلُوكٌ لَكَ. وَنُحِبُّ مِنْكَ اَنْ تَخْبِرْنِي (١٠٩ب) بِمَا دَاوَيْتَنِي؟ قُلْتُ: لاَ اَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئاً، وَلاَ أَقُولُ لَكَ بِمَا دَاوِيْتُكَ؛ وَذَهَبَ سَالِماً فَارِحاً.

وَجَاءَنِي رَجُلٌ، وَاشْتَكَى اَنّهُ مَهْمَى يَمُدُّ يَدَهُ لِلْوُضُوءِ وَابْتَدَا بِهِ تَبْطُلُ يَدَهُ اَلْيُمْنَى؛ وَكُنْتُ فِي مَوْضِعٍ مَا أَمْكَنَنِي اَنْ اَكْتُبَ لَهُ شَيْئاً؛ وَقَبَضْتُ يَدَهُ مِنْ مَرْفِقِهِ وَقَرَأْتُ مَا شَاءَ اَللّهُ مِنْ آيَاتِ اَلْقُرْءَان اِلْعَزِيزِ؛ وَبَدَا يَبْرَأ مِنْ حِينِهِ اِلَى يَوْمٍ اَخَرٍ؛ قَرَأْتُ اَيْضاً وَلاَ كَانَ يَحْتَاجُ ذَلِكَ، وَشَفَاهُ اَللّهُ.

وَمِمَّا اتَّفَقَ لِي بِبِلَادِ الْفَرَنْجِ بَعْدَ اَنْ جَازَتْ عَلَيْنَا السَّنَتَيْنِ وَنَحْنُ فِيهَا؛ اِنِّي كُنْتُ اَسْمَعُ حِسًّا فِي الْبَيْتِ الَّذِي أَكُونُ فِيهِ وَحْدِي فِي الْيَقَظَةِ، يَضْرِبُ فِي الْحَائِطِ شَيْئاً اَوْ قَرِيباً مِنِّي فِي لَوْحٍ اَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَبَيْنَ الضَّرْبَةِ وَالاُخْرَى قَدْر مَا يَعُدُّ الاِنْسَانُ ثَلاَثَةً مِنْ وَاحِدٍ اِلَى اَرْبَعَتٍ؛ وَدَخَلَ فِي قَلْبِي الْخَوْفُ وَالرُّعْبُ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى خِفْتُ مِنَ الْجِنِّ اَنْ يَصْرِعَنِي؛ وَاشْتَغَلْتُ نَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى بِلاَ فَتْرَة؛ لَعَلِّي نَتَقَوَّى بِذَلِكَ وَنَنْجُوا مِنْ الْجِنِّ؛ وَكَانَ ذَلِكَ كُلَّ يَوْمٍ وَيَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ وَفِي غَيْرِهِ، وَاِذَا اَكُونُ وَحْدِي وَنَغْضَبُ عَلَيْهِ، وَنَضْرِبُ (١١٠أ) اِلَى جِهَتِهِ، يَزِيدُ هُوَ فِي الضَّرْبِ. وَرَأَيْتُ اَنْ الصَّبْرَ اَوْلاَ بِي؛ وَلاَ كُنْتُ اَدْرِي مَاذَا كَانَ مُرَادَهُ، ثُمَّ فَهِمْتُ اَنَّهُ كَانَ يُرِيدُ اَنْ اَخْرُجَ مِنْ بِلَادِ الْكُفَّارِ.

وَبَعْدَ اَنْ وَلَّيْتُ اِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ كَانَ اَيْضاً يَعْمَلُ لِي حِسّاً يُلْهِمَنِي اِلَى الصَّلاَةِ اِذَا نَتَعَطَّلُ عَنْهَا، وَاَيْضاً بَعْضَ اللِّيَال عِنْدَ السَحَر يَضْرِبُ فِي الْبَيْتِ اِلَى أَنْ اَقُومَ، اَوْ نَقْرَا فِي الْفِرَاشِ وَكُنْتُ مُتَحَيِّراً فِي اَمْرِهِ، قُلْتُ: هَذَا جِنٌّ مُومِنٌ، وَلاَ اسْتَعْمَلْتُ قَطٌّ عَزَايِمَ لِنتخِذَ خَدِيماً مِنَ الْجِنِّ؛ ثُمَّ بَانَ مِنْهُ اِذَا اَكُونُ وَحْدِي نَقْرَا الْقُرْءَان الْعَزِيز وَتَاتِينِي سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ حَتَّى يَلْتَوِي لِسَانِي بِالْقِرَاءَةِ فَيَضْرِبُ لِي فِي الْبَيْتِ لِنفِيقَ وَنَقْرَا. ثُمِّ اِذَا جَانِي النَّوْمُ يَضْرِبَ اَيْضاً حَتَّى نَخْتِمُ الْقِرَاة.

وَبَعْضَ اللِّيَالِي بِالسَّحَرِ لاَ يَهْدَي عَنِ الْضَرْبِ اِلَى اَنْ اَقُومَ؛ وَتَارَةً اِذَا كَانَ اَحَدٌ مَعِي فِي الْفِرَاشِ يَطْلِقُ عَلَيَّ شَيْئاً قَلِيلاً مِنْ التُّرَاب اَوْ حِجَارَةً صِغَاراً قَدْرَ الْحِمْصِ؛ وَيَضْرِبُ بِهِ قَرِيباً مِنْ وَجْهِي؛ وَنَأْخُذُ

اَلْحَجَرَةِ بَعْضَ اِلْمَرَّاتِ بِيدِي؛ وَنَعرِفُ انَّهُ لَيْسَ مُرَادُهُ اِلاَّ اَنْ اَقُومَ نَقْرَا فَقَطْ. وَاِذَا كَانَ فِي اِلْبَيْتِ (١١٠ب) اَلَّذِي نَبِيتُ فِيهِ نَجَاسَةٌ خَاثِرَةٌ؛ فَيَضْرِبُ وَيَعُودُ لِلْضَرْبِ حَتَّى نَخرجُهَا، وَتَارَةً نَسْتَعْمِلُ مِنْ نَفْسِي اِنَّ النُّعَاسَ جَاءَنِي وَنَظْهِرُ ذَلَكَ بَالْقِرَاةِ وَهُوَ لَيْسَ بِالْقُرْبِ مِنِّي لَعِلَّهُ يَضْرِبُ فَلاَ يَضْرِبُ اَبَدَاً اِلاَّ عِنْدَ اِبْتِدَاءِ اَلْنَوْمِ حَقِيقَةً.

ثُمَّ تَحقَّقْتُ مِنْهُ انَّهَ يحفَظُ اِلْقُرْءانِ، فَكَمْ مَرَّةٍ اَكُونُ أَقْرَا وَيضْرِبُ؛ وَنَنْظُرُ مَاذَا اَقْرَا؟ وَنرَى اَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي غلَطٌ فِي اِلْقِرَاَةِ.

وَكُنْتُ يَوْمَاً بِمَدِينَةِ مَرَّاكُشْ جَالِسَاً اُتَرْجِمُ رِسَالَةً بِاللَّطِينِ تَتَكَلَّمُ عَلَى اَلْكُورَةِ اِلاَرْضِيَةِ وَالْفَلَكِيَةِ، وَالْكُرَتَانِ كَبِيرَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ فِي كُرْسِي مَرْسُومٌ فِي اَلسَّمَاوِيَّةِ اِلْنُجُومُ الثَّوَابِتْ وَالْبُرُوج فِي اَلْفَلَكِ وَالصُّوَرِ اِلْمَعْرُوفَةِ عِنْدَ اِلْمُنَجِّمِينَ بِاَسْمَائِهَا، وَكَذَلِكَ فِي اِلاَرْضِيَةِ، كُلُّ مَدِينَةٍ مَعْرُوفَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالاَقْطَارِ وَاَلْبُلْدَانِ وَالاَقَالِيمِ، وَكُلُّ بَلَدٍ بِإِسْمِهِ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ، وَالاَبْحُرِ وَاَلاَنْهَارِ، كَانَ قَدْ اَمَرَنِي اِلسُّلْطَانِ مَوْلاَيْ زَيْدَان - رَحِمَهُ اَللَّهُ - بِتَرْجَمَةِ ذَلِكَ اَلرِّسَالَةِ، قُلْتُ لَهُ: هِيَ بِلُغَتِ اَللَّطِينِ، وَلاَ نَعْرِفُهَا، قَالَ: مَنْ يَعْرِفُ اَللَّطِينِ؟ قُلْتُ: اَسِيرٌ رَاهِبٌ مِنْ اَسَارَى اَلْمَقَامِ (١١١أ) اِلْعَلِي؛ قَالَ: يَقْعُدُ مَعَكَ.

وَكُنَّا فِي دَارِ اَلْسُلْطَانِ نُتَرْجِمُ ذَلِكَ وَاَلرَّاهِبُ مَعِي وَجَاءَ وَقْتُ اَلظُهْرِ؛ وَتَعَطَّلْتُ لِنُتِمَّ بِالْكِتَابَةِ مَا بَقِيَ مِنْ وَجْهِ وَرَقَةٍ. وَسَمِعْتُ الضَرْبَ فِي وَرَا لُوحٍ مِنْ خَشَبٍ؛ قَالَ اَلرَّاهِبُ: مَا هَذَا اَلضَرْبُ؟ قُلْتُ: لاَ اَدْرِي. وَقَامَ مِنْ مَوْضِعِهِ وَمَشَى اِلَى ظَهْرِ اِللَّوْحِ اِلَّذِي كَانَ الضَّرْبُ فِيهِ؛ وَلاَ رَأَى شَيْئَاً وَبَقِيَ مُتَعَجِّبَاً. وَعَلِمْتُ اَنَّ الضَّرْبَ كَانَ يَقُولُ لِي اَنْ اَتْرُكَ كُلَّ شَيْءٍ وَاُصَلِّي اَلظُهْرَ.

وكَانَ اِبْتِدَاءُ هَذَا الامْرِ قَبْلَ هَذَا اَلْتَارِيخِ بِنَحْوِ اَلْخَمْسَ وَعِشْرِينَ سَنَةً؛ وَنَعْرِفُ اَنَّهُ مَعِي اَيْنَ ما أَكُونُ وَلاَ نَرَاهُ وَلاَ يُجَاوِبَنِي بِأَمْرَةٍ؛ وَقَدْ طَلَبْتُهَا مِنْهُ وَلاَ ظَهَرَ لِي مِنْهُ اِنْتِقَال اِلاَّ يَرْعَى مَا نَقُول اَوْ مَا نَعْمَلُ، حَتَّى اِظُنُّ اَنَّهُ اَلْمَلَكُ اَلَّذِي عَلَى اَلْيُمْنَى؛ وَاَنْ كَانَ هَذَا اَلظَنُّ غَرِيبٌ وَبَعِيدٌ، وَاَنَا مُتَعَجِبٌ مِنْهُ بَعْدَ اَنْ عَرَفْتُ، وَتَحَقَّقْتُ مِنْهُ اَنَّهُ يَحْفَظُ اَلْقُرْءَانَ؛ وَتَارَةً اَقْرَأُ سُورَتَينِ اَوْ مَا شَاءَ اَللَّهُ؛ وَنَتْرُكُ اَلْقِرَاءَةَ وَيَضْرِبُ لِي انْ اَزِيدَ. وَأَظُن اَنَّ بَعْضَ اَللَّيَالِي حِينَ يَضْرِبُ لِي اَنْ اَقُومَ اَنَّ تِلْكَ سَاعَةُ اَلاِجَابَةِ (١١١ب) لِلْدُّعَاءِ.

وَكُنْتُ لَيْلَةً أُرِيدُ اَنْ اَخْتِمَ اَلْقِرَاءَةَ اِلَى سُورَةِ "النَاس"؛ وَكُنْتُ اَقْرَا حِزْبَ صَبَّح[1] وَتَسَلَّطَ عَلَيَّ النَّوْمُ – وَكَانَ ذَلِكَ فِي الزَّمَنِ اَلَّذِي كُنْتُ مَشْغُولاً بِتَأْلِيفِ هَذَا اَلْكِتَابِ – وَاِذَا قَرَأْتُ سُورَةً اَوْ سُوْرَتَينِ اَوْ اَكْثَر يَبْدَؤُنِي اِلنُّعَاس قَلِيلاً مِنْ غَيْرِ تَرْكِ اِلْقِرَاءَةِ فَيَضْرِبُ حَتَّى نَتَقَوَّى؛ وَلاَ خَتَمْتُ اَلْحِزْبَ حَتَّى ضَرَبَ نَحْوَ اَلسِّتَ مَرَّاتٍ. وَلَمَّا خَتَمْتُ وَقَفَ عَنِ الضَّرْبِ؛ وَالشُّكْرُ لِلَّهِ اَلَّذِي رَزَقَنِي مَنْ يُعِينُنِي عَلَى عِبَادَتِهِ. وَكُنْتُ أَوَّلَ اَلْحَالِ نَكْرَهُهُ اَشَدَّ اَلْكَرَاهَةِ؛ وَقَالَ اَللَّهُ اَلْعَظِيمُ: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾.

وَاَزِيدُ فِي هَذِهِ النُّسْخَةِ مَا لا هُوَ فِي النسخ التِي كَتَبْتُ قَبْلَهَا. وَذَلِكَ اَنَّ فِي عَامِ خَمْسِينَ والف كُنْتُ بِمَدِينَةِ تُونُسْ اَلْمَحْرُوسَةِ بِاللَّهِ سَاكِنًا فِي بَيْتٍ وَحْدِي؛ وَاِذَا خَرَجْتُ نَسُدُّ بِالْمُفْتَاحِ، وَوَجَدْتُ يَوْمًا شُمَيْسِيَةً مِنْ ذَهب – اعْنِي: مِمَّا يَنْتَضِمُ فِي شِرْكَةٍ اَوْ قِلاَدَةٍ، مِمَّا تَجْعَلُ اَلنِّسَاء فِي اَلْعُنُقِ، وعلمتُ اَنَّ شَيْئاً رَبَّانِياً أَتَانِي بِهَا؛ فَمَشَيْتُ

[1] يريد: حزب سَبِّح.

اِلَى صَايِغٍ وَقَالَ: هِيَ (١١٢أ) مِنْ ذَهَب، فَرَفعتُهَا وانا أقُول: لاَ اَدْرِي مَا اَلْمُرَادُ بِهَذَا؟ ثُمَّ بَعْدَ اَشْهُرٍ جَاءَ ابْنِي بِزَوْجَتِهِ مِنْ تَسَتُرْت - بِلاَدُ - وَنَزَلَ عِنْدِي. ثُمَّ اَنَّ زَوْجَتْ ابْنِي اَرَادَتْ تَمْشِي لِمَوْضَعٍ آخَر وَاَوْدَعَتْ عِنْدِي شِرْكَةٍ اَزَالَتْهَا مِنْ عُنُقِهَا بِتِسْعِ شُمَيْسِيَاتْ مِثْلَ اَلَّتِي كَانَتْ عِنْدِي مِنْ ذَهَب. وَلَمَّا اَنْ جَاءَتْ اَعْطَيْتُهَا الشِرْكَة، وَقُلْتُ لَهَا: كَمْ فِيهَا مِنْ شُمَيْسِيَاتْ؟ قَالَتْ: تِسْعَةً؛ وَكَانَتْ عَشْرَةً، وَقَبْلَ هَذِهِ الاَيَّام بِأَشْهُرٍ تُلفَتِ لِي وَاحِدَةٌ فِي تَسَتَرْتْ، فَأَخْرَجْتُ اَلَّتِي كَانَتْ عِنْدِي وَاَعْطَيْتُهَا لَهَا، وَقُلْتُ: اَلْمُعَلِّمُونَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ اَلَّتِي عِنْدَك. وَظَنَّتْ اَنَّنَا اَمَرْتُ بِعَمَلِهَا. فَتَعَجَبْتُ مِنْ هَذَا اَلاَمْر، كَيْفَ عَلِمَ حِينَ اَتَانِي بِالشُمَيْسِيَتِ اَنَّ زَوْجَة ابْنِي سَتَاتِي وَتَطْرَحُ عِنْدِي اَلْقِلاَدَةَ اَلَّتِي خَصَّتْ مِنْهَا اَلَّتِي تَلِفَتْ؟ وَاَلْمَعْلُومُ اَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ اَلْشَيْءَ قَبْلَ وُقُوعِهِ اِلاَّ اَللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، اَوْ مَنْ يُوحَي اِلَيْهِ ذَلِكَ.

وَمِمَّا اَنْعَم اَللَّهُ تعالى عَلَيَّ بِهِ فِي اَلْعَام اَلْمَاضِي؛ وَكَانَ عَامْ سَتٌ وَارْبعون وألف، فِي نَحْوَ اَلْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّال، يَوْمُ اَلسَّبْتِ، وَاَنَا فِي مِصْرَ؛ (١١٢ب) وَكَانَ لِي كِتَابٌ كَتَبْتُهُ بِيَدِي يَتَعَلَّقُ بِجُمْلَةِ اَلاَسْمَاء اَلْحُسْنَى لِسَيِّدِي اَحْمَد زَرُّوق بَنْ عُتْبَة اَلْحَضْرَمِي - نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ - وغَيْرِ ذَلِكَ فَجَعَلْتُهُ عَلَى نَفْسِي بَيْنَ قَفْطَنَين اِلَى جَانِبِ اَلْقَلْبِ وَمَشَيْتُ اِلَى دُكَّانِ مُحَمَّدِ اِبْنُ اَبِي اَلْعَاصِي اَلاَنْدَلُسِي؛ كُنْتُ فِيهِ اَمِينَاً عَلَى قَبْضِ مَا يَبِيعُ اَلتَّاجِرُ اَلَّذِي كَانَ فِيهِ لِلْبَيْعِ؛ وَفِي اَلْطَّرِيقِ حِينَ كُنْتُ مَاشِيَاً اَشْتَرَيْتُ رَغِيفاً وَجَعَلْتَهُ بَيْنَ اَلْكِتَابِ وَاَلْجَسَدِ؛ وَلَمَّا وَصَلْتُ اِلَى اَلدُّكَان اَرَدْتُ نَقْبِضُ اَلْكِتَابَ وَاَلْرَغِيفَ وَلاَ وَجَدْتُ كِتَابَاً وَلاَ رَغِيفَاً. وَجَلَسْتُ فِي حُزْنٍ وَتَغْيِير مَا لاَ رَأَيْتُ ذَلِكَ مِنْذُ زَمَنٍ. وَتَذَكَّرْتُ اِلَى

كُتُبٍ سُرِقَتْ لِي بِمَرَّاكُشْ مِمَّا كَتَبْتُ بِيَدِي فِي اَلتَّوْحِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، بِقُرْبِ اَلْعَهْدِ اَلَّذِي جِئْتُ اَوَّلَ مَرَّةٍ مِنْ بِلاَدِ اَلْكُفَّارِ؛ وَاَيْضاً لِلْكُتُبِ اَلَّتِي كَتَبْتُ بِيَدِي وَمَشَتْ لِي مَعْ اَلْجَمَلِ سَنَةُ قَبْلَ ذَلِكَ فِي طَرِيقِ اَلْحَجِّ. وَتَذَكَّرْتُ لَمَّا قَرَأْتُ فِي كِتَابِ اَلْيَافِعِي؛ وَهُوَ اَلشَّيْخُ الاِمَامُ اَلْعَارِفُ بِاللَّهِ عَبْدُ اَللَّهِ اَلْيَافِعِي- نَفَعَ اَللَّهُ بِهِ - قَالَ: سَمِعْتُ مِنْ بَعْضِ اَلْعَارِفِينَ وَهُوَ يَقُولُ: (١١٣أ) "ان لِكُلِّ وَضَعْ فِيهِ حَيٌّ وَهَّابٌ، وَلِيٌّ، جَوَادٌ، اَبْدِلْ وَاحِداً بِجَوَادٍ؛ لاَنَّ كُلُّ وَاحِدٍ يَنْقُطُ اَرْبَعَةَ عَشَرَ"، اَنْتَهَى مَا كَتَبْنَا مِنْ كِتَابِ اَلْيَافِعِي.

وَلَمَّا اَنْ قَرَاْتُ مَا ذَكَرَ عَجَبَنِي كَثِيرٌ، وَاَخْتَرْتُ ذَلِكَ اَلْعَمَلِ، وَنَظَرْتُ فِي اَسْمَاءِ اَللَّهِ تَعَالَى مَا تَنْقُطُ ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ، وَهُوَ عَدَدُ اِسْمِ اَحْمَدُ، وَوَجَدْتُ ذَلِكَ فِي ثَلاَثَةِ اَسْمَا وهي وَاحِدٌ، هَادِي، وَهَّابُ. وَيَكُونُ بَدَلاً عَنْ "وَهَّابُ"، "جَوَّادُ"، وَبَدَلاً عَنْهُ اَيْضاً "وَاجِدُ"، وَلَكِنْ وَرَدَ فِي "وَهَّابُ": اِنَّهُ اَلاِسْمُ اَلاَعْظَمُ لِقَوْلِ سَيِّدِنَا سُلَيْمَان - عَلَيْهِ اَلسَّلاَمُ -: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي﴾.

وَاَمَّا اَلسَّاعَةُ اَلَّتِي اَصَابَنِي فِيهَا اَلتَّغْيِيرُ عَلَى اَلْكِتَابِ اَلَّذِي ذَكَرْتُ اَنَّهُ وَقَعَ مِنِّي فِي اَلطَّرِيقِ؛ فَاَلْهَمَنِي اَللَّهُ تَعَالَى اَنْ نَقْرَا تِلْكَ الاَسْمَاءِ، وَكُنْتُ عَزَمْتُ عَلَى اَنْ نَجْعَلَهُمْ فِي وَفْقِ حَسْبَمَا ذَكَرَ مِنْ اَلْعَمَلِ لاِسْمِ مُحَمَّدٍ، فَلَمْ يَتَيَسَّرْ فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ؛ وَنَوَيْتُ فِي نَفْسِي اَنْ نَقْرَا اَلاَسْمَا وَنَطْلُبُ مِنَ اَللَّهِ تَعَالَى اَنْ يَعْطِينَنِي عَوْضَ (١١٣ب) اَلْكِتَابِ اَلَّذِي ذَهَبَ لِي وَاَلْهَمِّ اَلَّذِي اَصَابَنِي بِسَبَبِهِ مَا يَشَاءُ مِنَ اَلْخَيْرِ، وَلاَ عَايَنْتُ شَيْئاً. فَقَرَاتُ "اَلْفَاتِحَتَ" ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ مَرَّةً وَ"اَلْبَسْمَلَةَ" مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ "وَاَلَمْ نَشْرَحْ" ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ وَاَلاَسْمَا ثَلاَثاً وَخَمْسِينَ مَرَّةً. وَجَلَسْتُ

اَلْيَوْمُ فِي اِلدُّكَّانِ اِلَى بَعْدَ الْعَصْرِ؛ وَجِئْتُ اِلَى اَلدَّار، ووَجَدْتُ اَلْكِتَابَ فِي اِلْمَوْضِعِ اَلَّذِي كُنْتُ اَجْلِسُ فيهِ، فَفَرِحْتُ بِذَلِكَ فَرْحَاً عَظِيمَاً مِنْ وُجُوهٍ.

وَلاَ يَتَوَهَّمُ قَارِي هَذَا اَلْكِتَابِ اِنِّي تَرَكْتُهُ فِي اِلدَّارِ لاَنِّي عَلَى يَقِينٍ بِأَنِّي مَشَيْتُ بِهِ وَجَعَلْتُ اَلْقُرْصَةَ تَحْتَهُ. وَحَصَلَتْ اِلاجَابَة؛ وَلاَ اَدْخَلْتُ الاَسْمَا فِي جَدْوَل؛ لاَنَّ اَلْقَلْبَ اَلْحَزِن اِلْمُضْطَرّ لاَ يَفْتَقِرُ اِلَى جَدْوَلِ. وَلَمْ نَتْرُكْ شَيْئاً مِمَّا ذَكَرَ اِلْيَافِعِي فِي اِلْعَمَلِ بِنِيَّةِ اِلنَّفْعِ لِلاِخْوَان.

وَمِمَّا اَنْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِهِ اَنْ سَخَّرَ لِي مُلُوكَ اَلمِلَّتَيْنِ، وَعُلَمَاءَهُمْ وَصُلَحَاء دِينِنَا.

وَمِنْ نِعَمِ اِللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِاَسْمَائِهِ اَلْحُسْنَى اَنَّ اَمْرَأَةً كَانَتْ بِهَا ثَلاَثُ عِلَلٍ: كَانَ ظَهْرَ يَدِهَا وَاَصَابِعُهَا بِثَالُول كَثِيرَةٍ، فَكَتَبْتُ جَدْوَلاً مُثَمَّنَا حَرْفِياً اَدْخَلْتُ (١١٤أ) فِيهِ اَسْمَيْن مِنْ اَسْمَاءِ اِللَّهِ اِلْحُسْنَى؛ بَارِيءٌ، مُصَوِّرٌ، وَمَزَجْتُهُ بِكَلاَمِ بَيْتٍ مِنْ اَلضَمْيَاطِي[١] وَهُوَ:

"وَيَا بَارِءُ اَلاَنْفَاسِ قَدْ بِنْتُ مُبْرِءاً بِكَ اَلسُّقْمُ عَنِّي يَامُصَوِّرُ زَوَلا"

وَجَعَلْتَهُ عَلَيْهَا. وَفِي نَحْوَ اَلسِّتِّ اَيَّامِ لَمْ يَبْقَ فِي يَدَيْهَا اَثَرٌ لِلثَّالُول، وَشَفَاهَا اَللَّهُ مِنَ اِلْعِلَّةِ اِلاُخْرَى، وَمِنْ اَلثَّالِثَةِ نَقَصَ مِنْ دَائِهَا.

وَهَذَا هُوَ اَلْجَدْوَلُ مَمْزُوجٌ فِيهِ اِلْبَيْتُ – كَمَا ذَكَرَ ابنُ اَلْحَاجِ فِي كِتَابِهِ لِلْمَزْج:

---

[١] يريد: الدمياطي



وَأَيْضاً رَأَيْتُ بُرْهَانا لِلْبَيْتِ الَّذِي يَقُولُ فِيهِ:

"وَيَا مُقْسِطٌ ثَبِّتْ عَلَى الْقِسْطِ نِيَّتِي

وَيَا جَامِعٌ اجْمَعْ لِي رِضَا سَائِرِ الْمَلاَ"

ذَكَرَ فِي الْخَوَاصِّ لِهَذَا (١١٤ب) الْبَيْتِ إِنَّهُ نَافِعٌ لِلْضَالَّةِ؛ فَكَانَ إِذَا تَلِفَ لِي شَيْءٌ نَقْرَاهُ وَيَرُدُّهُ اللَّهُ عَلَيَّ بِبَرَكَةِ أَسْمَائِهِ؛ وَقَدْ تَلِفَ لِي مَجْمُوعُ آلاَتٍ، مِثْلُ مُقَصٍّ وَخِدْمِي وَغَيْرُ ذَلِكَ فَفَتَّشْتُهُ فِي اللَّيْلِ وَلاَ وَجَدْتُهُ، فَقَرَأْتُ الْبَيْتَ مِرَاراً، وَرَأَيْتُ فِي النَّوْمِ إِنَّهُ كَانَ مَطْرُوحاً فِي بُسْتَانٍ كُنْتُ فِيهِ ذَلِكَ الْيَوْمِ. وَمَشَيْتُ مِنْ الصُّبْحِ لِلْمَوْضَعِ بِعَيْنِهِ الَّذِي رَأَيْتَهُ فِيهِ وَوَجَدْتُهُ.

ثُمَّ مَرَّةً أُخْرَى تَلِفَ لِي - أَظُنُّهُ - مُقَصٌّ عَجِيبٌ، وَفَتَّشْتُهُ فِي حَوَايِجِي وَفِي الدَّارِ، وَمَا وَجَدْتُه؛ وَقَرَاتُ الْبَيْتَ مِرَاراً، طَالِباً مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَرُدَّ عَلَيَّ مَا تَلِفَ لِي. وَمَشَيْتُ إِلَى نَاحِيَةِ السُّوقِ

بمَرّاكُشْ، فِي زَنْقَةِ كُدَيَّةِ حَلْوَانْ، وَسَمِعْتُ حِسَّ اَلْمُقَصِ بيْنَ قَدَمَيَّ فِي الاَرْضِ، وَرَفَعْتَهُ مُتَعَجِّبًا؛ لانِي عَلَى يَقِينٍ انَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي؛ وَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِشَيْخِنَا اَلْفَقِيهُ اَلْخَيِّرُ سَيِّدِي اَحْمَدِ بَنْ اَلْحَاجّ اَلتُّوَتِي، اَلَّذِي كَانَ يَقَدَّمُ لِطَلَبِ الْمَطَرِ اِذَا خَصَّ[1]، وَقَالَ لِي: مَنْ سَاقَهُ لَكَ؟ قُلْتُ: لاَ اَدْرِي! قَالَ لِي: اَللَّهُ تَعَالَى سَاقَهُ.

وَمِمَّا اَنْعَمَ اَللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ بِمِصْرَ، فِي اَوَّلِ شَهَرِ ذِي اَلْقِعْدَةِ؛ صَلَّيْتُ يَوْمًا (١١٥أ) اَلظُّهْرَ، وَاَتَيْتُ بِسَجْدَتَي اَلسَّهْوِ لاَجْلِ مَا زِدْتُ فِي اَلصَّلاَةِ، ثُمَّ فِي اَلْيَوْمِ بِنَفْسِهِ فِي صَلاَةِ اَلْعَصْرِ وَقَعَ لِي مِثْلُ ذَلِكَ فِي اَلصَّلاَةِ وَرَقَّعْتُهَا، فَأَخَذَنِي اَلْغَيْظُ عَلَى نَفْسِي، وَقُلْتُ: مَا كَانَ يَقَعُ مِنْكِ غَلَطٌ حِينَ كُنْتَ تَدْخُلِينَ اِلَى حَضْرَةِ السُّلْطَانِ وَهُوَ مَخْلُوقُ مِثْلُكَ! وَحِينَ تَقِفِينَ بِحَضْرَةِ اَلْخَالِقِ اَلْعَظِيمِ وَرَبِّ اَلسَّلاَطِينِ وَخَالِقِهِمْ، تَتَكَلَّمِينَ بِحَضْرَتِهِ وَالْمَلاَئِكَةُ حَاضِرُونَ! ثُمَّ تَنْتَقِلِينَ بِكَلاَمِكِ اِلَى كَلاَمٍ فِي شَيْءٍ اَخَرَ! ثُمَّ اِلَى اَمْرٍ اَخَرَ مِنَ اَلاُمُورِ اَلْمَذْمُومَةِ بِحَضْرَةِ اَللَّهِ تَعَالَى، اَلْمَوْلَى اَلْكَرِيمِ! حَتَّى تَقُولُ اَلْمَلاَئِكَةُ عَنِّي اِنَّنِي مِنْ اَلْكَاذِبِينَ اَوْ مِنْ اَلْحُمْقَا اَوْ مِنْ اَلْمَجَانِينِ! حَتَّى تَفْسُدَ عَلَيَّ صَلاَتِي! وَلاَكِنْ، اِنْ شَاءَ اَللَّهُ، نَشْتَرِي سَوْطًا مِنْ جِلْدٍ وَنَضْرَبُكِ بِهِ عَلَى كُلِّ صَلاَةٍ بَعْدَ سَجْدَتَيْ اَلسَّهْوِ، لَعَلَّكِ تَخَافِينَ مِنْ اَلضَّرْبِ اَكْثَرَ مِمَّا تَخَافِينَ مِنْ اَللَّهِ تَعَالَى اَلَّذِي هُوَ يَرَاكِ وَيَسْمَعُكِ.

وَلَمْ نَتَحَقَّقْ؛ هَلْ قُلْتُ لِنَفْسِي ذَلِكَ اَلْكَلاَمُ[2] جَهْرًا اَمْ سِرًّا[3]. وَفِي ذَلِكَ اَلْيَوْمِ، بَعْدَ اَنْ صَلَّيْتُ اَلْمَغْرِبَ وَجَلَسْتُ فِي اَلْبَيْتِ اَلَّذِي كُنْتُ

---

[1] يريد: إذا قلَّ.

[2] من هنا ينقل الناسخ دون ان يتنبه للسقط الكبير .

فِيهِ، فَرَأَيْتُ (١١٥ب) مَعَ اَلشَّفَقِ، قَبْلَ اَنْ اَوْقَدْتُ اَلسِرَاجِ، قَضِيْبَاً نَزَلَ قُدَّامِي مِنَ اَلْهَوَاءِ، مِنْ عُودِ اِلطَّرْفَةِ، عَلَى طُولِ ذِرَاعٍ، وَقَبَضْتُهُ. وَفَهِمْتُ اَنَّ ذَلِكَ بَدَلٌ عَنْ اِلْسَّوْطِ؛ كَأَنَّ لِسَانَ اِلْحَالِ يَقُولُ: لاَ نُوَخِرُكَ اِلَى اَنْ تَشْتَرِي سَوْطَاً؛ خُذْ هَذَا وَاَضْرِبْ بِهِ يَنُوبُ عَنْ اِلْسَّوْطِ، لَعَلَّكَ تُدَاوِي نَفْسَكَ، وَتَخَافِينَ مِنْ ضَرْبِكَ اِيَّاهَا اَكْثَرَ مِنْ خَوْفِهَا مِنْ عَذَابِ اِللهِ.

وَرَجَعْتُ نَضْرِبُ نَفْسِي بَعْدَ سَجْدَتَي اَلْسَّهْوِ عَلَى رِجْلِي اِلْيُسْرَى بِالْقَضِيْبِ، لاَنَّ اَلنَّفسِ وَالْشَّيْطَانِ مِنْ أَهْلِ اِلْشِمَالِ، وَاَلْقَضِيْبُ اِلَى اَلانَ عِنْدِي، فَاِذَا نَظَرْتُ اِلَيْهِ يَجْتَمِعُ فِكْرِي فِي الصَّلاَةِ بَعْضَ اَلْمَرَّاتِ وَاَنْتَفَعْتُ بِهِ نَفْعاً جَيِّدَاً، وَحَصَلَتْ لِي فَايِدَةٌ بِاَلْبُرْهَانِ وَاَلْعِيَانِ بِاَنَّ اَللهَ يُرِيدُ مِنَ اَلانْسَانِ قَوْلاً بِاللِّسَانِ وَاِخْلاَصاً بِالْقَلْبِ وَعَمَلٍ بِالْجَوَارِحِ. وَفَهِمْتُ مِنْ اَلايَةِ اِلْمُتَقَدِمُ[1] ذِكْرهَا: ﴿وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث﴾ اِنَّهُ اَلامْرُ بِالضَّرْبِ بِالْقَضِيبِ بَعْدَ تَرْقِيعِ اِلصَّلاَةِ عَلَى وَجْهِ اِلتَّدَاوِي لِنَفْسِي عَلَى وَجْهِ اِلاخْتِصِاصِ[2]. وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ كُلِّ بِدْعَةٍ غَيْرَ مُسْتَحْسَنَةٍ.

نَسْئَلُ اَللهَ سُبْحَانَهُ (١١٦أ) اَلرَّحْمَنَ اِلرَّحِيمِ اَنْ يَعْفُوَ عَنِّي فِيمَا خَصَّنِي[3] مِنَ اَلإِخْلاَصِ فِيمَا مَضَى وَيُوَفِقْنِي فِيمَا بَقِيَ وَاَنْ يَسْتُرَ عُيُوبِنَا وَيَغْفِرَ ذُنُوبِنَا، وَيَخْتِمُ عَلَيْنَا بِخَوَاتِمِ اِلسَّعَادَةِ؛ وَلِقَارِي هَذَا

---

٣ زيادة في س: لانني كنت عازما على ذلك.

١ س: المتقدمة .

٢ س: الاختصاص فيما مضى وفيما بقي وان يستر عيوبنا وان يغفر ذنوبنا ....

٣ كتب الحجري فوقها: فاتني.

اَلْكِتَـابِ وَلِكَاتِبِـهِ ومُسْتَمِعِهِ[١] وَلِمَـنْ رَاءَ فِيـهِ عَيْبًـا حَقِيقَـةً وَاَصْلَحَـهُ؛ وَاَلْمَغْفِرَةَ لِلْوَالِدَيْنِ، وَلِكَافَةِ اَيِيمَتِنَا وَالْمُومِنِينَ وَاَلْمُومِنَاتِ، وَاَلْمُسْلِمِينَ وَاَلْمُسْلِمَاتِ، الاَحْيَـاءِ مِنْهُـمْ وَاَلاَمْـوَاتِ، بِفَضْـلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّـدٍ، سَـيِّدُ اَلاَوَّلِيـنَ وَاَلاَخَرِيـنَ وَخَـاتِمُ اَلنَّبِييــنَ وَإِمَــامُ اَلْمُرْسَــلِينَ وَحَبِيـبُ رَبِّ اَلْعَالَمِينَ - صَلَّى اَللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَلَى اَلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً •

وَقَدْ قَرَأْتُ هَذَا اَلْكِتَابُ بِمِصْرَ اَلْمَحْرُوسَةَ بِاللَّهِ عَلَى اَلْعَلاَّمَةِ اِلشَّيْخِ عَلِي اِلاَجْهُورِي[٢]؛ فَقِيهٌ شَهِيرٌ فِي اِلْمَذْهَبِ اِلْمَـالِكِي يُثْنَـى عَلَيْـهِ فِـي مِصْرِ وَغَيْرِهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ اَلْبُلْـدَانِ وَاَلاَقْطَـارِ؛ اِلْمِـرَّةِ الاُولَـى فِـي اِلرِّحْلَةِ اِلْمَذْكُورَةِ فِي أَوَّلِ اِلْكِتَابِ؛ ثُمَّ مَرَّةً ثَانِيَةً[٣] اَسْتَخْرَجْتُ هَذَا مِنْهَا عَلَى اَمْرِهِ، وَطَلَبْتُ مِنْهُ: اَنَّ كُلَّ مَا يَظْهَرُ لَهُ اَنَّهُ غَيْرَ لاَئِقٍ (١١٦ب) اَنْ يَامِرَنِي بِإِسْقَاطِهِ؛ وَنَصَحَنِي وَنَفَعَنِي بِعِلْمِهِ وَنِيَّتِهِ اِلْصَالِحَةِ، وَدَعَـا لِي بِالْخَيْرِ - جَزَاهُ اَللَّهُ عَنِّي خَيْراً كَثِيراً، وَكَمَّلَ عَلَيْـهِ بِالسَّعَادَةِ فِـي الدَّارَيْنِ؛ أَمِين •

وَقَـدْ زِدْتُ[٤] فِـي هَـذَا اَلْكِتَـابِ بِتُونُـسْ مَـا ظَهَـرَ لِـي اَنَّ فِيـهِ نَفْعَــاً وَطَالَعَهُ اَلْعَلاَّمَةُ اِلْمُفْتِـي اِمَـامُ جَـامِعِ اِلْتُرْك اِلْشَـرِيْف اَحْمَد اِلْحَنَفِـي؛ وَكَانَ اَلْفَرَاغُ مِنْ[٥] هَذَا اَلتَّالِيفِ لاَحْدَى وَعِشْرِين يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَبِيـعِ الثَّانِي مِنْ عَامَ سَبْعَة وارْبعين وألف، وذلك يَوْم الجُمْعَة • ولمّا كَتَبْت

---

[١] س: ولمستعمله

[٢] س: رحمه الله تعالى ورضي عنه.

[٣] س: ثانية حين استخرجت .

[٤] س: وقد في الكتاب .

[٥] س: وكان الفراغ منه اولا في مصر لاحدى وعشرين ...

اخرَ حَرْف منهُ سَمِعْتُ اَلْمُوذِّنْ يقول: اَللّهُ اَكْبَر لِلاَذان الاوّل لِصَلاَةِ الْجُمْعَةِ، فاستَبْشَرْتُ بِخيْر وبِقُبُول[1] الْكِتَاب.

وقَدْ ذَكَر الْفَقِيهُ الْجَلِيل اَحْمَدُ بَنْ اَحْمَدْ بَابَ السّوْدَانِي فِي كتاب عَمِلَهُ[2] بِبِلاَدِ دَرْعَة؛ وَهُوَ مَاشِي اِلَى بِلاَدِهِ وهي بِتُنْبُقْتُ[3] بِبِلاَدِ السّوْدَان، مِنْ مَرّاكُشْ. وكُنْتُ مِمّنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْهَا وَوَدّعْنَاهُ. وَهُوَ - رَحِمَهُ اَللّهُ - اَلّذِي عَمِلَ شَرْحاً عَلَى مُخْتَصَرِ خَلِيل، وَسَمِعْتُ فِي مِصْرَ[4] مَنْ ذَكَرَهُ واستَحسَنَهُ، وكَذَلك بِتُونُسْ سَمِعْتُ مِنْ بَعْض الْفُقَهَاءِ مَنْ شَكَرَهُ كَثِيراً. وبَعْدَ (١١٧أ) اَنْ مشى الى بلاده، كتبت له واعلمته اني مشيت الى بلاد الفَرَنْجِ وفَلَنْضِسْ لاغراض قضيتها، وتعطلتُ بتلك البلاد. وكتب لي - رحمه الله وجزاه عني خيرا، ودعا لي ولأولادي - وقال لي: قصّرت حين ما كتبت كل ما رايت.

واما الكتاب الذي عمل في بلاد دَرْعَة؛ كان أجويبة[5] على ما سأل محمد بن عبد الله بُو مَحَلّي[6]، وكان رجل من العلماء - رحمه الله - للشيخ سالم السنهوري[7] المصري - رحمه الله - وايضا لكل

---

[1] س: وقبوله .

[2] س: كتاب اللمغه .

[3] س: تنبكت .

[4] س: بمصر .

[5] س: اجوبة .

[6] س: محمد بن عبد الله وحل من اكابر العلماء .

[7] هو سالم بن محمد السنهوري المالكي المتوفى سنة ١٠١٥هـ ، بروكلمان ٢/٣٠٥؛ ملحق ٢/٤١٦.

من يريد من الفقهاء والعلماء أن يجاوب عليه. والسؤالات[١] في شأن طابة المسمات: بالدخان والعفيون والمسكرات والمخدرات[٢]. وذكر في عشبة الدخان انها حلال لذاتها في كتابه[٣] وقال: انه في الحين الذي ختمه سمع الاذان للصلوة، وفرح بذلك واستبشر بخير؛ وكذلك فرحت حين سمعتُ التكبير بعد ان كتبت اَخِر حَرْف من الكتاب.

وكنت قد رايت في النوم فقيه زمانه بالمغرب؛ قاضي المسلمين بمدينة مراكش في زمان السلطان مولاي احمد (١١٧ ب) الشريف الحسني، وايضا في زمان مولاي زيدان السلطان[٤] - رحمهم الله جميعا - فقال لي القاضي[٥] ابو عبد الله الرجراجي ومعه محمد بن يوسف، الاستاذ الشهير في قراءة القُرْءَان، وقال لي: بماذا انت مشغول؟ قلت: أُوَلِفُ كتابا وبحلف! قال لي: مبارك؛ ومقلوب اسم "حلف" فهو: "فلح"[٦].

---

[١] س: والسوال .

[٢] س: والمخضرات .

[٣] "في كتابه" لم ترد في س.

[٤] س: في زمان مولاي زيدان ابنه رحمهما الله تعالى.

[٥] س: وقال القاضي الذي رايت في النوم ابو عبد الله ...

[٦] زيادة في س هي: وفهمت انه رضي بالكتاب لاجل ما قال لي قبل ان مشيت الى بلد النصارى وذلك انه سالني في امر الاندلس الجدود قلت السلطان نصره الله اذن لهم ان يعينوا من يمشي لبلد النصارى وهم يقولون ان القايد ابراهيم القلعي الاندلسي يمشي او انا قال لي ما يليق يمشي القلعي لانه عامي والقسيسون النصارى يشككونه في دينه. ما يليق يمشي الا انت. واتفقوا جميعا ان نمشي ومشيت والمشية كانت بسبب الكتاب.

وفي ليلة أخرى؛ قبل أن ختمته بنحو العشرين يوما؛ قيل لي في النوم: إذا تتم الكتاب يكون الذهب[١]. ويوم السبت التالي ليوم الجمعة التي ختمته فيها كان كما قيل لي[٢].

نسئل الله العظيم ان يجعله نافعا مقبولا منه ومن المسلمين؛ ناصراً لدين رب العالمين. وإن قال قائل: لو كتمت ما ذكرت في الباب الاخرى لكان خيرا من ذكره ، فاقول: لما الفت الكتاب في الرَّدّ على النصارى واليهود من كتبهم؛ ذكرت في الباب ما اتفق لعبد من الامة المحمدية - وانا من المذنبين منهم- ما لا يتفق ابدا بعد النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لنصراني ولا ليهودي وانظر ما يقع في كل زمان (١١٨أ) لأولياء الله تعالى الصالحين.

وقد ذكر الولي عبد الوهاب الشعراني بمصر في كتابه المسمى بـ: **كتاب المنن**: عجائبا وغرائبا ، حتى ذكر ان مما منَّ الله تعالى عليه: إنه لا ينام من اربع وعشرين ساعة التي في الِّيل والنهار الا ثلاث ساعات فقط.

وقال بعض المفسرين للقرءان العزيز - في معنى قوله تعالى: ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾: إنَّ ذِكْرَ نِعَمِهِ تعالى هو من الشكر له عليها.

وقد ذَكَرَ لي بمراكش العلامة الفقيه النبيه الخيِّر قاضي المسلمين سيدي عيسى بن عبد الرحمن السكتي انه من الجهاد الرَّدُّ على الكفار ما يقولونه من الباطل في الاديان. والحمد لله والشكر له

---

[١] يريد: الذهاب.

[٢] زيادة في س بعد هذا هي: فتح ا لله تعالى مسئلة من فضله ان يجعله نافعا ...

علـى مـا جاهدنـا معهـم• نسـئل اللـه العظيـم ان يكـون هـذا الكتـاب **السيف الاشهر على كل من كفر**؛ وبرهانه يظهر؛ يا الله يا واحد يـا هادي يا وهاب. وصلى الله علـى سيدنا ومولانـا محمـد وعلـى الـه وصحبه (١١٨ب) وسلم تسليما كثيرا، ابـدا دايمـا الـى يـوم الديـن؛ ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم•

واعلم - رحمـك اللـه - ان هـذا الكتـاب ذكـرت فيـه انـي قراتـه بمصر المحروسة بالله على العلامة الشيخ سـيدي علـي الاجهـوري المـالكي، وانـي بعـد ان جئـت الـى مدينـة تونـس -حرسـها اللـه - وجدت فيها الكتاب الذي كتب الشيخ الفقيه الاكيْحل الاندلسي - كان في مدينة غرناطه شيخ الترجمـة بالاجـازة - وقـرات عليـه هنـالك وعرفت خطه العجمي والعربي• وبعد ان توفي - رحمه الله تعالى - بقي الكتب بيد الفقيه يوسف قَلْبُ الاندلسـي، واتـى بـه الـى مدينـة تونس ومات فيها، وبقي الكتاب بيدِ واحد من اخواننا الاندلس وكتمه عن غيره؛ لان بعض الاندلس من اهل العلم كـانوا يطلبـون عليـه• وانا كنت نتمنّى نراه؛ فاعطـاه لي الذي كان بيده (١١٩أ) جزاه اللـه تعالى عنّي خيرا كثيرا؛ حتّى توفيـت[١] النظـر فيـه وزدت منـه فـي كتابي: **ناصر الدين**؛ في الباب الاول عقيدة تَصَقْيُون ابن العطار في التوحيد؛ وبعضَ المسائل مما ذكرتُ على الكتب التي وجـدت تحت الارض مكتوبة بالعربية من عهد الصالحت مريم على امرها•

وايضا وجدت فـي تونـس كتابـا كبيرا مكتوبـا بالقـالب بالعجميـة مترجم من بَالِرَ الاشبيلي؛ مثل الذي قرات بِفَرَنْصَةْ فيه جميـع كتـب

---

[١] س: استوفيت .

التورية والزبور والانجيل، وزدت منه في كتابي قصت بخت نصر وما فسَّر النبي ذانيال – عليه السلام – وغير ذلك زدت من التورية في الباب العاشر ٠

وايضا كتبت في الكتاب ترجمة البراة التي كتب سلطان اشبانيه – وهي بلاد الاندلس – وامر بخروج المسلمين منها٠ وذكر الاسباب التي حملته على اخراجهم٠ جاءَت نسخة من البراة الى مراكش وترجمتها للسلطان (١١٩ ب) مولاي زيدان – رحمه الله – والترجمت[١] في اخر الباب الحادي عشر من الكتاب٠

في الباب الثاني عشر ذكرت برات الراهب وما جوبته فيها والفتوة[٢] التي استفتيته في دينه لما علمت من سوء اعتقادهم، وكان في مراكش٠

والباب الثالث عشر: ذكرت الشُمَيسيَة من الذهب التي وجدت في بيتي؛ وما ذكر سيدي احمد باب السوداني في ذكر الله أكبر عند تمام الكتاب، انتهى.

والحمد لله رب العالمين[٣]

---

[١] س: والترجمة .

[٢] يريد: الفتوى .

[٣] في س زيادة هي: ومما كتبت في مصر في الكتاب الذي الفته المسمى **رحلة الشهاب إلى لقاء الأحباب** ان النصراني المسمى بابرت الذي كان يقرا بالعربية في مدينة بريش العظيمة التي فيها دار الملك الفرنجي قال لي عندنا في هذه المدينة رجل لبيب وعاقل مقبول من الجميع حتى ان اذا عمل احد شعرا ما يظهره للناس حتى يعرضه عليه فان اذن له يظهره والا يتركه فمشينا عنده ومن عادة الفرنصيين اذا يرد عليهم رجل غريب ممن يثنى عليه يقولون له ان يحكي لهم حكاية وكان ابرت الذي مشيت معه سمع مني بعض الحكايات ومشينا عند الرجل الذي ذكرنا وبعد ان قبل علينا بحسن القبول والادب وكان يعرف اللسان العجمي الذي يتكلمون به ببلد الاندلس وقال انه جلس في اخيار

(١٢٠أ) كتب فيها دعوة الاعوان الاربعة وعزائم الجن مما لا علاقة لها بالكتاب، فآثرنا تركها.

مدوننا والفرنجيون يعظمون كثيرا لمن جال في الدنيا وراى بلد كثيرة وقال لي الرجل احك لي حكاية فقال لي ابرت الذي حملني الى عنده ان احكي حكاية اسقوا الاندلسي ولما رايت انه لا بد من ذلك لما جرت به العادة عندهم قلت فيما مضى جاء رجل اندلسي اسمه اسقوا الى مدينة غرناطة بحمل حطب على دابته وساق معه وعاء ليشتري من دراهم الحطب زيتا فلما دخل المدينة التقى بخديم من دار السلطان وقال له هذا الحطب للبيع قال نعم قال له بكم قال بكذا من الدراهم قال له اجي معي نخلصك فمشا معه الى باب دار السلطان ونزل الحطب ودخلها الحريم وبقي الرجل ينتظر الدراهم ولما تعطل عليه غوّش وعيّط واراد الدخول الى دار السلطان قبضه البواب وضربه فاخذ الرجل حماره وحباله ومشا الى دكان فيه الزيت فمدّ له الوعاء وقال لصاحب الدكان عمر هذا بالزيت فصنع ذلك وقال له اعطني كذا من دراهم حق الزيت فطلع الى الدكان وقبض الزيات وضربه ضربا شديدا في جسده فقام الزيات بالعياط واجتمع الناس وقبضوا الحطاب ومشوا به لمن يحكم فيه وهو يقول بالعياط انا با لله وبالسلطان فوصل الخبر للملك وامر باحضاره والناس معه للشهادة عليه والزيات يشتكي وشهدوا بما راوا من الضرب قال له السلطان ما حملك على ضربه قال يا مولاي نصركم ا لله بسكت السلطان وصرفه يجوز ام لا ؟ قال السلطان تجوز ولا يقدر احد ان يردها قال انا يا مولاي جبت حمل حطب واشتراه مني خديمكم وبعد ان دخل الحطب الى الدار طلبت الدراهم وضربوني في جسدي وقلت هذا صرف السلطان وسكته به ان شاء ا لله نشتري الزيت ولما اعطاه لي طلب الاخلاص فخلصته بسكة السلطان التي قبضت في الحطب فضحك السلطان وقال له ما اسمك قال اسمي اسقوا قال له اين ساكن قال في البلد الفلاني قال له ارحل باولادك تسكن في مدينتي وتلزم هذه الدار من جملة خدامنا فامتثل الامر وكان يشرح السلطان ويطول الكلام فيما حكي عنه بعد ذلك.

ولما ان فرغت مما ذكر فرح الكاتب وقال لبرت بكلام الفرنج انه استحسن ما سمع وبعد ذلك بايام جاء عنده رجل من اصحابه وقال لي الكاتب احك لنا الحكاية التي ذكرت لان صاحبنا هذا يعرف كلام بلدكم العجمي وانشرح هو وصاحبه حيث ذكرت الحكاية انتهى.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وسيد الاولين والاخرين والحمد للخ رب العالمين اللهم اغفر لكاتبه ولمن كتبه اليه ولوالدينا ولجميع المسلمين ولا تحاسبنا يا مولانا بما فعلنا وما اسررنا وما اعلنا وما انت اعلم به منا يا ارحم الراحمين يا رب العالمين.

(١٢٠ ب) بسم الله الرحمن صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما!

يقول العبد الفقير احمد بن قاسم الاندلسي مؤلف الكتاب المسمى بـ: **ناصر الدين على القوم الكافرين** : بعد الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وأله وصحبه والتابعين له في الدين.

أما الكتب التي ذكرنا انها وجدت في خندق الجنة بقرب غرناطة تحت الارض ؛ فباشرت بيدي بعض ورقها وقراءتها وترجمتها . فكانت كل ورقة قدر كفٍّ اليد مستديرة من رصاص، وبعضها اصغر، منقوشة على خطوط مثل هذا : بسم الله الرحمان الرحيم ومثل الخاتم الذي كتبنا في الباب الاول،

ثم اني طالعت في تونس كتاب الاكَيْحل الاندلسي - رحمه الله - وقال : ان جميع الكتب كانت اثنين وعشرين كتابا٠ وان الصالحة مريم - عليها السلام - نزل عليها جبريل - عليه السلام - بسبعة الواح من الزبرجد الاخضر؛ وقال لها: ان تكتب نسخة منها بيدها (١٢١أ) وتبعثها مع سائر الكتب التي كتب الحواريون؛ بعد أن عرج سيدنا عيسى - عليه السلام - الى السماء؛ الى اشبانية وهي بلاد الاندلس٠

فَكَتَبَتْ نسخة من الكتاب، وهو المسمى بـ: **حقيقة الانجيل** الذي تقدم الكلام عليه في هذا الكتاب عند الخاتم وبعثها مع سائر الكتب مع جماعة من الحواريين وهم : شَنْتَاغُ وتَصفيُون واخوه سِسِلْيُوه، الذي كتب الرق الذي تكلمنا عليه؛ وهما الذان كتبا الكتب- وكانوا عرب - وخمسة من الحواريين معهم ؛ وجميعهم احرقهم المجوس

الروم في الغار الذي وجدوا الكتب وكل واحد بستر من رصاص في قلب حجر معقود عليه، بعد الف وست مائة سنة. وورق كتاب حقيقة الانجيل اغلظ من سائر ورق الكتب؛ في غلظ ريال كبير واغلظ. وفيه سرٌّ للكتب لان بعد قراته تكون الناس على دين واحد، انتهى. انظر هل يكون (١٢١ب) ذلك في زمن الفاطمي لانه صح عن النبي – صلى الله عليه وسلم – انه قال: " يملأ الدنيا قسطا وعدلا كما يجدها ملأ جورا وظلما"•

وكتبت نسخة من كتاب **مواهب الثواب**؛ وهو من جملة الكتب التي ساق من غرناطة لتونس الفقيه يوسف قَلْبُ الاندلسي المذكور – رحمه الله – وهي هذه النسخة :

بسم الله الرحمان الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم تسليما نسخة من احد الكتب التي وجدت تحت الارض في خندق الجنة بقرب غرناطة مكتوبة في ورق الرصاص من عهد الصالحة مريم – عليها السلام – بعد ان عرج سيدنا (١٢٢أ) عيسى – عليه السلام – المسمى بـ: **كتاب مواهب الثواب لعباد الله المومنين في حقيقة الانجيل**، والامر بها في التاريخ لاخر الزمن، واللعنة بعكسها للمعاكسين اليها. فيه ثمان مسائل لِيَدْرُهْ مع جمهور الحواريين للصالحة العذرة مريم وجوابها اليه. لم يقدر احد على فهم معاني تواريخ الحقيقة تمًّا[١] دوّنه ليعقوب ابن شامخ الحوري؛ عاقبة الدين مكتوب على يدي تلميذه وكاتبه تَصَفْيٌ ابن العطار الاعربي•

---

[١] كذا في الأصل، فلعلها كانت: "كما".

قال يعقوب الحوري: جماعة جمهورنا الحواريين الاثنى عشر كنا مع الصالحة مريم في بيتها بعد نزول **حقيقة الانجيل** عليها، ووصفها للامر فيه الينا؛ فخاطبتنا بقول قد اسحرت به عقولنا وطابت انفسنا وسكنت قلوبنا وخشعت لما يجب الخشوع اليه من احسن الذكر والعمل الصالح والطاعة لله. ثم خطبتنا بأسرار عظيمة لم يجب ذكرها في كتابي هذا ولاكن أقول ان (١٢٢ ب) خطابها يوقف الملائكة في السماء والانس في الثرى تعظيما لله ووعظا ومعجزة منه للسامعين. وما رأيت ابدا اطيب نفسا من نفسها ولا افصح لسانا من لسانها ولا اكبر علما من علمها بعد سيدنا يصوع. وذلك الوصف كله كان في خواص حقيقة الانجيل العزيز؛ شكرا لله على تلك النعم. واطلب من مجدك وفضلك ان تقصص علينا ثمانية مسائل في مواهب ثوابها؛ وعن المتوكلين للامر بها التابعين اليها بالايمان؛ وعن ثوابهم الموصوفين في وصفك بالتوريخ للعباد في اخر الزمن؛ وما ينبغي بالعكس للمعاكسين اليها من اللعنة والعذاب؛ ليكتسب جمهورنا والعباد من بعدنا في اخر الزمن.

فقالت: يا بدره! صف اولا منهن؟ قال: اخبرنا عن حقيقة الانجيل وعن ثوابه يا مولاتنا؛ فقالت: حقيقة الانجيل هي روح الانجيل، وهي كنز من كنوز العرش فلاح للمومنين (١٢٣أ) ما من عبد يومن حق الايمان باخلاص ونية لم يخالطهما شيء من الشك، ومات على ذلك الا يكتب الله له براءة من النار ويغفر له جميع

ذنوبه ولو كانت لم تُحْص في العدد. وما من عبد مومن ياتي لها على علم بعد شرحها للعباد يرفعه الله في الجنة درجة عالية. والعامل بالعكس لا شفاعة فيه؛ يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم؛ و تحت سخط الله ويخلده في نار جهنم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: يابدره! صف لي الثانية؛ قال: اخبرنا عن فضل العرب انصار الدين في اخر الزمن وعن ثوابهم وعن فضل لسانهم على الالسن يامولاتنا! فقالت: العرب أنصار الدين في اخر الزمن، وفضل لسانهم على الالسن مثل فضل الشمس على دراري السماء؛ اختارهم الله لذلك الامر وايدهم بنصره؛ وفضل المومنين عند الله كبير وثوابهم جسيم. فما (١٢٣ب) من عبد مومن يدعو لهم بالنصر والتأييد – بعد ان يشهر الله حقيقة الانجيل في الموضع المقدس الذي يُرا فيه – إلا وينصره الله النصر المبين ويكتبه الله حقا عبده تابعا لمرضيته، ومنيبا لنصر دينه الرشيد، ومن يردهم بسوء يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم وهو تحت سخطه الا ان يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف الثالثة، يا بدرة! قال: اخبرنا عن صالح الفقه الذي يشهر الله الحقيقة على يديه وعن ثوابه يامولاتنا. فقالت: انما صالح الفقه حقا؛ المومنون بما وضع الله في الوجود من كلماته التامة بالانجيل العزيز؛ على فيه روح يصوع بالحقيقة؛ روحة من بعده ما دون الشكوك والظن وذلك جمهور المسجد المومن الصالح

العالم المنور بنور الايمان والرحمة والخليفة اليصعية[1] الموكلة عليه بقدرة النهاية؛ والامر والحل والربط لانها (١٢٤أ) ذلك الحقيقة برنامج حقها ونورها فلاح للمومنين. لا نور لهم دونها ولا لاحد من العالمين.

فما من عبد يومن بذلك كله حق الايمان بنية واخلاص لطاعة الله لم يخلطها شيء من الشك؛ ويحث نفسه على تسهيل الامر بالحقيقة للمجتمع الاكبر بجزيرة السبر بمشارق البندقية؛ وشرحها يدخل بها في دين الله، إلا ويكتب عبده صالح الفقه حقا وعصبة متصلة من ذلك الجمهور وصلوحيته ويسيل سلسلة ربقته في عنقه وينظرها بعين عنايتها وكفله بكنف رحمته، وان ينفق لذلك الامر درهما طيبا من ماله في سبيل الله، يغفر الله له جميع ذنوبه ويحشره تحت رضائه ويعطيه في الجنة اجر المصدقة التي بنت مسجد نبي الله سليمان ابن داوود؛ لانه معينا استبناء المسجد للمومنين بالله واليوم الاخر بذلك الصدقة المقبولة منه، وبالعكس ما من عبد يصل توريخها (١٢٤ ب) بيديه وخواص الامر بها في علمها، ويشك فيها ويريد طول الامل بها؛ ويرضى بكتمانها وكتمان توريخها، وكتاب هذا ادنى حينا من الدهر من ذلك الجمهور ومن الخليفة اليصعية ومن العرب الانصار ومن الناصر الساكن في المشرق، ومن ملوك الارض ومن عباد الله ليتبعوا موذيته، ولينالوا من ثواب الحقيقة الموهوبة لهم من فضله، الا ويرفضه الله من ذلك الجمهور وصلوحيته، ويقطع منه عصابته ويخلع سلسلة ربقته من عنقه

---

[1] يريد: اليصوعية (اليسوعية).

ويُكتَبُ في غيبه عدو لـه، معاكسـا لمرضيتـه ويلعنـه اللـه وملائكتـه الف لعنة تلزم فـي الحيـن لكـل مـن يبلـغ قـول هذا وتوريـخ الامـر بالحقيقة عنده كان من كان، ويجعله كمشكوة دون مصباح؛ ويعقـده في نار جهنم ملوما مدحـورا خـالدا فـي عذابهـا مـادام ملكـه؛ إلا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع الى الله، ويغفر عنه.

ثم قالت: صف لي الرابعة (١٢٥أ) يـا بـدره! قـال: اخبرنـا عـن الناصر الساكن في المشرق وعن ثوابه يـا مولاتنـا فقـالت: النـاصر مَلك من ملوك العرب، وليس باعربي، سـاكن فـي المشـرق بـأرض الانانيين، عدوا بالغا للاجناس العجم ولملتهم ومذهبهم واختلافهم في الدين، يكون له نمائة جميلة لطاعة الله ولنصـر دينـه الرشـيد؛ ايـده الله بنصره والقى نصر حقيقة الانجيل العزيـز فـي حكمـه؛ ويوقـف لواء الدين بيده؛ وايده بـالنصر والتمكيـن فـي الوجـود علـى سـائر الاجناس في ذلك الزمن؛ وله نـور وعلـم لطاعتـه فـي ذلـك الأمـر؛ وهو في غفلة من قول هذا الـى وقـة يبلـغ الأمـر بالحقيقـة المكفولـة عنده. وذلك كله سابقة في سابق علم الله سـبحانه ليهـب فضلـه مـن شاء حاش ان يكون في ملكه مـا لا يريـد الا مسترضـي لامـره؛ لـه عند الله ثواب كبير ودرجة عالية.

فما من عبد مومن بالله بالنصر والتأييد ويعينه بنفسه أو مالـه لذلـك الامـر ومـات علـى (١٢٥ب) ذلـك الا يغفـر اللـه لـه جميـع ذنوبـه ويعطيه في الجنة اجر الشهداء الذين يستشهدون علـى الديـن؛ ومـن ياته بالعكس يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم؛ ويرفضه من رحمته الا ان يرجع عن ذلك كله.

ثم قالت: صف لي الخامسة، ابذِرُه! قال: اخبرني عن المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر؛ وعن ثوابهم يامولاتنا، فقالت انما المتألفين قلوبهم للمجتمع الاكبر الذين تميل وتخشع قلوبهم لله، واستيذانهم الى الانجيل العزيز ولحقيقته وللمومنين بما تجمع اليه الحقيقة؛ كانوا من كانوا من جميع الاجناس؛ وايضا الذين يهبون الصدقة ويحثون نفوسهم والعباد الى الحضور فيه بقدر الاستطاع وبالنية؛ فما من عبد من عباد الله يفعل به ويهب نيته وصدقته الطيبة اليها بنية واخلاص في سبيل الله لذلك الامر؛ ومات على الايمان إلا ويغفر الله له جميع ذنوبه، ولو كانت لم تحص في العدد ويكتبه من المتألفين قلوبهم (١٢٦أ) اليه وان حضر فيه؛ ويومن بالمجموع عليه، الا ويكتب الله له براءة من النار ويعطيه اجر الشهداء المستشهدين على الدين؛ والمعاكس لذلك والمانع للعباد من الحضور فيه لاشك في خلوده في نار جهنم وعذابه الاكبر؛ الا أن يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

ثم قالت: صف لي السادسة، ابدره! قال: اخبرنا عن المترجمين المفسرين وعلى ثوابهم يا مولاتنا؛ فقالت: انما المترجمون حقا مترجمون للكتاب الذي بحقيقة الانجيل بعد شرحها للعباد في المجتمع الاكبر يبعثهم في ذلك الزمن مصابيح بين اجناس الوجود؛ يتلألئون نورا بنور العلم والفقه الموهوب ويدخلون في ارض السبّر؛ يزيدهم قوة من فضله في العلم ولغت الالسن للترجمة المذكورة والتفسير؛ ليستفهموا بعضهم من بعض، وقولهم في القوام لشرح دينه الرشيد والاستقام فيه لسعته. ولاكن يكون عندهم (١٢٦ب)

قليل ثم قليل بين الاجناس لبرهان معجزة الله في العالمين• وراسهم اضعف خلقة؛ شارح الحقيقة طايعا لله ولخليفته المسجد المومن بالله واليوم الاخر ومومنا بذلك الايمان وعصابة متصلة من جمهوره يبعثه الله في ذلك الزمن بنور العلم والفقه والرحمة لذلك الامر كما وصفت لكم؛ وكلهم القاهم الله في كفالة الملوك والمتربين؛ والله يحب أهل العلم الصالحين ويكره اهل الفسق الجاهلين• وجزاء المومنين منهم عند الله كبير، وثوابهم جسيم ولهم درجة عالية في الجنة، وما من ملك أو مشرف أو عبد من عباد الله المومنين يحسن اليهم ويهيِّيء امورهم للمجموع الاكبر المذكور، وشرح الحقيقة الا يغفر الله له جميع ذنوبه ويكتبه عنده من الشهداء الذين يستشهدون على الدين، ويرفع لهم بكل درهم طيب ينفق لذلك الأمر من ماله درجة في الجنة. ومن يردهم بسوء (١٢٧أ) أو معاكسة يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم، ويرفظه من رحمته؛ الا أن يرجع عن ذلك كله حق الرجوع لله•

ثم قالت: صف السابعة، ابدرة! قال: اخبرنا عن اضعف خلق الله شارح حقيقة الانجيل في المجتمع الاكبر وعن ثوابه يامولاتنا• فقالت: الله يخص برحمته تاويل العلم من يشاء من عباده؛ وذلك العبد من المخصوصين المكتوبين في علم غيبه، مواهبه ومننه عليه كبيرة ورحمته ومعجزته ظاهرة فيه للعباد المخلصين الذين يشاء الله يطالعهم عليه من فضله، ولاكن يكون عددهم قليل في العالمين، عنصره طيب زكي اعرابي؛ لان النصر لاينبغي لغير العرب؛ والناصر في ذلك الزمن هو مظهر من جميع العلوم - كما كان

ابني يصوع – ولا يعدم فهم جواب السائلين؛ منـور بنـور الاحسـان والرحمة، خالص بالنية وله علم كثير موهوب من الله ليس يوصف به بين (١٢٧ب) العباد له نشية معتدلة وبشاشة في وجهـه مشـتملة وفصاحة في اللسان بلفظ قصير وعلم كثير واتقـان يبعثـه اللـه فـي تكبيرة [...] لكلمة واحدة لسبل الأرض، وفيها يعلمـه الذكـر ليكـون اضعف خلقه في الوجود ويضع تهـام الضـالين والمرتديـن الفاسـقين المنافقين المختلفين من جميع الاجنـاس بـالانجيل العزيـز وبالحقيقـة بالشهود المنقوب من مرتب منزلـة الصـبر؛ صبـورا علـى ذا الفقـر والآفـات، رافـض الفخـر والكبر، ويكـون لـه انبـات الاهفـة كبـيـرة لتعظيم الاجر وطاعة للـه؛ مجتنبـا مـن المحـارم والعيـوب، صـادق القول والوعد؛ حافظ الامان والميمنة؛ خالف الميسرة. لم يغفـل عـن ذكر الله وخشـيته بقلبـه، وتذكـره طرفـة عيـن؛ وان تلحقـه معصيـة يسبقها بالندم ويرتجي من الله العفو والغفران، وثوابه عند الله كبير واجره جسيم على قدر نيتـه وايمانه وعلمـه وطاعتـه إليـه٠ ويزيـده من فضله، ان الله لا يضيع أجـر(١٢٨أ) المحسـنين، يهـب اللـه لـه شرح حقيقة الانجيل العزيز المقفولة؛ والقى علمها في قلبـه وفهمـه، وشرحها في محفوظـه، ونـور قلبـه بايمانـه. وذلـك سـابقة فـي علـم غيبه٠ شارح الحقيقة إذا يشاء الله بشرحها في ذلك المجتمع لطاعته ولا بنظارة العباد، ولإكن الله ينبيهم بالحقيقة؛ والقى فيهمـا مـن كـل حكمة ما يليق بذلك المقام ما دون اختلاف وينذر عباده بها إلى يـوم كان وعده مفعولا تعي العقول فيـه٠ مـامن عبد مومـن يدعـى اليـه يقول: اللهم رب احرس بعين عنايتك لاضعف خلقك شـارح حقيقـة

الانجيل العزيز في المجتمع الاكبر وهيّ امره اليه واجعلني بما اشرح فيها مومنا من الحق؛ ويسر عليَّ حفظها وعامل بما امرت فيها من الحق مومنا، وفي الانجيل العزيز من الطاعة [...] انك على كل شيء قدير، إلا وينظره الله بعين رحمته ويحرسه من جميع (١٢٨ب) الآفات. ومن يرده بالعكس يلعنه الله وملائكته الف مرة في كل يوم الا ان يرجع من ذلك كله حق الرجوع لله.

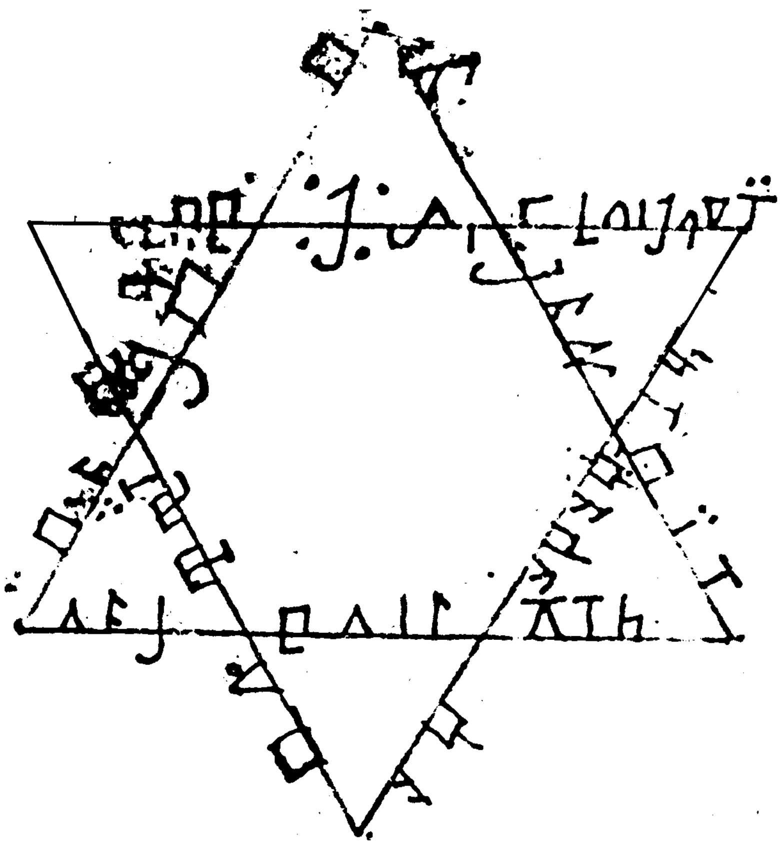
قالت: صف الثامنة، ابدره! قال: اخبرنا عن بركة الموضع الذي يرام الحقيقة عن ثواب زيارة العباد؟ يامولاتنا. فقالت: دليل على بركة الموضع المقدس الذي ترامى الحقيقة؛ والكتب فيه خترته لذلك الأمر وكتبت بذلك؛ فما من عبد مومن طاهر نقي يزوره بنية واخلاص لم يخلط شيء من الشك في الانجيل العزيز وفي الحقيقة روحه وحق الكتب التي معها؛ ويدعى الله بعد اشهارها فيه، ويقول: اللهم رب امنت حق الايمان بكلماتك التامات التي ارسلت بها سيدنا يصوع روحك وبحقيقة انجيلك العزيز الذي شرحت نسختها في ذلك الموضع المقدس والكتاب الثابت الصحيح الذي معها؛ اسئلك باسمك العظيم الاعظم وبمجدك (١٢٩أ) وفضلك ورحمتك على عبادك ان ترفع بها وبه لواء دينك الرشيد على الاديان كلها، وان تؤيد بها وبه مسجدك المومن المقدس وزكي جمهوره الصالح وان تدخل بها وبه عبادك المومنين في كنف رحمتك وان تهتك بها وبه ستر المعاكسين اليها انك على كل شيء قدير؛ الا ويغفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت لم تحص في العدد. وان تصدق ان الله يزيد درجته في الجنة على قدر نيته وعلى كل

درهم طيب اعطــاه في ذلك الموضع لتهينة الامر المذكور٠ واقـول لكم ان ذلك في طاعته ومرضيته؛ وما كان لله حاشا ان يضيع ابـدا لعباده انه يجزي المحسنين الطايعين اليه، ولا خوف من الاعداء٠ ان الله لايهدي القوم الظالمين، وينزل السكينة على قلوب المومنين، والرحمة على عباده اجمعين؛ ليستذانوا لشرح الحقيقة والايمان بها، ويهدي من يشاء منهم بفضله العظيم٠

فلما فرغت من ذلك القول (١٢٩ب) اذا قايلا بالندا من قبل الحق: يا من له الخليفة الموهوبة والقدرة على من سبقت عليه الفضايل ومواهب الثواب الموصوفة على مريم العذرة في جوانب الثمانية مسايل واوثق كلمت اللعنة والرفاض من جمهور المسجد المومن المقدس وصلوحيته على من سبقت عليه الرفض في وصفها وثوابا وفضلا لا ينفد أبدا؛ ولعنة لا ينبغي نقضها لاحد من بعدك حلها الا بحق الرجوع لله عن المحارم٠

قال الخليفة: السمع والطاعة لرب العالمين، اشهدكم يامعشر الحواريين بمولاتنا مريم العذرة – وهي وانتم معها خير الشاهدين – على الحق؛ انا اوثق كلمة الاتقان بقدرة الخليفة اليصوعية للذي سبقت عليه كلمت اتقان الفضايل وثواب المواهب كما وصفتها في جواب المسايل الثمانية؛ ثوابا وفضلا لاينفد ابدا من بعدي؛ واوثق بالعكس كلمة اتقان اللعنة والرفض (١٣٠أ) من جمهور المسجد المومن الصالح المقدس على من سبقت عليه كلمة اللعنة والرفض في جوابها في الثمانية مسايل المذكورة [....] لا ينبغي نقضها لاحد من بعدي الا [بحق الرجوع] لله من الحرام٠

فلما فرغت من ذلـك [....] انفتـح فرشـه الاعلـى وخـرج منه[....] وكتـب على جدول خاتم سليمان [....] في جدار وسطه هـذه [الستة اسطار] [....] مضـى عن جمهورنا وتد[...]٠



(١٣٠ب) فعند ذلك التفتت الى الصالحة مريم، وقـالت: يـايعقوب! عقيبة الدين اسطر الوصف كلـه، والكتـب [....] الجدول واحفظـه مع الحقيقة في الموضع المقدس [....] يـاتي الحـق والقـول الثـابت الصحيح لطاعة [....] قولي فيهم ويستفدوا من فضايل[....] حقيقـة الانجيل الموصوفة في [....] في آخر الزمـن.

ثم سألها بدره[....] يا مولاتنا ما يعني الكتب على جدول[....] بـالتقوى لاينبغـي فـي وقـت [....] ولاكـن اخـره اللـه لشـارح حقيقــــة [الانجيل...] اخر الزمن.

قال: زدنا على التوريـخ امـا يكـون [....] شـهادة الحقيقـة ومـا ياتي بعده، يا [مولاتنا] ؟

قالت: اذا يتعلمون النـاس لغير عمـل صـالح ويتولـون المقـاليد والرتب لغير طاعة الله ولياكلوا عرق العبـاد بهـن ظلمـا بغير حـق ويعتمدون على حيالهم لا علـى اللـه؛ ويكـون عيـش النسـا فـي كـبر واتباع الرجال بالزنا وقِلّت (١٣١أ) الحيا ويطغى اللباس من الحرير الاسود ويكثر الحديث بالكذب والخداع وتتلى على العبـد كلمـة اللـه ولم تاثر اليها قلوبهم، ويرفع اللـه بركتـه مـن الارض ويطفـى نـور الصالحـ[ـون العـا]لمـون فـي المسـاجد فـي وقـت هـذا يشـ[ـهر... اللـه...] والكتـب فـي الموضـع المقـدس[....] علـى شـرحها فـي المجتمع الاكبر [....] يعود يصوع روح الله [....] المحمـود الـى الوجـود[....] المسيح الدجـال، والمسيح الدجـال دليـل فـي طلـوع الشمس من المغرب. كمل الكتاب على يد الاعربي

(١٣١ب) واقول الذي قال في كتـاب **المواهـب للثـواب** عـن حقيقـة الانجيل، فهو ظـاهر انـه مخـالف للانجيـل الـذي بـأيديهم الآن ولمـا تعتقده النصارى مـن الكفـر والتثليـث فـي الالوهيـة٠ فيكـون موافقـا [....] القرءان العزيز وبه اغنى الله تبـارك وتعـالى [....]الانجيـل وعن كتاب حقيقة [....] السـماوية ونفـع كتـاب حقيقـة [....] الذيـن

قال الله تعـالى فيهم [....] اهـدنا الصـراط المسـتقيم [.... وهـب لنـا] من لدنـك رحمة، انـك انـت الوهاب٠

هذا آخر كلامنا في الكتاب

تمت هذه النسخة المباركة في اليوم العشرين من رجب من سنة

احـــدى وخمسين والف على يد المؤلف للكتاب

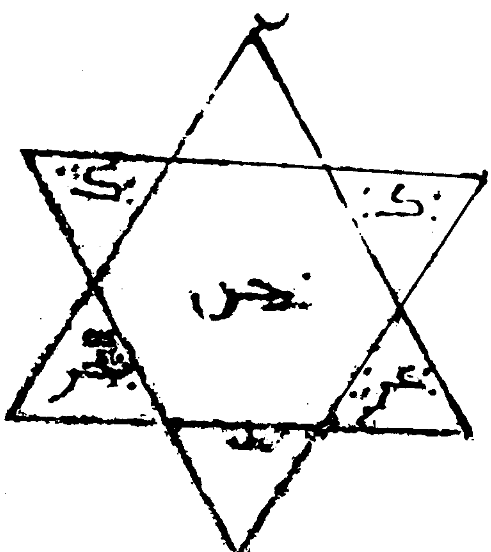
كتبه بمدينة [تونس][1] المحروسة بالله٠

والحمد لله على توفيقه٠

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله وصحبه وسلم

تسليما كثيرا اثيرا

والحمد لله رب العالمين



[1] الكلمة لا تكاد تبين في النسخة المصورة.

اوقف هذا الكتاب العبد الفقير الى الله سبحانه وتعالى الحاج احمد بن محمد تقبل الله وجعل مقره بالجامع الازهر برواق المغاربة

هذا كتاب ناصر الدين على القوم الكافرين

المختصر من كتابي المسمى برحلة الشهاب

إلى لقاء الاحباب شهاب الدين احمد

ابن قاسم بن احمد بن الفقيه قاسم

ابن الشيخ الحجري الاندلسي

نفعنا الله ببركاتهم وبركات

علومهم في الدين والدنيا

والاخرة ولمن يدعو

لهم بالمغفرة

امين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

هذا الكتاب لطيف في بابه نفيس عند طلابه ...

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله وحده • وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله • ورضي
الله عن اصحابه واله • وعن التابعين له في دينه • وبعد فيقول
العبد الفقير الى الله • الراجي رحمته وعفوه وغفرانه • بشفاعة نبيه المذكور
في كتبه • وافضلها كلام الله العزيز في قرانه • احمد بن قاسم بن احمد بن الفقيه
قاسم بن الشيخ الحجري من نعم الله علي بان جعلني مسلما في بلاد الكفار
منذ اعرف نفسي ببركة الوالدين رحمهما الله وارشادهما وقد جعل الله في
قلبي محبة للخروج من بلاد الاندلس مهاجرا الى الله ورسوله والغزو والى
بلاد الاسلام وقضى الله الغرض والمراد وبلغنا الى مدينة مراكش بالمغرب
وبعد ذلك باثني عشر سنة فرج الله على الاندلس المسلمين الذين كانوا فيها
تحت قهر النصارى وحكمهم بان امر عليهم سلطان قلب الثالث من اسمه
بالخروج جميعا من بلاده واتفق لكثير من مسلمين الاندلس عند خروجهم
بان نهبهم في البحر النصارى واكثرهم الفرنج البحرية الذين اكتروهم
ودفعوا لهم اجرتهم على ان يبلغوهم في عافية وامان الى بلاد المسلمين
وخانوهم كل واحد في سفينة وبعد اخذ كلما كان لهم اخرجوهم في بعض الجزر
من بلاد المسلمين واربعة من تلك السفن المنهوبة خرجت بالمغرب الاقصى
واحسن البربر اليهم وجاوا الى مدينة مراكش وهي دار سلاطين المغرب
وطلبوا من مولاي السلطان زيدان بن السلطان مولاي احمد بن مولاي
محمد الشيخ الشريف الحسني ان ياذن لهم في ارسال بعض من اصحابهم مع

رجل

رجل من الاندلس الذين كانوا فيهم تبلك المدينة واتفق نظرهم ان يمشي
باصحابهم واعطانا السلطان كتابه وذهبنا الى اسفي وهي مدينة على البحر
فيها ركبنا البحر المحيط وبلغنا الى بلاد الفرنج ووقع لي كلام كثير مع علمائهم
من القسيسين والرهبان والقضاة في شان الاديان واحتججت اقراءا
الانجيل الذي بايديهم الان ومنه ومن غيره من كتبهم وجدت ما نرد عليهم
ونبطل حججهم ونصرني الله عليهم مرارا عديدة وذكرت بعد ذلك شيئا من
الحكايات والمناظرات والاجوبة منهم اليهم لبعض الاخوان وطلب مني غير
واحد من العلماء ان اعمل تاليفا بذلك ولم يتفق العمل الى ان امرني شيخنا
وبركاتنا بمصر المحروسة بالله الشيخ العلامة الشهير علمه وثناؤه
في الاقطار والبلدان علي بن محمد المدعو بزين العابدين بن العلامة عبد
الرحمن الاجهوري المالكي فاجبتهم باكثر ما طلبوا وجعلت التاليف
رحلة وسميتها برحلة الشهاب الى لقاء الاحباب وذكرت اولا بلاد الاندلس
في اي موضع هي من معمور الدنيا والاقطار المجاورة اليها والطول
في صقعها وعرضها ارتفاع القطب الشمالي عليها ودرجة طولها من الدنيا
الذي منها ابتدا اوله من الجزر الخالدات المسماة الان بقنارية ثم ذكرت
من سكنها من الاجناس القديمة قبل دخول المسلمين اليها وفي اي سنة
كان افتتاحها وما اتفق في اخذها ثم ذكرت بعض الملوك الصالحين المجاهدين
وبعض رسايل لسان الدين بن الخطيب ثم ذكرنا الزمان الذي بقيت
للمسلمين الى ان احتوت النصارى على جميعها ثم ذكرت كيف كان حال
المسلمين بين النصارى بعد ان دخلوهم جميعا كرها منهم في دينهم وكانوا
يعبدون دينين دين النصارى جهرا ودين المسلمين في خفاء من الناس

واذا ظهر على احد شيء من عمل المسلمين يحكمون فيه الكفار الحكم القوي ويحرقون بعضهم كما شاهدت حالهم اكثر من عشرين سنة قبل خروجي منها وايضا ذكرت ما اتفق لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير في قراءة المواق المكتوب بالعربية والعجمية كان فيه ما ذكر يوحنا الذي كتب ربع الانجيل فيما يكون في الدنيا الى ان تفنا وايضا شيئا كان مكتوبا في الكتب التي وجدت تحت الارض في تاريخ الف سنة او قريب منها مكتوبة في ورق من الانك بالعربية مكتوبة من عهد سيدنا عيسى عليه السلام او قريب منه وما اتفق لنا في الخروج من بين النصارى وكيف لطف الله بنا وفكنا منهم سالمين وايضا الاسباب التي ذكر سلطان بلاد الاندلس انها حملته على اخراج الاندلسيين من بلاده وما رايت في اسفاري ورحلتي المشرقية والمغربية والجوفية من العجايب وما وقع لي من الكلام والمناظرات مع النصارى العلما والقسيسين والرهبان والاكابر في امور الدين ببلاد الفرنج وفلنضس وايضا مع اليهود وكنت اقرا الرحلة على الشيخ الفاضل الذي امرني بحصر ان اعمل الكتاب وراني عازما على الرجوع الى بلاد المغرب التي جينا منها لاداء الغرض وزيارة افضل من ظهر على وجه الارض والوقت ضايق لا كتب له منها نسخة كما كان في غرضي امرني ان اختصرها وتذكر ما وقع لي من الكلام في الدين مع النصارى وها انا اشرع بعون الله اكتب في هذه الورق المناظرات وكل مسئلة الهمني الله بالجواب عليها في الحين على البديهية اذكرها من الكتب ببرهانها وان كان لي وقت قبل الرحيل نكتب من الرحلة ما وقع لي ايضا مع علما اليهود بالبلاد المذكورة لان بسببهم قرات التوراة التي هي اربع وعشرون كتابا الخمسة الاوايل

في

في الديانات والباقي من الكتب في التاريخ وجدتها مترجمة من العبرانية الى العجمي الذي نعرفه وزادني الله يقينا ومحبة في دين الاسلام وذلك مما انعم الله علي به نسال الله سبحانه بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان يلطف بي في الدارين وان يختم لي بخواتم السعادة ولمن يقرا هذه الورقات ويسمعها وان يخص من فضله لمن امرني بكتبها بما يشا من خيره واحسانه وان ينصر لجميع المسلمين على القوم الكافرين امين

الباب الاول في ذكر ما وقع لي بمدينة غرناطة مع القسيس الكبير في شان قراءة

الواقة التي وجد في الصومعة وايضا بعض ما صح عندي من الكتب المكتوبة بالعربية في ورق الانك وهذا الباب هو في الرحلة في الباب الثاني عشر منها اعلم رحمك الله ان في نحو التسعماية وست وثمانين سنة من الهجرة امر القسيس الكبير بمدينة غرناطة بهدم صومعة قديمة كانت في الجامع الكبير بعد ان بنوا صومعة قريبا منها عالية جدا ولما ان هدموا القديمة وجدوا في حيطها صندوقا من حجر وفي داخله صندوق من حجر وفي داخله رصاص وفيه وجدوا بعد فتحه رقا كبيرا مكتوبا بالعربية والعجمية المتصرفة في تلك البلاد وعظاما لصالحة من بعض اصحاب سيدنا عيسى عليه السلام وعظما من جسد اشطبان الصالح عندهم فاما ما كان بالاعجمية فقرئ وما كان مكتوب بالعربية فنادوا الاكحال الاندلسي كان ترجمان بالاجانة والشيخ الجيبس وغيرهم من الاندلس الكبار السن الذين يعرفون القراءة العربية وامرهم القسيس بترجمة ما في الرق لكل واحد وحده وتارة يجمع بينهم ولم يحيطوا بفهمه حقيقة وتعلم بعض العربية القسيس الكبير وبعد ان وجدوا الرقة في الصومعة بنحو

لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اودعها الفقير ...

وسميته ناصر الدين على القوم الكافرين

صح كانت مبنية قبل الاسلام قريبا من زمن سيدنا عيسى عليه السلام كما ياتي

الحاكم

وقف لله تعالى بمروا والمغاوية

العشر سنين او اقل دخل بعض النصارى غارا في شرق المدينة بنحو الميل
في موضع كان يسمى بالعربية بخندق الجنة وسبب دخول النصارى في
الغار كان في طلب كنز كما يوجد في كل بلد وجنس من يطلب ذلك ووجدوا
في ركن الغار رمادا ورصاصا مكتوبا بالعجمية يقول فيه هذا الموضع احرق فيه
كبير القسيس المسمى بسسليو فلما راوا ذلك اتوا الى القسيس الكبير
وفرح فرحا عظيما لان النصارى كان عندهم في كتبهم خبر موت سسليو
وانه قتل على دينه وانه من المقدسين ولا علموا موضعه ومن عادتهم ان كل
من كان من القسيسين مقتولا يثبتونه اسمه مع الصلحا الذين قتلوا او
صلبوا تشبيها لما يعتقدون من سيدنا عيسى عليه السلام ويذكرون موضعه
الذي هلك فيه ويزورونه فامر القسيس بالدخول في الغار وينظرون
فيه لعلهم يجدون كتبه المذكورة في رومة في دار دينهم وكرسي الباباء والخبر
في ذلك انه كان عندهم في كتبهم ان سسليو القسيس الكبير كان عنده كتب
فيها اسرار وامور ربانية من زمان سيدنا عيسى او قريب منه وانه اودعها
في جبل يسمى بليطالة فواحد من الباباء بحث عن هذا الجبل وقيل له انه
بإطالية فامر ان يحفر كله وتعب بلوزايه في طلب الكتب وصنع ذلك ولم
يجدوا اشيا وهذا الكلام كان في غرناطة عند الناس ولا تحققته حتى
سالت القسيس الكبير بعد ان عرفته وذكر الحكاية كما سمعتها من غيره ولما
فتشوا في الغار وجدوا بعض الحجار ويكسرونها وفي قلب كل حجر كتاب
وورقة رصاص وكل ورقة قدر كف اليد او تزيد قليلا وهي مكتوبة
بالعربية فامر القسيس للاندلسيين المذكورين وهما الاكيحل والفقيه الجبتيس
رحمهما الله وغيرهما من الرجال الاندلس الذين كانوا يقرون بالعربية

وهو كبير القسيسين والرهبان صح

ان

ان يترجموا الكتب ووجدوا في واحد منها ذكرا للرق الذي كانوا وضعوه
مخفيا في الصومعة وقد كان بايديهم قبل ذلك العهد بنحو السبع عشرة
سنة فاشتد حرصهم على فهم ما في الرق وواحد من القسيسين المقربين
للقسيس الكبير اراد ان يتعلم يقرا بالعربية وكان يلزم الحكيم محمد بن ابي
العافية حفيد الشيخ الجبتيس المذكور انه كان يترجم الكتب وبسبب حين كان
يقرا بحضرة النصارى في الكتاب الذي كان يقرا للقسيس كان يسمى بنزهة
المشتاق وكنت احضر معهما ولم نظهر للنصارى انني نقرا لما كانوا يحكمون
فيمن ظهر عليه ذلك وبينما كان يقرا في الكتاب كانوا يتوقفون في بعض
الكتاب وكنت اقول لهما لعله كذا وكذا فيجد كذلك ونظر الي القسيس
وقال انت تعرف تقرا بالعربية ولا تخاف لان القسيس الاعظم يطلب على من
يعرف شيا من القراة بالعربية لعله تبين شي مما ظهر مكتوبا بالعربية
وحملني الى داره وكان عنده كتب في كل فن ولسان واخرج من كتب العربية
وقرانا وترجمت له بعض الكلمات التي كان يتوقف فيها ثم تلقى بي وقال
لي القسيس الكبير امر ان تمشي معي لحضرته قلت في نفسي كيف الخلاص
والنصارى يحرقون من يجدون عنده كتابا عربيا ويعرفون انه يقرا بالعربية
واما ما ذكرنا من المترجمين الاندلسيين فكانوا شيوخا وكانوا يستعذرون
بانهم تعلموا في صغرهم بقرب عهد الاسلام واما الحكيم محمد بن ابي العافية
فكان يقرا بحضرتهم ولا حاجة له الذي كان معه في داره ويترجم كما قلنا ومما
ذا اقول انا اذا سالني عن علمي وفي الطريق كان يقول لي القسيس
قل للسيد العظيم ان المترجمين ما عرفوا شيا فقلت في نفسي عكس هذا
اقول لان اصحاب الدعاوي يفتضحون ولما ان دخلنا الى حضرته فاقبل

الصالح صح

علينا وقال لي ذكر لنا القسيس مَلْصُنْصَن انك تحسن القراءة العربية قلت
لعبي انا من البالغين فيها قال لي اين تعلمت قلت اعلم ايها السيد انني اندلسي
من البلد الفلاني وكلامنا بالعربية فيه ثم تعلمت نقرا بالاعجمية ثم مشيت
الى مذربل بلد السلطان ووجدت هنالك رجلا طبيبا اندلسيا من بلاد
بلنسية اسمه فلان وعلمني نقرا بالعربية وجاني سهلا لكوني عربيا في
الاصل ثم قال لي واين معلمك الطبيب قلت مات رحمه الله قبل هذا العهد
بنحو السنتين او ثلاثة وكلما قلت له فيما سالني عنه التعليم والطبيب
كذب وصدقني فيه وقلت له عن الطبيب انه كان من بلنسية لان في تلك
البلاد خاصة كان لهم مباح قراءة بالعربية في غير دين المسلمين لا في
غيرها من بلاد الاندلس وقد ذكر الغزالي نفع الله به في كتاب احيا علوم
الدين ان اذا جاز على انسان رجل من اهل الخير ثم جا في اثره رجل ظالم
سايلا عنه ليضره ان تقول له مشى من تلك الناحية بعكس ما مشى عليها
لينجو المطلوب من ظلم طالبه وان الكذب في مثل هذا جايز شرعا لان الارشاد
واجب، وظهر لي ان الذين من عادتهم الصدق في كلامهم اذا يكذب
فيما يجوز له الكذب مضطرا الى ذلك انه يقبل منه قوله ويصدق فيما
يقول، ثم امر القسيس باحضار الرق وكان في الطرة مكتوب بالعربية
بحروف غير منقوطة يا طالب الالغاز اقرن وان لم تعرف لم تحط
بفهم الجفر فسالني عن المعنى بالعجمية وذكرته له قال ائتنا غدا
ان شاء الله فلما ان جيت اعطاني الرق وقال القسيس عالم شهير ومحمود
عندهما فقعد معه واكتب ما يقوله لك فكان في اعلاه مكتوب جعفر
المنجل يوحنا في خراب الوجود ثم قال في صدر الكتاب بسم الذات

الكريمة

الكريمة الملتبية فاحتجنا كتابا في اللغة الى فهم ذلك فاعطاني
الجوهري في سفرين بخط اندلسي قديم وفهمت من الملتبية انه ماخوذ
من لب الشي معناه الذات الساذجة الخالصة لا مركبة ولا ممزوجة
ثم ذكر سيدنا عيسى عليه السلام الموصى بالذنب الاول ثم قال بسليبه
عن نفسه انه مشى من بلاد المغرب في طلب العلم الى مدينة اطناش ببلاد
اليونان حيث يقرا العلم بكل لسان ومن جملته باللسان العربي وبعد زمان
مشى الى زيارة بيت المقدس وان في الطريق يقترب الاوقات والرياح اصابه
ما شا الله من زيارته بلاء مرض العينين حتى غشي البصر بالبياض وان الموكل
ببيت المقدس اخرج اليه جفر الحوري يوحنا الذي كتب ربع الانجيل وقال
له فيه انه خبي سر عظيم واستشفي به دار به عليه بصر ثم اخذ منه نسخة باليوناني
واتي بها الى بلاد الاندلس ثم ترجمه باللسان العجمي المتصرف بتلك البلاد وجعله
في جدول من تسع واربعين بيتا ووضع في كل بيت حرفا من العجمي ثم وضع تحت
الجدول شرحا بالعربية ولما ترجمت العربي الذي ذكرنا انه الشرح العجمي فكنت اخذ
من العجمي الذي هو المتن وبالمغرب ببيني الكلام الى ان احد علامة ثم ناخذ من
العربي وهو الشرح ما يناسبه فجا الكلام مطبقا ومفهوما وهو ذكر في الطرة
يا طالب الالغاز اقرن والا فان هو لشيين متباينين بجمعهما، واما ما ترجم
كل من سبقنا وفيهم اعلم مني فترجم الشرح وحده ولم نفهم منه معنى وذكر
لي انه كان فيهم من قرا الملتبية بان قال بسم الذات المثلثة والحروف
كانت غير منقوطة، وفرح القسيس فرحا عظيما بما ترجمت وعلم انه الحق واعطاني
ثلاثمائة ريال وايضا كتابا بالاذن ان اكون ترجمانا من العربي الى العجمي
ومن العجمي الى العربي، وامتد الخبر عند النصارى حتى كانوا يشيرون اليه ويقولون

هذا هو الذي فهم الراقي الذي وجد في الصومعة والذي تضمن الجفر قال بعد كمال سنة قرون من ميلاد عيسى وكان هذا في المتن العجمي وفي الشرح العربي قال بابوسنة مائة هو القرن

آتي ملك جاني بالاشتهار ؞ يا مالك دايا من هذا الامراني القرار
ومكه يتحكم على الوجود

ودينه يتقدم على من قد املاه من العيوب ؞ بما العتو اعطاه على الذنب

وترجمت معنى الابيات والمفهوم منها عند الجميع ان الملك هو النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد لاحدى وعشرين سنة وستماية شمسية من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام • وفي معنى الجاني وقع الخلاف بين الترجمانيين فاما الجنيس ومما ترجمت انا فعلنا هو فاعل من جنى وهو ظاهر في القران عند قوله تعالى وجنى الجنتين دان • فلما ان ترجمت ان دينه يتقدم على من قد املاه من العيوب فقال لي القسيس كيف هذه الترجمة قلت انت تعرف تقرا واترجم لك كل كلمة وحدها حتى ما اصاب مما يقول وقد كرر ذلك كثيرا لان الكفار هم الذين املوه من العيوب وتقدم دين النبي عليهم ولا ادري ماذا ترجم له في ذلك وهو موافق لاية في القران العزيز قوله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون • وهو معنى ان دين النبي صلى الله عليه وسلم يتقدم على المشركين الذين املوه من العيوب وكان في اسفل الراق اول ما صدر لوحتنا في انجيله وكان هنالك بالعربية كتبه حديم سيسليه كما ذكرنيه اعني في الراق • ولما قرا الترجمة بالعجمية قال لي القسيس هذه الكلمة هل لها معنى غير هذا قلت ليس لها الا هذا

صح الشيخ المصالح

اسمه بكريستوب وقال انه وضع الصندوق في الصومعة عام ريسليوه خوفا من السلطان نيرون

المعنى

المعنى قال فاترك موضع الكلمة ابيضا لانه مخالف للانجيل الذي بايدينا قلت في نفسي هذا الذي كتب في زمان سيدنا عيسى عليه السلام او باثره فهو عندي اصح من الذي عندهم الان وايضا كان فيه مكتوب بقول من افضل المغرب على ما البحر باتوا سريع افواجا الي بلاد النصارى وتصل الهملي الى رومة وذكر ما ينزل بنصارى من الشر شيا كثيرا وقال عن ذلك او علامتها اذا ياتي الوقت بالانفصال ؞ مدينة البحر يملكها الشرقي بلا محال ولم يشك احد ممن سمع ذلك ان الشرقي هو سلطان الشرق وانه سلطان اسطنبل وقال لي القسيس اي مدينة هي تسمى بالعربية مدينة البحر قلت لا ادري فاعطاني كتاب الجغرافية بالعربية وهو من الكتب التي تحمل النصارى بالقالب المسمى بنزهة المشتاق في اختراع الافاق وقال انظر هل تجد هذا الاسم فقراته كله ولم نجد الاسم وبينما كنت اطالع الكتاب جا بعض المسافرين من بلدي الى مدينة غرناطة وعلمت في اي موضع من الفنادق كانوا ومشيت اليهم والكتاب عندي وبعد السلام والكلام فتحت الكتاب فلما راوه مكتوبا بالعربية دخلهم الخوف العظيم من النصارى قلت لهم لا تخافوا لان النصارى يكرمونني ويحفظونني على القراة بالعربية وكان اهل بلدي جميعا يظنون ان الحراقين من النصارى الذين كانوا يحرقون ويحكمون في من ظهر عليه شي من الاسلام او يقرا كتب العربية ومن اجل ذلك الخوف العظيم كان الاندلس يخافون بعضهم من بعض ولا يتكلمون في امور الدين الا مع من هو ثقة وكثير منهم كانوا يحبون يتعلمون شيا من دين الله ولا يجدون من يعلمهم • ولما كنت عازما على الانتقال من تلك البلاد الى بلاد المسلمين كنت اعلم جميع من اراد يتعلم من الاندلس في بلدي

فهم الخوف

وقعـــــ لله تعالى ببرو دار المغاربة

وغيرها من البلاد التي دخلتها ولما راي الاندلس الحالة التي كنت
عليها كانوا يقولون فيما بينهم لا بد لهذا من الوقوع بايدي الحرافتن وبلغ
الحال بي حتى ان اذا وقفت مع جماعة للكلام تركني كل واحد منهم يتسلل
حتى نبقى منفردا ومن اجل ذلك قصدتهم وفتحت الكتاب العزيز اليهم
لنريهم ما انعم الله علي به اذ بدّل لي الخوف بامن والعقوبة بنعمة والاهانة
والذل بعزة وكرامة ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد
في اكا جامها تجم وأما ما ذكر في الراق ان علامة النحس الذي ينزل
على النصارى تكون اذا اخذ لسترق مدينة البحر وقد اظهرت نسخة
من الراق المذكور لمولاي احمد سلطان بالمغرب رحمه الله وقال لي واحد من
قواده لو كنت تبدل القاف بفا ليقول ان مدينة البحر يملكها الشريف
قلت لا ابدل شيا ان شاء الله تنبيه هذا الراق القديم كان من زمان
سيدنا عيسى او قريب منه جدا لان نيسيلئو الذي كتبه ووضعه
في الصومعة حتى فامن سلطان نيرون لانه كان يقتل النصارى فوجدت
تاريخه توليته للملك في سنة عشرين بعد سيدنا عيسى عليه السلام
والحروف العربية التي كانت في تلك الزمان حسبما كانت في الراق
حرف القاف كان بنقطتين وهذا برهان ان المشارقة في ذلك هم
على العهد القديم بخلاف المغاربة اذ لا يجعلون للقاف الا نقطة واحدة
وهذا مدينة البحر رجونا الله ان تكون مالطة لانها في البحر وليس
للمسلمين اضر منها وقال لي الحاج يوسف الحكيم الاندلسي ان نهاية المسلمين
الذين فيها اسارى هم خمسة الالف وخمسماية رجل عشرين منهم اندلس والباقي
تركيون واولاد عرب وكان في الراق ايضا من القبلة يخرج الحاكم العدل

ظهر الان سعر ... البحري ... خرج ... فقد ... الاعجم ... الاندلس بعد اخذ ... برهان ... الحكام

ولا يعود

ولا يعودا انتهى انظر هل يدل هذا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه بعد استفتاح
مكة المشرفة فلم يعودا اليها واما الكتب التي وجدوا في الغار في خندق
الجنة فكانت نحو العشرين كتابا والورق كما قلنا من الانكه وفي واحد منها
المسمى بكتاب الصالحة مريم كما نقل من نسخة الاكيحل الاندلسي رحمه الله وايضا
ذكر لي الكلام بنفسه قايد بمدينة مراكش يسمى بفارس بن العلج وكان
عنده الكلام محفوظا ومكتوبا قال كنت اسيرا بمدينة ونطوني لحصن
الفنسيس الكبير واعطوني كتابا مكتوبا في ورق من رصاص من الكتب التي
وجدوا تحت الارض والذي قال لي مثل الذي كان مكتوبا من كتاب الاكيحل
وهو هذا يا بني في الوجود بعد روح الله يصعع نور من الله اسمه الماحي المنور
وبالمعجم البرقليطاس خاتم المرسلين تابيدا وخاتم الدين ونور الانبيا
لا نور لهم دونه ولا لاحد من العالمين فالذين امنوا به من بعد يسعدون
حق السعادة ويتورون حق التنوير المبين من الله ومن كفر به لاحظ
له في الجنة ولكن اكثر الناس كافرون انتهى وقد قال لي يونس حرسها
الله الفقيه الامام محمد بن عبد الرفيع الاندلسي ان في الحكمة سبعة اسما
من اسما النبي محمد صلى الله عليه وسلم وهي نور من الله الماحي المنور
البارقلطاس خاتم المرسلين خاتم الدين نور الانبيا وفي كتاب
اخر حكمة ذكرها لي الاكيحل رحمه الله تدل على يوم القيمة كانه برهان لها
وهي هذا ان مات الظالمون من غير حكم وعاش الصالحون من دون اجر فذلك
دليل على يوم القيمة لان الله حاكم عادل ولا يظلم في حكمه احدا وكان لهم كتاب
اخر مكتوب في اول ورقة منه بالعربية حقيقة الانجيل مقلوبة العلامة
هذا في وسطه خاتم سليمان وعلى خطوط الخاتم حروف لم تتر مختلفة عن كل

خرج صحيحا منها

من اهل التبين و

غرناطة

الحروف المعروفة في الدنيا وقلت للقسيس نحب نطالع الكتاب الذي لم نعرا
لعلى نستخرج شيا منه قال لي لم يبلغ الزمان الذي يقرا فيه ذلك الكتاب



ولما فرغنا من الترجمة بعد احدى وعشرين يوما امرني القسيس
ان اكتب نسخة منه وكتبتها واختم عليها وبعثها الى رومة للباب وكان
القسيس يريد ان اسكن في داره وخفت من طعامهم وشكرته على ذلك وقلت
انا موجود لما تامرنا به ولا نحب الانتقال من الموضع الذي انا فيه **وهذه**
عقيدة في توحيد الله من الكتب التي وجدوا تحت الارض من كتاب
تسفيون بن العطار في الديانة الكريمة قال العدل لا يزال هو الله اول كل
شيء الذي ليس لبدايته ابتدا ولا لفضيلته انقضا لا يبلغ كنه صفته
الواصفون ولا يتفكرون في ماهية ذاته المتفكرون ليس احد من العالمين
رداه ابدا عين النظر ملكه لا يزال لان ان زال ملكه ما كان الله له جلالة
لا تدرك لان ان ادركت كان نقصا به • له عظمة لا تنفك لان ان انفكت
عظمته اتاه النقصان وليس ذلك واسع فيه ابدا هو ذو علم دون جهل
علم كل شي قبل كونه • وهو ذو قدرة دون نقصان • هو ذو رحمة وفضل
دون امتنان • هو ذو حلم وقسط لا يفنا ابدا • ليس له احتياج لا حد من
العالمين ليزيدوا سلطانه • وليس دونه له نقصان في ذاته ولا في ملكه وكل

صح الدوام

صح له صفة لا تتبدل لا زال تبدلت صفته ما كان الله

امتنان

ماخلق

٢٥٤

ماخلق خلقه من رحمة دون احتياج الموجودات كون وهو المكون لو امر
الدنيا بالغرق بمن عليها لدامت في غرق مادام ملكه • ولا يزال ولا نصيب
مستقرا لها في موضع • هو خلق كل شي وليس مخلوق • هو مواس وليس
مواس له • هو ذو علم ما دون احتياج من غير • هو ذو رحمة ما دون نقصان
هو اول كل شي ليس قبله شي • وبعد كل شي ليس بعده شي • الا له ليس شي
مثله ليس هو كم ولا عدد ولا فصل ولا فوق ولا تحت ولا فوق ولا خيال ولا كلام
ولا لغة ولا صنع مثل خيالنا • هو فوق العقول ليس يوصفه الا الجلال
والكمال وذلك هو في وحدانيته لا يفهم الا هو الا الله • له العظمة والعبادة
والشكر على كل شي والايمان ما دون ذلك خسران انتهى هذا التسفيون
ابن العطار كان من اصحاب سيسليوه وكانوا كما قلنا على اثر سيدنا عيسى
عليه السلام ويظهر من كلامه فيما تقدم انه بارى من الشرك الذي تعتقده
النصارى في هذا الزمن ويصدرون في ذكر الالوهية بالتثليث وايضا
سسليوه كما قال في اول كلامه الاسم الذاتي الكلمة المثبتة والان
يقولون بسم الاب والابن والروح القدس اله واحد تعالى عن قولهم
علوا كبيرا **ولما اردنا القدوم الى اشبيلية** للمشي الى بلاد المسلمين مشيت
الى القسيس وقلت له باني عزمت على القدوم الى بلدي وان ابي كتب
لي ان نمشي اليه وان طاعة الوالدين واجبة قال لي في بعض المسايل
هي واجبة وبعضها لا نحب قلت له لا بد لي من القدوم وطلبت منه ان
يكون تسديد للاندلس لانهم مذلولون عند النصارى القدام قال لي اعلم
انني من جانبهم في كل زمان ولما ان قاموا على السلطان كنت انا قاضي القضاة
بهذه المدينة وجا اليها اخو السلطان وقبض من امين الاندلس بالمدينة

صح تقسم

مائة واربعين رجلا وفتلهم كل ذلك ليأخذوا اموالهم وكان من الحق ان
يتركهم لانهم ما كانوا من العوام واصحاب المال والنعمة لا يسعون الا
في امور العافية لينتفعوا فيما عندهم بخلاف غيرهم ولكن انتم يا اهل الاندلس
فيكم عادة غير محمودة قلت ما ذا هي قال انكم لا تمشون الا بعضكم مع بعض
ولا تعطون بناتكم للنصارى القدام ولا تتزوجون مع النصرانيات القدام
وكان في مدينة انتقيرة رجل من قرابتي وعشق بنتا نصرانية وفي اليوم الذي
مشى بالعروسة الى الكنيسة لبيع النكاح احتاج يلبس الزرد من تحت
الحوايج واخذ عنده سيفا لان قرابتها حلفوا انهم يقتلونه في الطريق
وبعد ان تزوجها بسنين لم يدخل اليها احد من قرابتها بل يتمنون موته
وموتها والنكاح لا يكون ليتخذ الانسان به اعدا بل احبابا وقرابة
قال لي والله انك قلت الحق ونودعنا بالخير وذهبت

حمه قلت له لماذا تتزوج مع النصرانيات القدام

الباب الثاني في قدومنا الى بلاد المسلمين وما اتفق لنا عند خروجنا من النصارى

اعلم رحمك الله ان البلاد التي هي
على حاشية البحر من بلاد الاندلس وايضا فيها لهم من بلاد المسلمين ان
للنصارى فيها من الحرس والبحث في من يريد عليها من الغربا شي كثير
كل ذلك لئلا يذهب احد او يجوز عليهم الى بلاد المسلمين وهذا الامر كثير الى
كيفية الخروج من بينهم وركبت البحر في بلد يسمى بمرسي شنت مريا وكان
لي صاحب من بلدي من اهل الخير والدين ومشى معي مهاجرا الى الله وبلاد
الاسلام وسبل نفسه واهل القارب لا يشكون فينا بانا منهم وقطعنا البحر
في يومين ونزلنا في بلد يسمى بالبريجة هو للنصارى وليس بينه وبين مدينة
مراكش الا نحو الثلاثة ايام للماشي المتواسط وتعجبت من المنع الذي في

بنيان

وتفت الله تعالى بروافت السيدات المغاربة

بنيان سورها واساسه على حجر وسعه ثلاثة عشرة ذراعا ولا يبالي بكور
الانفاط من اتقانه وصلابته وغلظه حتى شاهدت ثلاثة من الفرسان
بخيلهم يرفعون خيلهم جملة على السور ولا يخافون الوقوع منه ولما دخلنا
سالنا القبطان ما سبب قدومكم قلت له وقع لنا شي من التغيير مع اناس ببلاد
الاندلس وجينا الى حرمتكم قال مرحبا بكم قلت له احب منك ان تاذن لنا في
رجوعنا الى بلادنا مهما اردنا قال اذنت لكم ونزلنا عندهم واشتريت حصانا
من احسن الخيل وصرت من فرسانهم وكنت احب اشترا حزلصاحبي ولم
يتيسر وتلك البريجة في ركن من الارض والبحر دايرها من الجانبين ولا يخرج احد
من البلد حتى تتقدم الفرسان ويفتشون ويحوزون من البحر الى البحر
من الجانب الاخر البساتين مع البريجة وليس لاحد من النصارى ان يجوز
الحدود التي تكون فيها الفرسان اصحاب النوبة للحرس ولما رايت ذلك قلت
نخرج من البريجة ونجلس بين البساتين ونستخفوا فيه الى الليل ونذهب
الى مدينة ازمور وهو للمسلمين على ثلاثة فراسخ وقلت لصاحبي اذا قدر
الله علينا ان النصارى يجدونا فواحد منا يستعمل نفسه ان الجن اسرعه
ويخرج شيا من الدم من فمه وننجوا ان شا الله بذلك الكيد وخرجنا الى بين
البساتين واختفينا هنالك ثم ان صاحبي مشى الى البستان قريب من
الموضع الذي كنا فيه وبقي هنالك الى قبل غروب الشمس بقليل وانا
في اشد تغير والفرسان تاتي الى البلد ثم جا صاحبي قلت له ما السبب
حتى قعدت الى هذه الساعة قال كنت اتكلم مع صاحب البستان حتى عزم
على الخروج منجيت انا وبينما كنت بالقيظا د تركيب العلا اذ سمعت
البواب يزمر بمزمارله ينادي بالناس قبل سدادا الباب واشتغلت اقرا

وفقه الله تعالى بره اقوا المغاوبة

سورة يس والزمر فوق بابه قلت لصاحبي هذا الزمر هو علينا قال لي اعمل
حيلة الا سراع لان الناس جاوا الي جهتنا قلت له لا اعلم ذلك مما كان لي من
الغيظ قال انا افعل قلت وانا اتكلم عليك هكا معهم فاخرج شيا من الدم
ورمى بنفسه في الارض وخرجت الي جهة الرجال وانا اشير اليهم ان ياتوا الي
فلما وصلوا قالوا اما السبب في جلوسكم الي هذه الساعة والابواب بنادي عليكم
قلت لهم كنت بعثت صاحبي يشتري خيارا ولما تفطلجيت في طلبه حتى وجدته
في هذه الحالة ما استطعت حمله وحدي لانه يضطرب في الارض فوصلوا الي
ناحيته وراوه بالدم في وجهه وهو يضطرب بيديه قالوا هذا يموت وكان
واحد من الذين جاوا صاحب البستان الذي كان معه صاحبي في الكلام ووصل
الخبر للقبطان بامرنا وظنوا اننا هاربون الي المسلمين وامر ان ينظروا اهل
الحصان في الدار قالوا هو فيه وحوايجهم ايضا قال لو كانا يهربان لم يتركا
الحصان وهذا امر نزل بهما والتمت جميع الناس بحضرة المسلمين القبطان
والما الرجال الذين كانوا عندنا وقالوا ان المصروع يموت قالوا يمشي واحد
منكم ينادي ~~قسيسا~~ ليثبته ويستغفر من الذنوب ليمشي مغفورا منه للجنة فمشي قسيسا صح
واعلم القبطان بالامر وجا القسيس وهو على بعد منه يثبته قلت للقسيس
اظن انه مصروع من الجن واقرا عليه اولا ما ذكروه في الانجيل ليذهب عنه
الجن وقربنا منه فلما ان قرا عليه ذهب الجن في الحين والشيطان وظهرت
للقراة البركة والبرهان وشهرت هنالك ولاية القسيس. وضحك منه
الجن مع ابليس. وبري المريض وحيا واخذه اثنين منهم كل واحد من تحت
ابطه وصار يمشي بهم حتى صعد على حايط نازلا وهما معه وطرح نفسه
على واحد منهما عند هبوطه منه كاد ان يوقعه ودخلنا البلد وجميع الناس

مع القبطان واحكوا له على ما طرا وان المريض بعد ان كان يموت برا ببركة
ما قرا عليه القسيس ومشينا الي الدار وجا من اكابرهم يقعرونني ان لا نتركه
يركب الحصان ولا يطلع على السور ثم جا الطبيب وكانت له صنايع غير الطب
كثيرة فكان يصقل السكاكين ويركب الرماح واظنه يحلق وقال الحكيم ما هذا
الذي اصابه واحكينا له وبقي متحيرا ماذا يامرنا به من العمل للعليل قال اجعل
عليه حوايج لعله يعرق فشكرنه على حكمته ووضعنا الحوايج وبعد ان ذهبوا
جميعا ولم يسمع العليل احدا اخرج راسه من تحت الحوايج وقال كيف حالنا
يا سيدي قلت له غطي راسك ما عندنا الا الخير ان شا الله وذهب النوم عنا
في الليلة كلها واليوم الاخر تبين لنا ان الله سبحانه لطف بنا وبقي المريض سالما
ونحن نتدبر كيف العمل لنقضي الغرض حتى نخرج من بين الكفار وقلنا لو كان
واحد منا وحده يمكن الهروب والخروج بان يختفي ويهرب والحال صعب
لا تتبين وكانت سفينة عازمة على الرجوع الي بلاد الاندلس قلنا نري
الفرصة من يرجع منا وربما هذا وجانا فيها وكانت الناس تتكلم بنا بانا كنا
نريد الهروب الي بلاد المسلمين ومشيت الي القبطان وقلت احب ارجع الي
بلاد الاندلس في هذه السفينة واذا استغرضت شيا من تلك البلاد فاعطي
زمامها بعثه اليك قال وصاحبك يمشي معك قلت له اراد القعود هنا
وانت تود بالك عليه انه غريب وخرجت عشية واوجدت ما يحتاج من
الطعام في السفر ووجدت بقرب باب البلد قاربا صغيرا قال اركب فاعطيته
الطعام والحوايج وقلت له اذا خرج التاجر الذي كان يمشي من البرتجة
نركب القارب الصغير ليبلغنا الي السفينة الكبيرة وجلسنا هنالك ندعو
الله ان يعطل التاجر حتى يسدوا باب البلد ثم قالوا لصاحبنا دخل عند سد

الباب قلت لهم ردوا معي حتى يخرج التاجر قالوا نعم فقعدنا في ظلام الليل
الى ان صلينا العشاء الاخيرة ثم دعونا الله ان يرشدنا وييسرنا من اعدائنا
قلنا هذا وقت الخير نذهب ان شاء الله الى ازمور قلت لصاحبي ما ظهر لك ان
نصنع في ذهابنا قال كيف ما ظهر لك قلت له يا صاحبي الطريق القريب هو
من هنا الى البريجة قال نعم قلت من الممكن انا اذا شرعنا في الطريق يخرج ٢ ازمور
التاجر الذي هو يمشي في السفينة واذا طلبوا علينا ولا يجدونا يتبعونا
كما هي من عادتهم ويدركونا بالخيل قال كيف العمل قلت هذا طريق ازمور هو
هذا للشمال على حاشية البحر قال نعم قلنا نمشي على حاشية البحر اليمين الى
غد ان شاء الله نمشي الى ازمور قال نعم فمشينا وبعد ساعة او اقل سمعنا
مكحولة وذلك انهم طلبوا علينا حين خرج التاجر واخلوا المكحولة لعلي
نفيق من النوم ان كنا نايمين ومشينا الليل كلها في بلاد الاسد وعند انشقاق
الفجر اخلوا النفط الكبير وهي علامة عندهم اذا اخلوا ذلك النفط انه
لا يتخلف احد عن الخروج وعلمنا انهم ما خرجوا الا في طلبنا واتفقنا ان
ندخل في قلب شجرة كبيرة ونقعد هنالك الى الليل وكنا نسمع حس البارود
كثيرا ثم ابيتوا وولوا خايبين وسبب رجوعهم ان قايد ازمور لما سمع حس
المدفع الكبير من الصبح علم ان احدا من النصارى هرب من عندهم واخذ
وامر في الحين للفكاك ان يمشي الى البريجة ليتكلم مع القبطان في شان
الاسير كان عنده وباقا بالخبر فلما مشى تلاقى بالنصارى في الحصيد وسالهم
ترجمان القبطان على نصرانيين هل راوهم قال لهم نعم هم عندنا من الصبح
فلما بلغ الخبر للقبطان وهو مع جنده فكان يقبض بيده من شعر لحيته
وينتفها ويرمي في الارض وقنطوا وولوا خايبين ونحن جلسنا هنالك الى

الليل وسرنا

وسرنا
الليل وكان الحر الشديد ونحن بالعطاش وجدنا عينا من ما عذب
وشربنا وبتنا الى الصبح وبعد ذلك بزمان تلاقينا بماكش برجل من اولاد
الولي سيدي علي بن ابي القاسم وسالنا عن حالنا وهو بناس البريجة
الى جهة طيط هو بلد خال كان للمسلمين وذكرنا له عين الماء الذي وجدناه
في الليل قال للناس الحاضرين تلك البلاد نعرفها كلها وليس فيها ما على وجه
الارض الا في الابار وبعد ان تحكنا في الما وصلينا الصبح مشينا في طلب
ازمور وبسبب الغمام لم نر الشمس حتى كانت في وسط السما ثم كنا نطلب
على الما ونجد ابارا عارفة يابسة ثم استظلينا بشجرة كبيرة وبعد العصر
سمعنا حس البحر وولينا اليه لعلي نجد ثمة فلم نجد شيا ثم مشينا على طريق
وكنت اظن انه ماشي الى ازمور وبعد نصف الليل بلغنا الى بساتين
البريجة ثم خرجنا وتركناها ورائنا ومشينا على حاشية البحر الى ان
اصبح علينا ونحن في ازلا مكان من البريجة ثم صعدنا على جبل ورأينا
المسلمين يحصدون فلما قربنا منهم جاءوا الينا باسلحتهم ولما وصلوا الينا
قلنا نحن مسلمون وامسكوا عن الحرب وفرحوا بنا واعطونا الخبز والطعام
الذي لم نر من يوم الجمعة قبل الزوال الى يوم الاثنين عند الضحى ثم
بلغنا الى ازمور واقبل علينا قايدها وبحثنا كثيرا في امور دين الاسلام
وقال لي اكتب بالعربية في هذه الورقة قلت له ماذا اكتب قال الذي
تحب فكتبت ما الهمني الله وشكرته على قضاء الحاجة وخلاصنا من الكفار
ودعوت للقايد محمد بن ابراهيم السفياني على ما احسن الينا وقبضت
الورقة واظن انه بعثها للسلطان مولاي احمد رحمه الله وكتب له وامر ان
يمشي لحضرته في العيد الاضحى وان يحملنا معه ولما ان بلغنا في دكالة الى سوق

كبيرا من القايد الخديم ان يركب معنا الى السوق ولما ان دخلنا فيه جا المسلمون
يسلمون على الخديم حتى قال لهم مثلهم وجاوني من كل جانب وهم يقولون لي تشهد
تشهد وانا ساكت حتى الحوا علي في ذلك قلت اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله قالوا والله الله قالها خير منا
ثم مشوا واتوني بتمر وغير ذلك مما كانوا يبيعون وقصة قلت لهم
لا اطلب منكم شيا من ذلك فلما ولينا عند القايد قال لي ما ظهر لك قلت
الحمد لله اذ لم نر عدوا في هذا الناس لانا في بلاد النصارى لم نر فيها في الاسواق
الا اعدا يمنعوننا من الشهادتين جهرا والمسلمون يحرصوني عليها
وفرحوا جميعا حين سمعوا مني ذلك وشبهت ما اصابنا من خوف النصارى
وما راينا من التعب في الطريق الى اهوال يوم القيامة ووصولنا الى المسلمين
للدخول في الجنة نسال الله العظيم ان لا يحرمنا منها وللمسلمين اجمعين
ببركة سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وازكى التسليم امين

الباب الثالث في بلوغنا الى مدينة مراكش وما كان السبب الى ان مشيت الى بلاد الفرنج

ولما ان بلغنا الى محلة السلطان مولاي
احمد بن مولاي محمد الشيخ الشريف الحسني وكان يقرب المدينة بنحو الستة
اميال بسبب الوبا العظيم الذي نزل بتلك البلاد وليوم ثاني من بلوغنا
كان عيد الاضحى وخرج السلطان في جنود لم نظن ذلك وعجبني حال
الرماة وحزامهم هو افضل واحسن وازين من حزام النصارى قاما العرب
الذين جاوا مع قوادهم فكانوا تسعا وعشرين الف فارسا والجند كثير
وبعد ذلك دخلنا مراكش هي مدينة كبيرة وبناكها كثيرة وعنبها ليس
في الدنيا مثله وبعد ان دخل السلطان من المحلة وكان ذلك عام سبع والف

انعم الله

انعم الله علينا واذن لنا في الدخول الى حضرته في يوم الديوان ولما ابتديت
بالكلام الذي اخترت ان اقوله بحضرته العلية بصوت شهير سكت جميع من
حضر كانها خطبة ففرح السلطان وقال كيف يكون في بلاد النصارى
من الاندلس من يقول بالعربية مثل هذا الكلام لانه كلام الفقها وفرح
بذلك كافة الاندلس القدام وراينا العافية والرخا في تلك البلاد الى ان
مات مولاي احمد رحمه الله في مولود النبي من سنة اثنا عشر والف
وقام من الفواهر والهرج في المغرب كله ثم ثبت في المملكة مولاي زيدان
بن مولاي احمد وفي ايامه امر سلطان الاندلس المسمى بفليب الثالث من اسمه
باخراج جميع الاندلس المسلمين من بلاده وابتدا ذلك كان سنة ثلاث
عشرة والف واخرهم خرجوا سنة عشرين وكان الاندلس يقطعون البحر
في سفن بالكرا ودخل كثير منهم في سفن الفرنج ونهبوهم في البحر وجا
الى مراكش اندلس منهوبون من الفرنج من اربع سفن وبعث رجل اندلسي. من بلاد فرنجه
بطلب منهم وكالة ليطلب الشرع عنهم ببلاد الفرنج واتفق نظرهم انهم
يبعثون خمسة رجالا من المنهوبين ويمشي بهم واحد من الاندلس الذين
سبقوهم بالخروج من بلاد الاندلس واعلموا السلطان بذلك واذن لهم
واتفقوا انني نمشي بهم واعطانا السلطان كتبه وركبنا البحر بمدينة
اسفي

الباب الرابع في قدومنا الى بلاد الفرنج

ولما ان دخلنا
البحر المحيط سافرنا الى ان تركنا بلاد المغرب عن يميننا ثم عبرنا في
البحر الى جهة القطب الشمالي وتركنا ايضا بلاد الاندلس عن يميننا
وبلغنا الى بلاد الفرنج الى مرسى البركة بعد ثلاثين يوما من خروجنا
وبتنا في السفينة بنية الخروج في البر يوم احد تلك الليلة على طولها

يزني في اليوم بان كنت نتلوا سورة الاخلاص وبعد ان نزلنا بان لي ان
قراة قل هو الله احد كان لي تثبيتا على التوحيد والاخراج من الله به
اذ كنا نازلين ببلاد الشرك ثم مشينا الى مدينة روان وجا الينا
تاجر كنت اعرفه في مراكش اسمه فرنط ولطول مكثه ببلاد المسلمين
كان يعرف العربية غاية وبدا يتكلم في دين المسلمين ويشكر دين النصارى
وقال المسلمون في دينهم مباح الزنا والسرقة فقلت هذا باطل قال بل
صحيح لاني سمعت لعلمائكم يقولون ان بعضا سال نبيكم بان قال المومن
يزني قال يزني قال له المومن ليسرق قال يسرق قال له ايضا المومن يكذب
قال له المومن ما يكذب فقلت له المومن الذي ما يكذب فلا يسرق
ولا يزني وكيف نقول ذلك وعندنا ان من سرق ما يساوي ربع
دينار تقطع يده والزاني المحصن يرجم الى ان يموت والمستعمل
بجرح دينه الى ان قال ان سيدنا عيسى عليه السلام كان ابن الله وابن
انسان وانه مات ليخلص الذنب الاول قلت اقول لك في الجواب شعر
نسبه بعض للقاضي عياض

عجبا للنصارى في نبيهم • والى اي والد نسبوه •
اسلموه الى اليهود وقالوا • انهم بعد صلبه قتلوه •
فان كان ما يقولون حقا • فاسلوهم اين كان ابوه •
فان كان راضيا لاذاهم • فاشكروهم لاجل ما عذبوه •
وان كان ساخطا لاذاهم • فاعبدوهم لانهم غلبوه •

فبهت التاجر ولم يعرف ما يقول وكان قد ذكر لي رجل من علما النصارى
وكان راهبا ثم اسلم وسمي برمضان في مدينة مراكش ثم ذهب الى بلاد

السودان

السودان ومات بها والله اعلم وقال ان السلطان مولاي احمد رحمه الله
امر باحضاره بين يديه حين علم انه من علما النصارى فقال له ماذا تقولون
في سيدنا عيسى عليه السلام قال انه احد الثلاثة في الالوهية او كما قال
وانه مات ليخلص العالم من الذنب الذي عمل ابونا ادم قال له السلطان
انا اضرب لك مثلا حتى ترى الغلط الذي انتم فيه فقدر انني امرت
ان من يدخل في هذا البستان الذي بدار السعيد نقتله واتفق
ان واحدا من علم بالمنع دخل البستان وعصاني ولما صح ذلك عندي
امرت الخدام ان ياتوني بابني ولما حضر قلت لهم اقتلوا ابني لاجل دخول
فلان في الجنان الذي نهيت عن الدخول فيه وقال للراهب هذه هي مسئلتكم
على زعمكم فهل يقول عاقل بمثل هذا القول فخرس الراهب وبهت ولم يجد ما يجاوب
به قلت للراهب هذا كلام لم يبق لكم ما تجاوبون اليه قال الراهب
بقي جواب قلت ماذا هو قال بعد ان مشيت الى الدار اصبت الجواب وذكره
لي وكان كلام ليس فيه ما يقال وما بعد الحق الا الضلال وايضا
وقع كلام مع قاضي القضاة بروان بعد ان زرته وكان يعرف اللسان
العجمي الاندلسي سالني عن مسئلة في ديننا لانهم كانوا مختلفين
اعني اصحاب الباب وكان القاضي منهم وبين النصارى الذين يكفرون
به ويكل ما يقول ما عدا التثليث لانهم متفقون فيه وذلك انه قال لي
ان اما مات المرء هل تصل اليه حسنة من عند غيره قلت له قال نبينا
صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة
جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له ففرح وانشرح لانه كان موافقا
لاعتقادهم ثم قال لي القاضي انتم الترك تصنعون فعلا قبيحا

ونسله تعالى بره والمغاربة

بقتلكم جميع اولاد السلاطين الا واحدا او اثنين قلت ذلك لصلاح المسلمين لان كل من هو ابن سلطان يحب مملكة ابيه واذا اصاب الهروب فيفر والمملكة عظيمة ومتسعة فيبقوم معه كثير وتكون بسبب ذلك تفريق الكلمة وتكون الفتنة وقد نشاهد في النحل امر وهو انه اذا افرخ وكثر فتخرج النحل من الجبح وتدخل في جبح اخر وعندهم فيما بين النحل سلالة سلاطين منها وهو نحل اطول من سائر النحل وتترك النحل واحدا من جنس السلاطين ليكون سلطانها وتقتل جميع من هو من ذلك الجنس وهذا مشاهدة يعلم ذلك كل من يخالط النحل وهذا الكلام رأى ففرح القاضي واظهر لي محبة ومودة ونفعني

الباب الخامس في قدومنا الى بريش وهي دار سلطنة الفرنج

وبينها وبين مدينة روان نحو الثلاثة ايام طولها خمسة الف خطوة وخمسماية وعرضها اربعة الاف وخمسماية خطوة وبيوتها عالية اكثرها اربع طبقات واكثر واقل وكلها عامرة من الناس وديارها كلها مبنية بالحجر المنجور الا انه بطول الزمان يسود لون الحجر وتقول النصارى ان اعظم مدن الدنيا القسطنطينية ثم بريش ثم اشبونة ببلاد الاندلس وكان من حقهم ان يذكروا مصر الا انهم يقولون لها القاهرة الكبيرة واذا اجتمعا مع مصر مصر العتيق وبولاق وقايسته باي لم ندر من هي اعظم بريش او مصر وبما ذكرنا ورفعنا امرنا الذي جينا الى تلك البلاد بسببه الى ديوان السلطان واعطونا كتب السلطان للقضاة الذي ذكرنا لهم وايضا القاضي الاندلسي وذلك ان في ديوانهم وجهوا قاضيا اليهم ليقضي بينهم باخذ حق المال للاغنياء من الاندلس

الواردين

٦٦

الواردين على بلاد الفرنج ويقيم بذلك فقرائهم **ولما صح عند سلطان اسطنبول بخروج الاندلس الذين يسمونهم ببلاد الترك** بمدجلين كتب كتبا السني الى سلطان فرنجة بالوصية عليهم ونفع ذلك الكتاب للاندلس نفعا عظيما تقبل الله منه وجعله في اعلا عليين ببركة سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين ولما اعطوني كتب السلطان قلت لبعض من كان يعتقد في ان يترجم لي الكتب وبعد الكلام الذي من عادتهم بصدر رسمه قال للقضاة نامركم ان تنفعوا مع وكيل جميع الاندلس لان السيد الكبير كتب لنا في شانهم وهذا الاسم لا يسمون به احدا من ملوك الدنيا وذلك ببركة الاسلام في الدنيا اذ هو اعظم سلاطينها وتلقيت في تلك المدينة برجل من علمائهم كان يقرا بالعربية وبعض النصارى يعزون علمه وكان يسمى يابرت وقال انا اخدمك فيما تحتاج حتى لاكلم لك كبرا الناس وغير ذلك ومما نحب منك الا تقرا بحضرتك في الكتب التي عندي بالعربية وتبين لي فيها شيا مما فيها قلت له ابينها ومن جملة الكتب جا بالقران العظيم فسالنا اين اتصلت بهذا قال كنت بمدينة مراكش وهناك تعلمت تقرا وكان جلوسي هناك على امر سلطان فرنجة لنعلم بحروف الرمز كل ما يعلم انه يقع لسلطان مراكش في ديوانه وحركاته فتغيرت حين رايت كتاب الله العزيز بيد كافر نجس ثم رايت قانون ابن سينا في الطب وكتاب اقليدس في الهندسة وكتبا في النحو مثل الاجرومية والكافية وكتابا اخر بالعربية ايضا فيه مناظرات بين مسلم ونصراني ونصراني ويشهد الغلب للنصراني في الاديان وغير ذلك من الكتب وكنا نبتدي بالكلام في العلم ثم تقع المنازعة بيننا على الاديان

وقرأت يوما في القرآن الذي كان له ووجدنا بالفرنج مكتوبا في طرة
الكتاب من هنا اخذ التركيون اباحة اللواط قلت له من قال لك ان ذلك
مباح عندنا قال ظاهر من هذه الاية نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم قلت نحن عندنا ان اللواط اعظم من الزنا لان اذا زنى محصن يرجم
الى ان يموت واذا كان غير محصن يجلد مائة جلدة ويغرب عن بلده ويسجن
فيه عاما واذا فعل فعل قوم لوط كان محصنا او غير محصن يموت
مرجوما شرعا وكيف تفسر انت في القرآن والمفسرون له يحتاجون علوما
شتى وانت لا تعلم لغة العربية ولا النحو فضلا عن غير ذلك ثم قلت له
اين المحل الذي كتبته فابى ان يجي ما في الطرة وكان ذكر لي ان في كتبخانة
كذا فيها كتب بالعربية قلت له احب اطالعها ومشينا ووجدنا قبة كبيرة
والكتب صفوفا على الواح وكراسي وكل كتاب في اسفله حلقة من حديد
في اسفله وسلسلة حديد تجوز على جميع حلق الكتب كل ذلك لئلا تذهب
الكتب وكانت في كل لغة ففتشنا حتى وجدنا كتابا عربيا وفتحناه لنقرا فيه
والموضع الذي وجدته كان تفسير الاية التي ذكرت انه كتب في الطرة عليها
وهي نساؤكم حرث لكم وذلك من غير قصد مني الا هداية من الله وبرهانا
لما قلت للنصراني ومن جملة ما ذكر في التفسير الاية بيت شعر
فاخذت القلم وكتبته والنصراني حاضر وهذا الذي كتبت من الكتاب
ونظرت اوله لنذكر مولفه وحصنه ورواق اوله وهذا هو الشعر

حبذا من هبة الله النساء الصالحات ٭ هن للنسل وهن للدرس وهن
يهب الله لمن يشا منها البركات ٭

اصلح هذا الشيخ علي الاجهوري نفعنا الله به عند قراتي عليه

حبذا من وهب النسا الصالحات ٭ هن للنسل وهن للدين ثبات
يهب الله لمن يشا النسا الخيرات ٭ انما الارحام هي لنا محترثات
فعلينا بالزرع فيها وعلى الله النبات

انما

ونرجو الله تعالى بروا ذوا المغاربة

انما الارحام اراضنا لنا محترثات ٭
فعلينا بالزرع فيها وعلى الله النبات ٭
ولم يسعني الحال ان تم القراة على معنى الست الصالحات التي ذكر في
البيت وقال لي النصراني ما الذي كتبت قلت له شي من تفسير الاية
التي كتبت انت في الطرة عليها وقلت له معنى الشعر بالاعجمية قلت
له قول الله تبارك وتعالى نساؤكم حرث لكم قال نعم قلت معنى الشعر
ان الارحام موضع الحرث وعلى الله النبات قلت له هل رايت او سمعت
ان احدا يحرث في حجر قال لا قلت له لم يحرث احد الا في موضع الزرع فلذا
والنسا موضع حرث الرجال في محل النبات كانت بوجهها اليه او بظهرها
وحينئذ اخذ القلم ومحى ما كان كتبه في معنى الاية وقال الشيخ
الاجهوري عن سيدنا مالك ان بعضا نسب اليه انه قال بجواز النكاح في
الدبر فقال لهم انتم قوم عرب هل يكون الحرث في غير موضع الزرع
واما هذا الفعل القبيح فقد اشتهر عند المسلمين حتى توهم النصارى
ان ذلك مباح في ديننا وذلك لشهرته حتى انه ذكر ان بعضا يكون له اولاد
يحبون للفعل بهم ولم يتذكروا انه ممنوع في دين الاسلام وان الله
تبارك وتعالى غضب غضبا شديدا حتى خسف باربعة بلاد بجميع من
كان فيها وهذا الذي يترك ما احل الله له من النسا وفي جماعهن تفريج
لهن الذي يحصل له من ذلك اجر وحسنة ويطهران من مجامع الذكران
يحصل له ذنبا من اربعة وجوه الاول تضييع حق النسا التي تحت حكمه ومعصية
الله التي حرم الله عليه ذلك وافساد الذكر الذي فعل لانه يتركه ناقصا عن
درجة الذكور لشجاعة وغير ذلك من فتوة الرجال وايضا وضع منيه في

محل لا يرجي منه نسل وللناكح في الحلال حسنة من الفعل وحسنة على تفريح
من هي تحت حكمه منتظرة اليه وحسنة عظيمة على قصده ان يرزقه
الله من يذكره ويعبده والذي رايته في مناظرة النصارى انه اذا قويت
نفسي في الرد عليهم كانما ينزل على من عند الله اجلال وتعظيم وتعظم في
اعينهم بذكر توحيد الله وذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطلان
تثليثهم وقد قال الله العظيم لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث
ثلاثة ومهما فترت من خوف او جزع فكان ينزل علي الذل عندهم
ولما رايت ذلك وتحققته وفهمت ان الله سبحانه اراد مني ان نجاهد
معهم بقوة فكنت اقول لهم ما لا سمعوه من مسلم قط ويبصر في الله
عليهم ويقولون لي ان احتجت منا شيا نقضيه لك حتى ان بعضهم
يقولون لي عند مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا السيد
محمد نبيكم عمل كذا وقال كذا وكذا ويهمرهما بلهجتهم الله المعين العليم
الحكيم وقد ذكرت يوما لا برون الذي كان يقرا بالعربية ان يريني
الموضع الذي فيه الحبال التي يطلعون بها الما من تحت الارض
المسمى عندهم بنبة قال لي هو في دار المترهبين ومشينا ولما ان
وصلنا الى باب الدار كان مغلوقا وبه من عود معلق من حبل فجذب
العود وحرك الحبل داخلا ناقوسا صغيرا فسمع ضربه الموكل بالباب
وجا قسيس راهب الى الباب وتكلم من طاقة صغيرة في دفة الباب
بعدما ازاح منها لوحة صغيرة وطلب منه البرون الدخول ولما دخلنا
راينا الحبال والمترهبين يجذبون الما بها ورايت الرهبان باللحا
غير مقصوصة ما ليس من عادة الرهبان قلت لا برون هذا الرهبان

عندهم

عندهم اولادهم قال وهو متعجب كيف تسل عن اولادهم اما علمت
ان القسيسين والرهبان لا يتزوجون قلت رايتهم باللحا طوال وقلت واستدليت
انه يكون لهم اولاد قال لي الدراويش على انواع وساله الراهب عني قال له
مسلم من مراكش فتعجب وقال بلغني ان اخي فلانا كان باسطنبول ودخل
في دين التركيين ونفسي تحدثني ان امشي الى تلك البلاد نلتقي باخي
قال له البرون ماذا تصنع ببلاد المسلمين قلت هل هوا افضل عند الله
وعندكم ترك الزواج قال الراهب كثير يتزوجون قلت له على تقدير
ان السلطان نادى رجلين وانعم عليهما نعما فالواحد قبل نعمة السلطان
وشكر عليها شكرا دايما والثاني لم يقبلها وذلك ان الله عز وجل خلق
هذا العالم من اجل بني ادم فالذي يعمل قدر جهده ليكون له اولاد ليشكروا
الله بعده على ما انعم عليه خير الذي لم يقصدهم فليس بشاكر قال كثير من
يتزوجون قلت الزواج سبب في الاولاد لعمارة العالم وعبادة الله والشكر
عليه لان الانسان فان وقلت له هل في دينكم ان يوم الحساب اذا سيل انسان
عن عمل صالح تركه هل ينجو بقوله انا ما عملته ولكن عمله غيري فتوقف
القسيس بل الراهب عن الجواب وقال لنا ادخلوا معي فدخلنا الى بستان
وبينما كنا سايرين في الطريق بين الاشجار رايت شجرة لم تثمر قلت
له لماذا غرستم هذه الشجرة قال لتثمر وتعمل فاكهة قلت له ولذا ما عملت
فاكهة ما يصنع بها فتبسم ان المثل كان عليه ثم جزنا الى قدام الى بين
اشجار غلاظ وطوال جدا وظهر لي ان من مثل ذلك الاشجار يعملون صوار
السفن ولما كنا في الموضع بين الاشجار الكبار ولم يظهر احد قال لي
نحبنا منك نحفظ الالسن وسرنا في المدن واقطار الدنيا ومع هذا انكون

صح فهو من الشاكرين

مسلما قلت لهم العجب هو منكم تقرؤا الكتب والعلوم وانتم من حضر هذه المدينة
الكبيرة ومع ذلك تقولون على الله الذي خلق كل شيء وهو واحد قبل كل شيء
وبعده انه ثالث ثلاثة مما لا يقبله العقل ابدا وذلك نقصان في حقه
تعالى قال ابدت هذا التثليث لا يعرفه ولا يفهمه الا من قرا المنطق قلت
له وانت قراته قال نعم قلت له بين لي كيف هو ثلاثة وواحد لان اهل
ديننا لا يقبلون الا واحدا وكذلك من تقدم من الانبيا عليهم السلام
لم يعرفوا الا واحدا ولا عبدوا الا الها واحدا وفي الحساب اما واحد
او ثلاثة واما ثلاثة وواحد فهذا ضدان والضدان لا يجتمعان
قال الراهب في اليوم الاخر جاءني الهام رباني وبيان مقبول يدل على
ان سيدنا عيسى كان ابن الله حقيقة وكان هو ايضا الاه وكتبته اجل
ابيك به لتسمعه قال له ابدت ابيني به فمشى سريعا واتى به وقراه بالفرنج
وترجمها وقال لا هذا شيء عجيب قلت له ماذا قال في ورقته قال
الراهب الله تبارك وتعالى حين خلق الدنيا امر لكل شيء من جميع
المخلوقات ان كل واحد يخرج في الدنيا ويليد على طبعه ونوعه وشكله
وراى الله ان ذلك صلاح وهذا القول ماخوذ من الباب الاول من التوراة
قال لي ماذا تقول فهل ذلك صلاح قلت نعم كلما امر الله به فهو صلاح
قال حيث راى الله تبارك وتعالى انه صلاح ان كل شيء يخرج ويليد على
طبعه ومثله اراد هو ان يكون له ولد مثله قال ماذا تقول قلت له على هذا
القياس كان سيدنا عيسى يحتاج ان يكون له ولد مثله وابنه يكون
له ابن اخر وتكثر الالهات الى ما لا نهاية لها قلت ماذا تقول فبهت
وبقي بورقته مبطلة غير مقبوله وكذبه ظاهر فالله العظيم

وينذر

وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة
تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا وذهبنا عن الراهب ٠٠

الباب السادس في قدومنا الى قاضي الاندلس الفرنجي بكتاب السلطان

ولما ان خرجنا من بريش ومشينا الى مدينة برضيوش
ابن دار قاضي الاندلس قالوا لنا هو في البلد التي تخرج اليه الاندلس وهو
البلد الاول من بلاد فرنجة يسمى بشنت جوان ذلز فمشينا اليه وذلك عام
عشرين والف وكانوا فيه اخر من خرج من الاندلس وذكر لي من جا من
جا من بعدهم رجل تونسي من بلاد التغرا اسمه قلبش الكاتب ان الديوان
السلطاني بتونس قالوا بلغ نهاية الجميع بصغارهم لثمان ماية الف مخلوق
ولما تلاقيت بالقاضي كان يشكر دينه حتى قال لي مرارا يا فلان رايت انه
يليق بك انك ترجع نصرانيا قلت له على اي مذهب من مذاهب النصارى
قال ليس لنا الا مذهب واحد قلت له لو كان يحيي الله نصرانيا من مات
سيدنا عيسى عليه السلام ثم يحيي نصرانيا من كل قرن من القرون الماضية
وجميعها ستة عشر قرنا فكل واحد منهم يقول عن غيره انهم كفار لما يرى من
الزيادة والنقصان عند غيره في الدين والعقل التام يدري ويحكم بحكم
قطعي ان دين الله لا زيادة فيه ولا نقصان كما هو ديننا قال وديننا كذلك
قلت دينكم بابه مفتوح للزيادة والنقصان لان كل باب له امر عندكم
ليزيد وينقص ما يظهر له في الدين قال هذا سيدنا عيسى اوكا قال
ذكره الاول بل من الانبيا حتى قالوا انه لا يكون قبر احد من الانبيا معروفا
حقيقة الا قبره قلت له ذلك قبر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال كيف
ذلك قلت ليس هو كما تقول النصارى انه في حلقة من حديد في الهوى

في وسط قبة مبنية بالحجر المغناطيس الذي من خصيصته تجذب
الحديد اليه لانه مدفون في الارض في مدينة النبي ~~عشرة ايام من طريق~~
بينها وبين مكة قال لي انظر هذه العاقبة التي عندنا في بلادنا خلاف
بلادكم لان الاحكام تدل على صحة ديننا قلت لسيئ احكامكم وشرعكم
ماخوذ من الانجيل انما شرعكم على مذهب المجوس الذين كانوا برومة
وكتب شريعتكم مترجمة من كتبهم مثل الكتاب الكبير لبلاص وغيره
قال صدقت وجلسنا هنالك زمانا وهو مشغول بالاندلس واحتجت
الرجوع الي بريش **واما قلت للقاضي** ان في دين النصارى الزيادة
والنقصان في كل زمان فها برهان ذلك كما اشترطت في اول الكتاب
بان اتي بالبرهان والنصوص مما نذكره فاما ما يكون من كتبهم فمن المكتوبة
بالقالب فلا يمكن لاحد من المعلمين اصحاب القالب ان يطبع كتابا الا باذن
من اصحاب الديوان والاجازة لي صاحب التاليف قال كونش
المنجم في كتابه وايضا سمرانُ الاشبيلي وقد عرفته في اشبيلية اسماعينا
قال ان الباسلبول من بلاد طشقانة امر ان النسا يدخلن مغطيات
الرووس في كنايسهم الباب الترث يابي امر ان كل نكاح يكون بحضرة
قسيس وان لما كان بحضرته فهو زنا الباب اسكندر اخر ان
القسيس لا يصلي الا صلاة واحدة في اليوم وزاد في فرايض الصلاة
وامر ان الخمر الذي يشربه القسيس في اثنا الصلاة ان يبذله ما
وان يجعلوا ما مباركا على ابواب الكنايس انتهى كلام اسكندر ه
واقول ان من فرايض الصلاة للقسيس الذي يؤمر النصارى
انه يجد رغيفا رقيقا قدر كف الانسان في الانشراح مستديرة فيها

عشرة ايام

صورة

صورة سيدنا عيسى عليه السلام واذا كان في حال الصلاة التي هي فرض على
كل مكلف مرة في كل يوم الاحد وبعض ايام المواسم وبعد ان يقرا من الانجيل
ما يناسب لذلك اليوم لان لكل يوم جزء معروف من الانجيل وذلك
انهم قسموا الانجيل كله ثلاثماية وستين جزءا لكل يوم من السنة
جزء وبعد ان يقرا الامام الجزء المنسوب من الانجيل لذلك اليوم
وعند قراته من الكتاب تكون جميع الناس قايمين عريانين الرووس
ثم ياخذ القسيس القرصة ويرفعها فوق راسه ليراها المامومون
ويقول كلاما معناه هذا هو جسدي وهي كلمة ماخوذة من الانجيل
لان فيه ان سيدنا عيسى عليه السلام قال للحواريين وهو يخبز في
يده هذا هو جسدي وقال لهم على الخمر اذا رفعه فوق راسه فيقول
هذا هو دمي ويجعل القرصة في الخمر لترطب قليلا ثم ياكلها ثم يشرب
الخمر كله ثم يرجع بوجهه الى الناس ويقول لهم انصرفوا فقد اتمت
الصلاة ولا يتوضى احد منهم ولا يغتسل ابدا بل هم ناجسون ظاهرا وباطنا
اما في الباطن باعتقادهم الشرك والباطل في الجانب الاعلى وفي
اجسادهم وما يلبسونه واذا كان للمصلي كلب او كلاب فيسبقونه للكنيسة
ولا يردها احد وفيها اصنام مصنوعة من خشب والحيطان بالصور
ولا يدفنون الموتى الا في الكنايس واذا كان الامام في اثنا الصلاة
فيضربون الان الزمر المسمى بارغنش يشتمل على خمس وعشرين
زمرة من نحاس او معدن غيره وبعض منها قدر الخشب ومعلق ضربها
ولها حس لذيذ للسمع وقبل ان يتم الصلاة ينزل الامام من المحراب
وبيده طرف حرير على طول ذراع ويمشي بين الرجال ويمد لهم الشقة

يتبلونها واذا فرغ من الرجال يدخل بين النسا وهي في غاية الزينة
وكل واحدة تاخذ الشقة من يده وتقبلها ويعتقدون ان الامام اعطاهم
بذلك العافية ثم يعود الى محرابه ويتم الصلاة كما تقدم وقد ذكرت
هذا كله لتعلموا ما بين هذه العبادة وعبادة المسلمين ولتشكروا
الله على ما انعم به علينا باعتقاد الحق وطهارة الجسد والملبس والجامع
الطاهر النقي من الاوثان لانها من اعظم النعم وظهر لي ان الله تبارك
وتعالى خلق الجنة ومن الكمال لها خلق جهنم نستعيذ بالله منها قال
الله تعالى وان منكم الا واردها وذلك كمل لذة الجنة عند المومن
لان برؤية جهنم يرى ما نجاه الله وما انعم به عليه من نعايم الجنة
ويزيد في الشكر عليها واما البابا الرومي شنشط زاد في صلاة ثم
كلمة واحدة تقال ثلاث مرات البابه طلشا وتاتي افترض الصيام
وان القسيس يصلي ثلاث صلوات يوم ميلاد عيسى عليه السلام
وزادوا في بعض الصلوات امورا باخر امران من كان قسيسا
يقصص لحيته باب احرس صيا ما غير الفرض باب اخر امران الكاس
الذي يجعلون فيه الخمر عند الصلاة لا يكون من زجاج كما كان قبل الا
من فضة اخر من البابه امران اذا ادعى على نصراني دعوة في الاحكام
اذا كان على غير ملة النصارى ان لا تقبل دعوته اخر امران لا يصوم
احد فرضا ولا سنة يوم الاحد ولا يوم الخميس ثم فسخ الامر اخر
امران بعد قراة الانجيل في بعض الصلاة تقرا عقيدة الشرك التي
هي فرض على كل مكلف حفظها ذكروا ان الذي عمل العقيدة كان
اطناشي رجل قسيس بعد سيدنا عيسى باكثر من مائة سنة البابا مركيـ

صح وكذلك يشكر على دين الاسلام برؤية الكفر

الرومي

الرومي امر للقضاة في الاحكام ان لا يقضوا على قسيس انما يكون
للقسيس قاضيا منهم اخر من البابا زاد في الصلاة مسلتين اخر
من البابا امران القسيس الامام يعطي الصلح بين الناس وتقدم
ذكرا لعقل انه يمشي بين الناس وشابه وراه يجمع ما يعطون من
الدراهم البابا برجلي الرومي امران تسمى الصالحة مريم بام كذا وان
لا تسمى الا بذلك الاسم فسميت بذلك الى الان عند النصارى التابعين له
لعنهم الله وخذلهم تعالى عن قولهم علوا كبيرا وكان ذلك لكذا سنة من
المائة السادسة ولما اشتهر هذا الامر الشنيع بهذا الاسم الذي لم يكن
قبل وعمل به القوم الكافرون بعث الله سبحانه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
بالقران العظيم ودين الصراط المستقيم واظهره الله عليهم ونزل في قلوبهم
الرعب والخوف من المسلمين ونصرهم عليهم فكم بلاد اخذوا من بلادهم
وهذا الف سنة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واكثر معمور الدنيا للمسلمين
نسال الله العظيم ان يقوي الاسلام عليهم حتى ياخذوا ما بقي لهم وان
يكون ذلك فيما هو قريب بفضل سيدنا محمد الشفيع الحبيب الذي زويت
له الدنيا وراى البعيد والقريب انه سبيع عجيب وكانت ولادة النبي
صلى الله عليه وسلم كما تقدم لاحدى وعشرين وستماية من ميلاد عيسى
عليه السلام من بعد هذا الشرك من البابا برجلي الكافر المبتدع
واعلم ان تسمية سيدنا عيسى بابن الله لعيسى يفهمونه في الانجيل
انه ابن الله حقيقة لا يفهمون الا انه نبي مقبول عند الله قال في لباب
الناس من بشرة مني في الانجيل قال سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين
فليضيء نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي

في السموات وقال في الفصل التاسع احسنوا الي من ابغضكم وصلوا على
من يطردكم ويغتصبكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات وقال ايضا
كونوا انتم مثل ابيكم السماي فهو كامل وقال في دعا الفاتحة عندهم
في الانجيل ان يقولوا ابونا الذي في السما وهذا برهان ان سيدنا عيسى
ما كان يدعي بالاله عند الحواريين ولا في زمانه وهذا الذي امران الصالحة
مريم لا يكون اسمها عند النصارى الام كذا فهو بخلاف ما في الانجيل
وفيما ذكرنا برهان كاف لما قلت للقاضي على دين النصارى وبقي كثير مما
كتبنا في الرحلة مما زاد وغير في دينهم الباب وقد طالعت ببلاد الفلمنك
كتابا الف بالنصوص من التوراة ومن الكتب القديمة ودلت على ان
الباب هو الدجال المذكور انه يكون في الدنيا وكنت اسمع ان في كتاب
كبير هو عندهم يعتنون وانه ما اخفى شيئا مما وقع للباب وذكر ان
واحدا منهم كان امراة وافضحها الله على اعين الناس ولم نتحقق ذلك
لان سمران وغيره خفي ذلك وقال ان من ذكر ذلك انه باطل حتى
وجدت كتابا قديما مكتوبا بحروف الطبع وقد تقدم انه لا يكون في
الغالب الا بالاذن في ذلك وقال فيه كانت ببلاد الانجليز بنت صح الانجليز
نصرانية اسمها كذا وهربت من بلادها مع صاحبها وكانت بطلب العلم
وجاءت الي بلاد اليونان ولتخفي نفسها وتبقى مع صاحبها لبست اثواب
الرجال وبلغت في العلم مبلغا عظيما وجاءت الي مدينة رومة واتفق
ان بعد موت الباب فلان بقرب السبعماية سنة من ميلاد سيدنا عيسى
عليه السلام شهدوا اكثر العلما بانها تتولى الكرسي وبقيت تتصرف في المرتبة
على العادة تغفر وتحلل وتحرم كاسلافها في المرتبة وذلك والله اعلم

افلا

٢٦٦٦

وقف لله تعالى بيرداو المغاربة

اكلها واكلها قلت نحن عندنا خلص لما ورثنا من الفاكهة خير من خلاصكم
لانكم تقولون ان واحدا وهو سيدنا عيسى عليه السلام خلص من الجميع
ونحن نخلص كل واحد عن نفسه قال كيف هو خلاصكم قلت له ابونا ادم عليه
السلام كان في الجنة وما كان يخرج من جسده شي من فضلات حتى اكل من
الشجرة التي امر بتركها قال نعم قلت فهذه الفضلات التي تخرج منا هي
التي ورثنا بسبب الشجرة واعلموا انه فرض في ديننا على كل مكلف بالغ
ذكرا كان او انثى انه يصلي لله تعالى خمس صلوات ومن شروط فرايضها
ان يكون طاهرا بوضوء لان الانسان داخل الحضرة المولى والوضوء هو طهر
للجسد مما ورث من الفاكهة المذكورة واحدثت في الجسد النجاسة
وبعد ان يكون الانسان طاهرا في جسده وثوبه ولباسه نقي من النجاسات
فيغسل الانسان يديه لاجل ان ابلغا ادم عليه السلام مد يده الي الفاكهة
التي نهاه الله عنها وفمه لانه اكل منها وانفه لانه استنشق الفاكهة ووجهه
لانه توجه اليها ويمسح براسه لانه دخل تحت الشجرة واذنيه لانه سمع بها
ما قيل له في الفاكهة عكس ما قيل له اولا ورجليه لانه سعى بهما الي الشجرة
والمواضع كلها يغسلها بالما الطاهر لانه ليس في الدنيا شي للطهارة مثله وحينئذ
يدخل الانسان بناجي ربه وهو في الحالة التي كان ابونا ادم قبل ان اكل من
المنهي عنه وتدوم هذه الطهارة حتى يخرج من الانسان شي مما ورث فيحتاج
يتوضا وهذا خلاص خير من خلاصكم وانت قاضي تدرك الحق بعقلك فالذي
يخلص عن نفسه هو بهذا العمل قبل الصلاة ومن لا يصلي ولا يتوضى يطلب
بذلك وانتم تقولون ان سيدنا عيسى خلص عن الجميع فتعجب القاضي
وقال ابدا ما سمعت من قال مثل هذا الكلام وغير ذلك مما تكلمنا ولم نثبت

الا لهذا او السر في الوضوء على هذا الوجه الذي ذكرته كنت قرأت ذلك
ببلاد الاندلس قبل خروجي منها وكان يسمى مختصر جبريل وكان فيه
ان المني وجد في ابينا ادم عليه السلام بعد ان اكل من الشجرة وانه يخرج من
تحت كل شعرة من جميع الجسد ولذلك وجب غسله جميعا ثم اني
تلقيت بعد ذلك بايام بابن اخي القاضي الذي قال لي انا مشيت الى عمته
ولما ان رآني قال لي رد بالك ان عمي شيخ كبير قد عمي على دينه لا تزده سلا
قلت له ان اكرهت علي في العدو اليه قال هو يطلب منك ان تمشي له ولكن
رأيي وصيتك ولا ادري الآن هل رجعت اليه ام لا **وقد** وقع لي كلام
مع رجل متفقه قال لي يوما ماذا تقولون في عيسى عليه السلام قلت انه نبي
رسول قال لي ما تقولون انه ابن الله قلت له ما نقول ذلك قال فمن كان
ابوه قلت له امنا حوى كان ابوه قال بين لي ما قلت لاني ما فهمت
الذي قلته عن امنا حوى قلت له اعلم ان الخلقة الانسانية على اربعة
اقسام القسم الاول خلق الله تبارك وتعالى ابانا ادم من غير ابوين
وخلق امنا حوى من ابينا ادم من غير ان يكون لها ام وخلق ساير الناس
وهو القسم الثالث من ابوين وخلق سيدنا عيسى عليه السلام من ام وليس
له اب كما ان امنا حوى ليس لها ام ولذلك قلت لك حين سألتني من كان
ابوه ان امنا حوى هو ابوه ثم قلت له هل ترى ان قدرة الله صالحة لاكثر من
هذا ام لا قال نعم حينئذ قال للحاضرين من النصارى ان يشهدوا عليه انه
نصراني يامن بكل ما في دار دينهم برمته ومع ذلك اقول ان هذا الكلام الذي
قال المسلم فيه ما يسمع او قال لهم اكثر من ذلك حتى قال له الحاضرون
من النصارى لا يقبل ذلك واد عليهم هو بما ان له من الحق **وايضا كنت**

ليلة

رحمه الله تعالى بر واز العفارنة

ليلة بباب طبيب صيدلاني لان بلاد النصارى كلها بجميع دكاكين البيع
والشرا غير مسدودة الى بعد العشاء الاخرة وكان بعض النصارى في
الكلام معتني في الدين وفي معجزات سيدنا عيسى عليه السلام قلت لهم
المعجزة هي خارقة للعادة يخلقها الله تعالى على يدي الانبيا والصالحين
وقال واحد من علمايهم المعجزات التي عمل سيدنا عيسى عليه السلام هو كان
يعملها ورايت في الحين واحدا من اصحابي خرج من بيننا بسرعة فسالته
بعد ذلك لماذا خرجت من بيننا قال حين سمعت النصراني يقول ان المعجزات
التي ظهرت على يدي سيدنا عيسى ما عملها الله خفت من الدار العليه التي
كنا بها ان تقع علينا بسبب ما قال • **وقد** مشيت الى مدينة طلوشة
وهي من المدن العظام بفرنجة على شاطي نهر عظيم وهو الذي يجوز على
برضيوش وبين المدينتين نحو الثلاثة ايام في النهر وعزمت على ان نمشي
في قارب فلما كان ليلة قبل يوم السفر رايت في المنام جماعة شياطين
تدور بي من كل جانب فجعلت اقرا قل هو الله احد واشير اليهم فتهرب
الشياطين عني ثم ترجع الي وانا اعيد القراة بالسورة وتذهب عني
فاصبحت متغيرا من اجل الرويا وقلت الشياطين في النار ويل الاعدا وركبت
في القارب ونويت نقرا في تلك الليلة قل هو الله احد الف مرة ونرجو الله
تبارك وتعالى ببركاتها يدفع عني شر الاعدا وكان القارب عامرا بالرجال
وبينهم قسيسان مترهبان فعرفني واحد من الذين كانوا بالقارب وكنت
كما تقدم من حين دخلت روا بالبست لباس الفرنج وذكرني للقسيسين فنادالي
وقال لي اجلس بازائه فجلست فقال لي انت مسلم قلت مسلم الحمد لله وكان
يتكلم بلسان اهل الطاليان وهو قريب جدا من لسان اهل بلاد الاندلس

العجمي قال لي لغنيت في البندقية بعضا من اهل دينكم وبا بينهم يعملون شيا
كانه عبث لا اصل له في الدين قلت ما ذا رايت منهم قال اذا نزلت نجاسة
او بول في حوايجهم يغسلونه بالكلك وسالتهم عن ذلك السبب الموجب
العتقله ولم نجد عندهم خبرا قلت السبب في ذلك ان كل مسلم فرض عليه
ان يصلي في كل يوم خمس صلوات كل صلاة في وقتها ما بين الليل والنهار
ومن فرايض الصلاة ان يكون طاهرا في جسده ولباسه لانه يناجي ربه
وينبغي ان يكون على افضل حالة ولما كان ما يخرج من الانسان من
السبيلين نجس بسبب الشجرة التي اكلها منها ابونا ادم عليه السلام
من فاكهتها ونسي ما نهاه الله عن اكلها من اجل ذلك رجع جسده بعد فتح
ما يخرج منه ما لا كان قبل فورثنا ذلك فاذا وقع شي مما يخرج من الجسد
في ثوب يزيله بالما الطاهر ليكون الانسان بحضرة مولاه طاهرا ظاهرا
وباطنا اما في الظاهر ففي الجسد وما يلبسه والموضع الذي يعبد فيه
وما في باطنه ينبغي له ان لا يتفكر الا فيما يقربه وهذا هو الاصل والسبب
الموجب في زوال النجاسة فاستحسن الجواب غاية حتى قال للذين
كانوا في القارب بلسانهم كلام الخير عني وتحشي في مسايل دينية
ونسيتها ولما صدر منه انه قال لاصحابه عني خيرا وانا على غير دينه
فرايتي في نفسه من الراي الان قال لهم هذا المسلمون اعطاهم الله عقولا
وافرة كل ذلك لتكون عقوبتهم في الاخرة اشد واقوى اذ لم يكونوا
نصارى قال ذلك ايضا بلسانهم وكنت افهمه وكان من الحوان اقول له حيث
ذكرت ان الانسان يحتاج ان يكون طاهرا في الباطن باي اقول له حيث
او لا طهارة القلب ان لا يكون مشركا بالله وكان مع الراهب صاحبه على مذهبه

في المذهب

في المذهب وكان يقول له بلسانه ان يتكلم معي في التثليث في الالوهية
ويجاوبه ويقول له ما يليق ذلك ومشينا اليوم كله وعند المغرب خرجنا
من القارب الى دار ~~ترکنه~~ بحاشية الواد وكنت في اعلا الدار في موضع خارج
عن البيت الذي نزلنا فيه وكنت اقرا القران الا لمن قل هو الله احد وبعث
القسيس شيا من الخبز معجونا بسكر وبيض ونادى وقال لي انا هذه
الايام صايم وهذا الذي بعثت لي فيه بيض ولا ناكلها في ايام صيامنا واشتغل
بذكر ما هو فيه من مخالفة النفس وانه لا يلبس كتانا ولا ياخذ دراهم في يده
ولا ياكل كثيرا ولا ينام كثيرا قلت له مثلك ما يجد الشيطان ولا النفس
سبيلا للوسوس ظاهرا الا اذا كان على وجه الحسنة قال كيف ياتي من باب
الحسنات لاني ما فهمت ذلك قلت له انتم القسيسون تزورون النسا
وتستخلون بهن يحسن اليك بالصدقات فتقول لك نفسك سرا الى فلانة
انها من الصالحات واذا ذكرتها شيا من ذكر الله قالتهمها اليه ويحصل لك
اجرا وحسنة وهذا هو باب الحسنة وغرضها منك ان تقرب منها حتى تمكن
المحبة من قلوبكما فاما تغلبكما حتى تقعدا في المعصية والحرام وهو المقصود
من النفس والشيطان واما تكثر المحبة بينكما وتشغلك حتى انك اذا كنت
في صلاتك تذكرها باللسان والقلب معها وهذا هو باب نصيحتها فسكت
القسيس ولا انكر ولا انعم وكان من الحوان يقال له مشكا لا يوسوسك
الشيطان ابدا لان اللص لا يقصد الا البيت العامر بالخير ومثلك مشرك
بالله الملك الديان وعابد الاوثان فلينبغي له الا ان يعظم لك الشان
ويزين لك الطريق الذاهب الى النيران ثم قال لي ما السبب في منع الخمر
في دينكم قلت له لانه مسكر يزيل العقل الذي هو اشرف وافضل ما في الانسان

صح
يشر ابهم
النّاس كالفتو ح

و هن؟

قلت له واذا كنت صايما تقطع شرب الخمر قال لا ثم قال لي واحد من
الشبابطين الذي رايت في النوم وكان نصرانيا من الذين جاوا في القارب
معنا كيف انت في بلادنا ومن اذن لك في ذلك واظهر الغضب واكثر الكلام
فاظهرت لهم كتاب سلطانهم وسخرهم الله جميعا حتى اذا بلغنا الى
الدار التي ننزل فيها للمبيت فيكلمون رب الدار ويقولون هذا رجل تركي
لان في بلاد الفرنج وفي كثير من سلطانات النصارى لا يسمون المسلم
الا تركيا وقد جا من بلاده واذن له سلطاننا ان يقضي اغراضه ويتحقق
ان نقوم بحقه وغير ذلك من كلام الخير وكانوا فيما بينهم يفرحون بنا في
القارب في الايام التي مشينا فيها على النهر كل ذلك ببركة سورة الاخلاص
خلصنا الله من شرهم وعظمنا في اعينهم والحمد لله رب العالمين

الباب العاشر في مناظرات اليهود ببلاد فرنجة وفلنضس

اعلم ان اليهود الذين هم بتلك البلاد كان اصلهم في قديم الزمان وفي
زماننا ببلاد الاندلس وكانوا في الظاهر نصارى وفي خفا من النصارى
يهود وكانوا يخفون انفسهم بين النصارى اكثر من الاندلس ويقرون
العلوم بالعجمية ولا يتكلمون الا بها ويدركون بالعلم بعض المراتب
واذا ادرك احدهم امر الحكم على الناس كان يضرهم لاسيما بالاندلس
حتى ان الناس اذا لحقهم ضرر ممن يحكم سوا كان الحكم على النصارى ام على
الاندلس يبحثون على اصله ويجد ونه يهوديا مخفيا او من سلالتهم امامن
الابوين او من جهة ابيه او امه لانهم بسبب الرياسة والطمع يختلطون في
التزويج مع النصارى يعطونهم بناتهم ويتزوجون من النصرانيات وجميع
اليهود في هم من الكبر الخفي ما لا كنت نظن فيهم حتى رايتهم ببلاد الفرنج وفلنضس

وايضا

وايضا اسمهم في بعض بلاد المسلمين بالفلمنك اعني اهل فلنضس وفي
تلك البلاد هم اشهر مما هم بفرنجة لانهم اذنوا لهم في نقل السلاح معهم
مثل السيف وغير ذلك ولما عرفني بعض ممن كان ببرضيوش من علماء دينهم
قالوا لي بعض المسائل في مدح دينهم حتى رايت انه لا يكفيني في الرد عليهم
من كتبنا الا ما كان من كتبهم نحوا مما اتفق لي مع النصارى فاتصلت
بالتوراة باللسان العجمي الاندلسي ووجدت فيها مسائل كثيرة للرد عليهم
منها ما في التوراة الخمسة كتب الاوائل فهي منسوبة لسيدنا موسى عليه
السلام وفيها امور دينهم وجميع كتب التوراة بالخمسة التي ذكرت واربع
وعشرين كتابا ولم نر في جميعها ذكر جنة ولا نار ولا عذاب الاخرة بل فيها
المدح التام لبني اسرائيل حتى قال فيها لا تاخذ ربا او طالع في المال من احد
من بني اسرائيل ويجوز الاخذ من غيرهم ووجدت في احد الكتب الخمس ان
الرجل اذا جامع زوجته وجب عليهما غسل جميع الجسد بما طاهر وكذلك
من خروج المني وكذلك المراة اذا وجب عليها الطهر من الحيضة ووجدت
فيها انه ليس يدخل الجن الجنة وسالت علماءهم ممن في تلك البلاد وغيرها
عن هذا المذكور في التوراة المسمى بجن وان الله تعالى خلق الجنة فقالوا لم
ندر ثم اني بعد ان وليت الى بلاد المسلمين بمدينة مراكش اتصلت
بكتاب يسمى بالسيف الممدود في الرد على اليهود لعبد الحق الاسلامي
رحمه الله قال انه كان من احبار اليهود ووفقه الله لدين الاسلام واتى بالنصوص
من التوراة بالخط العبراني ووضعه في طرة الكتاب ثم كتب الالفاظ
بالخط العربي في داخل الاسطر ثم تفسير المعنى باثره وذكر في مواضع
من التوراة اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم برموز وحلها باسرار الحروف

والذي بقي في حفظ واحد منها واكتفيت به عن غيره وهو كاف وباقي
وذلك انه قال وفي التوراة في باب كذا قال يدخل الله الجن الجنة
فاما جن فهو اسم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو اسمه احمد لان
النون تسقط خمسون بالحساب المشرقي والمغربي وكذلك الجيم ثلاثة
والمجموع ثلاثة وخمسون وهو ما تنقطع حروف احمد بالاصطلاح المشرقي
والمغربي فاما الالف فواحد والحا ثمانية والميم اربعون والدال اربعة
فالمجموع ثلاث وخمسون وهذا برهان ودليل قطعي بان سيدنا محمدا
مذكور اسمه في التوراة الى الان ووجدت ايضا فيها ان الاثنا عشر
سبطا من بني اسرائيل السبعة منهم امهاتهم كل واحدة ام ولد وليس
بزوجة نكاح ومن المسائل التي قالوا اليهود ان اصلنا القديم
من سيدنا اسماعيل عليه السلام وان امه ليست كام سيدنا اسحاق
عليه السلام لانها كانت زوجة لسيدنا ابراهيم عليه السلام وام اسماعيل
مملوكة قلت كلما فعل الانبيا عليهم السلام هو موافق لما اباحه الله
ثم نسالهم عن الاثني عشر سبطا فيقولون هم الاساس في الدين وهم
المذكورون عند الله المقبولون ثم اقول لهم فالسبعة منهم لم تكن امهاتهم
زوجة نكاح وكما هو عندكم في مقام محمود كذلك كان مقام سيدنا اسحاق
لا يجوز لكم ان تستنقصوه بسبب امه شيئا لانه نبي بسوا له وهو
عندهم ان احدا لا يجد ما يجاوبهم عنه وذلك انهم قالوا سيدنا موسى
عليه السلام الدين الذي اتى به كان من عند الله قلت نعم ما بيننا
نزاع في هذه المسئلة قالوا سلاطين الدنيا يرجعون فيما اعطوا من
كتبهم معلمة منهم قلت لا يرجعون الا فيما يظهر انه يليق او في بعض

الازمنة

الازمنة ونحن عندنا يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب قالوا ليس ذلك
عندنا قلت لهم عندكم في التوراة مسئلة مثل ما قال الله في القران انه
يمحي ويثبت قالوا في اي موضع في التوراة قلت في الباب العشرين من الكتاب
الثاني من للسلاطين قال ان السلطان حزكيه مرض مرض الموت وجاءه
النبي يشعيه بن مرتبي وقال له ارسل الى دارك انك تموت ولا تعيش
فدعا وبكى بكاء شديدا وتاب الى الله توبة صادقة ثم بعث الله النبي يشعية
ارجع الى سلطان بلادي وقل له رايت بكاه وقبلت دعاه وفي ثالث يوم
ياتي الى بيتي ونزيد في عمره خمس عشرة سنة وننجيه من سلطان شور
ونحفظ هذه المدينة انتهى فكل من نسأله عن هذا هل هو في التوراة فيقول
نعم فاقول الكلام الذي اتى به النبي المرة الاولى كان كلام الله وقال يموت
والمرة الثانية قال يزيد في عمره خمس عشرة سنة فامحى الله الكلام الاول
واثبت الثاني وهذا برهان لا يرده احد وكذلك امحى الله دين اليهود
في العبادات وثبت دين الاسلام ومثل هذا الملك من بعث رسولا
الى قوم وامرهم بكتابه ان يعملوا كذا وكذا ثم بعث كتابا اخر يزيد
وينقص عن الامر الاول فمن عمل بالامر الاخر فهو طايع والذي يت
مسك بالامر الاول وقال لا نعمل الا بما اتانا به رسوله فلان بكتابه
فهو عاص مثل اليهود وكذلك امر سيدنا ابراهيم عليه السلام بالختان
هو ومن بعده ولم يامر بذلك لمن كان قبله من الانبيا والمومنين
وكانوا لا يجدون ما يجاوبون به وذكر في التوراة ان السر في الختان
هي مثل علامة يعملها الانسان بانه يوفي بما امر الله به والنصارى
تشهد بان سيدنا عيسى عليه السلام اختتن في اول يوم من شهر ينير

ثم اسقط النصارى ذلك عن انفسهم بغير امره وقالوا ان سيدنا عيسى
خلص من الجميع ذلك بموته ولا باحوا ايضا اكل لحم الخنزير وكنت اباحث
اليهود في مسئلة اخرى قلت لهم هذا الامر الذي انتم به مامورون به
في كتابكم بان الرجل اذا جامع زوجته وجب على الرجل والزوجة الغسل
لجميع الجسد بما طاهر هل تصنعون ذلك ام لا قالوا جميعا لا نصنع ذلك
ولكن النسا تغتسلن اذا ذهبت عنهن الحيضة ومن الجماع ليس لنا ولا لهن
الغسل من ذلك قلت له من اسقط عنكم هذه الفريضة وانتم مامورون
بها في كتابكم قالوا كان ذلك الا مرجعين كنا ببيت المقدس قلت لهم الامر
غير مرتبط بشرط لانه ما قال هذا الغسل فرض عليكم ما دمتم ببيت
المقدس ولو قال ذلك كانت لكم حجة مقبولة بما تقولون وهذا برهان بين
بانهم نجسون بنجاسة موروثة عن ابائهم واجدادهم وعلما وهم
ملعونون باجنابتهم في ترك فرض من فرائضهم واما الفرض لهم في ترك
الاسباب يوم السبت حيث هو امر موافق لشهوة النفس لانها تحب الراحة
فهذا يقومون بحقه ويظهرون من الورع جميعهم في القيام بحقوق السبت
ويظهرون انه لا يجوز لهم فيه كذا وكذا ويتركون الطهارة التي هي الاصل
في العبادات وكذلك النصارى لا يقربون الما ابدا الا مرة في العمر وهو
الغسل عند دخولهم في دين النصارى المسمى بالما المعمودان وكم من مسلم
في الدنيا اذا وجب عليه الغسل يقوم من فراشه عند السحر في ايام البرد
ولا يجد سبيلا لتسخين الما ويغتسل به باردا لئلا تفوته صلاة الصبح
والمواظبون على الصلاة في اوقاتها لا ينامون الا بعد ادا صلاة العشا
الاخيرة ويتركون مضاجعهم عند صلاة الفجر وقد قال الله تعالى

تتجافى

تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما كانوا يعملون . وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف ليلة ومن
صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله فببركتهم لم يزل العز للاسلام
ما دامت الدنيا وببركة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال وجعلت قرة
عيني في الصلاة وقال انا اول من يدق باب الجنة ولذلك قال في التوراة
يدخل الله الجن الجنة اذ هو اول من يدخلها ويتبعه من كان على دينه من
السعدا وفي الكتاب الاول من التوراة في الباب التاسع والاربعين
قال ان سيدنا يعقوب كان يذكر لاولاده ما يكون من امرهم في الدنيا وقال
على اليهود يكون لهم الامر والحكم في الدنيا الى ان ياتي شلوه والنصارى
تقول ان شلوه كان سيدنا عيسى والصحيح ان الملك كان لهم بعد اكثر
من اربعين سنة وفي الحقيقة لم يزل بالكلية الى ان جا النبي عليه السلام
اذ وقع لهم معه الحرب والنشر بخيبر وبعد ذلك لم يسمع بان اليهود حاربت
احدا وذكر في التوراة في الكتاب الثاني للملوك في الباب الثاني والعشرين
ان السلطان يشنيش كان ببيت المقدس جا اليه حبر من احبار اليهود
بالتوراة وقال له انه وجد ذلك الكتاب وانه كتاب سيدنا موسى وذلك
ببيت المقدس فكانوا يصلحون الدار وان الذي وجده كان حبرا يسمى
حلكه ولما قرا السلطان كسر الاصنام وامر الجميع الناس ان يعملوا عيدا ولم
يعمل مثله من حين كانت بنو اسرائيل في التيه وبين تلك السلطان والزمان
الذي كانوا فيه الحكام في التيه ازمنة طويلة وكانت في زمان تلك السلطان
في البلاد اصنام وصور الدراري وهذا ظاهر ان التوراة بقيت سنين

عديدة لم تكن بايدي الناس وكيف يثبت ان هذا هي التي كانت في زمان سيدنا
موسى عليه السلام والحمد لله والشكر له ان جعل القران العزيز في كل بلد
من بلاد المسلمين موجودا وكان عندنا ببلاد الاندلس مع الحكم القوي والحرص
الشديد من الكفار على من يظهر عنده يقتلونه ويحرقونه وذلك بعد
ان مضت اكثر من مائة سنة من حين منعوه وصدق الله العظيم في قوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون • وقد تلاقيت بمستر ضام عند
بفلنضس حبر مفتي اليهود مشى اليهم من بلاد المشرق وقال لي في اثناء
كلامه عن سيدنا موسى عليه السلام انه عمل ذنبا كبيرا قلت له الانبيا
عليهم السلام منزهون عن الذنوب وكيف تقول انت هذا الكلام قال نعم
لانه كان يوبخ بني اسرائيل ويقول فيهم انهم قوم قاصحون مع انهم
اهل الله ولا علت درجته الا بسببهم وهذا برهان ما قلنا ان فيهم
الكبر حتى يعظمون انفسهم على نبيا الله وقال لي هنالك يهودي اخر
دين اخبرني بان دين المسلمين يتم فيما هو قريب قلت له من قال هذا
قال في التوراة ان كل من ياتي بدعوة باطلة لم تبلغ الف سنة قلت له هذا
قول حسن لان دعوة نبينا صلى الله عليه وسلم جاوزت الالف باكثر من
عشرين سنة فلما ان سمع ذلك نزل عليه الذل والخزي والتغيير
وخاب ظنه فيما كان يرجو وامـا الحوائج التي كانت مطروحة
برضنيوش التي بعث الرايس لاهل الحجر الاحمر فاتصلنا به بعدان
جاز علينا نحو العام ونصف بنحو الفاوفية فضة على الحساب
المغربي والثلثين منها ذهبي وبقي الخلق مع القضاة والكتاب
وغير ذلك والحمد لله ان كل من وكلني من الاندلس وصل له شيء من الدراهم

ولما

ولما تقضينا من امورنا بمدينة برضنيوش ولينا الى بريش بلد السلطان
وتلاقيت هنالك باكبر المنجمين في الاحكام وقال هذا العلم لم نر له
نتيجة ابدا في الاحكام وقد جربت كثيرا من الاختيارات ولم يصدق
فيها واحد مع الانتصاب واخذ الارتفاع للبرج في الطالع فلم نصنع
في ذلك شيا مما قال المولفون وعندي اكثر من مائة تاليف في الفن المذكور
ونفهم ما فيها ولما قتل السلطان بريش ابولويش الذي هو الان
سلطان قلت في نفسي الشمس التي ينسب اليها الحكم على السلاطين تكون
في تلك الساعة التي قتل فيها منصلة بنحس ولما نظرت ذلك وجدتها
مع الزهرا وهي سعد ولا يحكمون للسلطان بذلك الا بسعد اذا كانت
الزهرا متصلة بالشمس والعلما الذين وضعوا هذه القواعد والاقاويل
والاحكام فلا نتيجة بعد العمل على مقتضى قولهم بل نجد المسئلة
بالعكس مما قالوا وجاني ايضا بتلك المدينة رجل فرنجي وقال لي اعلم
انني بلغت في علم الكيميا الى ان اعمل الذهب ولكن لا يجوز من اثنين وعشرين
قيراطا والخالص من الذهب هو من اربع وعشرين قيراطا قلت له لا اعرف
في ذلك قليلا ولا كثيرا فاما علم الاحكام فكنت قرات شيا على الفقيه
احمد المصيوب الفاسي الاندلسي وكان بالفاني علم الاحكام النجمية
والخط الرملي وكان له من الكتب في تلك الفنون شي كثير كان يمد السلطان
مولاي احمد رحمه الله تعالى بالكتب التي يحتاج اليها من خزانته التي كان
له فيها اثنان وثلاثون الف كتاب وقال له مرارا اذا سالني السلطان شيا في
الامور المغيبات نترك الكتب كلها ونعمل جد ولا بخمسا بحروف خمسة
اسما من اسما الله تعالى وهي • الهادي • الخبير • المبين • علام الغيوب

بالنذا خلق الصنعة بحيث نقرا طولا وعرضا وقطرا ثم نقرا ما سقط
جميع الحروف واذا فرغت من القراءة في الليل قبل النوم فنضع الجدول
تحت راسي ويأتيني في النوم من يخبرني بالجواب مما اضمرته في نفسي ذكر لي
ذلك مرارا تخشن رحمه الله وكان يصدق فيما يجاوب به ويحتمل انه كان
يعمل ذلك نصبة على المسيلة ويظهرها ليظن انه منها استخرج الجواب
ومما رايت بمدينة برلش امراتين تركيتين احداهن عجوز والاخرى
نحو الاربعين سنة وكانت متشغلة برقم المسايل العجيبة للسلطنة
وكانت النسا جميعا تتعجب من حسن شغلها وصرفها وكانت تاخذ من
عند السلطانة كل يوم ريالا كبيرا وسالتها عن السبب الذي جات
من بلادها الى بلاد الفرنج قالت كنا في البحر قاصدين الحج واخذنا
النصارى واتوا بنا الى البندقية وكتب رسول سلطان فرنجه واعلم
السلطانة بشغلنا وبعثت له ان يبعثنا اليها ثم ان السلطانة ونسا
الملك يردعوها الى دينهم ودخلت فيه فقلت لها ما الهمني الله في امر
الاديان وانه لا ينجوا احد الا في دين الاسلام واجبته لها براهين
على ذلك وهي كانت من الدار المكرمة للسلاطين بالقسطنطينية واتتني
يوما وقالت لي اطلب منك حاجة لوجه الله قلت لها اذكر حاجتك قالت
لي تدبر علي لنمشي الى بلاد المسلمين قلت لها ان شا الله ادبر عليك حتى
ترجع الى بلاد المسلمين حين نودعها ومشينا من برليش الى مدينة
روان ثم منها الى مرسى الهبر كما ان كان نزولنا من البحر حين جينا
الى بلاد الفرنج وركبنا البحر ومشينا الى فلنضس وبلغنا في اربعة ايام او
اكثر وكنا في مرورنا ذاهبين الى جهة القطب الشمالي وفرنجة عن يميننا

وبلاد

وبلاد الانجليز عن يسارنا وننزل البرين في بعض المواضع **الباب
الحادي عشر في ذكر بلاد فلنضس** اعلم انا مشينا الى تلك البلاد
وهي ابعد من بلادنا من بلاد الفرنج ولكن ينبغي للانسان ان يستعتبر
من غيره او من نفسه ولما رايت وتحققت من عمل الفرنج البحرية
مع المسلمين قلت لم نرو الى بلادنا في شغلهم بل نمشي الى فلنضس لانهم
لا يضرون المسلمين بل يحسنون اليهم كما سياتي ولما ان بلغنا الى مدينة
مستردام رايت العجب في زينتها ونفايسها وكثرة مخلوقاتها اذ ان تكون
في العمرة مثل مدينة بريش بفرنجة ولم نكن مدينة في الدنيا مزينة بكثرة
السفن مثلها قيل ان فيها في جميع سفنها كبارا وصغارا ستة الاف سفينة
واما الديار كل واحدة موسومة ومزوقة من اعلاها الى اسفلها بالالوان
العجيبة ولم تتشبه واحدة اخرى في صبغ رقمها والازقة بالحجر المبنية وتلقيت
بمن راى بلاد المشرق وبلاد الصقالبة ورومة وغيرها من بلاد الدنيا
وقال لي ليس مثل هذه البلاد في الزينة في الدنيا كلها واعلم ان هذه
فلنضس هي سبع عشرة جزيرة وكانت جميعها لسلطان اشبانية اعني بلاد
الاندلس وبعد ان ظهر في النصارى في تلك البلاد الجوفية رجل عالم
يسمى بلطر ثم عالم اخر نصراني ايضا يسمى بقلبين وكتب كل واحد منهما ما ظهر
له في دين النصارى من التحريف والخروج عن دين المسيح والانجيل وان
البب برومة يضلون الناس بعبادة الاصنام ومما يزيدون وينقصون
ويمنع القسيسين والرهبان من التزويج والعبيد لكثير ودخل في هذا
المذهب جميع اهل فلنضس اعني الجزر السبعة وايضا سلطنة الانجليز
وكثير منهم بفرنجة وذكرهم العلما الذين حذروا الناس من البب ان لا يكرهوا

المسلمين لانهم سوط الله على النصارى الكفار عندهم اصحاب البيت عباد
الاصنام وبسبب ذلك لهم ميل الى المسلمين ومن الجزاير السبعة عشر
التي ذكرنا السبع منها قايمة على سلطان اشبانية وهي بلاد الاندلس
وكان فواتهم قبل هذا العهد بنحو السبعين سنة ولم نقدر عليهم حتى
ايس منهم وهم اقوى من جميع النصارى في البحر بالسفن وكل جزيرة
من السبعة فالبحر المحيط دايرتها من كل جانب ولما ان دخلنا مدينة
ليدا وفيها المدارس لقراءة العلوم وجدت فيها رجلا كان يعرفني من بريش
وحملني الى بيته واكرمني اكراما تاما وكان يتكلم معي بالعربية معربة
وكان يعرف بعرب الاسما ويصرف الافعال وله قوة على قراءة العربية
وتعليمها وكان عنده كتب كثيرة ومن جملتها القران فاخذنا في الكلام وهو
يثبت قوله على التثليث ويشكر ويمدح سيدنا عيسى كثيرا قلت له كل ما تقول
فيه من المدح والخير فنحن متفقون معكم فيه الا قولكم انه اله او ابن
الله حقيقة وذكر ايضا الروح القدس قلت له الروح القدس هو البارقليط
المذكور في الانجيل قال نعم قلت له انت تعرف الالسن ما معنى البرقليط
بالعربية قال انها كلمة ليست من لغة اللطين انما هي من لغة اليونان
ومعناها بالعربية شفيع قلت له هذا من اسما نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وهذا اسم يدل على اسم شخص قال نعم قلت ولما تجعلوه الها وتقولون
ثلاثة وواحد ثم جا رجل حكيم مشهور في الطب والعلوم قال لي نحن
عندنا القران مترجم باللاطيني وليس معجزة لنبيكم كما عندنا في الانجيل
وقال هل عندكم كتب في معجزات نبيكم قلت عندنا وواحد من الكتب المشهورة
في ذلك للقاضي عياض وذكرت له شيا وان عندنا في ذلك كتبا كثيرة وكان

صلى

صلى الله عليه وسلم يعملها بحضرة اقوام كثيرة ولما را وافضله وبركاته وصدقه في
القول والفعل وتوحيده مع انه لم يعرف يقرا فدخلت الناس في دينه والله تبارك
وتعالى ينصر الحق حتى يظهر دينه على الاديان واكثر معمور الدنيا على دينه قال
الحكيم والله اني تمنيت ان نقرا هذا الكتاب ثم قال هذه المعجزات فيها احتمالات
لان كثيرا يصنعون مسايل بواسطة الشيطان قلت وليس في علمكم بما تعرفون
بين المعجزة النبوية الربانية او الشيطانية المستعملة قال لي اذكر لي انت
كيف يعرف ذلك قلت اما النبي فلم يعمل معجزة الا اذا طلبت منه ويتنتج
منها نفع باطن وظاهر اما الباطن حصول اليقين في القلوب والصدق
لما ذكر لهم من جانب الله وامرهم به ونهاهم عنه والظاهر يكون فيه نفع
ظاهر للناس مثل ان يغيث جيشا من مخلوقات الله بالما او بالطعام ولو لم
يفعل ذلك لماتوا جميعا كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم مرارا فهذا نفع ظاهر
او طلب المطر او يشفي انسانا واما ما يكون مستعملا من الشيطان او بالشعوذة
فانهم يصنعون ذلك من غير ان يطلب منهم ولا يحصل منها نفع او بالشعوذة
فانهم يصنعون ذلك من غير ان تطلب منهم ولا يحصل منها نفع حقيقي ابدا
لا ظاهر ولا باطن وهم الذين يجذبون الناس ليروا ما يعملون واذا طلبهم
احد ان يصنعوا شيا من خوارق العادات غير الذي يظهرون فلا يقدرون
عليها وصاحب الشعوذة يعمل العجايب لعله بذلك يفتح الناظرين ويعطونه
شيا ليعيش به ولو قيل له علمني هذا الذي انت تعمله واعطيك دراهم فيعلمه
حتى يكون مثله في العمل حينئذ قال الحكيم صدق وهذا الكلام حق ثم مشينا
الى لهاية فيها دار الامير والديوان وتلقيت هناك برسول الامير
كنت اعرفه بمراكش وكان شاكرا لي على ما وقفت في معه في سجنه حتى

خلصته منها وسبب قدومه الى بلاد المسلمين ان سلطان بلاد الاندلس بعث
الاغربة الى الجزيرة التي قلنا انها على غير طاعته تخرج اليها اهل الجزيرة
واخذوا الاغربة ورماهم كان فيها من النصارى في البحر وفكوا كل من
كان فيها من المسلمين وكانوا اكثر من ثلاثماية وجعلوهم في سفينة
عظيمة وبعثهم اهل فلنضس هدية الى سلطان مراكش وبعث بهم رسولا
بذرموص الذي تلقيت به من غير ظن بالهاية وهي بلاده وبعد ان جلس
هذا الرسول بمراكش سنتين في زمان الهرج والشر الذي ثبت في المملكة
السلطان مولاي زيدان وسجن هذا الرسول لانه ما مشى بالهدية في
زمانه وبعد ان جاز زمان على الرسول في سجنه بلغني الخبر وتذكرت للخير
الذي عملوا للمسلمين حين بعثوهم هدية الى ملتهم ووقفت ودبرت
وكلمت المفتي العالم الشهير محمد ابو عبد الله وكلم السلطان وانطلق من
السجن فلما ان راني في بلاده مشى الى الامير واعلمه بي وحملني الى عنده
واسم الامير مورسي واقبل علي وعز انسه واخذ بيدي وجلسني معه
زرته اربع مرات وبعد ان جلست يوما قال لي ماذا تعرف من الالسن
قلت له العربية ولسان اشبانية ولسان اهل برتقال وكلام الفرنج
نفهمه ولكن ما نعرف نتكلم به قال لي فانا نعرف كلام الفرنج ونفهم كلام
اشبانية وهو كلام اهل بلاد الاندلس العجمي ولا اعرف اتكلم به والى هذا
فاكلمك بالفرنج وتكلمني بلسان اهل بلاد الاندلس العجمي قلت نعم
قال لي ما السبب الذي ظهر لك حمل سلطان اشبانية على اخراج اهل
الاندلس من بلاده قلت اعلم ان الاندلس كانوا مسلمين في خفا من
النصارى ولكن تارة يظهر عليهم الاسلام ويحكمون فيهم ولما تحقق فيهم

ذلك

ذلك لم نر امن فيهم ولا كان يحمل منهم احدا الى الحروب وهي تفني كثيرا من
الناس وكان ايضا يمنعهم من ركوب البحر لئلا يهربوا الى اهل ملتهم والبحر
يفني كثيرا من الرجال وايضا في النصارى كثير يكونون قسيسين ورهبانا
ومترهبات وبتركهم الزواج ينقطع فيهم النسل وفي الاندلس لم يكن فيهم
قسيسون ولا رهبان ولا مترهبات الا جميعهم يتزوجون ويزداد عددهم
بالاولاد وترك الحروب وترك ركوب البحر وهذا الذي ظهر لي حمله على
اخراجهم لانهم بطول الزمان يزدادون ثم قلت له انفهم كلامي قال
لي بالفرنج كلما قلت فهمته وما ذكرت هو الحق قال لي لو اتفقنا مع
كبرا الاندلس ونبعث لهم عمارة من سفن كبيرة ليركبوا فيها مع جنودنا
ناخذ اشبانية قلت لا يمكن للاندلس ان يتفقوا على هذا الا باذن السلاطين
الذين خرجوا لبلادهم وسكنوا فيها قال لو كنا نتفق مع سلطان مراكش
ونبعثوا للسيد الكبير اعني السلطان الاعظم سلطان الاسلام والدين
ونتفق جميعا على سلطان اشبانية ونظفر به وناخذ بلاده قلت له هذا
امر عظيم لو حصل هذا الاتفاق وفي تحصيله شك واما لو حصل
ياخذون بلاد الاندلس اعادها الله الى الاسلام وقال للرسول اكتب
رموزا في الحروف واعطه نسخة لتكون المكاتبة بيننا وبينه واعطا نسخة
نسخة ثم قال لي اتمنى علي وهي عادة عند ملوك النصارى انهم اذا
قالوا لانسان اطلب منا ما شئت انهم يعطونه ما يطلب منهم ولا يقولون
ذلك الا نادرا ولمن رضوا عنه غاية الرضى قلت في نفسي النصارى
تقول عن المسلمين انهم يطمعون كثيرا في متاع اكبر يا الناس وهذا العيب
من المسلمين الا قليلا وانا احدهم وليعلم ويتحقق ان الذي يقولون فيهم

ليس بصحيح وان فيهم ما لا يطمع في ماله فلا نطلب منه مالا وقلت له اطلب من فضلكم مسئلة قال ما هي قلت ان توصي بنا رايس السفينة التي نمشي فيها قال هذا فقط قلت نعم قال فابحث حتى تتحقق من السفينة التي نمشي واعرف اسم الرايس وايضا اسم التاجر مولا السفينة وائتني واخبرني فاتيت اليه واخبرته باسمهما وامر لكاتب سره ان يكتب لكل واحد براة بالوصية علينا وفرح كل واحد بكتابه فالتاجر استعمل لنا من الشكر ما لكه واعطانا حتى التمر التي هي غريبة في تلك البلاد مجلوبة من بلاد المسلمين والرايس كان يفرح بنا في سفينته وذلك مقصودنا وكنا في مدينة الهاية التي كان فيها الامير وعرضها اثنان وخمسون درجة وذلك في الاقليم السادس واصابنا الحال ونحن فيها في اطول ايام العام وليس طلوع الشمس وغروبها كهذه البلاد اعني مصر والمغرب والشام وبلاد الاندلس فاليوم الاطول هناك من ستة عشرة ساعة ولا ظلمة في الليل الا قليلة وغروبها منحرف وتبقى الحمرة في السما الى قريب من نصف الليل وكنا نصلي العشا الاخرة ثم بعد ساعة ونصف نصلي الصبح ولطول الكلام على ما رأينا بفلمنض ذكرنا شيئا من ذلك في الرحلة وايضا حكاية الستة رجال الذين جاوا في سفينتهم من البحر الذي يكون فيه اليوم من ستة اشهر لا ليل فيه وبعكس ذلك في زمان الشتا ولنذكر هنا ما وقع لنا في مضرمع راهب عالم في دينه **الباب الثاني عشر فيما اتفق لنا في مضرمع راهب عالم كان بالغا في فنون العلم** وكان يقرا بالعربية وكان عنده القاموس بالعربية والعجمية

صح
واما الرسول يوزن
عزتي تكلمت معه
في شأن العربونتين
التركيتين قال لي
اكتب لهما الزبريش
تنبيان التي وجاتا
اليه والامير يعطيهما
الامان الى الاسكندرية

تلقيت

تلقيته به من اجل كتاب التقويم للكواكب كان عندي لنعرف منه في اي يوم تكون الوقفة بعرفة وغيرها ذلك في ايام الاهلة وان لم يكن العمل بقول المنجمين في الاهلة الا برؤية الهلال فلا بد من النظر في ذلك فسالني عن اعتقادنا في الجنة هل فيها اكل وشرب قلت له نعم فيها ذلك واكثر من ذلك كما يشهد به الانجيل الذي عندكم بان سيدنا عيسى عليه السلام قال لتلامذته اني لا اشرب من عصير هذه الكرمة الى ذلك اليوم الذي اشربه معكم في ملكوت ابي وفي موضع اخر في الانجيل في ملكوت الله قال الراهب ليس ذلك الكلام على ظاهره وانكر ذلك اشد الانكار كما هو في اعتقادهم وانما قول سيدنا عيسى عليه السلام في ملكوت ابي فلا يفهم منه انه يعتقد انه ابن حقيقة والمراد بذلك ان اباه هو الذي اخرجه من العدم الى الوجود كما ذكر لغيره في نحو العشرة مواضع من الانجيل الاول في شهادة متى الذي كتب ربع الانجيل قال في الفصل السادس ان ابليس جا الى سيدنا عيسى عليه السلام وقال له هذا العالم ومجده اعطيه لك ان سجدت لي قال له سيدنا عيسى عليه السلام اذهب يا شيطان للرب الهك اسجد وله وحده اعبد انتهى والبرهان في هذا القول ان العبادة لا تكون الا لله وحده • واما ما قلناه انه ذكران الله ابو المومنين منها في الفصل الثاني لمتى قال سيدنا عيسى عليه السلام طوبى للنقية قلوبهم فانهم بها يرون الله طوبى لطالبي السلامة فانهم يدعون بني الله ثم قال بعد كلام اخر هكذا فليضي نوركم قدام الناس ليروا اعمالكم الصالحة ويمجدوا اباكم الذي في السما • الفصل التاسع احسنوا الى من ابغضكم وصلوا من يطردكم ويغتصبكم لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسه

يقا

على الاخيار والاشرار ويمطر على الصادقين والظالمين وقال ايضا
كونوا انتم مثل ابيكم السماوي فهو كامل وقال ايضا وصيات وفي اخرها
ابوك الذي يري ما في الخفية يجزيك علانية الفصل العاشر صلي
لابيك سرا وابوك الذي يري السر يعطيك علانية وقال لان اباكم عالم
بما تحتاجون اليه قبل ان تسالوه وقال ايضا فهكذا تصلون انتم
ابونا الذي في السموات ليتقدس اسمك وقال فان غفرتم للناس
خطاياكم غفر لكم ابوكم السماوي وان لم تغفروا للناس سيأتهم فلا ابوكم
يغفر لكم خطاياكم وقال اذا صمتم لا تكونوا كالمرائيين لانهم يعبسون
وجوههم وانت اغسل وجهك وقال ايضا وصيات لئلا يظهر للناس
صيامك لكن لابيك الذي في السر وابوك الذي ينظر السر يجازيك علانية
الفصل الثاني عشر انظروا الي طيور السما وابوكم السماوي يقوتها
الفصل الثامن والعشرون عصفوران يباعان بفلس وواحد منهما
لا يسقط على الارض الا بارادة ابيكم وانتم فشعور رؤوسكم كلها محصاة
فلا تخافوا بانكم افضل من عصافير كثيرة كل من يعترفني قدام الناس
اعترف انا به قدام ابي الذي في السموات انتهى فقد بان مما كتبنا من الانجيل
ان سيدنا عيسى عليه السلام لم يختص باسم ابن الله من دون الناس لانه
كان مخلوقا مثلهم من غير ان يكون له اب كما كانت امنا حوى من غير ان
يكون لها ام كما كانت ثم اخذ الراهب في ذكر سيدنا عيسى يقول فيه
ان الله تعالى عن قوله وجيت الى الدار وتلك الليلة قيل لي في النوم
كبرت كلمة تخرج من افواههم وفقت من هذه الكلمة وانظر ما بعدها
في الاية الكريمة في سورة الكهف قال تعالى كبرت كلمة تخرج من افواههم

ان يقولوا

ان يقولون الا كذبا وفهمت ان القول كان علي ما قال الراهب ثم مشيت
عنده يوما اخر واخذنا في الكلام وقلت له نحن في ديننا وجميع الانبيا
وجميع الكتب السماوية لم تذكر الا الها واحدا وانتم تذكرون ثلاثة
قال ايضا نقول واحد قلت له هذا الواحد اتفقنا عليه لا خلاف بيننا
قال نعم قلت من هما الاثنان اللذين في الالوهية اذكر لي واحدا
منهما قال سيدنا عيسى عليه السلام قلت له الاله يجهل شيا قال
لا قلت هي صفة العلم المتعلقة بكل ما كان وما يكون قال نعم
قلت قال في الانجيل قال ان اربعة من تلامذة سيدنا عيسى اتوا
اليه في جبل الزيتون وبعد ان ذكر لهم ان هذا العالم يفني قالوا اعلمنا
على وجه السر متى يكون انقضا العالم قال لهم اما هذه المسئلة
فلا يعلمها احد حتى ملايكة السما لا يعلمها الا الله وحده قلت له هذا
في الانجيل قال نعم قلت قد تقدم لنا ان الاله لا يجهل شيا فهذا برهان
قطعي انه ليس باله وبهذا تبين ان احد الاثنين اللذين زدت
للواحد ذهب وبقي لنا واحد الاثنين من هو قال الروح القدس
قلت هذا روح القدس هو الذي ذكر في الانجيل انه البارقليط قال
نعم هو ذلك قلت قال سيدنا عيسى اذا جا البارقليط فهو يرشدكم
الى جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكلما يسمع ويخبركم
بما ياتي قلت له هكذا هو في الانجيل قال نعم قلت له الاله لا يتكلم بما
يسمع بل يتكلم من نفسه والذي يتكلم بما يسمع هو نبي يتكلم بما يسمع من
جانب الحق الله فهذا ايضا ذهب بالبرهان لم يبق الا الواحد الذي
لا يزول فخرس الراهب وقال فالانبيا المتقدمون قالوا اخبروا به

قلت لم يقولوا الا ابن الله واذا قالوا ابن الله فقد تبين ان من كان
مومنا عمل عملا صالحا يسمى با بن الله والبرهان فيما ذكرنا ان تلامذة
سالوا سيدنا عيسى عليه السلام قال في الفصل التاسع والسبعون
لمتى فاما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها احد ولا ملايكة السموات
الا الاب وحده وقال مرقوش في الفصل الرابع والاربعين ساله
مرقوش وبدرس ويعقوب ويوحنا واندرس في خفية على جبل الزيتون
عن الساعة فاما ذلك اليوم وتلك الساعة لا يعرفها احد ولا الملايكة
الذين في السما ولا الابن الا الاب وحده وهذا البرهان الذي قلت
للراهب ان سيدنا عيسى ليس باله كما شهد على نفسه ان الملايكة اعلم منه
حيث قال ولما الملايكة على وجه المبالغة وايضا في الفصل السابع
والستين لمتى قال ان سيدنا عيسى كان راجعا الى المدينة فجاع فقط
فقال لها لا تخرج منك ثمرة الى الابد فيبست تلك الشجرة للوقت
ولو كان الها كما تعتقد الكفار انه انسان واله فلو كان الها لعلم من موضعه
ان الشجرة لا تين فيها وايضا لو كان الها لابصر من موضعه ان الكرمة
ليس فيها تين البتة هذا برهان انه انسان مقهور يجهل الغيب ولا يبصر
الا الظاهر فقط واما ما ذكر عن البارقليط فهو فيما كتب يوحنا في
الفصل الثالث والثلاثين والخامس والثلاثين قال فاذا جا
روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم
بكل ما يسمع ويخبركم بما ياتي وهو يمجدني لانه ياخذ مما هو لي ويخبركم
وقد سالت الراهب ما معنى البارقليط قال هو اسم يوناني ومعناه
الشفيع بالعربية فهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يتكلم من ذاته

بل

بل كان يتكلم بكل ما يسمع من سيدنا جبريل عليه السلام واما معنى
ما قال سيدنا عيسى عليه السلام للحواريين يعلمكم جميع الحق ويخبركم فتقول
النصارى انه ما جا الا اليهم وبذلك قال لي قسيس بيربش حين قلت
له ان البارقليط شخص يتكلم وانه نبينا صلى الله عليه وسلم والصحيح ان
سيدنا عيسى عليه السلام كان يتكلم مع المومنين وليس الكلام معهم فقط
لانه قال لهم ما يكون في اخر الزمان بقوله اذا رايتم كذا والصحيح انهم
لم يعيشوا لاخر الزمان والبرهان في ذلك قال متى في الفصل الثامن
والسبعين فجا اليه تلاميذه في خلوة قايلين قل لنا متى يكون هذا
وما علامة مجيك وانقضا الزمان فاجاب وقال لهم انظروا لا يضلكم
احد كثير يانون باسمي قايلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا فاذا سمعتم
بالحروب واخبار الحروب انظروا لا تقلقوا فلا بد ان يكون هذا كله ثم
قال فاذا رايتم رذلة الخراب الذي قيل في دانيال النبي قايما في المكان
المقدس فليفهم القاري والكلام كثير في هذا المعنى وهو من علامات
الساعة وكان الخطاب لهم وكذلك الكلام على البارقليط معهم بان
قال يانيكم ويفهم بعدهم كما ذكر في هذا الباب واما قوله كثير يانون
باسمي قايلين انا هو المسيح ويضلون كثيرا فهذا والله اعلم هم الباب
لانهم يضلون الناس بان يشركون بالله ويعبدون الخبز والخمر والات
الصليب وسيدنا عيسى عليه السلام تقدم لنا حين جا اليه ابليس
وقال له ان يسجد له قال سيدنا عيسى عليه السلام تقدم لنا حين جا اليه
ابليس وقال له ان يسجد له قال سيدنا عيسى عليه السلام مكتوب الا له
وحده تعبدو واليه تسجد وتقدم باقي ما سالت الراهب ما معنى البارقليط

قال هو اسم يوناني ومعناه الشفيع وهذا مختص بمخلوق يشفع في المذنبين والا له كيف يشفع او ممن يطلب ويرغب وقال يوحنا في الفصل الثالث والاربعين قال سيدنا عيسى عليه السلام لامرأة اسمها مريم ولتمش بامها مضى الى اخوتي وقولي لهم اني صاعد الى ابي وابيكم والهي والهكم واعلم ان النصارى اخذوا كفرهم وشركهم مما كتب يوحنا المنجيل مما شهد في ابتدا كلامه في الباب الاول قال البدو كان الكلمة والكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة كان هذا قديما عند الله كله به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان وبه كانت الحياة والحياة هي نور الناس والنور اضا في الظلمة والظلمة لم تدركه انتهى هذا هو الاساس الى شركهم لانهم جعلوا الكلمة الها قال العلامة الاسكندر بن احمد الفيلسوف الدربي وفي في تاليفه في الرد على النصارى قال كلام الله لا يختص صدقه على عيسى عليه السلام فقط بل يصدق على كثير وهو موافق باية كريمة يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وليس كلام الله عين ذات الله اذ الكلام غير المتكلم لانه شبه بالبذر والمتكلم بالحراث فاذا لو كان عيسى عليه السلام الها على تقدير كونه كلام الله لزم ان يكون كلما صدق عليه انه كلام الله ايضا الها فحينئذ لزم الهة متعددة فاللازم باطل كذلك فالملزوم مثله وهو موافق باية كريمة لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انتهى قال لي بمراكش شيخنا الاستاذ الحبر الفقيه احمد بن الحاج احمد التواتي ان عالما من المسلمين كان اسيرا عند كافر من كان يقرا القرآن وقال للمسلم اليس عندكم في القرآن ان سيدنا عيسى هو روح من الله وائتني باية بان قال وروح منه وعزم ان يعاقبه وينتقم من المسلم اذ لم يات بحجة

تفكه من يده قال العالم ان شاء الله تفكك بالقرآن فتوضا وقرا من اوله الى ان قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه ففرح بذلك وقال للكافر اسمع قول الله تعالى في القرآن العزيز وقرا الاية وقال له هذه الاية مثل لذلك قال وروح منه فكما خلق السموات والارض خلق سيدنا عيسى فلما راى النصراني الحق ترك المسلم مما كان عزم عليه واعلم ان النصارى لما فتشوا برهان التثليث في الالوهية ولا وجدوه لان الباطل كان زهوقا قالوا ليس لنا الا الايمان بذلك ويحصل بذلك اجر عظيم وهي قاعدة في دينهم ان يومنوا بما في الكنيسة الكبيرة برومة وهي عامرة بالاصنام والصلبان والباب الكبير لله حول في النيران يعوذهم الها وليهم السلطان والحمد لله وحده

الباب الثالث عشر في ذكر ما انعم الله به علي من فضله

في بلاد الاندلس وغيرها من البلاد اعلم رحمك الله انني كنت اتردد في ذكر بعض المسائل من وجوه الوجه الاقوى تذكرت لما ذكر السنوسي نفعنا الله به في شرح الصغرى في التوحيد في باب ذكر الله بان بعض اوليا الله الملازمين لقول لا اله الا الله محمد رسول الله كان يجد تحت السجادة درهم حتى شهر ذلك انقطع عنه وكنت اخاف ان اذا ذكرت مسئلة مما انعم الله علي بها ان تذهب عني حتى رايت ليلة في النوم باني كنت اتلو ايات من القرآن العزيز احداهن قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث والثانية سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد والثالثة وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وفهمت من

الايتين الاباحة بل الامر بذلك وا لاية الاخرة ما فهمت معنا ها
وتكلمت مع العلامة الشيخ علي الاجهوري بذلك فقال لي الاية الاخرة
هي مثل الاوليين بالامر ان لا تتوقف وقال لي اذكر ما كان من الاسرار
واكتبها في ذلك فهو خير وبقرب ذاك او في الليلة بنفسها ذكرت
المسيلة التي تذكرها فقط الا لواحد ذكرتها مرة بعد ان ذكر لي بعض
الاسرار الربانية في الليلة التي ذكرتها هنا في مصر ابت المسيلة
في اليقظة على عادتها ثم ذكرتها لاخ من المحبين في الله ولم تذهب
عني تلك النعمة وتحققت ان لي الاذن من الله ببركة الشيخ بوضعها
في كتابي هذا وظهر لي ان ذكر ذلك يزيد الكتاب شرفا ولمن يقراه
يقينا وفرحا واقول من نعم الله علي بان جعل لي محبة لتعليم
القراة بالعربية بعد ان جلست خمس سنين في تعليم القراة العجمية
ولما ان بلغت عشر سنين جا الى دارنا رجل صالح كان ابن عم ابي وكان
يعرف يقرا بالعربية ورغبته ان يكتب لي حروف الهجا وكتبهم لي وعرفت
الحروف بسرعة وكان والدي تخافان علي ان يعرف مني بان كنت اقرا
بالعربية بسبب الاحكام القوية التي كانت تحكم النصارى على من
يعرفوا انه مشغول بكتب المسلمين ولما ان جا الى دار مرة ثانية
ابن عم ابي قلت له يا سيدي قد عرفت وميزت الحروف العربية علمني
كيف اقرا بها قال ابنتي الى داري واعلمك فمشيت واخرج لي ورق
مكتوب فيه حروف الهجا مكتوب سبع مرات او ثمانية الاول
كل حرف بنصبة والثاني كل حرف بخفضة والثالث برفعه والرابع
بنصبتين والخامس بخفضتين والسادس برفعتين والسابع كل

حرف

حرف بجزمة وقال هذا الاول يقرا بنصبة بان تقول اب ت فقرات
ذلك وفهمته ثم الثاني الذي بالخفضة ثم الثالث ثم كذلك الى
اخرها وكان في الورق مكتوب اسما الفواكه وغير ذلك من المسميات
وكان الشيخ الصالح مشغولا بنسج الكتان ولو يبطل شغله بل نسا له
فيما نتوقف به ويعلمني ولما ان قرات كل ما في الورق من الاسما كان فيها
قصيدة منظومة بكلام العامة فقرا بها وقلت له يا سيدي ايذن لي
ان نحمل هذا الورق معي لنتثبت على القراة فاذن له في ذلك وجيت
الى الدار فارحا بما اتاني الله من فضله ومستبشرا بالخير وشاكرا له
على نعمته وقد قيل كن لنعمة الله في دينك اشكر منك له في دنياك
ولا يخفى ان سبب معرفتي لقرايتي بالعجمية سهل علي كثيرا القراة بالعربية
وهل يخفى على احد ان قرايتي في اقل من يوم كان وهبا وتوفيقا من الله
سبحانه وتعالى وذلك ببركة المسلمين الاندلسيين كما ذكرنا ذلك
في الرحلة ان الله كان يسهل على اهل العلم على قدرتها لهم اذ ليس لاحد
تيسير في الحال ليقرا في الالواح الا يجمع فكره ويقرا في الورق ثم يخفيها
في موضع بيتنا من همه ولما ان جيت لابي رحمه الله قلت له يا ابي كنت
اعرف نقرا بالعربية قال كيف ذلك قلت هاك الورق اقرا لك فكنت
اقرا الاسما المذكورة فيها الى ان قرات له القصيدة قال لي من علمك انت
تسمعني تقولها وتقول انها في الورق وكنت اقسم له بالله العظيم
مرارا ولم يذهب عنه الشك حتى جا الى دارنا ابن عمه وقال له فتح
الله عليه ومن رحمة الله علي بان كتبت السبع هيا كل في ورقة وجعلتها
على حرز ارجا بركاتها ونمت ليلة ومن الصبح فتشت الورقة فما وجدتها

وظننت انها وقعت مني فتغيرت عليها من وجوه لئلا يجدها نصراني وايضا
اذا اصابها مسلم كان يعرف خطي ويكثر الكلام علي عند الاندلس ولما
ان صليت الصبح واخذت في الدعا الى الله سبحانه وتعالى بنية ان يرد
علي الحرز وكنت اقرا دعا كان والدي رحمهما الله يحفظانه فلم نتمه بالقراة
الا ونزلت الورقة كما كانت في كمي ففرحت وشكرت الله على ذلك وازداد
اليقين وسبب ذلك ان اختي رحمها الله بينما كنت اصلي رفعت جوانح
الفراش ووجدت الورقة وارمتها لي على بعد فجات في الهوى ونزلت
بيدي ان الله ينزل البلا ويستخرج به الدعا وهذا هو الدعا والله اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسالك يا اول يا قديم يا فرد يا وتر
يا احد يا صمد يا الله يا رحمن يا رحيم يا حي يا قيوم يا عزيز يا ذا الجلال
والاكرام يا نور السموات والارض ورب العرش العظيم يا من لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد يا كافي يا هادي يا باري يا عالم يا صادق يا كهيعص
يا حمعسق يا رب الارباب يا سيد السادات يا مالك الملوك يا ولي الدنيا
والاخرة اسالك اللهم يا الله انت اله من في السموات ومن في الارض ولا اله
فيهما غيرك وانت حاكم من في السموات والارض ولا حاكم فيهما غيرك قدرتك
في الارض كقدرتك في السما سلطانك في الارض كسلطانك في السما
اسالك اللهم باسمك الكبير ووجهك المنير ان تجعل لي من امري فرجا
ومخرجا انك على كل شي قديرا ثني **ومما اتفق لي** ببلاد الفرنج
بعد مضي نحو العامين ونحن فيها بان كنت اسمع حسا في البيت الذي
نكون فيه وحدي في اليقظة يضرب في الحائط او قريب مني في لوح او
غيره وبين الضربة والاخرى قدر ما يعد الانسان ثلاثة او اربعة

ودخل

وقيب له نعلى مرداو المغاربة

ودخل في قلبي الخوف والرعب من ذلك حتى خفت من الجنون ان يصرعني
واشتغلت اذكر الله بلا فترة لعلي نتقوى بذلك وننجوا من الجن وكان
كذلك كل يوم ويضرب في البيت وفي غيره واذا نغضب عليه ونضرب الى
جهته يزيد في الضرب ورايت انه يليق بي الصبر ولا كنت ادرك ما ذا كان
مراده ثم فهمت انه كان يريد ان نخرج من بلاد الكفار وبعد ان وليت
الى بلاد المسلمين كان ايضا يعمل لي حسا ولكن يلهيني الى الصلاة اذا ١١
نتعطل عنها واذا بعض الليالي عند السحر يضرب لي في البيت
الى ان اقوم او نقرا في الفراش وكنت متحيرا في امره قلت هذا جن مومن
ولم نستعمل قط عزايم ليكون لي خديما من الجن حتى يلتوي لساني
بالقراة يضرب لي في البيت لنفيق ونقرا ثم اذا جاني النوم يضرب ايضا
حتى نختم القراة بعض الليالي بالسحر لا يهدى عن الضرب الى ان اقوم
وتارة اذا كان احد معي في الفراش يطلق علي شيا قليلا من التراب او
حجرا صغيرا قدر الحمص واصغر ويضرب قريبا من وجهي حتى ناخذها
بعض المرات بيدي ونعرف انه ليس مراده الا ان نقوم نقرا فقط وتارة
نستعمل من نفسي ان النعاس جاني ونظهر ذلك بالقراة وهو ليس
بقريب مني لنري هل يضرب ورايته مرارا انه لا يضرب الا اذا كان ابتدا
النوم حقيقة ثم تحققت منه انه يحفظ القران فكم مرة اكون اقرا
ويضرب وننظر ما ذا اقرا وندرك انني غلطت في القراة وكنت يوما
بمدينة مراكش جالسا نترجم رسالة باللاطيني نتكلم على الكورة
الارضية والفلكية والكورتان كبيرتان كل واحد في كرسي مرسوم
في السما وفيه النجوم الثوابت والبروج في الفلك والصور المعروفة

قطار

عند المنجمين ما سما بها وكذلك في الارضية كل مدينة معروفة في الدنيا والا
والبلدان كل واحد باسمه مكتوب عليه والابحر والانهار كان قد امرني
السلطان مولاي زيدان بن مولاي احمد بترجمة الرسالة قلت هي بلغة
اللاطين ولا نعرفه قال من يعرف اللاطين قلت له اسير راهب من اسارى
المقام العلي قال يقعد معك وكنا في دار السلطان نترجم ذلك والراهب
معي وجاء وقت الظهر ونعطلت لنتم بالكتابة ما بقي لي من وجه ورقة
وسمعت الضرب قويا كانه خارج علي وذلك لنقوم الى الصلاة ويسمع
الراهب الضرب من وراء لوح من خشب قال لي الراهب ما هذا الضرب قلت
له لا ادري وقام من موضعه ومشى ليظهر اللوح الذي كان الضرب
وراءه ولا راء شيا وبقي متعجبا وكان ابتدا هذا الامر قبل هذا التاريخ
بنحو الثمان وعشرين سنة ونعرف انه معي اينما كنت ولا نراه ولا يجيبني
بامارة وقد طلبتها منه ولا ظهر لي منه انتقال الا بدعائي فقط حتى
اقول انه الملك الذي على اليمين وانا متعجب منه بعد ان عرفت
منه انه يحفظ القران وتارة اقرا سورتين او ما شا الله ونترك القراة
ويضرب لي ان ابتدي واظن ان بعض الليالي حين يضرب لي ان اقوم
ان تلك ساعة الاجابة للدعا وكنت ليلة اريد ان اختم القراة الى
سورة الناس وكنت اقرا حزب صبح فتسلط علي النوم وكان في الزمان
الذي كنت مشغولا بهذا الكتاب فاذا قرات سورتين او ثلاثة ننعس
قليلا من غير ترك القراة فيضرب حتى نستفيق ونقرا حتى يرجع
النوم فهما يرى انه بدا لي يضرب هو ولا ختمت الحزب حتى ضرب بنحو
الست مرات ولما ختمت لم يضرب شيا والشكر لله الذي رزقني من

بعينني

يعينني على عبادته وكنت اول الحال نكرهه اشد الكراهة وقال الله العظيم
وعسى ان تكرهوا شيا وهو خير لكم ومما انعم الله به علي في العام الماضي
وكان عام ست واربعين والف في نحو العشرين من شوال يوم السبت كان لنا كتابا
كتبته بيدي يتعلق بجملة الاسما لسيدي احمد زروق بن عقبة الحضرمي
نفع الله به وغير ذلك فجعلته بين قفطانين الى جانب القلب ومشيت
الى دكان محمد بن العاصي الحكيم الاندلسي وكنت فيه امينا على قبض ما يبيع
ابن التاجر الذي كان فيه للبيع وفي الطريق كنت ماشيا اشتريت رغيفا
وجعلته بين الكتاب والجسد ولما ان وصلت الى الدكان اردت نقبض
الكتاب والرغيف ولم نجد شيا لا كتابا ولا رغيفا فمشيت في الازقة نسال
التجار ولا وجدت خبر الكتاب فجلست في حزن وتغيير ما لا رايت ذلك
منه زمانا وتذكرت الكتب سرقت لي بمراكش مما كتبت بيدي في الرحلة
وغير ذلك بقرب العهد حين جيت اول مرة من بلاد الكفار الى بلاد
المسلمين وايضا للكتب التي كتبت بيدي ومشيت الى الحج سنة قبل
ذلك في طريق الحج ثم تذكرت لما قرات في كتاب اليافعي وهو الشيخ
الامام العارف بالله عبد الله اليافعي نفع الله به سمعت من بعض العارفين
وهو يقول ان كل داع يدعو الله تعالى باسم هو بالنسبة اليه اعظم الاسما
بحسب حال من يدعو وعلى وفق المسؤول والمطلوب بالدعا وهذا القول
قريب الى المعنى وهو قول جمهور مشايخنا الصوفية وسالكي طريق التحقيق
والعرفان وسمعت الشيخ العارف محب الدين الطبري يقول سمعت
بعض العارفين يقول بحرم مكة شرفها الله تعالى من عرف الله باسمه
المؤثر في حاله وفعله فقد عرف الاسم الاعظم المخصوص به وحكى لي

نقص اصحابي عن بعض مشايخه ان الشيخ محيي الدين بن العربي قال
قال له من اخذ من عدد حروف اسمه بالجمل وينظر تلك الجملة في اي شي
من اسما الله تعالى الحسنى اتفق فان وجد في اسم والا نظر في اسمين او
في ثلاث او في اربع مثاله محمد عدده اثنان وتسعون نظرنا موافقته
في اسم فلم نجده وفي اسمين وجدناه يوجد في عدد اول دايم وفي ثلاثة
فلم نجده ووجدناه في اربعة اسما من اسمايه الحسنى جل وعلا وهي حي وهاب
واحد ولي فقال انه يقرا الفاتحة اثنان وتسعون مرة عدد الاسم وكذلك
سورة الم نشرح العدد المذكور وبعد ذلك يذكر الاسما الاربعة العدد
المذكور يتخذ ذلك رياضة ويقول في اخر الذكر عند انقضا العدد يا حي
احيي ذكري ورزقي وقلبي او ما شا يا وهاب هب لي كذا وكذا يا واحد
اوحد لي كذا وكذا يا ولي تولني ثم تدخل الاسما في جدول مربع بالصناعة
وهي حي وهاب واحد ولي ثم تضع في الكتاب جدولا اخر حرفيا
تضع فيه حي وهاب ولي جواد ابدل واحد بجواد لان كل واحد ينقط
اربعة عشر انتهى ولما ان قرات ما ذكرت اخترت ذلك العمل ونظرت
في اسما الله ما يكون بنقط ثلاثا وخمسين وهو اسم احمد ووجدت ذلك
العدد في ثلاثة اسما وهي واحد هادي وهاب ويكون بدلا عن وهاب
جواد وواحد ايضا ولكن ورد في وهاب انه الاسم الاعظم لقول سيدنا
سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي وفي الساعة التي اصابني
فيها التغيير على الكتاب الذي ذكرت انه دفع لي في الطريق والهمني
الله تعالى ان نقرا تلك الاسما وكنت عزمت على ان نجعلهم في وفق حسب
ما ذكر لي من العمل لا تجد فلم يتيسر في تلك الساعة ونويت في نفسي

ان نقرا

وقفته لله تعالى برواق المغاربة

نقرا الاسما ونطلب من الله تعالى ان يعطيني عوض الكتاب الذي ذهب
لي والهم الذي اصابني بسببه ما يشا من الخير ولم نعين شيا ثم
قرات الفاتحة ثلاثا وخمسين مرة والبسملة مع كل واحدة والم نشرح
ثلاثا وخمسين والاسما ثلاثا وخمسين مرة وجلست اليوم في الدكان
الى بعد العصر وجيت الى الدار فوجدت الكتاب في الموضع الذي كنت
اجلس فيه ففرحت بذلك فرحا عظيما من وجوه ولا يتوهم قاري
هذا الكتاب اني تركته في الدار لاني على يقين باني مشيت به
وجعلت الفرصة تحته وحصلت الاجابة وان لم اكن وضعت الاسما
في جدول لان القلب الحزين المضطر لا يفتقر للاوفاق ومما انعم
الله به علي ان بعد مسيلة الكتاب بنحو الاثني عشر يوما في اول
شهر ذي القعدة صليت يوما الظهر ونسيت بعد السلام بسجدتي السهو
لاجل ما زدت في الصلاة ثم في اليوم بنفسه في صلاة العصر حصل لي
مثل ذلك واخذني الغيظ على نفسي وقلت لها ما كان يمنع منك غلط
حين كنت تدخل الى حضرة سلطان مخلوق وحين تدخل الى حضرة الخالق
سلطان السلاطين تتكلم بحضرته والملايكة حاضرون ثم تنتقل
بكلامك الى الكلام في مسيلة اخرى ثم الى اخرى وتعرفين بحضرة
المولى الكريم ان يقال في اني من الكذابين او من الحمقا او من المجانين
ولكن ان شا الله نشتري سوطا من جلد ونضربك به على كل صلاة
بعد سجدة السهو لعلك تخاف من الضرب اكثر مما تخاف من الله الذي
يراك ويسمعك فاما الكلام الذي وقع لي مع نفسي في ذلك اليوم فلم
نتحقق هل قلت لنفسي هذا الكلام جهرا ام سرا وفي ذلك اليوم بعد

ان صليت المغرب وجلست ولم يكن لي سراج رايت قضيبا نزل
قدامي من الهوى من عود الطرفه على طول ذراع وفهمت ان ذلك
بدل عن السوط الذي عزمت على حو توجيد للضرب به كان لسان
الحال يقول لي ما تو حرك الى ان تشترى جلدا لعمل السوط ها ما يتو
عنه لعلك تداوي نفسك وتخاف من ضربك اياها به اكثر من خوفها
مما عوا به الله ورجعت اضرب نفسي بعد سجدة السهو على وجه الذراع
بالقضيب لان النفس والشيطان من اهل الشمال والقضيب الى الان
عندي فاذا نظرت اليه يجمع فكري في الصلاة ببعض المرات وحصلت
لي فايدة بالبرهان ان الله يريد من الانسان قولا باللسان واخلاصا
بالقلب وعملا بالجوارح نسأله سبحانه وتعالى ان يعفو عني فيما خصني
من الاخلاص فيما مضى وفيما بقي وان يجعلني من المخلصين ويختم
لي بخواتم السعادة ولقاريه وكاتبه ومستمعه ولمن راى
فيه عيبا واصلحه وان يغفر لي ولوالدي ولكافة ايمتنا وللمومنين
والمومنات والمسلمين والمسلمات الاحيا منهم والاموات
بفضل سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين وامام
المرسلين وحبيب رب العالمين امين. وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ابدا دايما الى يوم الدين
وكان الفراغ من التاليف لاحد وعشرين يوما من شهر ربيع الثاني من عام سبع
واربعين والف وذلك يوم الجمعة ولما كتبت اخر حرف منه سمعت المودن يقول
الله اكبر للاذان الاول لصلاة الجمعة واستبشرت بخير وبقبول الكتاب عند
الله وكنت رايت في النوم لفقيه زمانه بالمغرب قاضي المسلمين بمدينة مرا

كش

صح
وغيبت من الا... المتقدمة ... واضرب به الامر بضرب القضيب عن الصلاة بعد سهو في السجود على وجه الذراع لنفسي

دفعه له تعالى بن ... المغاربة

مراكش في زمان مولاي احمد السلطان الشريف الحسني وايضا في زمان ابنه
السلطان مولاي زيدان والقاضي المذكور محمد ابو عبد الله الرجراجي وكان معه
الاستاذ الشهير في قراءات القران والعلم محمد بن يوسف وقال لي القاضي بعلمنا انت
مشغول قلت اولف كتابا وبحلو قال المبارك واسم خلف مقلوب فهو
فلح وليلة اخرى قبل ان ختمت الكتاب بنحو العشرين يوما قيل لي في النوم اذا
تركت الكتاب يكون الذهب وكنت اقول كيف يكون هذا وليس لي تجارة ولا
غيرها ثم ان يوما اخر بعد تمامه جاءني ذهب من حيث لم نحتسب ولما قبضته تذكرت
الرويا وان ذلك ببركة الكتاب نسأل الله ان يجعله نافعا مقبولا منه ومن المسلمين
ناصر الدين رب العالمين على القوم الكافرين واجعله يا ربنا ان يستحق اسم
كتاب يا واحد يا هادي يا وهاب وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد واله
وصحبه وسلم تسليما

اودعت في هذا الكتاب شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا العبد الفقير الى الله تعالى ... المصراتي ... سنة ١٢١٧